ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد

المسمّاة:

أشرف الأماني بترجمة الشيخ سيدي محمد الكتاني

تأليف

الإمام أبي الهدى

محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني

(١٣١٩ - ١٣٨٤)

تقديم الزعيم الكبير

محمد بن عبد الكريم الخطابي

تحقيق

نور الهدى عبد الرحمن الكتاني

الطَّبعَةُ الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

ISBN 9953-81-152-0



الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

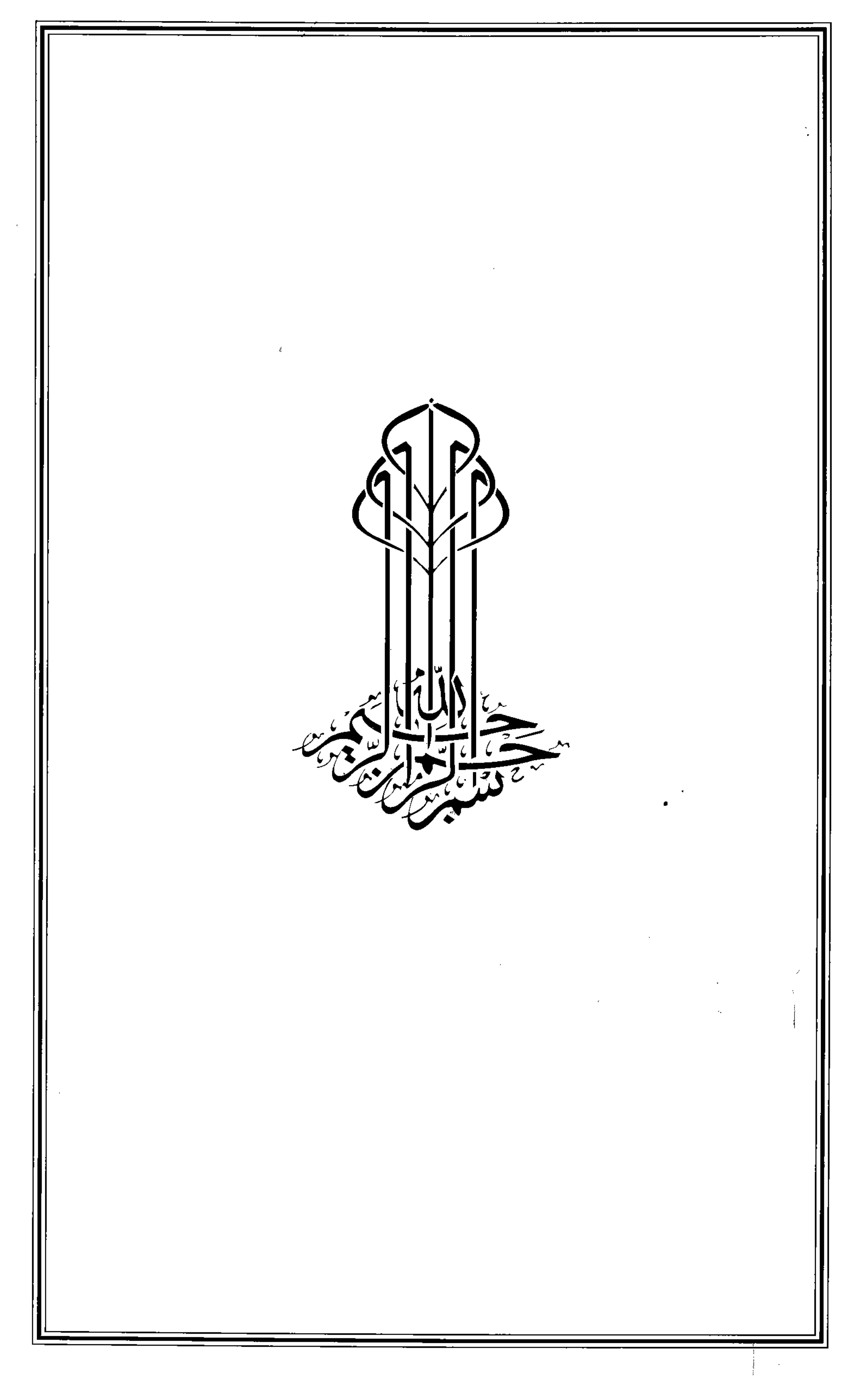
مركز التراث الثقافي المغربي
الدار البيضاء - 52 شارع القسطلاني - الأحباس
هاتف: 442931 - 022/ فاكس: 442935 - 022
المملكة المغربية

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: 14/6366
هاتف وفاكس: 701974 - 300227 (009611)
بريد إلكتروني: ibnhazim@cyberia.net.lb

ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد

المسماة:

أشرف الأماني بترجمة الشيخ سيدي محمد الكتاني


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء مؤلف الكتاب

إلى الروح الطاهرة التي كانت تنتظر صدور هذا الكتاب بفارغ الصبر.

إلى المثل الأعلى للأخلاق الفاضلة، الذي كان لا يرى لنفسه مزية وهو مجمع المزايا.

إلى العلامة الذي كان منزله نادياً للعلماء، ومجمعاً للفضلاء، وملجأ للضعفاء.

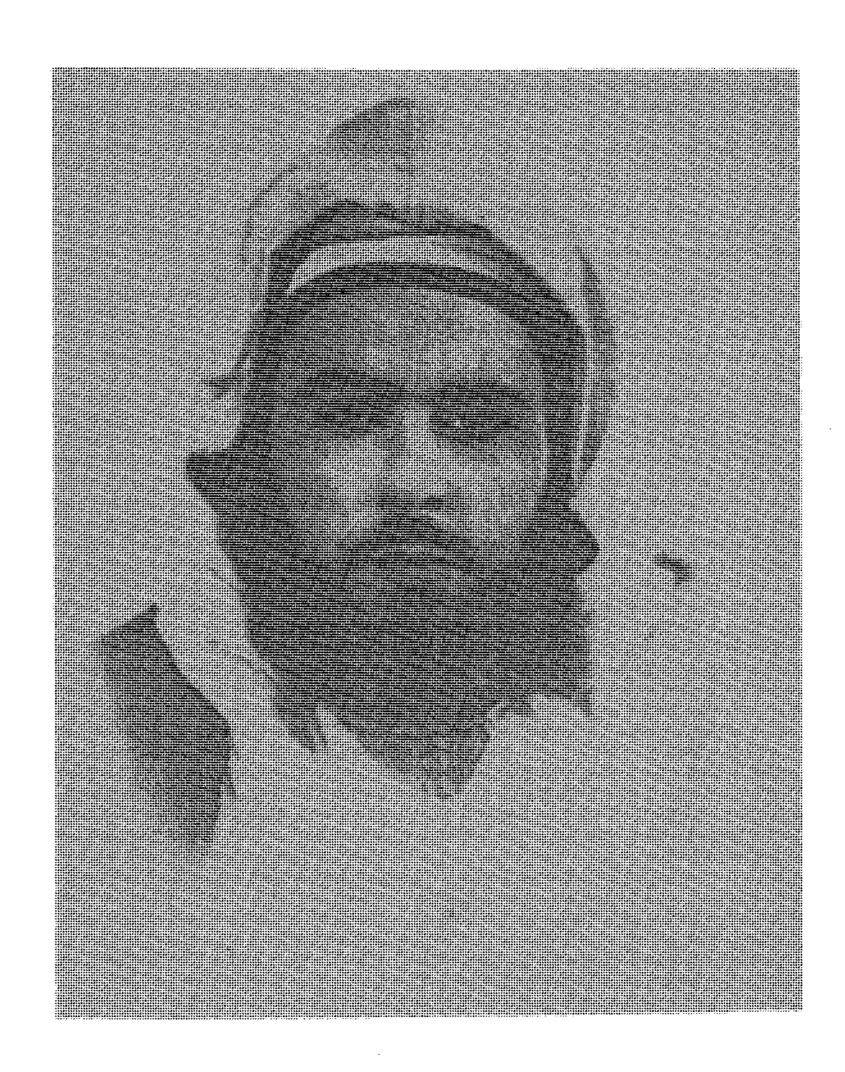
إلى الرجل المكافح الذي اعتقل في سبيل الله، وهو ابن أقل من عشرين سنة، فما وهن ولا ضعف ولا استكان.

إلى روح شقيقي ومجيزي ومفيدي الشيخ محمد المهدي الكتاني عليه رحمات الله أهدي هذا الكتاب.

المؤلف

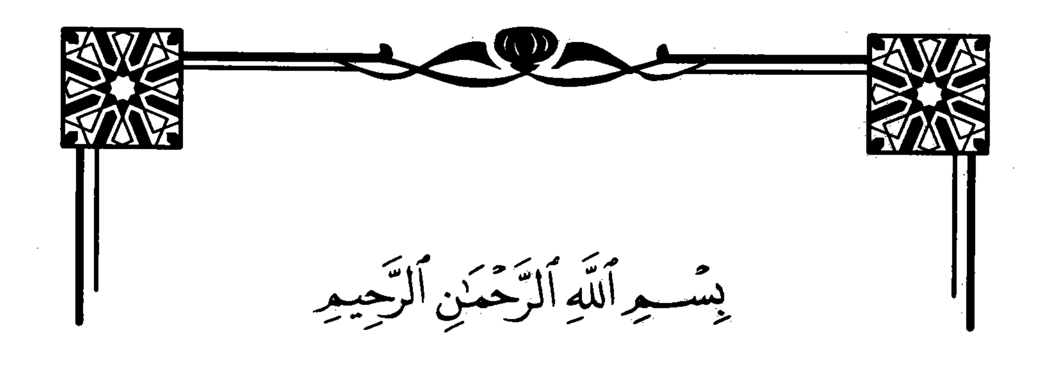






صورة المؤلف الشيخ محمد الباقر الكتاني





مقدمة التحقيق

اللهم صلِّ على كاشف الغمة على الأمة، الصادع بالحق وبشير الرحمة والثواب، وصل اللهم على أهله الذين عظمهم توقيراً وطهرهم تطهيراً، الطيبين الأخيار الذين أذهب عنهم الأرجاس وجعل مودتهم واجبة على الناس.

كتاب الشهيد:

صدرت الطبعة الأولى من كتاب «أشرف الأماني في ترجمة الشيخ محمد الكتاني» أو «ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد» سنة **١٩٦٢**م من تأليف ولده، الشيخ محمد الباقر الكتاني.

مرت أكثر من أربعين سنة على صدور هذا الكتاب الذي لا غنى عنه لكل باحث ودارس لحقبة مهمة من تاريخ المغرب وتاريخ رجالاته، وتاريخ الحركة الوطنية.

ما فتئت الزاوية الكتانية وخصوصاً مؤسسها، الشيخ أبو الفيض محمد بن عبدالكبير الكتاني موضوعاً لكثير من المباحث والأطاريح الجامعية، والدراسات الأكاديمية، فكان هذا الكتاب مرجعاً لا غنى عنه، سواء من ناحية الوثائق التاريخية أو الحقائق التي يجليها حول حقبة مهمة من تاريخ المغرب.

يُعَرف هذا الكتاب بمصلح إسلامي كبير في الثلث الأول من القرن الرابع عشر، وبوطني مقتنع بالوطنية بمفهومها الواسع وليس الضيق، لأن الوطنية جزء من الدين و: «حب الوطن من الإيمان»، والوطني يعد مجاهداً في سبيل الله، لأن هدفه هو رفع راية الإسلام، والدفاع عن كرامة وطنه، وطرد الاستعمار بجميع أشكاله.

والكتاب شاهد على نضال وكفاح أناس كثيراً ما يُظلمون، وتلصق بهم التهم، وأعني بهم: رجال التصوف والطرقية والزوايا.

كان للطرق الصوفية المتمثلة في شيوخها ومريديها، دور كبير في مقاومة الاستعمار ومقاومة التبشير، ولذلك لا نستغرب ما جاء في كتاب«الغارة على العالم الإسلامي» على لسان المستر بلس الذي قال: «إن الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في إفريقية، والمسلم فقط هو العدو اللدود لنا؛ لأن انتشار الإنجيل لا يجد معارضاً لا من جهل السكان ولا من وثنيتهم، ولا من مناضلة الأمم المسيحية وغير المسيحية. وليس خصمنا هو العربي الذي يرتاد البلاد للاتجار بالرقيق ـ لأن هذه التجارة صارت صعبة ـ بل إن هذا الخصم المعارض هو الشيخ أو الدرويش صاحب النفوذ في إفريقية أكثر مما هو كذلك في فارس»[1].

كان الشيخ محمد الكتاني الشهيد، مؤسس الطريقة الأحمدية الكتانية التي حملت مشعل الهداية والإرشاد بعدما ضعف إيمان الناس، وضعف تمسكهم بشعائر الإسلام من صوم وصلاة وحج، وصار التمسك بالأعراف والتشبث بها سلوكَ الناس في حياتهم، فكثر أتباعه حتى صاروا يشكلون قوة كبيرة في وجه الاستعمار.

يتناول هذا الكتاب في جزء منه، الدور الرائد الذي قامت به الطريقة الكتانية ومؤسسها، في سبيل نشر العلم والوعي الديني، وطرد المستعمر،

---

(1) انظر المصدر ص ١٧، تأليف لوشاتلييه لخّصها ونقلها إلى العربية محب الدين الخطيب ومساعد اليافي.

والدفاع عن استقلال البلاد... ولا أريد أن أسهب في الحديث عن هذا الجانب من حياة الشيخ، لأن «كتاب الشهيد» يعد في حد ذاته شاهداً على بلاء العلماء وأهل الطرق والزوايا في الذود عن كرامة البلاد.

كما يتناول هذا الكتاب، الإنتاج الصوفي للشيخ محمد بن عبدالكبير الكتاني، ويتضمن أشعاره الصوفية، وكذا أحزابه وأوراده وأذكاره ـ وهي تشكل بدورها زاوية من زوايا الأدب المغربي ـ التي من شأن الباحث المنقب أن يجدها مبثوثة في ثنايا هذه الترجمة الحافلة.

لقيت «ترجمة الشيخ الكتاني الشهيد» إقبالاً شديداً من طرف الباحثين، والمؤرخين سواء الذين كتبوا عن الزاوية الكتانية على الخصوص، أو الذين كتبوا عن التاريخ الاجتماعي والسياسي للفترة التي يتحدث عنها «كتاب الشهيد»، فكان هذا الكتاب بحق مصدراً لا غنى عنه لتلك الحقبة المهمة من تاريخ المغرب.

إن هذا الكتاب يصور لنا الفكر الإصلاحي الذي كان يتمتع به الشيخ الشهيد؛ ويتجلى ذلك في دعوته إلى الشورى، وإلى مقاطعة البضائع الأجنبية، وثورته على الأمراض الاجتماعية الموجودة في عصره، ويتجلى كذلك في دعوته إلى إصدار المجلات لتعميم الوعي، ونشر العلم، وإلى تعليم المرأة لأنها نصف المجتمع، ودعوة زوجها إلى القيام بمسؤوليته تجاهها، إلى غير ذلك من الأفكار التي يجليها هذا الكتاب...

وقد كان هذا الكتاب مرجعاً لكثير من الدارسين والمؤرخين، نذكر من بينهم على سبيل المثال لا الحصر: العلامة المرحوم محمد المنوني في كتابه: «مظاهر يقظة المغرب الحديث»[1] ذلك أنه يعتبر الشيخ محمد الكتاني داعية للسلفية الأولى في المغرب، ويعتبره مصلحاً إسلامياً بالمغرب وعلى مستوى العالم الإسلامي، وذلك بعدما استعرض المواقف السياسية والاجتماعية والثقافية للشيخ محمد الكتاني.

---

(١) المرجع ٣٧٥/٢ وانظر الأبواب الخامس والسابع والثامن.

كما كان هذا الكتاب من أهم مراجع الدكتور عبدالله العروي في كتاب: Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain 1830-1912 حيث تحدث عن مبادراته الإصلاحية وعن دوره في البيعة الخفيظية، وأثنى على مواقفه المتجلية في تشجيع مريديه من قبائل زمور وزيان، على محاربة الاستعمار رغم مناوئة بعض شيوخ الطرق له، وبذلك كان الوحيد من بين معاصريه - يقول الأستاذ العروي - الذي وحد بين المعارضين بالبادية والمدينة، وهذا هو السبب في الانتشار السريع لطريقته[١].

وكذلك الدكتور محمد الطوزي في كتابه: Monarchie et Islam politique au Maroc الذي ركز على الثقل والقوة التي كانت تشكلها الطريقة الكتانية في شخص مؤسسها - الذي كان يتمتع بشخصية سياسية محنكة بالإضافة إلى وزنه العلمي - وعن الدور الإيجابي الذي قامت به الطريقة لمناصرة المخزن في مواجهة الضغوطات الأجنبية، ثم يحلل ويفسر بعض الوثائق التي وردت في كتاب الشهيد، ويرجع سبب حقد السلطان عبدالحفيظ على الشيخ محمد الكتاني بسبب ما جاء في شروط البيعة الحفيظية[٢].

ومن بين ميزات كتاب «أشرف الأماني» كذلك أنه: يأتي على ذكر رجال مغمورين تتلمذوا على الشيخ محمد الكتاني، ويحيي ذكرهم نظراً لبلائهم في مقاومة المستعمر، أو في نشر العلم والدعوة إلى الله..

كما يقدّم هذا الكتاب مادة أدبية وشعرية، سواء من خلال الأشعار الواردة فيه - والتي يعتبر هذا الكتاب أول مصدر لها - أو من خلال النثر الذي يتجلى في القيمة الأدبية والصوفية للأوراد والأذكار.

ويحتفظ هذا الكتاب بوثائق ورسائل ويُعتبر المصدر الأول لها، وهي تتعلق بتاريخ المغرب السياسي والاجتماعي.

كما يجلي هذا الكتاب الغبار عن حقائق تاريخية، تتعلق بما كان يدعو

---

(١) المرجع ٣٨٨.

(٢) المرجع ٦٧.

إليه الشيخ الكتاني «الشهيد». ومن أجل كل هذا يندر أن تجد كتاباً يتحدث عن تلك الفترة التاريخية دون أن يعتمد عل كتاب «أشرف الأماني في ترجمة الشيخ محمد الكتاني».

فبعد وفاة السلطان الحسن الأول (١٨٧٣ ـ ١٨٩٣)، واجه المغرب فتناً وأهوالاً كثيرة، ذلك أن زمام الأمور أصبحت في يد الوزير أحمد بن موسى السوسي الشهير بباحْمَاد. وقد كان هذا الرجل يتمتع بدهاء كبير ودراية لا مثيل لها في تسيير أمور البلاد لأنه ينحدر من عائلة عرفت بخدمة المخزن منذ عقود.

اتخذ هذا الوزير القوي عدة إجراءات من أجل أن يستتب له الأمر، حيث أقصى كل المنافسين له والمعارضين، وقام بتنصيب الابن الأصغر للسلطان وهو المولى عبدالعزيز الذي لم يكن سنه يتجاوز وقتئذٍ الحادية عشر.

ركز أباحماد على أن يعود الأمن للبلاد وأهمل الإصلاحات التي كانت تشهد بداية وانتعاشاً في عهد المولى الحسن في جميع الميادين[1]، وكان همه هو تكريس الاستبداد بجميع الطرق.

وعند وفاة الرجل القوي أباحماد سنة ١٩٠٠م اختلت الأمور واضطربت على الرغم من محاولة المولى عبدالعزيز القيام بمبادرات إصلاحية في الميدان الاجتماعي والإداري والاقتصادي والعسكري، غير أنها كلها أجهضت بسبب رغبة بعض الوزراء في الاعتماد على القوى الأجنبية وتشجيع قوى دون أخرى في تنفيذ تلك الإصلاحات[2]. ويعزز كذلك هذا بالثقة الكاملة في الأجنبي وحسن الظن به، وتنزيهه عن دور التآمر والطمع في خيرات البلاد. ولذلك وجد الأجنبي صدراً رحباً من القاعدة الشعبية وترحيباً بالإصلاحات التي كان يعتزم إنجازها في المغرب.

---

(١) انظر سلسلة تلك الإصلاحات في مظاهر يقظة المغرب الحديث ١٣٥/١ وما بعدها.

(٢) مظاهر يقظة المغرب الحديث ٤١/٢ وما بعدها.

توالت الضغوط على المولى عبدالعزيز وجوبه بمؤامرات داخلية، تتجلى في إثارة بعض الثورات للنيل من هيبة الملك وإثارة المشاكل والقلاقل داخل المغرب تمهيداً لاقتطاع جزء من أراضيه ليسهل احتلاله.

وقد شهدت فترة حكم المولى عبدالعزيز عدة مشاكل، تتجلى في ضياع الحقوق وتولي موظفين غير أكفاء وغير مخلصين لمناصب حساسة في الدولة.

قال الحجوي في كتابه «الفرصة الثمينة» : «كل من ينظر في التاريخ لا يجد سبباً للاحتلال والاستعمار في سائر الأقطار، سوى ظلم الولاة وارتشاء القضاة وضياع الحقوق بين عامل جاهل وقاض متجاهل، وعن اهتضام الحقوق تنشأ الثورات والفوضى والفتن»(١).

فعلاً؛ فقد أدت هذه الوضعية المتدهورة إلى ثورات وفتن، أشهرها: ثورة أبي حمارة الذي كان يدعى «بالروكي» أي: الفتان، وقد كان المترجم له الشيخ محمد الكتاني يتمتع ببعد نظر وحصافة رأي ودهاء، بحيث كان يعتقد بأن هذه الثورة ما هي إلا مؤامرة من طرف المقربين من السلطان عبدالعزيز، من أجل التعجيل بدخول الاستعمار الفرنسي إلى المغرب بتواطؤ مع الفرنسيين أنفسهم، بدليل أنه لما انقطعت المعونة عن أبي حمارة من طرف حكام الجزائر الفرنسيين، ضعف وانهزم..

كما كان انعدام الأمن الداخلي وانهيار بيت مال الدولة، بسبب امتداد أيدي موظفي المخزن على خزينة الدولة سبباً اضطر معه المغرب إلى الاستدانة من الدول الغربية ديوناً بفوائد ربوية.

كل هاته العوامل كونت أرضية خصبة، لتكالب القوى الاستعمارية مثل بريطانيا وفرنسا وإسبانيا وألمانيا على المغرب، وشجعتها على محاولة النفاذ إليه بشتى الطرق وأوهاها. فالمغرب يحتل موقعاً استراتيجياً، ويعد مدخلاً

---

(١) الفكر الإصلاحي في عهد الحماية لآسية بنعدادة: ١٢٥، وكتاب الحجوي مخطوط خ ع ١١٤، الورقة ٣٠٣.

لإفريقية والمشرق الإسلامي، وحارساً على ملتقى البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، والمغرب كذلك مليء بالثروات المعدنية والزراعية والبحرية، بالإضافة إلى مناخه المعتدل[١] الذي يلائم أغلب المزروعات.

وقد اجتمعت مع كل هذه العوامل غياب جبهة داخلية قوية من شأنها أن تشكل حصناً منيعاً ضد التدخلات الأجنبية.

كانت القوى الاستعمارية الآنفة الذكر تتحين الفرص من أجل الاستئثار بالفريسة. على أنه كانت هناك فترات تهييئية تجرى من أجل التمهيد لذلك خصوصاً وقد أكدت كاتبة إنجليزية: «أن الدول النصرانية لا تنظر بعين العطف إلى عودة قيام دولة إسلامية ناهضة، ولذلك فهي مجمعة على إزعاج السلطان عبدالعزيز، بعد أن كانت سياسة الحسن الأول تهددها بقيام دولة على غرار مصر في أيام محمد علي»[٢].

كما كان الفرنسيون من جهة أخرى، يعترضون على تلقي المغاربة العلم والمعرفة وعلى فتح المدارس المتخصصة، والتدريس باللغة العربية[٣]. ففي سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٨م عقد مؤتمر مدريد للنظر في القضية المغربية حضرته ١٣ دولة أوربية لتتداول فيه مسألة حماية مصالحها بالمغرب. ونشير أنه حينئذ كثرت الحمايات بالمغرب حتى وصلت إلى ١٠٠٠٠ شخص. وفي سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٢ عقد اتفاق إنجليزي بلندن يقضي بتخلي بريطانيا لفرنسا عن المغرب وفي مقابل ذلك تتخلى فرنسا لبريطانيا عن مصر، وانتهت كل تلك المحاولات بعقد مؤتمر الجزيرة الخضراء الذي حضرته ١٠ دول أوربية بالإضافة إلى الولايات المتحدة والمغرب. وكان الهدف الظاهر منه هو إقامة فرنسا وإسبانيا لإصلاحات أمنية واقتصادية ونظامية في المغرب تضم نواحي:

---

(١) كان الطبيب الطنجي المصطفى الزاودي (وهو تلميذ للشيخ محمد الكتاني) يطلع على الجرائد الأجنبية ويكتب يومياً إلى فاس عاصمة المملكة آنئذ بما جد من أخبار المطامع الأجنبية حول المغرب، مذكرات الشيخ عبدالحي الكتاني خ م ١٣٠٩٦.

(٢) جولات في مغرب أمس، ص ١١٢.

(٣) مظاهر يقظة المغرب ٣٦٣/٢.

- نظام الشرطة.
- محاربة دخول السلاح للمغرب سراً.
- إنشاء بنك مخزني مغربي.
- تنظيم الجبايات والمداخيل الجديدة للمغرب.
- تنظيم إدارة الدولة.

اقترح الشيخ محمد الكتاني الشهيد أن يعقد المؤتمر في المغرب، وأن يكون ممثلو المغرب من الناس الذين لهم غيرة على مصلحة البلاد. كما طالب بعد ذلك بعدم الموافقة على ما جاء في مقررات الجزيرة الخضراء... ولكن الدسائس، ومواقف المغرضين وحاشية السوء كما يقول المؤلف في هذا الكتاب - كانت سبباً في إذعان الملك لمقررات الجزيرة الخضراء.

وقد كان من آثار هذا المؤتمر تقسيم المغرب إلى ثلاث مناطق: منطقة إسبانية وهي الشمال، منطقة دولية وهي طنجة، ومنطقة فرنسية وهي باقي المغرب.

فتحت معاهدة الجزيرة الخضراء الاقتصاد المغربي على الاقتصاد الأوروبي والأمريكي واحتاج المغرب بعد هذا إلى خمسين عاماً من أجل إلغائها.

كان هذا المؤتمر هو الذي أسرع بخلع المولى عبدالعزيز، لأنه تلاه احتلال فرنسا للدار البيضاء ووجدة سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م، ولم يبال الملك بهذا، بل أرسل جيشاً لقمع المجاهدين في الشاوية - بينما كتب الشيخ الكتاني إلى تلامذته بالشاوية يدعوهم للجهاد[١] فشنوها حرباً شعواء على الجيش الفرنسي دامت خمسة أعوام - أرسل المولى عبدالعزيز جيشاً لقمع

---

(١) طالب الشيخ محمد الكتاني بإحداث جيش مغربي يدرب على أحسن الطرق والتداريب العصرية أسوة بالدولة العثمانية، انظر ثنايا هذا الكتاب.

أولئك المجاهدين الذين أخذتهم الحمية، من أجل طرد الفرنسيين ونكل بهم وقتلهم شر قتل.

وبالموازاة مع هذه الأحداث، ظهرت في مراكش وفاس اعتراضات على السياسة المتبعة من لدن المولى عبدالعزيز، والتي تسببت في ضياع عدة أقاليم مغربية من بينها توات وفكيك، وعيون بني مطهر ومدينتا وجدة والبيضاء[1].

غير أن المصلحة العليا للبلاد اقتضت خلع المولى عبدالعزيز، لأنه لم يفعل شيئاً للدفاع عن وحدة البلاد، فالجيش الفرنسي كان يواصل عمليات الاحتلال. إذ ذاك قرر فقهاء وشرفاء وتجار وأعيان فاس خلعه.

توجت هذه الثورة الشعبية بشروط بيعة السلطان عبدالحفيظ بفاس. وقد كان المولى عبدالحفيظ خليفة للسلطان عبدالعزيز في مراكش. ووثيقة بيعته تتكون من ستة عشر شرطاً تبناها بالموافقة عليها كافة ممثلي الرأي العام الفاسي الموقعين على البيعة.

وهي شروط قيد بها الملك الجديد وذلك سنة **١٣٢٥**هـ/ **١٩٠٧**. وقد كانت هذه الشروط هي بداية لحقد الملك عبدالحفيظ على الشيخ محمد الكتاني.

وشروط البيعة الحفيظية تدور في مجملها حول إرجاع السيادة المغربية للمغاربة وتطهير المغرب من دنس الحمايات، واستشارة الأمة والرجوع إليها، وأخذ رأيها في كل الأمور، واعتبارها مصدراً للسلطة في السياسة الداخلية والخارجية.

وتدعو تلك الشروط كذلك إلى عدم استشارة الأجانب، بينما تحث على الاستعانة ـ إذا كان ذلك واجباً ـ بمسلمي الشرق الذين سبقونا للأخذ بمقومات الحضارة مثل الأتراك والمصريين، وهذا الشرط فيه ترغيب في الوحدة الإسلامية.

---

(١) مظاهر ٢/٣٤٣.

دعمت هذه البيعة الحفيظية من طرف العلماء، رغم ثورة المولى عبدالعزيز ومحاولته مقاومة أخيه، وقد ألقى السلطان عبدالحفيظ القبض على أنصار أخيه، وزج بهم في السجن رغم شفاعة الشيخ محمد الكتاني....

بعد محاولات رأب الصدع هاته، نتساءل: هل استطاع هذا السلطان الجديد أن يتحمل مسؤولياته، ويقوم بما كان منتظراً منه؟. كلا؛ فما إن تولى السلطان عبدالحفيظ الملك، حتى تنكر لكل الإصلاحات التي وعد بإنجازها، وأخذ يعلق إنجازها على اعتراف القوى الأجنبية به ملكاً على المغرب.

كان السلطان عبدالحفيظ شديد الاحترام للشيخ محمد الكتاني ويخاطبه بوالدنا، حتى أنّه ألف كتاباً في الرد على من تهجم عليه من العلماء[١]. ولذلك ما فتئ الشيخ الكتاني يناشده بتنفيذ وعوده والوفاء بمقتضيات البيعة.

كان الشيخ الكتاني لا يخاف في الله لومة لائم، قوّالاً للحق جاهراً به دائم الخوض في مناقشات علمية مع السلطان عبدالحفيظ - الذي كان عالماً - ويعقد مجالس علمية وله عدة مؤلفات.

كان المترجم له يخالف السلطان في أمور علمية جوهرية، كتبني مذهب الظاهرية في زيادة الأربع نساء في التزويج، ومسألة حياة الأنبياء[٢] فكان الشيخ الكتاني يخالف السلطان ويجاهر برأيه ويؤلف في الموضوع...

غير أن بعض المغرضين وأنصار الاستعمار وشياطين الإنس - كما يسميهم المؤلف في هذا الكتاب - من المقربين من السلطان والذين كانوا يعملون ضد مصالح المغرب، كان همهم هو إسكات صوت المقاومة التي كان الشيخ الكتاني من أبرز وأهم أعمدتها.

---

(١) انظر ثنايا هذا الكتاب.

(٢) انظر ذلك بتفصيل في هذا الكتاب.

ولقد وصلت الضغوطات التي تعرض لها الشيخ محمد الكتاني إلى أن ينسى مسألة الإصلاح بالمغرب ويوثر حياة الانعزال، مصداقاً للحديث الذي رواه عن النبي ﷺ أبو أمية الشعباني والذي يقول فيه: «**إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا موثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك**».

ولكن رغبته تلك اجتهد في تأويلها من طرف المستعمر وأذنابه من المغرضين الذين يوجدون في كل وقت وحين، حيث نجحوا في الإيقاع بالشيخ محمد الكتاني...

أصبح بعد هذا كل من يدعو إلى الإصلاح يقمع ويسكت صوته مثل جريدة «لسان المغرب» ـ التي تبناها المترجم، والتي كانت تدعو إلى الإصلاح والحفاظ على وحدة المغرب واستقلاله ـ فقضي عليها واستولى المخزن على المطبعة التي كانت تطبع فيها.

عملي في التحقيق:

إن من أولويات عمل المحقق هو العناية بالمتن، ومن أجل هذا كان اهتمامي منصباً حول تصحيح النص من بعض الأخطاء والتصحيفات.

تتبعت مختلف النقول سواء من المخطوطات أو المطبوعات، وأحلت على أجزائها وأرقام صفحاتها، ورجعت إلى المخطوطات لمقارنة النقول بالأصول وذلك إمعاناً في التدقيق والتصحيح.

كما حافظت على تعليقات المؤلف في الهامش، وفرقت بينها وبين عمليه التحقيق واضعة كلمة «المؤلف» بجانب تعليقاته، وكلمة «المحقق» بجانب تحقيقاتي.

عرفت ببعض المصادر التي يحيل عليها المؤلف، أو يرد اسمها في مبحث من المباحث، على أنني انتقيت في عملية التعريف، فلم أعرف إلا بالكتب التي تحتاج في رأيي إلى تعريف.

عرفت ببعض الأعلام الذين ورد ذكرهم في ثنايا هذا الكتاب، ولم أسهب في عملية التعريف هاته، بل أحلت القارئ على أهم المظان.

حددت أماكن وجود المخطوطات تسهيلاً للقارئ المهتم، وتيسيراً له وتعميماً للفائدة.

قارنت النصوص الشعرية بالأصول، وحققت الأشعار الموجودة في المتن، وهذه الأشعار هي عبارة عن دواوين الشيخ محمد الكتاني وأشعار موجودة في «المظاهر السامية في النسبة الشريفة الكتانية» للشيخ عبدالحي الكتاني، و«اللؤلؤة الفاشية في الرحلة الحجازية» لعبدالسلام بن محمد العمراني، وكلها مخطوطة.

وكذلك فعلت بالنسبة للنصوص النثرية التي هي عبارة عن الأحزاب والأوراد والأذكار ورسائل الشيخ ورسائل والده، حيث قارنت بين النقول والأصول، وشرحت بعض المفردات التي قد يستعصي فهمها على القارئ العادي.

أضفت عدة علامات وقف تتجلى في كثير من النقط، والفواصل وعلامات التعجب والاستفهام، التي هي من دون شك تساعد القارئ وتعطي للعبارات والجمل رونقاً خاصاً.

أزلت كثيراً من الإحالات التي كان المؤلف يكتبها في المتن، ووضعتها في الهامش.

قمت بعزو الآيات القرآنية ـ وهي كثيرة في هذا الكتاب ـ وأثبتت العزو في المتن للتقليص من عدد الهوامش، كما حاولت تخريج الأحاديث النبوية وتحريت الدقة ما أمكن مستعينة على ذلك بأمهات كتب الحديث.

وضعت بعض العناوين في بعض المباحث التي لم تكن في الأصل،

وذلك ـ تسهيلاً على القارئ ـ وميزت ذلك بوضع العنوان بين معقوفتين، ليظهر ذلك جلياً للقارئ.

ترجمت لبعض الأعلام الذين ورد ذكرهم ـ وما أكثرهم ـ على أنني في فصل «تلامذته» وهو فصل يضم أكثر من مائتي اسم، اكتفيت بذكر تواريخ الوفيات أو تواريخ مقاربة، وذلك تجنباً للإثقال على القارئ. على أنني لم أعثر في كتب التراجم إلا على النزر القليل منهم. وقد وجدت عنتاً كبيراً في تحديد تاريخ وفاتهم حتى إنني اضطررت للرجوع إلى بعض مخطوطات المؤلف، وإلى مخطوطات أخرى، ذكرتها في الهامش علّني أجد ما يشفي الصدر. على أن بعضاً من تلامذة المترجم له، تلزمه دراسة ميدانية للمنطقة التي ينتمي إليها ليمكن التعرف عليه.

كما قمت بتخريج الأبيات الشعرية المستشهد بها في الكتاب، وقد بذلت غاية جهدي في ذلك كما عرفت بقائليها وأعطيت نبذة عنهم، وكذلك عن الأدباء الواردة أسماؤهم في الكتاب كما شرحت قدر الإمكان بعض الإحالات التاريخية.

اعتنيت بمؤلفات المترجم له ووصفتها، وأشرت إلى المطبوع منها وتاريخ طبعه، وذكرت أماكن وجود المخطوط منها، تسهيلاً للقارئ المهتم، وكذلك فعلت بالنسبة لجميع كتب العائلة المذكورة في المتن.

في نهاية الكتاب ـ أي في طبعته القديمة ـ توجد حوالي ست صفحات، تحتوي على قائمة بمؤلفات المؤلف وردت تحت عنوان: «آثار أقلام المؤلف»، وقد ألحقت تلك القائمة بالترجمة التي خصصتها للمؤلف.

وفي الصفحة الأخيرة من الكتاب أدرج المؤلف خطاباً له، كان قد ألقاه في المؤتمر الأول لرابطة العلماء، وفيه يظهر جزء من آرائه وأفكاره، وقد قمت بإثباته في مقدمة الكتاب، ليتسنى للقارئ أن يكوِّن فكرة عن هذه الشخصية الإسلامية الفذة.

كما أثريت الكتاب بمجموعة من الوثائق والصور التي لها علاقة بالموضوع.

وفي الأخير وضعت مجموعة من الفهارس لتيسير الاستفادة من الكتاب.

وإنني وإن كنت قد بذلت غاية جهدي في إخراج هذا الكتاب، في طبعة جديدة ومصححة، فإني لا أزعم أنني قدمت للقارئ عملاً متكاملاً، ولكن حسبي أن ينتفع القارئ أكثر بهذا الكتاب في طبعته الجديدة وأن يكون أجره ثابتاً لمؤلفه، لقول المصطفى عليه أزكى الصلاة والسلام: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية، أو علم ينتفع به**».

ولا يفوتني في ختام هذه المقدمة أن أتقدم بالشكر الجزيل، للدكتور الصيدلي حمزة بن علي الكتاني ـ المهتم بكتب التراث والأدب ـ الذي ما فتئ يحثني على الإسراع في إخراج هذا التحقيق، فشكل هذا العامل حافزاً لي، خصوصا وأنه فتح لي أبواب خزانته وخزانة والده ـ كثّر الله من أمثال الابن ورحم الله الوالد ـ والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.





ترجمة المؤلف

هذه نبذة عن سيرة علم من أعلام المغرب، ورجل من رجال التصوف والسلوك الذين عاهدوا أنفسهم على الإخلاص لدينهم وقيمهم ومبادئهم، وكانوا أعضاء فعالين في هذا الوطن، وبذلوا كل عِلق نفيس من أجل أن ترجع لهذا البلد وحدته واستقلاله وكرامته وسيادته، تامة غير ناقصة غير وجلين ولا خائفين، سائرين على هدي آبائهم وأجدادهم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾.



المؤلف ومن خلفه على الطرفين عبدالرحمن (يميناً) ومحمد (يساراً)

أوليته وشيوخه:

هو الإمام المصلح، الفقيه الأثري، المحدث الحافظ، العالم المشارك، والشيخ المربي أبو الهدى الشيخ محمد الباقر بن محمد بن

عبدالكبير الكتاني. ولد رضي الله عنه بمدينة فاس سنة ١٣١٩هـ[١]، وتربى تحت رعاية والده، ولم يكد يبلغ ثماني سنوات حتى زج في السجن مع والده الشيخ محمد الكتاني وكل الأسرة الكتانية في المحنة ـ موضوع هذا الكتاب ـ ولما استشهد والده كفله جده الإمام الشيخ عبدالكبير الكتاني.

وقد تلقى علومه الأولى في الكتاب في مدينة فاس، ومنذ نعومة أظفاره كانت علامات النبوغ ظاهرة عليه، ذلك أنه كان يحفظ كثيراً من المتون المتداولة آنئذ، ويجلس في حلقات العلم التي كان يعقدها كبار شيوخ القرويين في وقته، وسنه لم يتعد الحادية عشر، أمثال جده الشيخ عبدالكبير الكتاني المتوفى سنة ١٣٣٣هـ، وعمه حافظ المغرب الشيخ عبدالحي الكتاني المتوفى سنة ١٣٨٢، والشيخ المهدي الوزاني المتوفى سنة ١٣٤٢هـ والقاضي أحمد بن جلون الفاسي قاضي وزان المتوفى سنة ١٣٧٧هـ. ورئيس المجلس العلمي بالقرويين أحمد بن محمد ابن الخياط الزكاري المتوفى سنة ١٣٤٢، ورئيس المجلس العلمي كذلك بالقرويين أحمد بن الجيلاني المتوفى سنة ١٣٥٢هـ، والعلامة محمد بن أحمد ابن الحاج السلمي المتوفى سنة ١٣٦٤هـ[٢]، وقاضي الجماعة بفاس محمد بن رشيد العراقي المتوفى سنة ١٣٤٨هـ. . .وغيرهم.

ولما انتقل مع عائلته للسكن بعد سنة بالرباط[٣] سنة ١٣٣٩هـ، أخذ عن كبار علماء هذه المدينة أمثال الشيخ محمد المدني ابن الحسني رئيس

---

(١) ترجم له ابن سودة في «سل النصال» :١٩٧ وفي «إتحاف المطالع» ٥٨٤/٢، ومحمود سعيد ممدوح في «تشنيف الأسماع في شيوخ الرواية والسماع»، والجراري في «أعلام الفكر بالعدوتين» ١٠٢/٢، و«من أعلام المغرب العربي في القرن ١٤» لوالدنا العلامة عبدالرحمن بن محمد الباقر الكتاني ص ١٥٢، و«نصب المآثر» للدكتور حمزة بن علي الكتاني وهو لا يزال مخطوطاً، و«منطق الأواني بفيض تراجم عيون أعيان آل الكتاني» له كذلك.

(٢) انظر شيوخه بتفصيل في ترجمة ابنه له في «من أعلام المغرب العربي في ق ١٤»، ص ١٥٥ وما بعدها.

(٣) كان هذا الانتقال للعائلة بناء على رغبة للسلطان المولى يوسف وذلك نتيجة لموقف علماء فاس غير المشرف من المحنة الكتانية، انظر «ترجمة الشهيد».

مجلس الاستئناف الشرعي المتوفى سنة ١٣٧٨هـ، والشيخ أبي شعيب الدكالي المتوفى سنة ١٣٥٦هـ، والشيخ أبي حامد المكي البطاوري المتوفى سنة ١٣٥٠هـ.

وحين رحل إلى المشرق لتأدية فريضة الحج وذلك سنتي ١٣٣٧ و١٣٥٧هـ أخذ عن أعلام الحجاز ومصر أمثال الشيخ عمر بن حمدان المحرسي، وعبدالقادر بن توفيق الشلبي، وبدر الدين البياني، وبخيت المطيعي ومحمد بن إبراهيم السمالوطي(١).

وقد مكنته كل تلك الحلقات العلمية التي كان يحضرها، والإجازات العلمية من لدن أئمة المشارقة والمغاربة من التبحر في علوم عديدة، ونشر العلم والدعوة إلى الله والتصدي إلى إرشاد الخلق، وهي مهمة لا يضطلع بها إلا من حباه الله خلقاً حسناً وأسلوباً متميزاً لجذب العقول واستمالتها طمعا في إقناعها، لذلك فقد كان علمه الجم وخلقه الطيب الوديع سبباً في اجتماع الناس حوله وسبباً كذلك في تكاثر مريديه وتلامذته.

وتلامذة الشيخ محمد الباقر الكتاني كثر سواء في المغرب أو في المشرق، فقد كان يقيم دروساً ومجالس علمية في كثير من الحواضر والمدن، والقرى المغربية.

وأثناء وجوده بالحجاز لأداء فريضة الحج، تتلمذ على يده كثير من المشارقة أمثال الشيخ مصطفى الجعفري الكوباني رئيس الطريقة الكتانية بمصر، والشيخ عبدالحميد الشيمي والشيخ عبدالله الهرري... وغيرهم ممن لا يحصون كثرة، بالإضافة إلى أنه كان يعطي إجازات لكثير من أئمة المشارقة وعلمائهم من أمثال الشيخ زاهد الكوثري رحمة الله عليه.

واعترافاً من تلامذته بمكانته العلمية وحين توقفه في مصر أثناء تأدية فريضة الحج مدحه بعض تلامذته بقصائد جاء في إحداها:

---

(١) هذه المعلومات موجودة في ثبته المسمى «غنية المستفيد» المطبوع بتطوان سنة ١٣٦٧. وانظر تراجم هؤلاء العلماء في معجم الشيوخ، لعبدالحفيظ الفاسي.

حي الشريف باقر المفضالا	أعني به الكتاني زاد جلالا
نور القدير عليه دوما انه	من نوره قد فاق فينا هلالا
أنوار قطرنا والبلاد جميعها	من وجهه الزاهي تضيء جمالا
شرفت قطرا أنت فيه معظم	قد زرت آل البيت حزت سؤالا
والحج مبرور لأنك طاهر	بل فقت أيضاً في الرجال كمالا
فاقبل تحية شاعر يهدي إلى	عليائك الدر الذي يتلالا
لازلت في عز وسعد دائم	في فضل باقر نضرب الأمثالا

والشيخ محمد الباقر الكتاني يعد نابغة من نوابغ المغرب وعلمائه ومناضليه، اجتمعت فيه خصال قلما تجتمع في غيره، وهي: العلم والتصوف، والصلاح والولاية، إذا نظرت إليه ترى نوراً يشع من وجهه، لشدة صلاحه وطيبوبته، ودوداً بشوشاً لين الجانب حلو المجلس، كان بيته قبلة للعلماء والمتصوفة والمجاهدين والزعماء، كما كان قبلة للمحتاجين والمعسرين. وقد كانت مشاكل المسلمين في مختلف أنحاء العالم هي همه الأكبر.

نضاله الوطني:

تلقى الشيخ محمد الباقر شحنات من بغض الظلم والقهر، والتفاني في حب الوطن ونبذ الاستعمار الدخيل، وهو لم يبلغ سن التمييز بعد، حيث اقتيد إلى السجن مع والده وأفراد أسرته ـ كما سبق القول ـ في سبيل القضية الوطنية التي أريد بها اغتيال صوت الحق وهو صوت والده الذي كان ضد دخول الاستعمار للمغرب، وضد الخضوع لهيمنة الأجانب، وضد الإذعان لشروط فرنسا التي أملتها على المغرب من أجل أن تلقي رداء الحماية اللعين عليه.

كبر الشيخ محمد الباقر وهمه هو إكمال رسالة والده الشهيد، التي تتجلى في مقاومة الاستعمار البغيض، وإخراج المستعمر، ومحاربته بجميع الأسلحة المادية والمعنوية، وشعاره ما قاله الشاعر:

إذا مات منا سيد قام سيد قئول لأقوال الكرام فعول

ولذلك كان يفرغ كل طاقاته وجهده في العمل على مكافحة الاستعمار بسلاح الكلمة؛ إذ كان يقيم دروساً علمية في مختلف زوايا ومساجد المغرب، حاثاً الناس على محاربة الاستعمار ومقاطعة سلعه وبضائعه.

وعلى الرغم من أنه كان ممنوعاً من الرحلة إلى البوادي والقرى أيامئذ، مخافة أن تكون لدعواه للجهاد أثر على أتباعه بالخصوص وعلى الناس عموماً فقد كان يزور تلك المناطق سراً ـ كما صرح بذلك في هذا الكتاب ـ وكان يقوم بدعوة الناس إلى الثورة على الاستعمار الفرنسي ومحاربته خوفا على الهوية المغربية.

وقد تنوعت وسائل وطرق الدعوة لمناهضة الأجنبي الدخيل عند الشيخ محمد الباقر؛ لذا فقد كان تارة يبث روح الجهاد في مريديه عن طريق إرساله لرسائل توجيهية لهم تحثهم على المقاومة، وتارة يأمرهم بمقاطعة سلع وبضائع المستعمر.

كما كانت للشيخ محمد الباقر مواقف جريئة وشجاعة ضد الاستعمار والهيمنة أياً كان نوعها، ونتيجة لمواقفه فقد كان يحظى بتقدير خاص من لدن السلطان المولى يوسف رحمه الله، والذي كان دائماً يدعوه إلى حضور الحفلات الرسمية التي كانت تقام في القصر الملكي. وقد كان تردده هو وأفراد العائلة الكتانية على القصر الملكي يثير سخط وغضب الفرنسيين ويزيد من غيظهم وحنقهم على رجال التصوف بالخصوص، وعلى العلماء بصفة عامة، وقد قال له السلطان مرة: «ثقوا بأنه لن يصيبكم ـ إن شاء الله ـ أذى ما دمت جالساً على أريكة العرش المغربي». (انظر الشهيد).

وطالبت العائلة الكتانية باسم الطريقة ـ وعلى رأسها الشيخ محمد الباقر الكتاني ـ باستقلال المغرب وذلك سنة ١٩٤٤، والرسائل موجودة في عدة وثائق لدى العائلة ومنها ما هو مثبت في هذا الكتاب.

ولما تولى الملك محمد بن يوسف (محمد الخامس) كان للشيخ محمد الباقر والطريقة الكتانية مواقف صلبة في الدفاع عن العرش المغربي وعن رمزه، ولذلك لما حاول الفرنسيون خلع محمد الخامس للمرة الأولى

سنة ١٩٥١، وجَّه برقيتين لرئيس حكومة فرنسا ووزير خارجيتها مستنكراً هذا العمل، وقد تركت هاتان البرقيتان صدىً حسناً في نفس جلالة المغفور له محمد الخامس: (انظر نص البرقية: «الشهيد»).

وحينما نجحت محاولة إبعاد الملك محمد الخامس سنة ١٩٥٣، والذي كان يعد رمزا للمطالبة باستقلال المغرب وطرد فرنسا، أرسل الشيخ محمد الباقر برقية باسم العائلة والطريقة الكتانية إلى رئيس حكومة فرنسا، منادياً بإرجاع الملك إلى عرشه ومطالباً باستقلال المغرب. إلى غيرها من المواقف الجريئة والشجاعة وهي على شكل رسائل كان يبعث بها إلى المحافل الدولية وإلى حكومة فرنسا وإلى مقيمها العام بالمغرب يطالب فيها باستقلال المغرب.

كما كان الشيخ محمد الباقر الكتاني أحد المؤسسين الأوائل لرابطة علماء المغرب؛ بل انعقد جمعها التحضيري بمنزله الكائن بمدينة سلا.

وقد كانت له أفكار رائدة في جميع المجالات، فقد أراد أن تضطلع رابطة علماء المغرب بالدور الحقيقي المنوط بالعلماء - إذ هم ورثة الأنبياء - والمتمثل بالاهتمام بمشاكل بلادهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وأن لا يقزم دورهم في سنن الوضوء ونواقضه (انظر نص خطابه التوجيهي في هذا الكتاب).

ومن ضمن الخطب والكلمات التي تصور مدى جهاد ونضال المترجم، وتعبر عن أفكاره حول المجتمع والنظام الإسلامي: خطابه في الجلسة الأولى لمؤتمر علماء المغرب المنعقد بنزل باليما بالرباط في يومي الأحد والاثنين ٢٧ - ٢٨ ربيع النبوي ١٣٨٠هـ الموافق ١٨/ ١٩ - ٩ - ١٩٦٠م، الذي نثبت فيما يلي النص الكامل له، وقد احتوى على الخطوط الرئيسية لما يجب أن يكون عليه المغرب الإسلامي المستقل في نظر علماء المغرب، كما بين من جهة أخرى الاتجاه العام الذي تسير فيه الطريقة الكتانية على الخصوص والطرق الصوفية على العموم في العصر الحاضر.

«الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه»

«سادتي، إخواني، أبنائي»

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»

«وبعد؛ فإن عقد المؤتمرات لحل المشاكل والبحث عن الوسائل

الموصلة إلى الأهداف المقصودة سنة طبيعية في الكون، مضت على وجودها آلاف من السنين، وشهدتها أجيال يخطئها الحصر».

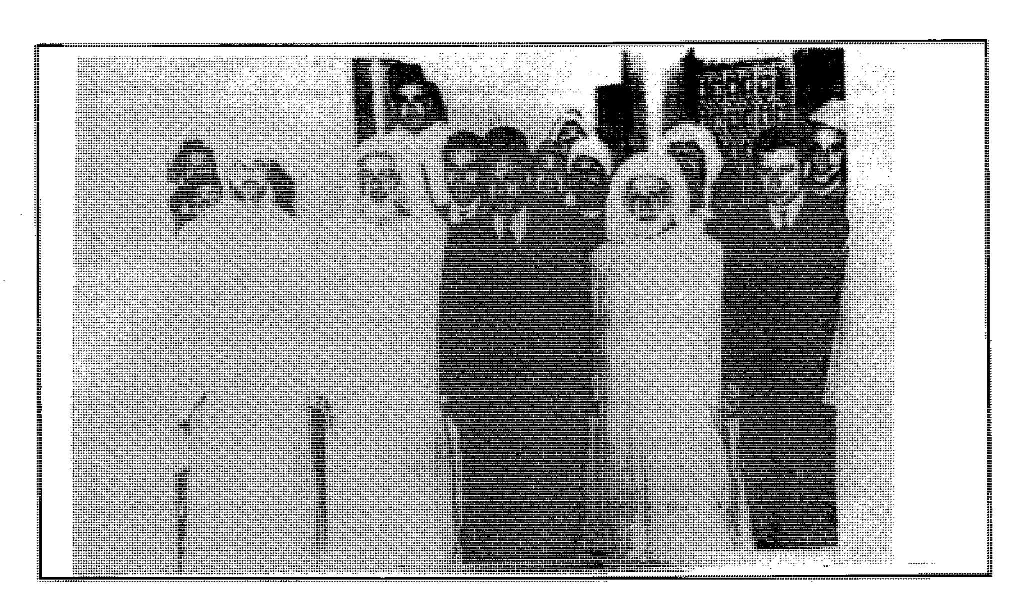
«ولقد شهد المغرب ـ على الخصوص قبل الحماية ـ مؤتمرات هامة قرر فيها مصيره في ركب العروبة والإسلام، ورفع فيها من شأنه ما أصبح به محط أنظار الدول والشعوب. ولئن كان الاستعمار في عهد الحماية البغيض حال دون عقد المؤتمرات التي تعمل لصالح الإسلام والمغرب؛ فإن العراقيل قد ابتعدت عن الطريق منذ اللحظة الأولى من الاستقلال، وأصبح لعلماء المغرب وغيرهم الحق في أن يجتمعوا بحرية ويجاهروا بأفكارهم ومبادئهم بشجاعة بفضل الله سبحانه ثم بكفاح أمير المؤمنين محمد الخامس وعائلته الموقرة وشعبه المخلص، ومساندة العالم العربي والإسلامي والحر أيضاً»...

«ولقد اجتمعنا اليوم في هذا المؤتمر لندرس أوضاعنا ونجاهر بأفكارنا كرجال أحرار في أمة مسلمة لها دينها الصالح لكل زمان ومكان... وتاريخها الحافل بجلائل الأعمال، وهي تريد أن تربط حاضرها بماضيها وتبني مستقبلها على أسس راسخة لترضي الله ورسوله وصالحي المؤمنين».

«نعم؛ نريد أن نصرح أمام الملأ أن الإسلام دين ودولة، وعقيدة ونظام، ومصحف وسيف، يدعو إلى التطور السليم، والسعي في مصلحة البشر. وهو بذلك غني عن أية عقيدة أخرى ونظام وضعي يتبدل بحسب الأفكار والنزعات!».

«نريد أن نعمل على تركيز التعاليم الإسلامية في النفوس ونعطي البرهان على أن الإسلام دين رقي ومدنية، ودين مرونة ويسر، جمع الله فيه ما افترق في غيره من الأديان، وجعله دين الإنسانية، وخوله من التعاليم السامية ما يعصم به بنيه من أوضار المادية والانحلال والإلحاد، ويحملهم على المحافظة على تراثهم الخالد، ويدعو إلى الإصلاح الذي يهدف إلى النهوض بالمجتمع الإسلامي ويدفع عنه كل الأضرار».

«نريد أن نتحرر من رواسب الاستعمار الفكري والخلقي والاقتصادي حتى لا نتنكر لديننا ولغتنا وتاريخنا».



الأستاذ سعيد رمضان وعن يمينه المؤلف ثم الشيخ محمد المنتصر الكتاني، وعن يساره شقيق المؤلف الشيخ محمد المهدي الكتاني

«نريد أن نحكم البلاد بما أنزل الله لنكون مؤمنين حقاً وصدقاً».

«نريد أن نكوّن من مدارسنا ومساجدنا شعباً قوياً ينهض بالمسلمين إلى القمة حتى يتحققوا أن أعظم تراث خلفه لهم آباؤهم وأجدادهم هو الإسلام الذي يحترم الإنسان ويحقق رسالة الخلافة عن الله في الأرض. وتراث بهذه المثابة يجب أن تبذل الأرواح في سبيله، وتواصل الجهود في سبيل ازدهاره».

«نريد أن يكتمل استقلالنا بجميع مظاهره بإرجاع موريطانيا ومقاطعة توات والقنادسة وسيدي يفني والساقية الحمراء ومدينتي سبتة ومليلية إلى التراب المغربي».

«نريد الاستقلال التام لجميع تراب الجزائر الشقيقة التي ضربت أروع الأمثال في البطولة والتضحية، وذكرتنا بأبطال الإسلام وحماته الأولين».

«نريد أن نعلن حق إخواننا الفلسطينيين في الرجوع إلى أوطانهم وحكمها بكتاب الله وسنة نبيه، وطرد الصهيونيين عنها، أولئك الإخوان

الذين جاهدوا في الله حق جهاده وأخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا: ربنا الله، ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾، ونمد لهم يد المساعدة بكل ما يفرضه علينا الواجب الإسلامي المقدس».

«نريد أن نساند كل الحركات الإسلامية ـ سواء بالبلاد الإسلامية أو غيرها ـ ونشاركهم في السراء والضراء، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، وقوله جل وعلا: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾. وقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**».

«نريد أن نعلن لأولي الأمر مطالبتنا بإلغاء التبشير بالأديان عن طريق النشرات التي توزع بين الفينة والفينة في مدن المغرب وبواديه، أو المحاضرات التي تلقى سنوياً (بتيومللين) بناحية مكناس وغيرها، أو عن طريق التعليم أو التطبيب أو دُور الأمومة المتعددة باسم البر والإحسان، أو غيره من أدوات التبشير المقنع».

«وإن ديناً يأمر أتباعه بمعاملة غير المسلمين معاملة كريمة مبنية على المسالمة وحفظ الحقوق ومخاطبتهم بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ جدير بأن تراعى حرمته ولا يحارب في عقر داره».

«وأخيراً؛ نريد أن نتصف بأوصاف المسلم الكامل؛ سواء كنا في المسجد أو في الشارع أو في المعمل أو في المنزل أو في التفكير أو في العمل؛ لنرسم لغيرنا صوراً حقيقية عن المسلم المثالي كما يحبه الإسلام، ونرغبهم في سلوك النهج الحسن. ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾. والسلام عليكم ورحمة الله. سلا ٢٦ ربيع الأول ١٣٨٠هـ. محمد الباقر الكتاني عفى عنه»..

كما أن للمترجم العديد من المقالات النقدية القيمة، والأبحاث الهامة والتراجم النفيسة، نشر بعضها في جريدة «الميثاق» لسان حال رابطة العلماء. وعموماً فكل من كان يعرف الشيخ محمد الباقر، يعجب بتميزه بسمة التفتح على عصره وعدم تزمته.

كما ربط الشيخ محمد الباقر علاقات وطيدة مع زعماء الإصلاح بالمشرق العربي، وكانت له علاقة ببعض ملوكه، كالملك إدريس السنوسي، والشيخ محمد زكي إبراهيم، والأستاذ سعيد رمضان، وقد كان لهؤلاء جميعاً دور مهم في تنسيق العمل الدعوي الإسلامي بين المشرق والمغرب.

ومن مواقفه السياسية ـ أيضاً ـ مطالبته بإلغاء الظهير البربري، ولذلك قام بحملة في صفوف الإخوان الكتانيين للوقوف ضد هذا الظهير الذي كان يهدف إلى زرع الفرقة والشتات والخلاف في المجتمع المغربي (انظر رسالته في هذا الكتاب).

ومن بين مواقفه السياسية ـ أيضاً، وهي مواقف للطريقة الكتانية في شخصه ـ مناصرته للقضية الفلسطينية، التي هي قضية المسلمين جميعاً، حيث استنكر استيلاء الصهاينة على أرض فلسطين، وكان يطالب بمد يد المساعدة إليهم، وذلك في وثائق متعددة (انظر الشهيد).

كما كان يطالب بمساندة ودعم جميع الحركات الإسلامية أينما كانت، وقد كانت له أفكار إصلاحية قل نظيرها، من ذلك: اقتراحه أن تمد يد المساعدة إلى الطرق الصوفية ـ التي لها دور كبير في تهذيب النفس وتوجيه الناس إلى التحلي بالفضائل، ونبذ السلوك الرذيل والتخلي عن الرذائل، بالإضافة إلى شحن الناس بحب الوطن والتعلق به والاهتمام بمشاكله، وهمومه ـ وذلك على غرار المساعدات التي تعطى للأحزاب السياسية والمنظمات النقابية (انظر رسالته في الموضوع: الشهيد).

كما اقترح على جلالة المغفور له محمد الخامس، تنظيم الطرق الصوفية على اختلاف مشاربها وشيوخها، وجعلها تتكتل في مشيخة واحدة، على غرار حكومة مصر التي لها تنظيم تجتمع فيه كل الطرق

الصوفية، تحت ما يسمى «بمشيخة الطرق الصوفية» (الشهيد).

كما كان يطالب بمحاربة كل أنواع التبشير أياً كان القناع الذي يرتديه، سواء عن طريق المساعدات الطبية أو التعليمية، أو عن طريق الجمعيات الخيرية (نص خطابه في مؤتمر رابطة العلماء : الشهيد).

ونظراً إلى أنه كان من شيوخ التربية والسلوك، فقد تصدر لتربية المريدين بالزاوية الكتانية بسلا وذلك سنة **١٣٥٦**، وبالجامع الأعظم بها، وكذا بمسجد الشراطين ومسجد سيدي أحمد حجي، وبالزاوية الكتانية بالرباط، وكذا بمختلف الزوايا الكتانية بالمغرب أثناء جولاته العديدة وسياحته، من أجل نشر الطريقة الكتانية، مجاهداً بعلمه لا يكل في سبيل توعية الخلق، عن طريق دروسه الإرشادية ومجالسه العلمية، التي كان يحضرها جم غفير من الناس، يزيد عددهم على ثلاثمائة ـ كما ذكر ذلك في إحدى رسائله ـ وذلك مصداقاً للحديث الشريف: «**سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله**».

وتبعاً لهذا؛ فقد قام بفتح فروع للطريقة الكتانية بالمشرق، وساهم في جمع مؤلفات علمائها وحافظ على تراثهم.

وقد كان له الفضل في تجديد الطريقة الكتانية، بعد تنازل شقيقه الأكبر له الشيخ محمد المهدي الكتاني، وذلك سنة **١٣٥٦**هـ، فقد أضاف أذكاراً وتوسلات لأذكار الطريقة الكتانية، ولذلك فهو يعد مجدد الطريقة الكتانية وإليه تنسب الطريقة الكتانية الباقرية.

مؤلفاته :

كان الشيخ محمد الباقر الكتاني موسوعياً في معارفه ومداركه، فقد كان فقيهاً يدعو إلى العمل بالحديث ونبذ التعصب أياً كان نوعه، كما كانت له عناية بعلوم الحديث، سارداً لكتبه مدرساً لها في زوايا ومساجد الرباط وسلا. وهو من كبار المحدثين والرواة في العالم الإسلامي، وله أكثر من عشرين مؤلفاً في هذا الباب، خصوصاً وأنه نهل تلك المعارف والعلوم، من

كبار الحفاظ والمحدثين والشيوخ في وقته شرقاً وغرباً[1].

كما يعد الشيخ محمد الباقر من أبرز أدباء عصره؛ يتجلى ذلك في نثره الذي يذكرنا بكتب المتقدمين من حيث قوة الأسلوب وسلاسته وحسن تعابيره. كما يتجلى ذلك في أشعاره التي تبلغ الخمسة عشر ألف بيت، في مواضيع وأغراض مختلفة.

وأهم غرض برز فيه هو المديح النبوي، بالإضافة إلى أغراض أخرى:

١ ـ ديوان شعر في مدح النبي ﷺ واسمه: «الجواهر المكنونة والأسرار المصونة في مدح الجلالة النبوية والحضرة المحمدية»، أو: «مفتاح كنوز العرفان في كمالات سيد الأكوان».

٢ ـ ديوان في مدح والده الشيخ محمد الكتاني واسمه: «أقنوم السعادات في التنويه بأهل المقامات وبالأخص والدي صاحب الكمالات في الهدايات». ويضم كذلك عدة تخميسات له على قصائد والده.

٣ ـ وكذا ديوان في مدح جماعة من الأولياء[2].

وديوان الشعر الباقري في مدح الجناب النبوي، يحتوي على قصائد طويلة تفوق كل واحدة منها المائة والثلاثين بيتاً.

نموذج من نثره وشعره:

قال ممهداً لتائيته الأولى في مدح النبي ﷺ:

«الحمد لله الذي وهب العارفين الحكمة وفصل الخطاب، وآتاهم جلائل النعم وفتح لهم الأبواب، ورزقهم الخوض في بطونات المعارف، وهيأهم لاستلام إمدادات العوارف، وواجههم بالنظرات المحمدية والإفاضات الإسعادية الوهبية، وشرفهم بالمفاتيح الاجتبائية، والمواهب الإلهية الاهتدائية، ومنحهم الأفكار الراقية النيرة، وأجرى على لسانهم الأقوال

(١) انظر سلسلة أسانيده في ترجمة ابنه له في كتاب «من أعلام المغرب العربي في القرن ١٤»، ص ١٥٨.

(٢) هذه الدواوين لا زالت مخطوطة، ويحتوي كل ديوان على أكثر من ٤٠٠ صفحة.

الصحيحة المعتبرة، جل جلاله الأبدي، وعظم سلطانه السرمدي...».

«أما بعد؛ فهذه تائية باقرية، وجوهرة عرفانية، تسبي أهل الكمال، ويعشقها أهل الوصال، في أمداح الجلالة النبوية، والحضرية المحمدية المصطفية، لفظت دررها قريحته الفياضة بالأشواق، ونظمت عقودها سجيتي الناطقة بالألفاظ الرقاق، وها نفائسها تتهادى أمامك أيها المحب المغروم، وعرائسها تزف إليك بفضل الملك القيوم:

أطوف على أرجاء دور أحبتي   أَهيم بها وجداً لتحقيق نسبتي
ألوذُ بها شوقاً وكلُّ عوالمي   تتيه بأنوار عن الوصف جلت
أروم مفاتيح الشهود لأنني   ولوع بنيل الفتح في كل لحظة
أبوح بعشق المكرمات شهامةً   وأسكب في تلك المشاهد عَبْرتي
ولا أرتضي الإحجام فالفضل واسعٌ   ولا أيأسَنُ من نيل فيضٍ ورفعة
أروح لتقسيم المفاخر جهرة   لعلِّي أحظى بالمعالي الجليلة
وأحيَى حياة الواصلين لحيّها   وأسلو ولي الخيرات من كلّ وجهة
أجر ذيول الفوز في كل رتبة   لها المركز الأسمى وكلّ مزية

والقصيدة تحتوي على مائة وثلاثين بيتاً.

ويقول أيضاً ممهداً لدالية في المدح النبوي سماها: «العز الأبدي في المدح المحمدي»؛ وهي طويلة تفوق المائة بيت أيضاً:

«أما بعد؛ فهذا «العز الأبدي في المدح المحمدي»، أنظمه لقوت القلوب، وأنثره لتفريج الكروب، وأتلوه بجواهره الباقرية، وانتعاشاً لقريحتي الكتانية، وأهتبل بنشر الكمالات المحمدية، وأتيه بنظم شمائلها الوحيدية، وأتعرض لنفحات الحق، وأسلو برياض الصدق، وأتمتع بجوامعها الطيبة، وألهو بحدائقها الأدبية، حاملاً راية الأمداح، وجائلاً في هاتيك الأمناح...

فاض الفؤاد بحب ذات محمد   لهجتْ قوابل عاشق لمحمد[1]

---

(١) وهي قصيدة نظمها سنة ١٣٥٩هـ.

صار الهُيام بحبه متزايداً ... زاد الغرامُ صبابة بمحمد
لمْ لاَ أصول به وحبه واجب ... ما زال قلبي يهتدي بمحمد
حقاً أصول بحبه وشهوده ... ما عطرت أفكار حب محمد
ظهر الكمال وزاد شوقي كلما ... عظم الوجود سعادة بمحمد
أنى لروح أن توفي حقه ... كلا فخالفنا متيب محمد
أنصت بفكرك للمعالي إنني ... أسلو بمدحي في خلال محمد
واصغ بقلبك ولتذق أشعار من ... سعدت قوابله بمدح محمد
وهدى القلوب بشرحه لشريعة ... نسخت شرائع إخوة لمحمد

والقصيدة لازالت طويلة وتبلغ المائة والثلاثين بيتاً.

وقد بلغت محبته ـ رحمة الله عليه للجناب النبوي ـ أن كان آخر ما اختطت يداه هو كتاب في الإسراء والمعراج الذي ما كاد ينهيه حتى فاضت روحه إلى بارئها.

وللشيخ محمد الباقر عدة تآليف في المولد من بينها:

«روضات الجنات في مود خاتم الرسالات»[1]، و«البساتين الزاهية في مولد نبي الإنسانية».

ويعد الشيخ محمد الباقر من أكبر مؤرخي المغرب، ومن القلائل الذين اهتموا بالتأريخ والترجمة لمعاصريهم من رجال المغرب والمشرق، والاهتمام بتراثهم وبأعمالهم وبكفاحهم ونضالهم الوطني، وذلك في تأليف فريد من نوعه، ذلك أنه اتخذ من مجال الانتساب إلى الطريقة الكتانية مجالاً للترجمة، وذلك في كتاب سماه: «طبقات الكتانيين طريقة»، ولم يقتصر في مؤلفه على الترجمة للرجال، بل ترجم للنساء أيضاً. وهو كتاب ضخم نهج فيه نهجاً إقليمياً، ذلك أنه قام باستقصاء جميع المنتسبين إلى الطريقة الكتانية من العلماء والأدباء، والشعراء والمقاومين، والمناهضين للاستعمار

(١) طبع بمطبعة الأمنية بالرباط وذلك سنة ١٩٧٥، وأعيد طبعه أخيراً بالأردن باعتناء حمزة الكتاني.

والمناهضات، في المدن وفي القرى على حد سواء..في مناطق زعير وزمور والرحامنة وغيرها..حيث خصهم بتراجم يعز نظيرها، ذلك أننا نستطيع أن نؤرخ للحركة الوطنية في هذه المناطق عبر تلك التراجم الحافلة.

وبالجملة؛ فقد كان الرجل عالماً موسوعياً، أبعد ما يكون عن الجمود والتعصب، متفتحاً على عصره، استثمر كل أوقاته في التأليف وفي العمل، حتى ترك أكثر من مائتي تأليف في شتى الموضوعات: في الفقه، والتفسير، والحديث، والسيرة، والتصوف، والتاريخ، وفيما يلي جرد للمؤلفات مرتبة على حروف المعجم كما أثبتها هو في مؤلفه هذا:

حرف الألف:

أوضح المسالك، في اختصار موطأ الإمام مالك، سبعة كراريس.

أسهل المقاصد في أسانيد الشيخ الوالد سبعة كراريس.

إكرام الصادر والوارد بمعجم شيوخ الإمام الوالد، كتب منه كراريس ولازال لم يتم.

أشرف الأماني في ترجمة الشيخ محمد الكتاني (هذا).

آيات التهاني في ترجمة جدنا الشيخ عبدالكبير الكتاني، لم يتم.

إيقاف النبلاء على تراجم جماعة من عالمات النساء، أربعة كراريس، وفي نية المؤلف أن يضيف إليه تراجم أخرى.

أنموذج اليواقيت الغالية في رسائل الشيخ علي العدلوني في الطريقة الكتانية، أربعة كراريس.

إجابة رغبات أهل التصديق، بجمع رسائل الشيخ ابن الطيب الجاوزي في الطريق، أربعة كراريس.

إتحاف المريدين، بأمزاجي على جملة من صلوات العارفين، ثلاثة كراريس.

أحزاب صوفية متعددة في نحو ستة كراريس.

أجوبة مفيدة، عن أسئلة عديدة في الحديث والفقه والتصوف، عشرة كراريس.

حرف الباء:

بستان العرفان في بعض ما يتعلق بالقرآن، خمسة كراريس.

البساتين الزاهية في مولد نبي الإنسانية، مولد كبير في خمسة كراريس(١).

بدائع النفائس في اتصالنا بالفهارس كراستان.

بغية القاصد في الإجازة بطريق الشيخ الوالد، أجاز بها الأستاذ عبدالحميد الشيمي المصري، أحد محرري مجلة الإسلام المصرية، كراستان.

بلوغ الآمال والأماني في التوسل بالشيخ محمد الكتاني، كراس.

حرف التاء:

التبيان لفضائل القرآن كراستان.

التيسير في أسانيدنا إلى كتب التفسير، كراستان.

التشوف لمعرفة أسانيد والدنا لكتب التصوف، ثلاثة كراريس.

التاج المرصع بالجوهر الفريد في ترجمة الشيخ الإمام محمد الكتاني الشهيد، ثلاثة أجزاء.

---

(١) رتبه المؤلف على ثلاثة وستين بستاناً عدد سنه ﷺ، وهو في حوالي ٨٠ صفحة، مخطوط في خزانة حفدة المؤلف.

ترجمة ابن عمه سيدي محمد الزمزمي الكتاني كراستان.

ترجمة شقيقه سيدي محمد المهدي الكتاني، كراستان نشرتا بجريدة الشعب.

ترجمة شيخه سيدي المدني بن الحسني كراس نشر بجريدة العهد الجديد.

ترجمة العلامة القاضي الشيخ محمد زويتن الشهير، كراسة.

ترجمة شيخه السيد الصديق الشدادي، كراس.

تخاميس على عدة قصائد، ثلاثة كراريس.

حرف الثاء:

الثمار اليانع في مختارات من الشعر الممدوح به والدنا الفرد الجامع، خمسة كراريس.

ثدى المريدين مختصر منازل السائرين كراستان.

حرف الجيم:

الجواهر الشفافة الغالية في تفسير بعض الآيات القرآنية، خمسة كراريس.

حرف الحاء:

حصول السول في اجتماعاتي بسيدنا الرسول، ثلاثة كراريس.

الحدائق العرفانية في شرح الجامعة الكتانية، كتبت منه ثلاثة كراريس لم يتم.

حرف الخاء:

ختمات لعدة كتب في الحديث والسيرة والفقه والنحو.

الخطب المنبرية لأعلام الأسرة الكتانية لم يتم.

الخطب الباقرية الملقاة بين يدي الجلالة السلطانية، ثلاثة كراريس.

حرف الدال:

دائرة العلوم والمعارف الكتانية، وهي الترجمة الكبرى لوالده الإمام قدس الله سره، تخرج في ثمانية أجزاء، نجز منها أربعة، والباقي في طريق الإنجاز.

دليل الخيرات في الصلاة على خاتم الرسالات، خمسة كراريس.

ديوان شعر في مدح النبي ﷺ.

ديوان ثان في مدح والده الإمام قدس الله سره.

ديوان ثالث في مدح جماعة من الأولياء، وكل واحد جاوز عشرة كراريس.

الدر العقياني في جمع رسائل الشيخ أبي بكر التطواني، أربعة كراريس.

حرف الذال:

الذخائر العرفانية في سماعات الشيخ ابن المعطي العمراني من المشيخة الكتانية، ثلاثة كراريس.

حرف الراء:

روض أهل الجنة في الاعتصام بالكتاب والسنة ستة كراريس.

الرياض العرفانية في جمع الأذكار، ستة كراريس لم تتم.

الروضة الندية في إثبات السقي من الحقيقة الأحمدية، خمسة كراريس.

الروض المطيب في شعر ابن الطيب، يعني الجاوزي، ثلاثة كراريس.

رسالة في أسباب المحنة الكتانية كراستان.

روضات الجنات في مولد خاتم الرسالات، ثلاثة كراريس ويسمى أيضاً ضياء الأنام[١].

رسالة في كيفية استحضار روحانية النبي ﷺ، كراس.

حرف الزاي:

زاد المسير في جمع كلام والدي في التفسير، عشرون كراسة لم يتم.

حرف الطاء:

طبقات الكتانيين نسبا جزآن، لم تتم.

طبقات الكتانيين طريقة، أنجز منها أربعة وستتم إن شاء الله في نحو ثمانية.

حرف الظاء:

ظواهر الآيات في بعض ما للمصطفى من الكمالات، كراستان.

---

(١) طبع بمطبعة الأمنية بالرباط سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، وأعيد طبعه أخيراً بالأردن باعتناء حمزة الكتاني.

حرف الكاف :

كنوز الحقائق في جمع كلام والدي على حديث خير الخلائق، عشرون كراسة.

الكواكب الزاهية في علماء الشعبة الكتانية، مجلد.

كوثر المعاني في جمع شعر والدنا الشيخ محمد الكتاني، عشرة كراريس.

حرف اللام :

لوامع اللئالئ في الأربعين الباقرية العوالي، كراستان.

اللئالئ المفصلة في الأحاديث المسلسلة، سبعة كراريس.

اللفظ المكرم في فضائل الورد الكتاني المحترم، خمسة كراريس.

حرف الميم :

منار الاهتداء في الكلام على حديث : **«حبب إلي من دنياكم النساء»**، خمسة كراريس.

مفتاح الجنة في دلائل شعائر الطريق من الكتاب والسنة، لم يتم.

مجموع إجازاته لشخصيات مغربية ومشرقية، عشرة كراريس.

المطرب المعرب عن بعض بيوتات الأشراف بالمغرب، كتبت منه عدة كراريس ولازال لم يتم.

المناجاة الباقرية للحضرة الإلهية كراس.

المعارف الإلهية في جمع صلوات مؤسس الطريقة الكتانية، ثلاثة كراريس.

المفاتيح الربانية في جمع الأحزاب الكتانية، ثلاثة كراريس.

المواهب الرحمانية في الإجازة بالطريقة الكتانية، سبعة كراريس أجاز بها العالم العارف السيد الشيخ مصطفى الجعفري خليفته بالجمهورية العربية المتحدة.

المدارج السامية في رسائل الشيخ محمد بن المعطي العمراني في الطريقة الكتانية، ثلاثة كراريس.

حرف النون:

نفحات العطر الشذي في اختصار جامع الترمذي، لم يتم.

نجوم المهتدين في فضائل سيد المرسلين كراستان.

النفحات المحمدية في الخطب الباقرية، خمسة كراريس.

حرف الصاد:

صيد المآثر الشاردة في ترجمة السيدة الوالدة كراستان.

الصلات الربانية في خصائص الطريقة الكتانية كراستان.

حرف الضاد:

ضياء الأنام بمولد نبي الإسلام مولد صغير، ويسمى روضات الجنات.

حرف العين:

عجالة المجتاز في أخبار رحلتنا إلى الحجاز، مجلد.

عوارف المعارف الحقانية، في سماعات الشيخ ابن الطيب الجاوزي.

العقد المكلل في حديث الرحمة المسلسل، كراستان.

العلم الشامخ في أسانيدي لطرق المشائخ، كراستان.

من المشيخة الكتانية، ثلاثة كراريس.

عنوان السعادة الأبدية، في الإجازة بالطريقة الكتانية الأحمدية، ثلاثة كراريس.

حرف الغين:

غنية المستفيد في مهم الأسانيد[1].

غنية الوافد في الشعر الممدوح به شيخنا الوالد، عشرون كراسة لم تتم.

حرف الفاء:

فتح الباري، في أسانيدي لمؤلفات البخاري، كراستان.

الفتح المبين في التوسل بسيد المرسلين كراس.

الفتوحات القيومية في شرح الصلاة الأنموذجية، كراس.

الفوائد الغالية المتلقاة من أعيان الطريقة الكتانية، ثلاثة كراريس.

حرف القاف:

قدم الرسوخ، في معجم الشيوخ لم يتم.

---

(١) طبعت بتطوان سنة ١٣٧٧هـ.

حرف السين:

سفينة الجنة في اتصالنا ببعض كتب السنة، كراستان.

سبيل النجاة، في استحضار أسرار الصلاة، ثلاثة كراريس.

سلسلة العسجد، في فهرس والدنا الشيخ محمد، لم يتم.

سراج المريدين، في شرح ورد السادات الكتانيين، كتبت منه خمسة كراريس لم يتم.

السراج المنير، في جمع ما عثرت عليه من رسائل جدي الشيخ عبدالكبير، عشرون كراسة.

حرف الشين:

شوارق الأنوار الرحمنية، في جمع ما عثرت عليه من رسائل أعيان الطريقة الكتانية، لم يتم.

حرف الهاء:

الهمة العليا، في أسانيدي لمؤلفات الحافظ ابن أبي الدنيا، كراستان.

حرف الواو:

وفود الأمداد، في مدارج الإسناد، كراستان أجاز بها الأستاذ عبدالحميد الشيمي المصري.

وصل القاصي والداني بوفيات الشيخ عبدالسلام بن المعطي العمراني، ثلاثة كراريس.

الوصايا الباقرية للإخوان الكتانيين بالأسكندرية، كراس.

حرف لام الألف:

الإسعاد في رسائل الوعظ والإرشاد أربعة أجزاء.

الأنفاس الرحمنية، في بعض الأذكار الكتانية، كراستان.

الأجوبة الباقرية، عن الأسئلة الجعفرية، جزء.

الأجوبة الباقرية، عن الأسئلة الشيمية، جزء.

حرف الياء:

اليواقيت الأنيقة، في جمع صلوات أعيان الطريقة، كراستان...

يواقيت التاج الوهاج في ذكرى الإسراء والمعراج[(١)].

إلى غير ذلك مما لم أستحضره الآن.

وفاته:

توفي الشيخ محمد الباقر بمدينة سلا بين العشاءين، وذلك يوم ٢٦ شعبان ١٣٨٤هـ الموافق ٣١ دجنبر ١٩٦٤م. ودفن بالزاوية الكتانية بسلا.

ونظراً لمكانته العلمية والفراغ الذي تركته وفاته، فقد عبر كثير من أهل الأدب والشعر عن خسارتهم في هذا المصاب الجلل، الذي أصاب الأمة المغربية خاصة، والأمة الإسلامية عامة، وذلك في قصائد شعرية تعتبر من درر الشعر المغربي الحديث، من بينها قصيدة نظمها خالي القاضي المستشار والشاعر المجيد محمد عبدالرحمن بن محمد الزمزمي الكتاني[(٢)]، وهي:

---

(١) طبع بمطبعة الأمنية بالرباط، وأعيد طبعه أخيراً بلبنان باعتناء وتقديم حمزة الكتاني.

(٢) من نبغاء القضاة بالمغرب، يتميز بحس شاعري قل نظيره، مع بروزه في ميدان القضاء حيث عمل مستشاراً بالمجلس الأعلى للنقض والإبرام وغيره من محاكم المغرب والإمارات العربية المتحدة، له دراسات أدبية كذلك في عدة دوريات منها مجلة «الثقافة المغربية» التي كانت تصدرها وزارة الثقافة، كما أن له أبحاثاً قيمة في مجال القضاء الإسلامي متعه الله بالصحة والعافية.

صوني جمالك قد تركتك ناسيا هل يملك المفؤود قلبا ثانيا

إني لأَحمَد للعذاب صنيعه إذ سامني فأذلَّ دمعا غاليا

لكنه دمع الصبابة سائغ حلو البواعث جامدا أم جاريا

أما دموع الفاقدين كرامَهُم والنادبين بها الحمى والحاميا

والكاتبين بها رسائل للأسى سورا يلقنها اليتيم الباكيا

والمطفئين بها لظى أكبادهم حرى كأن بها فتيلا واريا

فإذا استجاب عزيزها فمرارة وإذا تمنع كان سُمّاً ساريا

ما في فؤادي لو علمت بقية للحب يجرحني وأبرأ شافيا

فلقد براه على صلابة عوده فَقْدي أنا لما فقدت فؤاديا

أسكتْتَهُ يا موتُ قبل أوانه صوتا يسبح كالملائك داعيا

أطفأته يا موتُ في غَسَق الدّجى نجما وقد كان المنار الهاديا

يا باقرا ما كان أعذبَ في فمي ترتيلُ اسمك إن هتفتُ مناديا

يا باقري ما كان أسعدَ ناظري برؤاك تحتضن السناء الضافيا

يا باقري ما كان أطيب خاطري بلقاك إذ أهفو إليك مناجيا

يا بائعا لله صَفْو شبابه وحياته والمستطاب الفانيا

بشراك فاطلب ما تؤمل عنده إن جئته يوم القيامة ساعيا

يا واهب الصبر الجميل لأهله هب لي يقينك إن فقدتُ عزائيا

واشمل بجودك روحَه وتولّه بجميل عطفك والحنان إلاهيا

وارزق عشيرته الثبات وكن لهمْ عونا وأسْعِد بالحياة الباقيا

نور الهدى عبدالرحمن بن محمد الباقر الكتاني

أستاذة التعليم العالي بكلية الآداب بالدار البيضاء





ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد

المسمّاة:

أشرف الأماني بترجمة الشيخ سيدي محمد الكتاني

تأليف
الإمام أبي الهدى
محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني
(١٣١٩ - ١٣٨٤)

تقديم الزعيم الكبير
محمد بن عبد الكريم الخطابي

تحقيق
نور الهدى عبد الرحمن الكتاني





تقديم الكتاب

بقلم غازي المغرب دوحة العلم والفضل والسياسة
محمد بن عبدالكريم الخطابي[(١)]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وتابعيه أجمعين إلى يوم الدين.

وبعد؛ فقد كان يهمني أن تتاح لي فرصة لأقول كلمة في قضية الشهيد، الشيخ المربي، والمرشد السالك العالم سيدي محمد بن سيدي

(١) بطل المغرب محمد بن عبدالكريم الخطابي شخصية مغربية فذة، لها شهرتها العالمية في ميادين البطولة والتضحية والدفاع عن الوطن، وإدارة رحى الحرب بأساليب مبتكرة، وتسيير شؤون الحكم وفقاً للتعاليم الإسلامية السامية، ويرجع الفضل في هذه الشهرة، للحرب التحريرية الكبرى التي قادها ضد الدولتين الإستعماريتين: إسبانيا وفرنسا اللتين اعتدتا على استقلال المغرب، وهي حرب شهيرة رفعت رأس المغرب عالياً، وبرهنت للعالم أجمع على عدم رضاه عن الإستعمار والاستغلال، وقد كتبت في تاريخه عشرات المؤلفات بمختلف اللغات، وحبرت آلاف المقالات في مختلف صحف الدنيا، وهو الشخصية الوحيدة التي لها الحق قبل غيرها في الحديث عن الشيخ الكتاني الشهيد؛ لأنها عاصرته وعرفته، ولأن وحدة الآلام والآمال جمعت بينهما، والكفاح الوطني الذي خاضاه لصالح المغرب برهن على اتحاد آرائهما السديدة، ومن غير ابن عبدالكريم يستطيع الجهر بالحق، ويتجرد عن الأهواء والنزعات؟. ومن أجل ذلك طلبنا منه أن يتفضل بتقديم كتابنا هذا إلى القراء؛ فتفضل مشكوراً بالكلمة القيمة أعلاه. (المؤلف).

عبدالكبير الكتاني؛ فقد اقترن استشهاد هذا العالم الجليل باستشهاد أمة كاملة؛ وهي: أمة المغرب، كما هو معلوم عند كل أحد من المغاربة المعاصرين مثلي للشيخ الشهيد، وللقضية بأكملها.

وقد أتيحت لي هذه الفرصة باطلاعي على الكتاب الذي ألفه نجل الشيخ؛ وهو: العلامة سيدي محمد الباقر، في حق والده المترجم له، وقد تصفحت كل ما دونه في تاريخ هذه القضية، ووجدت في الكتاب غالب ما كنت أعرفه عن هذه القضية، وما عرفته وأنا في مدينة فاس أيام دراستي، وما سمعته وقرأته عنها وأنا في الريف، مسقط رأسي.

بل وجدت في الكتاب زيادة عن ذلك، ولكن هذه الزيادة لا تمس جوهر القضية في شيء؛ إذ الأمر لا يعدو أن يتعلق بسيرة الشيخ الخاصة. أما ما يتعلق بالقضية الكبرى وأسباب المحنة، وعلاقتها بالاحتلال الفرنسي والسلطان عبدالحفيظ الذي بايعه المغاربة على شرط أن يدافع عن استقلال المغرب، ويكافح ضد الاحتلال الأجنبي؛ فقد كان المؤلف موفقا وأمينا في نقل الحقائق في جميع أجزاء القضية، لا تحيز ولا انحراف ولو بقيد أنملة. بل إني لاحظت أن المؤلف كان متحفظا وبالغ في التحفظ مع أن الأمر كان واضحا في أن الشيخ الشهيد على حق، وأي حق، وأن خصومه كانوا على الباطل وكانوا على خطأ في حقه وحق البلاد.

وليس من الغريب في حق مثل هذا الشيخ الشهيد، أن يقف مثل هذا الموقف من الفرنسيس، ومن السلطان عبدالحفيظ، ومن العلماء الذين كانوا يقفون في وجهه ويعاكسونه في دعواه للكفاح على الرغم من الخطر الذي كان يهدد بلادهم.

إنما الغريب هو موقف العلماء وعبدالحفيظ الذين كانوا مسؤولين كل المسؤولية في التهاون بقضية الدفاع عن البلاد وعدم استجابتهم لما يدعو إليه الشيخ من الكفاح، وكان معنى هذا كله: التآمر على الوطن، وإتمام رغبة الفرنسيين الذين كانوا قد أخذوا في غزو المغرب؛ في وجدة ونواحيها وفي الدار البيضاء ونواحيها، حيث قوبل الفرنسيس بمقاومة شديدة في هاتين الناحيتين من طرف الأهالي والقبائل المجاورة.

أما موقف شيخنا الشهيد الكتاني؛ فكان هو القيام بالواجب وتأييد المكافحين والمناضلين، فلو توفق السلطان عبدالحفيظ، ولو اهتدى علماء المغرب الذين كانوا يخاصمون الشيخ ويخالفونه، لو كان هؤلاء اهتدوا لما كان يدعو إليه الشيخ؛ لكانت الأمة المغربية كلها من ورائهم بلا شك ولا جدال.

والحق يقال؛ فما كان يصح للسلطان عبدالحفيظ وما كان يجوز لعلماء المغرب في هذا الوقت أن يختلفوا مع الشيخ في أداء هذا الواجب المقدس والنضال ضد المحتل الغاصب الذي كان بداخل البلاد يصول ويجول، ويهدد بزحف جديد والتوغل في داخل البلاد. أقول لو كان هؤلاء كلهم متفقين؛ لاتحدت الأمة المغربية كلها معهم في أداء هذه المهمة ـ مهمة الدفاع عن الوطن ـ ولانهزم الفرنسيس، ولما جرأ بعد ذلك على احتلال فاس ـ العاصمة ـ ثم احتلال المغرب كله، ولكانت هذه الأحداث والكوارث التي حلت بالمغرب وبأبناء المغرب ما وقعت وما حدثت.

بينما كان الواجب الوطني وواجب الشرف والكرامة والرجولة، يقضي على خصوم الشيخ بتلبية نداء الواجب الوطني؛ وقع العكس. . ، وكانت الكارثة. . ، باستشهاد الشيخ ظلما، وفتح الباب على مصراعيه لاحتلال الفرنسيين لبلادنا. .

ومما يؤيد تأييدا واضحا قاطعا أن الحق كان في جانب الشيخ، والباطل كان في جانب الآخرين: ما كانت تكتبه جريدة «السعادة» ـ لسان حال المستعمر التي كنت أقرؤها ـ تنتقد الشيخ الشهيد، وتطعن في أنصاره من كبار المغرب الذين كانت الغيرة الوطنية لا تسمح لهم بالتهاون في القضية، وكانت تنسب للشيخ القصور وعدم المعرفة والاطلاع، أما خصومه؛ فكانت تنعتهم بأنهم عقلاء متزنون. .

كانت هذه الحقيقة الواقعة في قضية الشيخ الشهيد، وكان ما كتبناه أمرا لا يمكن أن يختلف فيه اثنان، لأن وقائع التاريخ تشهد بذلك، والمنطق السليم يؤيده، وقد وقع ما وقع، والواقع لا يرتفع. وكانت الكارثة بسبب التهاون الواضح الذي حدث من السلطان عبدالحفيظ وأتباعه من العلماء الذين انحازوا إليه، وكان الشيخ الشهيد ضحية في سبيل أداء الواجب،

وغالب خصومه اليوم قد رحلوا عن هذه الدنيا، فهناك عند ربهم يختصمون. . !

قد احتل الفرنسيون المغرب، وقاسينا ـ نحن معشر المغاربة ـ ما قاسيناه وما يعلمه كل أحد، فهل اتعظنا اليوم. . ؟

إن السلطان عبدالحفيظ قد بايعه المغاربة على الشرط الذي أشرنا إليه سابقا، ولكن السلطان عبدالحفيظ لم يقم بالواجب، ولم يدافع عن البلاد، ولم يقم بواجبه أيضاً بالنسبة لداخل البلاد، فهو لم يعمل ولم يسْعَ لتأليف مجلس للأمة في البلاد كما كان واجبا ليشارك في القيام بالواجب، مع أن الظروف التي بويع فيها السلطان كانت تقتضي ذلك، وكان الواجب على عبدالحفيظ أن يجعل الأمة المغربية التي قد تكون ممثلة في مجلسها ـ لو فعل ـ أمام مسؤولياتها في الواجبات وفي الحقوق، إن عبدالحفيظ لم يفعل شيئا من هذا، كما أن عبدالحفيظ كسلطان مسؤول عن الأمة، لم يقف في وجه العدو المحتل ـ كما قلنا سابقا ـ لتكون الأمة من ورائه، وكانت ستكون من ورائه بلا شك لو قام بواجبه وذهب إلى الميدان. .

وقضى عبدالحفيظ فترة ما بين **١٩٠٨ / ١٩١٢** في القيل والقال، والنزاع والخصام، في التوافه والبطالة، ونحن اليوم في سنة **١٩٦٢**، وبيننا وبين ذلك العهد خمسون سنة، فهل تغير الوضع الآن. . ؟.

إن الأمة المغربية ما فتئت بعيدة كل البعد عن المشاركة في إدارة شؤون البلاد، رغما عن المشاكل الكبيرة التي تجتازها بلادنا، ولم يفكر أحد من المسؤولين في إنشاء مجلس شرعي يمثل الأمة تمثيلا صحيحا نزيها، لتحل المشاكل المتراكمة، الخارجية والداخلية للبلاد . . ولا يزال القانون هو المتحكم. . كما لا يزال العلماء في سباتهم العميق، ولا يفكرون في واجبهم على الإطلاق، كأنهم غير مسؤولين عن شيء مما تتخبط فيه البلاد من الفوضى والفساد. . .بل لا يزال كل شيء يدعو إلى اليأس لولا النظرية القائلة: ليس في الدنيا شيء اسمه المستحيل. .

فيا أبناء المغرب؛ عليكم أن تعلموا أنكم أنتم وحدكم المسؤولون عما

جرى في الماضي وفي الحال والاستقبال، فعليكم أن تعلموا هذه الحقيقة وتعالجوا الأمور بما تستحقه من الاهتمام، وتتحملوا القيام بواجبكم، وتعملوا وتعجلوا في التفكير بما يجب عمله.

وأول شيء هو: إنشاء «مجلس للأمة» لحل المشاكل المتراكمة المستعجلة، والقضاء على الفساد والفوضى التي حلت بالبلاد، والتي كانت السبب فيما مضى لاحتلال الأجنبي الذي دام على البلاد خمسين سنة. . ولا يزال هذا الاحتلال بكل معانيه قائما، والذي يجب أن ينتهي بسرعة. . ويجب أن يمحى من عقولنا أيضا، قبل أن يقضي علينا تماما كما قضى على اللغة العربية. . .أما بقاء الوضع كما هو الآن؛ فمعناه: الانتحار، ومعناه: العار والشنار، ومعناه: مخالفة شريعة الإله ومبارزته بالمعاصي. .

إن الوطن ـ يا أبناء المغرب ـ يناديكم بالتعجيل لتخليصه من الحالة السيئة التي مرت عليها أكثر من قرن وهو يعانيها. . وأنتم قد شاهدتم ـ وأعني: الجيل الحاضر ـ قد شاهدتم بأنفسكم هذه المآسي. . وهي نفس المآسي التي عاشها آباؤكم وأجدادكم، وذلك بسبب التخاذل والتواكل الذي كان ولا يزال يعيشه المغرب وأبناؤه. .

إن الواجب يقضي على الرجال والنساء الموجودين في هذه الدنيا أن ينتبهوا ويعملوا بسرعة لإنقاذ المغرب من الحالة التعسة والمظالم التي يعيشها أبناء المغرب بسبب تفريطهم وتواكلهم، وعدم اهتمامهم. . إذ كل واحد منهم ـ فيما مضى ـ كان ولا يزال يعتقد أنه غير مسؤول، وغير مكلف بالاهتمام بشأن أمته. . وكلٌ منغمس في البحث على العيش فقط، من غير أن يهتم بالآخرين، ومن غير أن يفكر في الحالة العامة. . وهذا هو السبب في هذه الحالة التعسة. .

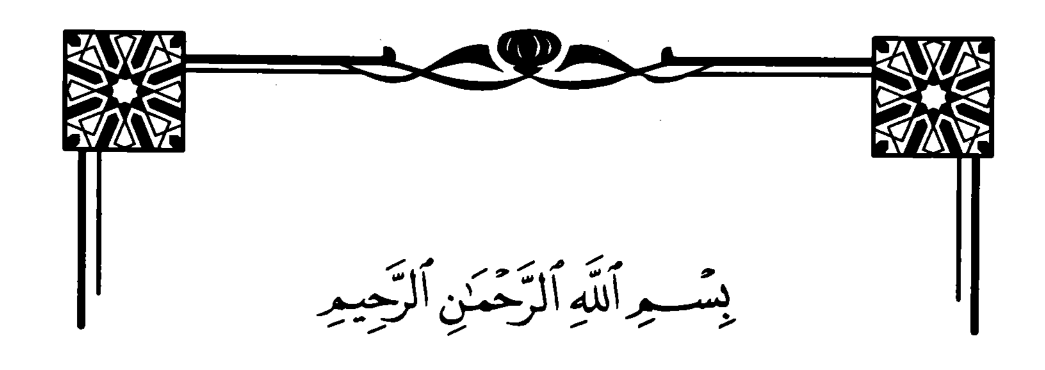
وفقنا الله جميعا . . والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

تحريرا في ١٩٦٢/٠٦/٣٠م.

محمد بن عبدالكريم الخطابي

كان الله له





[تمهيد]

الحمد لله الذي خلد مآثر الدعاة إليه في بطون الكتب ودواوين الشعر، ورزقهم في مختلف القرون طيب الصيت وجميل الذكر، له الخَلق والأمر، تبارك الله رب العالمين.

وأشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو، عالم الغيب والشهادة، هو الرحمن الرحيم. أهَّل من شاء من عباده لتنظيم شؤون المسلمين، وهدايتهم إلى شريعة نبيه الصادق الأمين، وإصلاح عقائدهم وتقاليدهم، وتهذيب أخلاقهم وأعرافهم، له الحمد في الأولى والآخرة، وهو أكرم الأكرمين.

وأشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمدا عبده ورسوله، ومصطفاه من خلقه وحبيبه وخليله، خصه بالانقلاب العظيم، وهيأه للإصلاح العميم، الذي شمل سائر الملل والنحل، في البَدْو والحضر والسهل والجبل، وجعل علماء أمته كأنبياء بني إسرائيل(١)، وأمدهم بروح من عنده وحلاهم بالصبر

(١) قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» : «قال شيخنا - ويعني به: الحافظ ابن حجر- ومن قبله الدميري والزركشي: إنه لا أصل له، زاد بعضهم: ولا يعرف في كتاب معتبر، وقد مضى في: أكرموا حملة القرآن: كاد حملة القرآن أن يكونوا أنبياء؛ إلا أنهم لا يوحى إليهم»، ولأبي نعيم في «فضل العالم العفيف» بسند ضعيف عن ابن عباس رفعه: **«أقرب الناس من درجة النبوة: أهل العلم والجهاد»**. المصدر: ٣٤٠، دراسة وتحقيق عثمان الخشت.

الجميل. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين خدموا الله؛ فأخدمهم عبيده الصادقين، ووهبوا نفوسهم للذود عن دينه؛ فوهب لهم الخلود مع الخالدين.

اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد، معدن الفضائل الإنسانية، ومهبط الرحمات الإلهية، وروح أسرار الموجودات، وحكمة خلق الكائنات، ولسان الشريعة الإسلامية، ومصدر الخيرات العالمية، وأس المعارف الدينية[1]، ومرجع الطرائق الصوفية، وعلى آله الأنوار اللوامع، وأصحابه الأقمار الطوالع، وسائر التابعين إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فهذه ترجمة مختصرة لسيدي ووالدي، وولي نعمتي وعتادي، مجدد الإسلام، ومرشد الأنام، وشيخ السنة، وحامل لواء الفكرة الإسلامية دينا ودولة، وناشر بنود السلام في جل بلاد المغرب، وبعض بلاد المشرق، وباعث الحياة في قلوب مئات الآلاف من المسلمين، والمجاهد الأمين الذي بنى لله تعالى ما يناهز مائة مسجد ولم يضع لنفسه ولا لأولاده لبنة على لبنة، والشهيد الخالد الذي قاوم الاستعمار بنفسه وعائلته وطريقته مقاومة عنيفة بقيت مضرب الأمثال، وستبقى كذلك على ممر القرون والأجيال؛ أبي الفيض سيدي محمد ابن الشيخ سيدي عبدالكبير الحسني الإدريسي الكتاني، عليهما رضوان الله، سميتها: «أشرف الأماني، في ترجمة الشيخ سيدي محمد الكتاني»، ورتبتها على مقدمة وخمسة عشر وصلا وخاتمة:

- مقدمة في فوائد علم التاريخ.
- الوصل الأول في نسبه من قبل أبيه وأمه، وولادته ونشأته ومشيخته.
- الثاني في الأسباب الداعية لظهور طريقته.
- الثالث في فقرات من كلامه.

---

(١) الأس والأسس والأساس: كل مبتدإ شيء.

- الرابع في جملة من أوراده.
- الخامس في رحلاته.
- السادس في نبذة من شعره.
- السابع في حاله.
- الثامن في ثناء الكبار عليه.
- التاسع في نبذة من الشعر الممدوح به.
- العاشر فيما أقرأه من الكتب.
- الحادي عشر في مؤلفاته.
- الثاني عشر في تلامذته.
- الثالث عشر في كفاحه الوطني.
- الرابع عشر في هجرته ومحنته.
- الخامس عشر في حال طريقته بعد استشهاده.
- الخاتمة في عاقبة مؤذي أولياء الله.

وأنبه القارئ الكريم إلى أن هذا الكتاب إنما هو مختصر من كتابي: «التاج المرصع بالجوهر الفريد، في ترجمة الشيخ سيدي محمد الكتاني الشهيد»[1]، الذي هو بدوره مختصر من كتابي: «دائرة المعارف الكتانية»[2]؛ التي هي موسوعة كبرى في ترجمة الشيخ الوالد وذكر جملة من علومه ومعارفه.. ومن أراد مزيد التوسع في هذا الموضوع؛ فليتطلب هذين الكتابين، ففيهما ما يشفي الغليل، ويُبري العليل.

---

(١) يتكون كتاب «التاج» من ثلاثة أجزاء، قسمه مؤلفه إلى مقدمة وسبعة وثلاثين مطمحاً على عدد سن الشهيد، وخاتمة، تم منها ما يناهز ثلاثة وعشرين فصلاً، ويتخللها كثير من النقص.

(٢) «دائرة المعارف والعلوم الكتانية»، ذكر المؤلف أنها في ثمانية أجزاء، تمت منها أربعة أجزاء فقط، كل جزء في عشرين كراسة، وهي لا زالت مخطوطة في خزانة حفدته.

على أني لم أنفرد بالجولان في هذا الميدان، بل سبقني إليه جماعة من العلماء الأعيان؛ كالعلامة الكبير، العارف الشهير؛ أبي العباس أحمد بن الطيب الجاوزي القاسمي، من علماء جامعة القرويين، المتوفى بفاس سنة ١٣٢٤هـ؛ له ألفية رجزية في الموضوع؛ اسمها: «الغُنية الفريدة، ذات البَها والحُلل الجديدة»[١]، وشيخنا العلامة المفسر المحدث، أبي عبدالله محمد بن أحمد ابن الحاج السُلمي المِرْداسي؛ من علماء القرويين أيضا، المتوفى بفاس سنة ١٣٦٤هـ؛ له مجلد في الموضوع[٢]، والعلامة الجليل العارف بالله؛ أبي عبدالله محمد بن محمد بن المعطي العِمْراني؛ من علماء جامعة ابن يوسف، المتوفى بمراكش سنة ١٣٢٩هـ؛ له: «روض الجنان، ومسامرة أهل الإيمان، فيما لشيخنا الإمام أبي الفيض من الخصوصية وكمال العرفان»[٣]، وغيرهم ممن تُجاوز مؤلفاتهم في الموضوع الأربعين.

أما الذين ترجموه في كتبهم التاريخية على اختلاف أنواعها؛ فأجلهم: مجيزنا الإمام الحافظ أبو عبدالله محمد بن جعفر الكتاني؛ المتوفى بفاس سنة ١٣٤٥هـ، في: «النبذة اليسيرة النافعة، التي هي لأستار جملة من أحوال الشعبة الكتانية رافعة»[٤]، والعم [حافظ المغرب] أبو

---

(١) ترجم المؤلف في أرجوزته «الألفية» للشيخ محمد الكتاني، واستهلها بذكر زمرة من عيون الشعبة الكتانية، ليعقب بنسب المترجم وسيرته، وطريقته، ومؤلفاته، وأوضاعه الصوفية. والأرجوزة تقع في ٤٢ ورقة من حجم متوسط بخط ناظمها، وهي مخطوطة توجد نسخة منها عند حفدة المؤلف. انظر (المصادر العربية لتاريخ المغرب ١٠٨/٢) - دليل مؤرخ المغرب الأقصى: ٢٩٤. وقد خرجها وحققها أخيراً الدكتور حمزة بن علي الكتاني.

(٢) للعلامة ابن الحاج تأليف في مجلدين؛ خصص الجزء الأول منه لترجمة الشيخ محمد الكتاني، والجزء الثاني منه في شرح الورد الكتاني (طبقات الكتانيين طريقة: قسم أعيان المريدين بفاس للمؤلف، مسودة المخطوط).

(٣) هذا المؤلف للعمراني عبارة عن ترجمة للشيخ محمد الكتاني، توفي صاحبها دون إكمالها، وهي مخطوطة في خ ع ك ١٠١٢ المجموع من ص ٢٨٢ إلى ٣٠٨ - انظر المصادر العربية لتاريخ المغرب للمنوني ١٠٩/٢.

(٤) طبع هذا الكتاب بلبنان سنة ١٩٩٨ بتحقيق الشيخ محمد الفاتح الكتاني، والأستاذ عصام عرار.

عبدالله [عبدالحي بن عبدالكبير الكتاني] في: «المظاهر السامية، في النسبة والطريقة الكتانية»[١]، والعلامة الداعية الصالح الأديب؛ الشيخ أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل النَّبْهاني؛ المتوفى سنة ١٣٥٠هـ، في: «جامع كرامات الأولياء»[٢]، والعلامة المؤرخ الأديب؛ أبو عبدالله محمد بن علي الدَكَّالي؛ المتوفى بسلا سنة ١٣٦٤هـ، في «أدواح البستان، في أخبار العُدْوَتين»[٣]، والعلامة المؤرخ القاضي؛ أبو يوسف العباس بن إبراهيم المراكشي، المتوفى سنة ١٣٧٨هـ، في «الإعلام، بمن حل مراكُش وأغمات من الأعلام»[٤]. والعلامة المؤرخ المسند؛ أبو عبدالكبير عبدالحفيظ بن محمد الطاهر الفاسي في: «المدهش المطرب، بأخبار من لقيت أو كاتبني من المشرق أو المغرب»[٥]... وغيرهم ممن تجاوزت كتبهم في الموضوع السبعين. وقد ذكرت أسماء الكل في «التاج»، و«الدائرة»، غير أنه لم يُقدر لجلها النشر إلى الآن.

فإلى جل تلك المؤلفات على العموم، وإلى شقيقي الأكبر العلامة

---

(١) توفي الحافظ العلامة الشيخ محمد عبدالحي الكتاني سنة ١٣٨٢ الموافق ١٩٦٢م وانظر ترجمة له في مقدمة كتابه «فهرس الفهارس» كتبها ابنه العلامة والشاعر عبدالأحد ج ١ - تحقيق د إحسان عباس. وانظر «شجرة النور الزكية» ٤٣٧/١ «الأعلام» للزركلي ١٨٧/٦.

- و«المظاهر السامية» لا زال مخطوطاً، وفي خزانة المؤلف نسخة مرقونة منه، وانظر المصادر العربية لتاريخ المغرب ٢٣٤/٢.

(٢) انظر المصدر ٢٢٧/١.

(٣) كتاب «أدواح البستان في أخبار مدينة سلا ومن درج بها من الأعيان»، فيه ما ينيف على ألفي ترجمة لعلماء العدوتين أو الذين زاروها، واستوطنوها، ولصلحائها وأدبائها وملوكها ... وهو في أربعة أجزاء ضخمة.. سل النصال: ١٠٧ - دليل مؤرخ المغرب الأقصى: ١٥.

(٤) كتاب «الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام»، طبعت جميع أجزائه بتحقيق الأستاذ عبدالوهاب بن منصور، وترجمة الشيخ محمد الكتاني وردت في الجزء السابع منه ص: ١٥٥.

(٥) الكتاب في جزأين وانظر ترجمة الشيخ محمد الكتاني وامتحانه ومحنته في الجزء الأول منه ص٤٤. (توفي عبد الحفيظ الفاسي سنة ١٣٨٣ وترجمته في الأعلام ٢٧٩/٣).

المحدث أبي الفضل محمد المهدي الكتاني على الخصوص[1]؛ يرجع الفضل في إبراز هذه الترجمة المختصرة للناس، مؤيَّدة بالوثائق والمستندات التي تضيء كالنبراس. والله أسأل، وبنبيه أتوسل؛ أن ينفع بها وبأصولها عباده المؤمنين الكاملين، ويوفقهم لسلوك نهج أسلافهم المقدّسين...آمين.

وليُعلم أني ما قصدت بتأليف هذه الكتب التاريخية؛ إلا كشف الستار عن حقبة هامة من تاريخ الإسلام بالمغرب الأقصى، وتعريف أبناء هذا الجيل بداعية إسلامي كبير يُعد بطل الثورات الدينية، والسياسية، والاجتماعية في الثلث الأول من هذا القرن، واستنهاض ذوي الهمم العالية، لاعتناق مبادئه السامية، والاستضاءة بأنواره الربانية، والتملي من أسراره العرفانية، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.



---

(١) خص المؤلف أخاه بترجمة مسهبة في جريدة «الشعب» التي كانت تصدر بالرباط في ربيع الأول سنة ١٣٨٠هـ، وفيها أن له عدة مؤلفات لا زالت مخطوطة، منها كناشة في عشرة دفاتر، و«الجوهر الثمين في تراجم أمهات المؤمنين»، وفهرسة في إجازة العلماء له، وكتاب في وفيات معاصريه، ورحلة مختصرة إلى مراكش، و«النصيحة» في عدة أجزاء. توفي رحمه الله بسلا سنة ١٩٥٩ ـ ١٣٧٩. ودفن بالزاوية الكتانية، ترجم له الزركلي في «الأعلام» ١١٥/٧. وابن سودة في سل النصال: ١٧٦.



المقدمة في:
فوائد علم التاريخ

قال الحافظ أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي؛ المتوفى سنة ٦٧٦هـ، عليه رضوان الله، في أوائل كتابه القيم: «تهذيب الأسماء واللغات» ما نصه[(١)]:

«اعلم أن لمعرفة أسماء الرجال وأحوالهم، وأقوالهم ومراتبهم، فوائد كثيرة:

منها: معرفة مناقبهم وأحوالهم؛ فيُتأدب بآدابهم، وتُقتبس المحاسن من آثارهم.

ومنها: معرفة مراتبهم وأعصارهم؛ فيُنزلون منازلهم، ولا يُقصر بالعالي في الجلالة عن درجته، ولا يرفع غيره عن مرتبته. وقد قال الله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، وثبت في صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِيَلِيَني منكم أولوا الأحلام والنُهَى، ثم الذين يلونهم. ثلاثا**»[(٢)]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نُنْزِلَ الناس منازلهم»[(٣)].

---

(١) المصدر: ص ١٠ و١١ ج/١/ق/١.

(٢) حديث رقم ٦٥٥، رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة.

(٣) حديث رقم ٤٢٠٢ رواه أبو داود في سننه كتاب الأدب.

- قال الحاكم أبو عبدالله في «علوم الحديث»: «هو حديث صحيح»، وأشار أبو داود في سننه إلى أنه مرسل (المؤلف).

ومنها: أنهم أئمتنا وأسلافنا كالوالدين لنا، وأجدى علينا في مصالح آخرتنا التي هي دار قرارنا، وأنصح لنا فيما هو أعْوَدُ علينا؛ فَيَقْبُح بنا أن نجهلهم، وأن نهمل معرفتهم.

ومنها: أن يكون العمل والترجيح بقول أعلمهم وأورعهم إذا تعارضت أقوالهم، على ما أوضحته في مقدمة شرح «المُهَذَّب»(١).

ومنها: بيان مصنفاتهم وما لها من الجلالة وعدمها، والتنبيه على مراتبها. وفي ذلك إرشاد للطالب إلى تحصيلها، وتعريفٌ له بما يعتمده منها، وتحذيره من الاغترار به... وغير ذلك، وبالله التوفيق».



---

(١) المهذب في الفروع للشيخ الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الشيرازي الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٤٧٦هـ (كشف الظنون ٢/٧٢٨).



الوصل الأول

في نسبه من قِبَل أبيه وأمه ونشأته ومشيخته

[نسبه من قبل أبيه]:

هو مؤسس الطريقة الأحمدية الكتانية، والنهضة العلمية، والحركة الوطنية الإسلامية، الإمام أبو الفيض سيدي محمد؛ المستشهد بفاس سنة ١٣٢٧هـ، ابن شيخ السنة، وصاحب المنة على الأمة، إمام المسلمين، وأعلم الصوفية والعارفين؛ أبي المكارم سيدي عبدالكبير، المتوفى بفاس سنة ١٣٣٣هـ، ابن إمام الأئمة، وعارف الأمة، مسند المغرب ورحالته في القرن المنصرم؛ أبي المفاخر سيدي محمد المتوفى بفاس سنة ١٢٨٩هـ، ابن العارف الكبير؛ سيدي عبدالواحد، المتوفى بفاس سنة ١٢٣٤هـ، ابن العالم النسابة؛ سيدي أحمد، المتوفى بفاس سنة ١٢٤٤هـ، ابن العالم الناظر؛ سيدي عبدالواحد، المتوفى بفاس سنة ١٢٠٣هـ، ابن العالم الصالح؛ سيدي عمر[1]، المتوفى بفاس سنة ١١٦٤هـ، ابن الصالح سيدي إدريس، المتوفى بفاس سنة ١١٣٥هـ، ابن الصالح سيدي أحمد، المتوفى بفاس سنة ١٠٩٨هـ، ابن الصالح سيدي علي، المتوفى بفاس حوالي سنة ١٠٥٤هـ، ابن العارف سيدي قاسم، المتوفى بفاس حوالي سنة ١٠٣٠هـ، ابن العارف الكبير المعمر، سيدي عبدالعزيز، المتوفى بفاس حوالي سنة ٩٩٧هـ، ابن العارف المعمر سيدي

(١) في بعض التقاييد: عمرو (بسكون الميم)، بدل عمر. وهو الأرجح.

مَحمد (فتحا)، المتوفى بفاس أوائل القرن العاشر، ابن العارف المعمر سيدي قاسم، المتوفى أواخر القرن التاسع، ابن العارف المعمر سيدي عبدالواحد، المتوفى بمكناس في العشرة الخامسة من القرن التاسع، ابن الزاهد سيدي علي، المتوفى أواخر القرن الثامن، ابن العلامة المعمر سيدي محمد المتوفى بمكناس أواسط القرن الثامن، ابن العلامة المعمر سيدي علي، المتوفى بمكناس أواخر القرن السابع، ابن الصالح المُعَمَّر سيدي موسى، المتوفى بمكناس أواسط القرن السابع، ابن الصالح الزاهد المعمر سيدي أبي بكر، المتوفى بشَالَّة أواخر القرن السادس، ابن الصالح المعمر سيدي محمد، المتوفى أواسط القرن السادس، ابن الإمام القطب المعمر سيدي عبدالله، المتوفى بقسنطينة أواخر القرن الخامس، ابن العارف المعمر سيدي هادي المتوفى أواسط القرن الخامس، ابن أمير المؤمنين سيدي يحيى الثالث الكتاني، المتوفى بزواوة أواخر القرن الرابع، ابن العارف الكبير، سيدي عمران، المتوفى بتلمسان أوائل القرن الرابع، ابن العارف المعمر سيدي عبدالجليل، المتوفى بالبُليدة أواخر القرن الثالث، ابن أمير المؤمنين سيدي يحيى الثاني، المتوفى بفاس سنة ٢٥٢هـ، ابن أمير المؤمنين الفاتح سيدي يحيى الأول، المتوفى بفاس سنة ٢٤٩هـ، [ابن أمير المؤمنين محي السنة سيدي محمد المتوفى بفاس سنة٢٢١هـ][1]، ابن أمير المؤمنين الفاتح الشهيد مولانا إدريس الثاني المتوفى بفاس سنة٢١٣هـ، ابن أمير المؤمنين، وناقل الخلافة الإسلامية من المشرق إلى المغرب، الفاتح الشهيد؛ مولانا إدريس الأول، المتوفى بزَرْهُون سنة ١٧٧هـ، ابن الإمام المحدث القطب الشهيد؛ سيدنا عبدالله الكامل، المتوفى بالكوفة سنة١٤٣هـ، ابن الإمام المحدث القطب المعمر؛ سيدنا الحسن المثنى، المتوفى بالمدينة سنة ٩٧هـ، ابن أمير المؤمنين، وخامس الخلفاء الراشدين، القطب الشهيد؛ سيدنا الحسن الأول، المتوفى بالمدينة سنة ٥٠هـ، ابن أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين، الشهيد العظيم؛ سيدنا علي، المتوفى بالكوفة سنة ٤٠هـ، وابن سيدة

---

(١) سقطت من الأصل.

المسلمين، وصاحبة القطبية العظمى؛ مولاتنا فاطمة الزهراء، المتوفاة بالمدينة سنة ١١هـ، بنت أفضل الخلق وسيد الرسل؛ أبي القاسم وأبي الطاهر، سيدنا ومولانا محمد بن عبدالله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله.

نسبه من قبل أمه:

وأما نسبه من قبل أمه؛ فهو: ابن العارفة بالله، صاحبة الكرامات الظاهرة، والأحوال الفاخرة، المُفرَدة ترجمتها بالتأليف[١]؛ السيدة فضيلة، المتوفاة بفاس سنة ١٣٣٤، بنت العالم الصالح الغازي في سبيل الله؛ سيدي إدريس، المتوفى بفاس سنة ١٢٨١هـ، ابن العارف المعمر سيدي الطايع المُسَلْطَن، المتوفى بفاس سنة ١٢٦٤هـ، ابن الفقيه سيدي إدريس، المتوفى بفاس سنة ١١٩٤هـ، ابن الفقيه المعمر سيدي محمد الزمزمي الحلبي، المتوفى بفاس سنة ١١٧٦هـ، ابن العارف المعمر سيدي محمد الفضيل، المتوفى بفاس سنة ١١٦٠هـ، ابن الوجيه سيدي العربي، المتوفى بفاس سنة ١١٢٢هـ، ابن الزاهد سيدي محمد، المتوفى بفاس سنة ١٠٨٣هـ، ابن الصالح سيدي علي، المتوفى بفاس حوالي سنة ١٠٥٤هـ؛ وهو مجمع فروع الشعبة الكتانية، وتقدم ذكره في العمود الأول[٢].

بعض الذين أفردوا الكلام على تاريخ العائلة الكتانية بالتأليف:

وقد أفرد غير واحد من علماء المغرب الكلام على تاريخ عائلته الكتانية، وتراجم علمائها وعارفيها بالتأليف، وقد ذكرت في «التاج» أسماء أربعين مؤلفا.

أولها: تأليف للإمام أبي عبدالله محمد بن الطيب القادري المتوفى سنة

(١) لنجلها الشيخ عبدالحي الكتاني: كتاب «ترقية المريدين بما تضمنته ترجمة السيدة الوالدة من أحوال العارفين». توجد عدة نسخ منه بمكتبة العلامة الشهيد الدكتور علي بن المنتصر الكتاني.

(٢) كل هذه الوفيات منصوص عليها في كتب التاريخ العام والخاص ورسوم العائلة. (المؤلف).

١١٨٧هـ[١]، **وثانيها**: «الكوكب الساني في النسب الكتاني»[٢]، للعالم الجليل القاضي أبي الخير المبارك بن عمر العَبْدي الآسَفي، المتوفى سنة **١٢٣١**هـ، **وثالثها**: كتابات كثيرة هامة لنسابة المغرب؛ الإمام الشهير أبي الربيع سليمان بن محمد بن عبدالله الحَوَّات[٣] الحسني العَلَمي الموسوي، المتوفى سنة **١٢٣١**هـ، **ورابعها**: تأليف لمؤرخ العائلة الكتانية في القرن المنصرم، العالم المطلع أبي العباس أحمد بن عبدالواحد الكتاني المتوفى سنة **١٢٤٠**هـ[٤]، **وخامسها**: «عقد الدُر واللآل، في شُرفاء عَقْبة ابن صَوَّال[٥]»،

---

(١) انظر ترجمته في «إتحاف المطالع» : **٣٥/١**، ذكر المؤلف في كتابه «التاج» أن للقادري تأليفاً في الأسرة الكتانية نقل عنه صاحب «الشجرة الزكية» المخطوط/الورقة **٣٧**.

(٢) يقع هذا المؤلف في سفر وسط كما ذكر ذلك ابن سودة في «دليل مؤرخ المغرب الأقصى» ص**٦٩**.

(٣) «المصادر العربية لتاريخ المغرب» **٢٦/٢**، كما ذكر الإمام محمد بن جعفر الكتاني في كتابه «النبذة اليسيرة» أن لسليمان الحوات «كتابات كثيرة تتعلق بالشعبة الكتانية تصحيحاً لنسبها وتحقيقاً له» المصدر: ص**١٥**.

(٤) يقول ابن سودة في «الدليل» : «إن الكتاب يقع في خمسة كراريس»، المصدر: **٥٢**، كما يذكر المؤلف في كتابه «التاج» أنه وقف على هذا الكتاب في مكتبة شقيقه الأكبر الشيخ محمد المهدي الكتاني، المخطوط الورقة **٣٧**.

(٥) إحدى الحارات بمدينة فاس يسكنها الأشراف الكتانيون، ومعلوم أن عائلتنا يدعى أهلها الآن بالكتانيين خاصة، وقديماً بالكتانيين وبالزواويين، وبأمراء الناس وبشرفاء عقبة ابن صوال، فدعاؤهم بالكتانيين نسبة إلى جدهم أمير المؤمنين يحيى بن عمران الكتاني الذي هو أول من دعي بهذه النسبة؛ لكونه استعمل أيام إمارته بزواوة وأحوازها الأخبية من الكتان، وكانت قبل تستعمل من الصوف أو الشعر، ودعاؤهم بالزواويين نسبة إلى زواوة القبيلة البربرية المعروفة بالجزائر الشقيقة، نسبوا إليها لكون جدهم يحيى الذي فر من فاس في العشرة الثانية من القرن الرابع زمن موسى ابن أبي العافية الزناتي المكناسي - الذي كان موالياً للأمراء الأمويين بالأندلس وأراد القضاء على الأدارسة ليضم المغرب إليهم - ذهب إليها واستوطنها، وبقي بها بنوه من بعده ونسبوا عند الإنتقال منها إليها. ودعاؤهم بأمراء الناس نسبة إلى جدهم يحيى المذكور، الذي كان يدعى بأمير الناس، وبقي أولاده بعده يدعون بأمراء الناس. (المؤلف) انظر «النبذة» ص **٢٧**، **٢٨**. وقد حقق هذا الكتاب؛ أي: «عقد الدر والآل» من طرف الدكتور علي بن المنتصر الكتاني سنة **٢٠٠٠**، وهو من منشورات جمعية الشرفاء الكتانيين للتعاون والثقافة. (المحققة).

لقاضي الجماعة بمراكش ثم بفاس، الإمام الجليل أبي محمد الطالب بن حمدون ابن الحاج السُلمي المرداسي، المتوفى سنة ١٢٧٤هـ، **وسادسها**: «الرياض الرَيّانية، في الشُعبة الكتانية»، لشيخ الإسلام أبي الفضل جعفر بن إدريس الكتاني المتوفى سنة ١٣٢٣هـ[١]، **وسابعها**: «الجوهر النفيس، في النسب الكتاني ذي التقديس» للعلامة المحدث أبي زيد عبدالرحمن بن جعفر الكتاني المتوفى سنة ١٣٣٤هـ[٢]، **وثامنها**: «المظاهر السامية، في النسبة والطريقة الكتانية» المتقدم، وغير ذلك مما لا أطيل بذكره الآن، ولعل آخرها: كتابنا «طبقات الكتانيين نسباً» يسر الله على إكماله.

بعض كتب التاريخ العام التي تحدثت عن العائلة:

أما كتب التاريخ العام التي تحدثت عن العائلة، أو عن بعض أعيانها ومآثرها؛ فتجاوز المائة، ذكرت أسماءها في «التاج». **أولها** ـ فيما أعلم ـ كتاب «المسالك والممالك» للوزير أبي عُبيد عبدالله بن عبدالعزيز البَكْري الأندلسي[٣]، المتوفى سنة ٤٨٧هـ، **وثانيها**: «تاريخ الأدارسة» للبُرْنُسي[٤]، **وثالثها**: «خبر بعض الأعيان» للحافظ النسابة أبي طالب إسماعيل ابن الإمام

(١) يوجد هذا الكتاب تحت الطبع وهو في مجلد ـ من تحقيق الدكتور علي الكتاني، خرج أحاديثه ونصوصه الأستاذ الداعية الحسن بن علي الكتاني، وهو ضمن «الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس» رقم: ٥، في مجلد وتوجد منه نسخة في الخزانة العامة «ك» ٤٩٧، انظر دليل مؤرخ المغرب: ٦٧ والمصادر العربية ٢/١١٥.

(٢) هذا الكتاب، عبارة عن أرجوزة تقع في نحو الخمسمائة بيت استهلها ناظمها بقوله:

من بعد حمد اللّه من قد شرفا ... آل النبي الهاشمي المصطفى

انظر المصادر العربية ٢/٢٣٢. ودليل ٢٦٣. وكذا توجد ضمن ديوانه الذي جمعه له العلامة الدكتور علي بن المنتصر الكتاني رحمه الله، وهو الآن تحت الطبع كملحق من ملحقات كتاب «الرياض الريانية» سالف الذكر.

(٣) تحدث البكري في كتابه عن الإمامين عبدالجليل بن يحيى الثاني وولده عمران المدفونين بتلمسان وهما من أسلاف العائلة الكتانية. التاج الورقة ٤٦ ـ وانظر عن البكري: «كشف الظنون» ٢/٥٤٤.

(٤) انظر «المصادر العربية» ١/٤٨، ودليل: ٨٩.

الزاهد الواعظ جمال الدين أبي محمد الحسين بن محمد الطيار الأَزْوَرْقَاني، الحسيني، المتوفى في القرن السابع[(١)]، **ورابعها**: كتاب في الأنساب للشيخ النسابة أبي بكر بن محمد السيوطي المَكْناسي[(٢)]، **وخامسها**: تأليف في الأنساب أيضا، **وسادسها**: «عقد اللآلي المستضيئة النورانية لنفي ظلام التلبيس، في سلالة مولانا إدريس بن إدريس»، كلاهما للشيخ النسابة أبي زيد عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي المكناسي[(٣)].

وسابعها: تأليف في الأنساب أيضاً للإمام الجليل أبي العباس أحمد بن محمد بن عبدالله بن جُزَيْ الكلبي، المتوفى في القرن الثامن[(٤)]، **وثامنها**: «كنوز الأسرار، ومعدن الأنوار في التعريف بأولاد النبي المختار»، للشيخ الإمام أبي العباس أحمد بن محمد بن عبدالله المَقْري التِلِمْسَاني، المتوفى سنة **١٠٤١**هـ[(٥)]، **وتاسعها**: «الدُر السَني، فيمن بفاس من أهل النسب الحسني» للإمام الحافظ الضابط أبي محمد عبدالسلام بن الطيب القادري الحسني، المتوفى سنة **١١٥٠**هـ[(٦)]، **وعاشرها**: أرجوزة مسماة «بدرة التيجان، ولقطة اللؤلؤ والمرجان، في الإعلام بغرر الأنساب، وذكر بعض

---

(١) للأزورقاني عدة كتب في الأنساب؛ منها: «خبر بعض الأعيان» هذا، ولا أعلم أين يوجد، ومنها: «بحر الأنساب فيما للسبطين من الأعقاب»، في مجلدين ويوجد في مكتبة برلين بألمانيا كما أفاده الأستاذ حسن قاسم المغربي أصلاً المصري مسكناً في مقال نشره بمجلة «لواء الإسلام» المصرية العدد الرابع المؤرخ بغرة ذي الحجة **١٣٦٨**هـ موافق **٢٣** سبتمبر **١٩٤٩**م ومنها: «الفخري في الأنساب» ويوجد بالخزانة الناصرية بسلا في ستة كراريس وما أجدره بالطبع، ومنها: «التعاريف والألقاب» أحال عليه في «الفخري» وقال عنه: «إنه كتاب كبير». (المؤلف) وانظر «دليل» **٤٧**.

(٢) نقل عنه صاحب «السلوة» ٨٣/١، ولا تعرف له ترجمة، والكتاب مخطوط بالخزانة العامة ك **١٤٥٣**، انظر «دليل مؤرخ المغرب الأقصى»: **٤٦**.

(٣) يقع هذا الكتاب في نحو الثلاثة كراريس، ويوجد في بعض الخزائن الخاصة. «دليل»: **٧٦**.

(٤) توفي سنة **٧٤١**هـ وانظر «كشف الظنون» ١٩١/١.

(٥) طبع هذا الكتاب بمصر سنة **١٣٤٧**.

(٦) طبع هذا الكتاب طبعة حجرية سنة **١٣٠٨**هـ. انظر «المصادر العربية» للمنوني ١٨١/١.

الأشراف ذوي الأحساب»، للإمام الكبير أبي عبدالله محمد بن محمد بن محمد (ثلاثا) الدلائي البكري[1]، المتوفى سنة ١١٤٢هـ وغير ذلك، مما لا أطيل به الآن.

ولادته ونشأته :

وقد ولد ـ رضي الله عنه ـ في منتصف ربيع الأول سنة ١٢٩٠هـ، وتربى في حجر والده، جبل السنة والدين، محفوفاً بعنايته، مشمولاً برعايته، ولم يفارقه ليلاً ولا نهاراً، سفراً وحضراً، وبفضله سارت نفسه متعلقة بالله، معرضة عن كل ما سواه.

ودخل المكتب لتعلم القرآن؛ فيسر الله عليه جمعه في سُلكتين، وفي الثالثة وقف لوحه على قوله تعالى : ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ﴾. [العنكبوت : ٤٥]، ومنذ جمعه كان يختم منه سُلكة[2] في كل يوم، وفي خلال مقامه بالمكتب؛ حفظ من المتون في مختلف الفنون العلمية ما لا يتأتى حفظه لغيره في عشرات السنين، وكانت أولها: حِكم ابن عطاء الله[3].

ومنذ نشأ وهو ملازم للصلاة في وقتها مع الجماعة، خصوصاً صلاتي العشاء والصبح، لم يتعاهد والده منه الكذب، ولا الحلف لا صادقاً ولا كاذباً في صباه فأحرى بعد ذلك، وزوجه قبل البلوغ صيانة له[4].

---

(١) تتكون هذه الأرجوزة من ٣١٣ بيتاً وهي لا تزال مخطوطة، انظر «المصادر العربية» ١/١٨٢.

(٢) أي: ختمة في اليوم.

(٣) ابن عطاء الله السكندري الصوفي الشاذلي المشهور، والمتوفى سنة ٧٠٩هـ، ولشدة شهرة «الحكم العطائية» فقد فاقت شروحها المائة، واعتنى بها المشارقة والمغاربة على حد سواء، كما نظمها ابن عباد الرندي في ثمانمائة بيت من الرجز، «نفح الطيب» : ٥/٣٤٧، وانظر «كشف الظنون» ١/٥٢٠.

(٤) من رسالة والده إلى الصدر الأعظم في عهد السلطان مولاي عبدالعزيز: أبي العباس أحمد بن موسى السوسي رحمهم الله. (المؤلف).

مشيخته :

وإثر خروجه من المكتب؛ انخرط في سلك طلبة العلم الشريف بجامع القرويين وغيره من المدارس والزوايا، فكان يلازم مجالس نحو العشرين شخصا من رجال العلم وقادة المعرفة:

كوالده الشيخ أبي المكارم عبدالكبير بن الشيخ محمد الكتاني(١): أخذ عنه التفسير بابن جرير والجلالين، والحديث بصحيح البخاري مرات كثيرة، وصحيح مسلم وشمائل الترمذي، وشفا عياض، والفقه بمختصر خليل، ونظم ابن عاشر، والتصوف بفتوحات ابن عربي الحاتمي، وعوارف السهروردي، و«المجالس المكية» لأبي حفص الميانسِي المكي، و«إحياء علوم الدين» للغزالي، وعهود الشعراني ومننه، وحِكَم ابن عطاء الله، و«الإبريز» لابن المبارك اللمطي، الكل بالزاوية الكتانية.

وخاله الشيخ أبي المواهب جعفر بن إدريس الكتاني(٢) أخذ عنه الحديث بصحيح البخاري بجامع الأقواس، والفقه بالمختصر بالقرويين، كما أخذ عنه علمي الكلام والسير..

---

(١) الإمام عبدالكبير بن محمد الكتاني (جبل السنة والدين)، ولد بفاس سنة ١٢٦٨، زار تونس وطرابلس وحج سنة ١٢٨٦هـ والتقى بكثير من العلماء الأعلام، له عدة مؤلفات وحواشي على «الصحيح» و«الشمائل»، وكتاب في حديث: «كنت نبياً و آدم بين الروح والجسد» وغير هذا كثير، ترجم له النبهاني في «جامع كرامات الأولياء»، وابن جعفر في «النبذة»،كما ترجم له ابنه الشيخ عبدالحي في كتابه: «المظاهر السامية»، المخطوط الورقة ٣٨ وفي «فهرس الفهارس» ٧٤٣/٢، توفي رحمه الله عام ١٣٣٣ ودفن بفاس في الزاوية الكتانية. سيترجم له المؤلف لاحقاً.

(٢) جعفر بن إدريس الإمام المحدث المشارك، شيخ الإسلام،كان بصيراً بالمذهب وفروعه، ولد سنة ١٢٤٦ له أكثر من مائة تأليف: منها «الرياض الريانية في الشعبة الكتانية»، و«الشرب المحتضر في رجال القرن ١٣» وحاشية على جامع الترمذي، توفي سنة ١٣٢٣ ودفن بضريح سيدي الدراس بن إسماعيل بالقباب خارج باب الفتوح بفاس، انظر ترجمته في «شجرة النور الزكية» ٤٣٣/١- «إتحاف المطالع» ٣٦٥/١، «رياض الجنة» ١٧٣/١. وترجمة موسعة في مقدمة كتابيه «الدواهي المدهية للفرق المحمية»، و«أحكام أهل الذمة» بقلم الدكتور حمزة بن علي الكتاني. طبعة دار البيارق.

وابن خاله الشيخ أبو الفضل محمد بن جعفر الكتاني[1] أخذ عنه السِيَر بشمائل الترمذي بضريح سيدي أحمد الشاوي، و«دليل الخيرات» بشرح سيدي المهدي الفاسي، بمسجد دَرْب جَمُّوع، والنحو بـ: «الألفية» في القرويين.

والشيخ أبي عبدالله محمد بن التهامي الوزاني[2] أخذ عنه الحديث بصحيح البخاري، والفقه بالمختصر بالخرشي والزرقاني وحاشية بناني، و«التحفة» بشرح الشيخ التاودي ابن سودة، والنحو بألفية ابن مالك وبالمَكُّودي، و«المحاذي» لابن هشام وشرحه للأزهري، والمنطق بسُلم الأخضري بشرح بَنَّاني، والبيان بمقدمة «التلخيص» شرح سعد الدين، الكل بالقرويين، وهو عمدته مدة تعاطيه للقراءة..

والشيخ أبي عبدالله مَحمد (فتحا) بن قاسم القادري[3] الحسني: أخذ عنه الحديث بصحيح البخاري، والسير بشمائل الترمذي بشرح جَسُّوس، وحاشيته هو على الشرح المذكور، والأصول بـ: «جمع الجوامع» بشرح المَحَلِّي، وحاشية البناني مع تلخيصه مباحث «الآيات البينات»، وكان يقرر في الدرس تعاليقه التي كتبها ـ رحمه الله ـ على المحلي، وذلك بالقرويين، والكلام بـ: «صُغرى الصغرى» للسَّنُوسِي، وشرح الشيخ الطيب ابن كيران على توحيد «المرشد المعين»، وحاشيته هو عليه، وذلك بالزاوية القادرية..

---

(١) محمد بن جعفر الإمام الحافظ مؤلف «سلوة الأنفاس»، و«الرسالة المستطرفة»، كما ألف أكثر من سبعين مؤلفاً، ولد سنة ١٢٧٣ وتوفي بفاس سنة ١٣٤٥، ترجم لنفسه في كتابه «النبذة اليسيرة»، ذكر فيها تآليفه ومشايخه (و«النبذة» مطبوعة) انظر «الأعلام» ٧٢/٦، «شجرة النور الزكية» ٤٣٦/١ «سل النصال» : ٤٣. ومقدمة «الرسالة المستطرفة» له بقلم حفيده. خالنا - العلامة محمد المنتصر الكتاني، طبعة دار البشائر.

(٢) العلامة المشارك والمفتي، كان رحمه الله كثير التدريس يلقي أكثر من أربعة دروس في اليوم في مختلف العلوم، تولى القضاء بمدينة الصويرة، توفي رحمه الله عام ١٣١١، ودفن بالقباب بفاس، انظر «إتحاف المطالع» ٣٢١/١.

(٣) العلامة المحقق شيخ الجماعة في وقته ولد سنة ١٢٥٩، له عدة تآليف وفهرسة، توفي عام ١٣٣١، ودفن داخل باب عجيسة بفاس، «إتحاف المطالع» ٤٠٢/٢، «شجرة النور الزكية» ٤٣٥/١.

والشيخ أبي العباس أحمد بن خالد الناصري السَلاوي[1] صاحب «الإستقصا[في أخبار دول المغرب الأقصا]»، أخذ عنه الفقه بعبادات «المختصر» وشرحه للدردير بالقرويين..

والشيخ أبي العباس أحمد بن محمد ابن الخَيَّاط الزُكَّاري الحسني[2] أخذ عنه السير بشمائل الترمذي، بشرح جسوس، بمسجد درب جموع، والأصول بـ: «جمع الجوامع» بشرح المحلي، والبناني، وكان يقرأ تقاريره التي كتبها هو على المحلي والبناني، وذلك بالقرويين.

والشيخ أبي محمد التهامي بن المدني جنون المستاري[3] أخذ عنه الفقه بثلثي المختصر بالخرشي، والزرقاني وبناني بالقرويين..

والشيخ أبي محمد عبدالهادي بن أحمد الصِقِلي الحسيني[4] أخذ عنه السِيَر بهمزية البوصيري وشرحِها لابن حجر الهيتمي بالقرويين.

والشيخ أبي محمد عبدالله بن حمدون بناني؛ المدعو: فرعون النحوي[5] أخذ عنه النحو بـ: «الألفية»، وشرحها للمكودي بخلوة القرويين.

والشيخ أبي محمد عبدالعزيز بن محمد بناني[6] أخذ عنه العلوم الاثني

---

(١) الشيخ الإمام العلامة مؤرخ المغرب له تآليف عديدة وديوان شعر، توفي سنة ١٣١١هـ، انظر: «سلوة الأنفاس» ٣/٣٥، «الأعلام» للزركلي ١/١٢٠، «شجرة النور»: ١/٤٣٢.

(٢) العلامة المعمر، له أكثر من مائة تأليف ذكرها في فهرسة له، توفي سنة ١٣٤٣هـ، انظر «سل النصال» ٣٢، «شجرة النور» ١/٤٣٦.

(٣) العلامة المشارك الفقيه، له تآليف كثيرة وتقاييد مفيدة، توفي سنة ١٣٠٢،ودفن بالقباب بفاس. «إتحاف المطالع» ٢/٤٠٤- «رياض الجنة» للفاسي ١/١٦٧.

(٤) الفقيه العلامة المحدث قاضي الجماعة بفاس، توفي بالمدينة المنورة سنة ١٣١١، «إتحاف المطالع» ١/٣٢٠.

(٥) العلامة المشارك المحقق تولى القضاء بمدينة طنجة والصويرة، توفي سنة ١٣٠٧، ودفن بالزاوية البنانية بحومة الصاغة بفاس، «إتحاف المطالع» ١/٣٠٦.

(٦) العلامة القاضي المحقق المطلع، كان متضلعاً في المنطق والأصول والكلام والعربية، له تآليف كثيرة في مواضيع متنوعة، توفي سنة ١٣٤٠ ودفن بالقباب، «سل النصال»: ٥١.

عشر بقانون اليوسي بجامع الرصيف، كما أخذ عنه المنطق بـ: «السُلم» وشرح بناني وحاشية قَصَّارة.

والعالم أبي عبدالله محمد الريفي الفاسي[١]: أخذ عنه التوقيت والحساب والهيئة والنجوم والفلك، برسالة المارديني الشهيرة. . . وغيرهم[٢].

وكان إقباله على طلب العلم بصبر قوي، وذكاء فطري، وهمة سامية، ورغبة متناهية، فكان قليل الأكل جداً وربما كانت الكعكة التي تزوده بها والدته تبقى عدة أيام في جيبه[٣]، وكانت دروسه تقارب العشرة في اليوم، ولا يرجع لداره إذا خرج بعد الصبح إلا قبيل المغرب، وكان من علو همته يطالع على الدرس كتب المتقدمين في ذلك الفن، وكان يطالع على «المختصر» بالخصوص نحواً من عشرين ديواناً، وكان شيخه وعمدته أبو عبدالله محمد بن التهامي الوزاني ـ رحمه الله ـ يقول إذا رأى محفظته تحمل كثيراً من الكراريس : «هل أتيت بحمار يحمل هاته الكراريس الكثيرة!»[٤].

وكان والده يسميه بالفقيه؛ لشدة استغراقه في حقبة الدراسة بالعلوم الظاهرة. وحكى عن نفسه أنه كان شديد التعصب على الصوفية ومشاهدهم؛ حتى قال له والده مرة : «سَتَرِدُ فَتَعْلَم»[٥].

وبعد جهاده النادر في الدراسة؛ اعتكف على مطالعة الكتب النادرة في مختلف العلوم والفنون، فكانت أول أعماله صباحاً وآخرها مساء، بل ثبت

---

(١) العلامة المشارك، كان يدرس بفاس وتوفي مقتولاً سنة ١٣٣٧هـ، «التاج» الورقة ٤٧.

(٢) استفدت بعض هذه المقروءات من «المظاهر السامية» والكثير منها باستثناء الأخير من رفيقه في الدراسة مؤرخ العدوتين أبي عبدالله محمد بن علي الدكالي رحمه الله، والأخير من السيد محمد الحجوي صاحب «الفكر السامي» (المؤلف).

(٣) من رسالة والده للوزير أحمد بن موسى، والرسالة تتكون من ثمان صفحات، وهي مخطوطة في خزانة المؤلف، وسيعود المؤلف ليستشهد ببعض الفقرات من هاته الرسالة.

(٤) من رسالة والده لبعض علماء زرهون (المؤلف).

(٥) «المظاهر السامية» الورقة ١٢٦.

عنه أنه كان يطالع الكتاب المشتمل على مجلدات في ليلة واحدة فلا يذهب عن ذهنه شيء منه بعد ذلك[1].

ولم تمض عدة سنوات حتى نبغ في كثير من العلوم، المنطوق منها والمفهوم، ورُزق التبحر في علم التفسير، وأدواته وأسراره، وعلم السنة وأسراره واصطلاحه، وعلم الأصول وعلم الكلام، وعلم الفقه وعلم التاريخ، وعلم السيرة، وعلم الأنساب، وعلم اللغة، وعلم المعاني والبيان، وعلم الحكمة وعلم المنطق، والعلم الطبيعي والعلم الإلهي، والعلم الناظر في المقادر ـ وهو علم الهندسة ـ والعلم الأرتماطيقي، وعلم الموسيقى، وعلم الهيئة، وعلم التصوف الذي هو السلوك، وعلم الرقائق، وعلم الحقائق، وعلم الحروف، وعلم سر الحروف، وعلم المناسبات، وعلم المفردات. . .وغير ذلك مما هو مشهور، وفي الدواوين مسطور.

إذا كان عون الله للمرء ناصرا　　تهيا له من كل صعب مراده[2]
وإن لم يكن عون من الله للفتى　　فأكثر ما يجني عليه اجتهاده

وفي ختمته على البخاري المشتملة على نيف وعشرين علما[3]، وكتابه: «الأمالي في علم الأمهات»[4] المشتمل على نيف وتسعين علما؛ أعظم شاهد على ما أقول:

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما　　قد حدثوك فما راء كمن سمعا[5]

---

(١) حدثني بذلك شيخنا أبو عبدالله محمد بن أحمد بن الحاج رحمه الله. [المؤلف).

(٢) البيتان الشعريان للإمام علي كرم الله وجهه (المتوفى سنة ٤٠هـ)، انظر ديوانه ص: ٤٦ جمع وترتيب عبدالعزيز الكرم.

(٣) طبعت على الحجر بفاس سنة ١٣١٨.

(٤) مطبوع من سلسلة، النفائس الكتانية: الرسالة رقم ١٠ تحقيق الدكتور حمزة بن علي الكتاني.

(٥) هذا البيت ضمنه كثير من الشعراء في قصائدهم وهو من شواهد ابن عقيل على ألفية ابن مالك، المصدر ١٩٦/٢، شرح ابن عقيل علق عليه وأعرب شواهده الشعرية: أحمد طعمه حلبي.

وأما شيوخه في الرواية؛ فجماعة من مشاهير علماء الإسلام مغربا ومشرقا، ويكفي أن أذكر منهم هنا: والده الشيخ عبدالكبير الكتاني، والشيخ ماء العينين الحسني الشنجيطي[1]، والشيخ حبيب الرحمن الهندي الكاظمي الرَدُلَوِي[2]، والشيخ أحمد بن إسماعيل الحسيني البَرْزَنْجِي[3]، والشيخ أحمد بن صالح العباسي السُوَيْدي[4]، والشيخ حسين بن محسن الأنصاري الهندي السَبْعِي[5]، والشيخ نور الحسنين بن محمد حيدر الأنصاري[6]، والشيخ شرف الدين مرتضى المشهدي الأحمد أبادي[7]، والشيخ محمد حسين العُمري الإلهابادي[8]... وغيرهم.

وقد خرجتُ له في علم الرواية والإسناد عدة فهارس[9]، كما ذكرت في «التاج» أسانيده لستة عشر فهرسا من فهارس المشارقة

---

(١) من أشهر علماء عصره وأعظم أئمة التصوف به، كانت له حظوة عند الملوك العلويين الصوفيين الذين عاصرهم، مثل المولى الحسن وعبدالعزيز وعبدالحفيظ، له عدة مؤلفات طبع بعضها... توفي بتزنيت سنة ١٣٢٨، انظر «رياض الجنة» للفاسي ٣٧/٢.

(٢) الشيخ المحدث العارف بالله الحسيني المدني، من أعلام الحجاز، توفي بعد سنة ١٣٢٤ بالمدينة المنورة، «فهرس الفهارس» ٨/١.

(٣) العلامة المحقق مفتي الشافعية بالمدينة المنورة له عدة مؤلفات من بينها: «النصيحة العامة لملوك الإسلام والعامة»، توفي سنة ١٣٣٧-١٩١٩ انظر «رياض الجنة» للفاسي ١٠٦/١ و«الأعلام» للزركلي ٩٩/١.

(٤) العلامة المعمر، توفي بالمدينة سنة ١٣٢٤، انظر فهرس الفهارس٢٠٢/٢ - ٣٢٨.

(٥) هو شيخ محدثي العصر - كما نعته بذلك الشيخ عبدالحي الكتاني في «فهرس الفهارس» ٨٦/١، كان يتردد بين الهند واليمن لاقتناء نفائس المخطوطات، له عدة مؤلفات، توفي في بومباي بالهند سنة ١٣٢٧- «انظر الأعلام» للزركلي ٢٥٣/٢.

(٦) العلامة الجليل شيخ عصره توفي بحيدر أباد سنة ١٣٣٠، انظر «الدليل المشير» ص: ٤٢٧ لأبي بكر الحبشي العلوي المكي.

(٧) الشيخ العلامة بقية المسندين الأحمد أبادي؛ نسبة إلى أحمد أباد بالهند توفي بعد سنة ١٣٢٥هـ - «فهرس الفهارس» ٧٢٦/٢.

(٨) الشيخ العارف المحدث ولد ونشأ بإله آباد، له عدة إجازات، توفي سنة ١٣٢٢، انظر «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام» ١٣٥٧/٣.

(٩) انظر أسماءها في ثبتي «غنية المستفيد في مهم الأسانيد» المطبوع بتطوان سنة ١٣٧٦، (المؤلف).

والمغاربة، وسأقتصر الآن على ذكر أربعة منها؛ فأقول:

يروي أوائل العَجْلوني[1] عن الشيخ علي بن ظاهر الوتري، عن الشيخ عبدالغني الميْداني والشهاب أحمد دَحْلان المكي، كلاهما عن الوجيه الكُزْبُري، عن أحمد بن عبيد العطار عنه.

ويروي فهرس الأمير[2] عن الشيخ أحمد بن إسماعيل البرزنجي عن الشيخ أحمد دحلان عن الشيخ عثمان الدِمْيَاطِي عنه.

وأما فهرس الشوكاني المسمى: «إتحاف الأكابر»[3]، فيرويه عن الشيخ حسين السبعي، عن القاضي أحمد بن محمد الشوكاني، عن أبيه.

وأما فهرس الشيخ عابد السندي المسمى بـ: «حصر الشارد»[4] فيرويه عن والده عن الشيخ عبدالغني الدهلوي عنه، وكان المترجم ثاني رجل أدخله إلى المغرب، إذ الأول هو الشيخ عبدالله السنوسي رحمه الله.

---

(١) محدث الشام وعالمها، الزاهد الورع، ولد بعجلون سنة ١٠٨٧ وتوفي سنة ١١٦٢هـ، و«الأوائل» اشتهرت بالحجاز والهند والشام، وطبعت مراراً، سماها مؤلفها: «عقد الجوهر الثمين في أربعين حديثاً من أحاديث سيد المرسلين»، انظر «فهرس الفهارس» ٩٨/١.

(٢) الأمير: هو محمد بن محمد بن المدني بن عبدالقادر، المغربي الأصل، نعته الكتاني في «فهرس الفهارس» بشيخ الشيوخ،وهو علامة الديار المصرية، مالكي المذهب، مصري الدار توفي سنة ١٢٣٢- ويقع الفهرس المشار إليه في نحو أربع كراريس، وهو جامع للمصنفات الحديثية والكتب، انظر «فهرس الفهارس» ١٣٤/١.

(٣) هو خاتمة مجتهدي المشرق العلامة القاضي محمد بن علي الشوكاني، صاحب كتاب «نيل الأوطار بشرح منتقى الأخبار» وفهرسه مطبوع بالهند، سنة ١٣٢٨هـ. يقول الشيخ عبدالحي الكتاني في «فهرس الفهارس» بأنه ثبت جامع مهم - انظر المصدر ١٠٨٢/٢. وطبع بالهند طبعة أخرى بتحقيق العلامة المسند الشيخ ياسين الفاداني، وتوجد نسخة مخطوطة منه بخط المؤلف الشوكاني في مكتبة ابن أختي سيدي حمزة الكتاني.

(٤) محدث الحجاز وحافظه وعالم الحنفية، توفي بالمدينة المنورة سنة ١٣٥٧هـ، وفهرس الشيخ عابد يقع في مجلد ضخم، ويقال بأن هذا الفهرس، لا يوجد أوسع منه وأصح. انظر «فهرس الفهارس» ٣٦٣/١. وتوجد نسخة مخطوطة منه بخزانة المؤلف، وأخرى بخط الشيخ عابد السندي بخزانة الدكتور حمزة بن علي الكتاني.

وأما رسالة العُجَيْمي في الطرق[1] وقد اشتملت على أسانيد أربعين طريقة؛ فيرويها عن والده عن جده، عن الشيخ محمد بن علي السنوسي الشهير، عن عبدالحفيظ العجيمي، عن طاهر سُنْبُل، عن عارف الفِتْني عنه.

ويرويها عالياً عن الشيخ نور الحَسَنَيْن بن محمد حيدر الأنصاري الحيدرأبادي، عن القاضي عبدالحفيظ بن درويش العجيمي المكي[2]، عن محمد هاشم بن عبدالغفور السِندي[3]، عن عبدالقادر الصديقي عنه[4].

وأما تلقيه لعلم التصوف؛ فكان على يد والده الذي أحيى الحقائق، ووطد الطرائق، وجدد رسم القوم بعدما كاد يخبو، وأبان معالم التصوف بعدما أشرف جواد سوابقه أن يكبو، قدس الله سره، وخلد ذكره. فعلى يده تربى وقطع عقبات السلوك على نمط أهل التصوف الإسلامي، ومنه استفاد ما لا يعد ولا يحصى من فوائد شيوخ التصوف الحقيقيين، الذين اجتمع بهم في رحلاته العديدة بالمشرق والمغرب، تلك الرحلات الواقعة في القرن الماضي، والتي كان لها أثر كبير في ربط المغرب بالمشرق، وهو الذي لقنه عدة أذكار كانت سبباً في إشراق قلبه بالإمدادات الإلهية والفيوضات المحمدية.

وقد ذكر عن نفسه أنه كان يلازم ذكر سبعين ألفاً من الهيللة[5]،

---

(١) لخص الشيخ السنوسي المكي رسالة العجيمي في الطرق في فهرس سماه «السلسل المعين في السلاسل الأربعين»، وهي في نحو الست كراريس ـ انظر «فهرس الفهارس» ١٠٥٩/٢.

(٢) قاضي مكة المكرمة، انظر «فهرس الفهارس» ١٠١/١ ـ ٢٢٥.

(٣) الشيخ الفاضل العلامة، أحد العلماء المبرزين في الفقه والحديث والعربية، ولد ونشأ بأرض السند، له عدة مصنفات، توفي سنة ١٢٧٤، انظر «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام» ٨٤٢/٢.

(٤) شيخ الإسلام بمكة ومفتيها. له فهرس سماه: «إتحاف الأكابر بمرويات الشيخ عبدالقادر»، انظر «فهرس الفهارس» ١٧١/١، وانظر ترجمة الشيخ عبدالقادر في «سلك الدرر» ٤٩/٣.

(٥) رسالة والده لرئيس مجلس الوزراء أحمد بن موسى. (المؤلف).

وستين ألفاً من الاسم الشريف «سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله»[1]، بتوجه تام، إلى أن فاجأه الفتح، واجتمع بالنبي ﷺ يقظة، وأخذ عنه دعوته الإسلامية وطريقته الكتانية، وأذنه في إرشاد الخلق، ودعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة؛ ليكون مجدد الإسلام في هذا القرن الرابع عشر، ويحيي من سنن الرسول ما اندثر، تصديقاً لما أخرجه أبو داود في «السنن»، والحاكم في «المستدرك» والبيهقي في «المعرفة»[2]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**»[3].



(١) أسمعة العلامة المشارك أبي الجمال محمد الطاهر بن الحسن الكتاني من المترجَم. (المؤلف).

(٢) «معرفة السنن والآثار» لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي الشافعي المتوفى سنة ٤٥٨هـ كشف الظنون ٢/٥٩٩.

(٣) حديث رقم ٣٧٤٠، رواه أبو داود في السنن كتاب الملاحم.

الحمد لله

الله

احباءنا الأرضيين أمناء دار عديل أمنكم سلام عليكم ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد فنأمركم بتنفيذ [illegible] من الغداة تكونوا تعززون بنصره [illegible] الفقيه الفاسي [illegible] سيدي محمد بن عمر [illegible] ما ينفذ لأهل المرتبة الأولى من العلماء من العوائد السنوية والصلات المولوية [illegible]

والسلام في [illegible] 1322

محمد المفضل بن محمد غريط لطف الله به

رسالة من الصدر الأعظم محمد المفضل غريط لأمناء دار عديل يوصي فيها بصرف مرتب علماء الدرجة الأولى للمترجم



الوصل الثاني
في الأسباب الداعية لظهور طريقته الكتانية

قد تحدث ـ رضي الله عنه ـ عن زمانه حديثا مقتضبا في إجازته الصوفية؛ فقال[1]:

«فلتعلم ـ أخي وصفيي ووليي ـ أن هذا زمان عَقَمَت فيه القرائح، وبُدلت بإعصار فيه نار سحبه اللواقح، فغرُب الدين، وعز اليقين، وصار الجهل علما، والسنة بدعة، فقل أن تجد أقواما في الأرض يمشون بنور رباني يحملهم على إيثار الحق سبحانه على كل شيء، ويعطيهم الخوف منه، ومراقبته في السر والعلانية، والعمل بطاعته على الآنات، وفي جميع الأزمنة والأوقات؛ فيكونون من الذين إذا رؤوا ذُكر الله[2]، فأحرى غير ذلك مما أعلى وأعز، وأغلى من المقامات العوالي».

وقال في «رسالة المؤاخاة»[3]:

«قد علمتم ـ إخواني – أن شمس الدين اليوم كُورت، ونجومه

(١) طبعت بمصر سنة ١٣٢٦هـ.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بخياركم؟؛ الذين إذ رؤوا ذكر الله..**». الحديث، أخرجه أحمد في «المسند» ٦/٤٥٩، والبخاري في «الأدب المفرد»: ٤٨، عن أسماء بنت يزيد مرفوعاً.

(٣) منشورة ضمن سلسلة النفائس الكتانية، الرسالة رقم ١، تحقيق الدكتور حمزة بن علي الكتاني.

انكدرت، وجباله سُيرت، وعِشَاره عُطلت، ونفوس العالم زوجت؛ كل انتظم إلى هواه، وصحف الضمائر والأسرار نُشِرت، وسماء المعالي واقتنائها و المعاني واكتسابها وادخارها كُشِطت، والجحيمَ سُعرت[1]؛ جحيم الجهل بالله تعالى وبرسوله الكريم، وجحيم العوائد الردية، والأعراف المخالفة للسنة الطاهرة الغراء البلجاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك[2]، سعرت وأضرمت وشبت نيرانها وتوهجت، وأقامت في كل ربع وحي...».

وكيف لا يكون الأمر كذلك، والبدع منتشرة في كل بلدة وقرية وجهة، والسنن النبوية يُقضى عليها في كل سنة وشهر ويوم، وأوصاف النفاق والغش والخداع تعمل عملها في النفوس، والأجنبي يحاول استعمار البلاد، ووسائل الدفاع عنها تهمل إهمالا كليا، والفارون من العدالة المغربية إلى العدالة الأجنبية يزدادون يوما عن يوم، والفوضى الدينية ضاربة أطنابها في الحواضر بصفة عامة والبوادي بصفة خاصة، فلا صلاة في البوادي، ولا زكاة ولا صيام، ولا حج، والنادر لا حكم له. والأعراف البربرية تُتَّبع بصفة جدية، والغارات الحربية تشن لأوهى الأسباب، وأبواب الفسق والفجور مفتوحة على مصراعيها.

فمن أجل ما ذكر؛ لم يسعه إلا أن يشمر عن ساعد الجد والاجتهاد، ويلقي نفسه في ميدان الهداية والإرشاد، ناشرا دعوته الربانية، وطريقته الأحمدية الكتانية، وليست هاته الدعوة والطريقة في الحقيقة، إلا دعوة رسول الله ﷺ، وطريقته وسننه وشريعته التي دعا إليها، وقاتل الخلق عليها.

وبمجرد ما شرع في العمل؛ أقبلت عليه الخلائق، من كل جهة وصوب وجبل شاهق، فكان يرشدهم لما فيه سعادتهم، ويزرع في قلوبهم التمسك بدينهم، ويذكر لهم من سيرة نبيهم المصطفى الأمين، وسيرة

---

(١) اقتباس من قوله تعالى في سورة التكوير الآيات من ١ إلى ١٢: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣﴾...

(٢) حديث رقم ٤٣ رواه ابن ماجه في سننه كتاب المقدمة.

أصحابه أنصار الدين، ما يجعل أعينهم تفيض من الدمع حزنا أن ضاعت حياتهم سَبَهْلَلا[1]، ويجعل نفوسهم تصمم على عدم ولوج أبواب المعاصي والهوى، وصار يرفع صوته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في الإجتماعات العمومية والخصوصية، بفاس وغيرها من مدن المغرب التي زارها، فتنفذ أوامره في الحين.

ورحل لعدة جهات بالبادية قصد دعوة من بها إلى الله، وتوجيههم الوجهة الصالحة، فكان يصيح في كل جهة حلها صيحات تزعج أهلها من سباتهم العميق، وتهب بهم من نومتهم الطويلة، ويظهر الله على يديه كرامات تكون سببا في امتثالهم أوامره واجتنابهم نواهيه، وحينئذ يدعوهم لتجديد إيمانهم، والتوبة مما جنته أيديهم، ويشرع في تعليمهم أحكام الإسلام، وبث تعاليمه السامية في نفوسهم، وأخيرا يلقنهم ورده الكتاني، ويشرح لهم محتوياته.

فما كان يفارقهم حتى يتركهم من المقبلين على الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾. [المؤمنون: ٢، ٦]، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾. [المؤمنون: ٨، ٩]، ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ۝٢٠ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ۝٢١ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [الرعد: ٢٠ ـ ٢٢]، ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ۝٧٢﴾. [الفرقان: ٧٢]، ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾. [الأنفال: ٢].

وقد قال تعالى فيمن هذه صفتهم: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال:

---

(١) السبهلل: أي: الباطل والفراغ، وفي الحديث: «**لا يجيئن أحدكم يوم القيامة سبهللا**».

٤]، وقال فيهم أيضاً: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ٣٥﴾. [المعارج: ٣٥]، وقال فيهم أيضاً: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾. [المائدة: ٥]، وقال فيهم: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾. [الفرقان: ٦٣]، وقال فيهم: ﴿يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٧٦﴾. [الفرقان: ٧٥، ٧٦]، وقال فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾. [المؤمنون: ١٠، ١١]، وقال فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾. [الرعد: ٢٢ ـ ٢٤].

واتخذ من بين تلامذته في كل جهة شخصاً كريم الأخلاق، وطئ الأكناف، هيناً ليناً، ألوفاً كريم المائدة، أسند له الرئاسة عليهم، وأعطاه لقب «المقدم»، وأوصاه بأن ينظر فيهم بعينه، ويكرمهم ويحبهم ويلم شعثهم، ويكون أباً شفوقاً عليهم، ويصبر على ما عساه أن يصدر منهم، ولا يتخلف عن جمعهم، ويتعاهد من تخلف عنهم، فإن كان له شغل يكن في عونه، فيكن الله تعالى في عونه، وإن كان مريضاً يعده، وإن كان مقطوعاً يصله، وإن كان مكروباً يذكره حتى ينزاح عنه ما أصابه من ضيق الصدر، والضنك والحرج، ويبذل مجهوده في نصحهم وإصلاح ذات بينهم، ويحبب النِسْبَة[1] للعامة، ويتحافظ على شعائرها، ويشيد أركانها، ويظهر عليه أثرها، ويتخلق بما يبلغه من أخلاق أهل الصدق مع الله، ويحضهم على العلم وتعلمه وتعليمه، حتى يكونوا على بصيرة في دينهم، وحتى يعرفوا ما يتعلق بالعقائد، والاستبراء والوضوء، والغُسل والتيمم، والحيض والنفاس، والصلاة والزكاة، والصيام والحج، ويراقبوه تعالى في المعاملات؛ من البيع والشراء، ولا يتعاطوا أمر الربا بجميع أنواعه. . .إلى غير ذلك[2].

وكما وجه عنايته للرجال فخط لهم خطوطا تقرب لهم الوصول

---

(١) الانتساب للطريقة أي: الطريقة.

(٢) من رسالة كتبها المترجَم لبعض المقدمين. (المؤلف).

إلى الله تعالى؛ وجه مثل تلك العناية للنساء؛ لأنهن شقائق الرجال في الأحكام[1]، فانتخب من كل قبيلة زارها امرأة، ذات عقل ورزانة، وصاحبة بعل، سعى في تعليمها ضروريات الإسلام، وما لابد منه من آدابها السامية، بنفسه أو بواسطة أحد أقاربها، وبعث فيها غيرة على الشريعة المطهرة، وحفظها سورا من القرآن الكريم، ولقنها عدة أذكار، وخصوصا ورده اللزومي الخاص بالنساء، وأعطاها لقب «المقدمة»، وكلفها بمهام التهذيب والإرشاد في وسطها؛ فكانت تقوم بواجبها أحسن قيام، وتدعو لإصلاح العقائد المشوبة بعدة خرافات، وإلى المحافظة على قواعد الدين والاعتناء بنوافل الخيرات، وطاعة الأزواج وبر الوالدين، واتخاذ الحجاب، والتمسك بالعفة، وترغب في مكارم الأخلاق، وترهب من سيئها.

حتى صارت الدور والخيم والأخصاص المنتمية إليه، مملوءات بالمؤمنات والقانتات، والصادقات والصابرات، والخاشعات والمتصدقات، والصائمات والحافظات فروجهن، والذاكرات الله كثيرا، وقد قال الله تعالى فيمن هذه صفته: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾. [الأحزاب: ٣٥].



(١) رواه الترمذي في سننه كتاب الطهارة، الحديث رقم ١٠٥. بلفظ: **«النساء شقائق الرجال»**.

الحمد لله

محبنا الأعز الأرضى الشريف الخير البركة الناسك
الرباني الفقيه الأجل سيدي محمد عبد الكبير الكتاني
رعاك الله وسلام عليكم ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله
وبعد وصلنا [illegible] في شأن المحتمين من زاويتكم المباركة
من قبيلة [illegible] كما لسبب لأذية القايد [illegible]
المنصب عليهم وانهينا ذلك لسيدنا أعزه الله فأمر
على توليته عليهم وبعزل [illegible] الشريف بذلك كما تحب
وعلى المحبة والسلام في [illegible] شعبان الأبرك عام 1322
محمد المفضل بن محمد غريط [illegible]

رسالة فيها إشارة إلى أن الحكومة المغربية
كانت تعد الزاوية الكتانية حرماً يجار من لاذ به

وأسس بالحواضر والبوادي، ما يناهز مائة زاوية، للقيام بشعائر الدين، وإحياء سُنن سيد المرسلين، وتلاوة الأذكار القرآنية، والأوراد النبوية، وإيواء المريدين والمنقطعين، والذاكرين والقانتين، ونشر أفكاره السامية، وآرائه العالية؛ فأصبحت بفضل مجهوداته المتوالية، ومجهودات علماء طريقته الكتانية، معابد ومعاهد في آن واحد، واستلفتت أنظار الأفراد والجماعات، فوردوا على فاس من كل جهة قصد الاستطلاع والاستخبار، كما أن منزله أصبح كعبة الوافدين، وقبلة الزائرين من مختلف جهات المغرب.

ترى الناس في أبوابه ورحابه   كأنهم من فرط كثرتهم نمل

قال الإمام أبو عبدالله محمد بن جعفر الكتاني في «النبذة» : «وشُدت له الرحال، من شاسع الأقطار والبلدان والجبال»، وقال أيضاً: «فبهر الناس، من جميع الأجناس، وأتوا إليه من كل حدْب ينسلون، ومما عنده يغترفون، وأخذوا عنه، وتلمذوا له، من سائر الأقطار والبلدان القريبة والنائية، وأُعملت له زوايا ومقدمون، في كل زاوية منها أناس يجتمعون»(١).

وقد أتت أعماله ـ قدس سره ـ أكلها في الحين، فشاعت تعاليم الإسلام في سائر قبائل البربر، ووقع القضاء على كثير من البدع، وانتشرت السنن النبوية في البوادي والحواضر انتشارا لم يعهد مثله فيما سبق، فكنت ترى البربري الذي كان بالأمس لا يعرف من الدين إلا اسمه؛ أصبح من الغد يذكرك بالسلف الصالح، ويقوم بأعمال قل أن توجد في عواصم الإسلام الكبرى، وتجد عنده تدقيقات في مسائل العبادات والمعاملات، وأذكارا قرآنية ونبوية يتلوها دبر كل صلاة لا توجد إلا عند المتبحر في السنة، هذه حالة البدوي فأحرى الحضري!.

وإذا سخر الإله أناسا   لسعيد فإنهم سعداء(٢)

---

(١) المصدر: ٢٥٢ تحقيق محمد الفاتح الكتاني وعصام عرار.

(٢) البيت رقم ٣٥ من همزية الإمام البوصيري (محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبدالله الصنهاجي) المتوفى سنة ٦٨٥هـ، انظر «كشف الظنون» ٦/١١٠- «المجموعة النبهانية» ١/٧٧.

الحمد لله وحده — وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله

سيدنا ومن كهفنا سيدي الشيخ الأكبر العارف بالله مولانا محمد بن القطب
الرباني مولانا عبد الكبير الكتاني رضي الله عنهما السلام عليكم ورحمة الله تعالى
خير مولانا نصره الله [illegible] وصلنا كتابكم الكريم بالوصية على الشيخ
سيدي إبراهيم المسلك به وجهته للأقطار الحجازية إذا حضر بطريقه [illegible]
وقد حل بهذا الثغر الصحيح المحروس بسلام وتلاقينا معه بعد سلامه عليكم
ونحن [illegible] منه وأفضل [illegible] الجانب [illegible] إلى أن يتوجه مجبور
الخاطر بعون الله مسلما عليكم وعلى سيادة والدكم المعظم سيدي الوالد
[illegible] عينكم والله يحفظكم بمنه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وفي 20 شوال الأبرك عام [illegible] أحمد بن محمد الطريس
لطف الله به

رسالة من أحمد بن محمد الطريس للمترجم مجيباً
عن توصيته بالشيخ إبراهيم

وحيث إن أكبر داء أصيب به المسلمون في عصورهم الأخيرة هو: داء الفُرقة والاختلاف، ومنه نشأ انحطاطهم وتأخرهم في ميادين الرقي والعمران، واستعمارهم واستغلالهم من طرف الأجانب، فقد بذل في معالجته جهودا كثيرة، وتضحيات عديدة، سواء بلسانه - في حالات القيام والركوب والجلوس والاتكاء - أو بقلمه - في حالات الحضور والسفر، والصحة والمرض - أو بتوجيه الوفود لمختلف المدن، والقرى والمداشر، والقبائل، حتى أصبح المتصلون به، والمنتمون لطريقته كتلة متراصة، وجامعة إسلامية، ينطبق عليها الحديث الشريف، الذي أخرجه الإمام مسلم - رحمه الله تعالى - عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**»[1].

كما قام بأعمال جليلة عديدة، في عدة ميادين دينية، وسياسية واجتماعية، سنلم ببعضها إلماما في الفصول الآتية..

وقد كان لمؤلفاته التي وصلت إلى ثلاثمائة، ورسائله التي قاربت ستة آلاف، ودعاة طريقته الكثيرين؛ فضل كبير في نجاح دعوته وشيوع تعاليمه.

وإذا كان كما ذكرنا؛ فليس بمستَغْرَب أن يوضع في صف خلفاء الأنبياء، ودعاة الحق والعدالة والعلم والمعارف، وفاتحي المغرب ومجددي الإسلام به؛ كالإمام أبي العلاء إدريس الأكبر بن عبدالله الكامل الحسني[2]، وشبله الإمام أبي العلاء إدريس الأزهر[3]، والإمام أبي سالم عبدالله بن

---

(١) حديث رقم ٤٦٨٥، رواه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) ناشر الإسلام بالمغرب، و مؤسس دولة الأدارسة وأول من دخل المغرب من الطالبيين، عظم أمره في المغرب..، توفي مسموماً في وليلي سنة ١٧٧هـ بإيعاز من الخليفة العباسي هارون الرشيد، انظر «الاستقصا» ٦٧/١، و«الأزهار العاطرة الأنفاس» للإمام محمد بن جعفر الكتاني، و«الأعلام» للزركلي ٢٧٩/١.

(٣) ثاني ملوك الأدارسة بالمغرب، وباني مدينة فاس سنة ١٩٢ استطاع استمالة أهل تونس وطرابلس الغرب والأندلس إليه، وكان محبوباً من طرف رعيته توفي بفاس سنة ٢١٣هـ، «سلوة الأنفاس» ٦٩/١، و«الأزهار العاطرة الأنفاس»، و«الأعلام» ٢٧٨/١.

ياسين الجزولي[1]... وأضرابهم. ولهذا نرى علماء المغرب وشعراءه يشيدون في نثرهم وشعرهم بأعماله الجليلة، ومواقفه النبيلة، ويعطونه لقب: «محيي السنة»، و«مميت البدعة»، و«مجدد الإسلام في هذا القرن الرابع عشر»، و«خليفة سيد البشر».

وسأُعْنَى الآن بذكر بعض البعض من شعرهم في الموضوع، تاركاً النثر لفرصة أخرى:

قال العلامة الكبير، العارف الشهير؛ أبو الحسن علي بن محمد العَذْلوني[2] من قصيدة:

كبيرُ المزايا حجةُ الله في الورى ... وعارفه ومتقيه وشاكره

وذو الخلق والأخلاق طبق شمائل ... مجدد أهل الدين إذ هو ساتره

وقال أيضاً من قصيدة أخرى:

ولا غَرْوَ فهو البدر في ظلمة الدّجى ... ولا ريب فهْو الختم وهو المجدد

وقد قام داعي الخَلق لله سالكا ... سبيل اجتباء في السلوك وينشد

هلموا عباد الله نسلك مسلكا ... على نهْجه كان النبي محمدُ

فهذا سبيل الرشد والحِفظ والهدى ... ألا فليجب من شاء في الحشر يَسعد

وقال قاضي مراكش وشيخ الجماعة بها: أبو محمد المصطفى العلوي[3] ـ رحمه الله تعالى ـ من قصيدة له:

---

(١) العلامة الفقيه،كان صاحب دعوة إصلاحية نتج عنها تأسيس دولة المرابطين التي امتد سلطانها من نواحي السينغال إلى سجلماسة، ومن درعة إلى أغمات إلى حاحة والشياظمة. وكان لهذه الدولة الفضل في تمديد واستمرار الوجود الإسلامي بالأندلس أكثر من أربعة قرون، قتل شهيداً من طرف مجوس برغواطة سنة ٤٥١هـ، ودفن في كريفلة طريق زعير، انظر الاستقصا ط ٢ ص ٧ ـ ١٨ والمعسول ١١/٤٠- ٤٧.

(٢) العلامة والشاعر، كان خليفة الإمام محمد بن عبدالكبير بدمنات، وبلغ رتبة شيخ الجماعة بها. له عدة مؤلفات في الأدب والتصوف. توفي سنة ١٣٦٦هـ التاج: الورقة ١٩.

(٣) تولى قضاء مراكش لأزيد من أربعين سنة، وتوفي سنة ١٣٥٢هـ، «إتحاف المطالع» ٢/٤٦٥، والقصيدة موجودة في «المظاهر السامية» للشيخ عبدالحي الورقتان: ١٩١ ـ ١٩٢ من المخطوط.

سلكت طريق الصالحين ونهجهمْ محاذ لخير الخلق في كل ما تفرا
ولما لا وأنت وارث بأصالة وفرض فمنك اليوم نقتنص البشرا

وقال أبو الجمال محمد الطاهر بن الحسن الكتاني[1] - من علماءِ القرويين - في قصيدة:

أحيَى شريعة خير من وطئ الثرى وأزاح شبهة كل ذي خذلان
وغدا لدين الهاشمي مجددا ومرقيا للقاصي ثم الدان

وقال العلامة الجليل أبو عبدالله محمد بن سليمان العلوي[2] - من علماء القرويين - من قصيدة:

حريص على إحياء سنة أحمد وممتثل ما جاء في خير شرعة
إذا ما رأى ما لا يحل ارتكابه يغير وجهها والفؤاد لبدعة
لعَمْري لقد أحيى موات قلوبنا ونبه من قد كان في سوق غفلة

وقال أيضاً من قصيدة أخرى في تهنئته بالحج:

يا أيها الجهبذ الطَّود المجدد منَ علم الديانة ما أعلامه درست
وكعبة حولها الوفود طائفة تقول مظهرة شوقا وقد طربت
بشرى لنا بقدوم الشيخ شمس ضيا أقطار ذا الغرب من به البلاد رست

وقال أبو عبدالله محمد بن المعطي العمراني[3] - من علماء الجامعة

(١) العلامة المشارك المحدث، من كبار علماء القرويين،تولى التدريس والخطابة والإفتاء بمدينة فاس، له عدة مؤلفات تبلغ المائة من بينها شرح حكم الشيخ محمد بن عبدالكبير الكتاني، وتاريخ للطريقة الكتانية، وسماعات للشيخ محمد الكتاني، توفي سنة ١٣٤٧هـ - انظر «الأعلام» ١٠٨/١، «سل النصال» : ٩٦.

(٢) الفقيه العلامة المشارك، اشتغل بالتدريس بالقرويين إلى أن توفي سنة ١٣٦٠هـ، «سل النصال» : ٩٦.

(٣) كان عالماً صوفياً، ذا قلم بارع في النظم والنثر، أخذ عن كبار علماء مراكش، كما=

اليوسفية بمراكش ـ من قصيدة :

لـلـه شـيـخ جـد فـي نـشـر الـهـدى ورمى الظلال بداهيات السَمْهَرِي[1]
كـم سـنـة أحـيـى بـعـلـم مـيـتـهـا كـانـت تـظـن مـن عـظـيـم الـمـنـكـر

وقال شاعر طنجة الفقيه العدل أبو محمد عبدالله بن محمد بن الهاشمي الوزاني[2] ـ رحمه الله ـ من قصيدة :

مـحـيي الـشـريـعـة لا يـفـارق سـنـة وقــواعــد الإســلام والإيــمــان
شيخ الـبـريـة فـي الـعـلـوم ومـن بـه ظـهـر الـهـدى فـي سـائـر الأوطـان

وقال العلامة الصالح أبو العباس أحمد بن محمد بن الطاهر السباعي[3] ـ رحمه الله ـ في «نغمات المثاني» :

لأنـت الـذي كـان الـخـلـيـفـة لـلـنـبـي يـجـدد أعـلام الـمـراتـب يـعـدل

وقال أيضاً :

عـن الـسـنـة الـغـرا أباد هـوى الـردى وعـسـكـره فـي قـطـرهـا يـتـوغـل
و اخـلـف أنـواهـا وأذن صـدى الـعـلا أصمت وحكم الجهل في الناس يشمل

= كان من أبرز تلامذة الشيخ محمد الكتاني ومن الملازمين له، أخذ عنه الطريقة الصوفية، توفي سنة ١٣٢٩هـ بمراكش، له عدة مؤلفات هامة، وديوان شعر يشتمل على مدائح في الجناب النبوي وعلى مدح الشيخ محمد بن عبدالكبير الكتاني. وفي خزانة حفدة المؤلف نسخة من هذا الديوان، انظر ترجمته بتفصيل في: «الإعلام» لابن إبراهيم ١٧٧/٧، و«فهرس الفهارس» ٣٦١/١.

(١) من قصيدة طويلة أثبتها الشيخ عبدالحي في «المظاهر السامية»، المخطوط الورقتان ١٨٤- ١٨٥. السمهري هو: الرمح الصليب العود.

(٢) من تلامذة المترجم.

(٣) أحمد بن محمد بن الطاهر السباعي السعدي: العلامة الأصولي اللغوي، والشاعر المبدع، توفى بقبيلة مَجَّاط عام ١٣٣٧هـ، و«نغمات المثاني» : قصيدة لامية اشتملت على ١٥٠ بيتاً، بالإضافة إلى تعليق له على هذه الأبيات، «التاج» الورقة ٢٠، «المظاهر السامية»، الورقة: ٢٠٩.

أخذْتَ بثار الدّين والهام في صَدَى | تنادي: ألا اسقونا وفي النضح تمطل
وأحييته ذاتا وصيتا وعظمه | رميمٌ محيا وجهه يتهلل
فأضحى قرير العين شمس السماسما[1] | عزيزا وأم الغي ثكلى تعلل
رفعتَ قباب الدين في ظلّها ترى | الذي شاخ في شرْخ الفتى يتميل
على وطد العلم السمى أشدْتَها | مكان الثريا دونها يتنزل

وقال العالم الجليل العارف بالله تعالى أبو عبدالله محمد بن عبدالهادي القادري الحسني التطواني[2] في قصيدته الميمية:

وهو المجدد في ذا القرن لما بدا | ظهوره بمباديه إلى الأمم

كما أن أصحابه المنتشرين في سائر جهات المغرب وعدة أقطار إسلامية صاروا هم الطائفة القائمة بأمر الله.

أخرج أحمد والبخاري ومسلم عن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس»**. وأخرجه ـ أيضاً ـ الترمذي في جامعه، وابن ماجه في سننه، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه.

وقد نص على أن السادات الكتانيين هم الطائفة القائمة بأمر الله في هذا القرن غير واحد من العلماء: منهم: الإمام العلامة المشارك الشيخ محمد المكي بن عزوز التونسي؛ شيخ الإسلام بالأستانة، عاصمة الخلافة

---

(١) السماسم: الخفيف واللطيف.

(٢) العالم الجليل المشارك، نزيل مدينة تطوان، له عدة تآليف: منها تأليف في ترجمة شيخه محمد بن عبدالكبير، وقد كان هذا العالم أحد الأفراد الذين اعتقلوا مع الشيخ أبي الفيض محمد الكتاني بسجن أبي الخصيصات عام ١٣٢٧، وأوذوا في سبيل الله. توفي القادري سنة ١٣٣٩هـ ودفن بتطوان.

العثمانية الشهيدة، المتوفى سنة **١٣٣٤**[(١)]، قال في رسالة له مشتملة على كراريس، مؤرخة بـ: ١٠ ربيع الثاني سنة **١٣٢٩** ما نصه: «إن في الزوايا خبايا، وفي الناس بقايا، وإنّ أولئك السادة الكتانيين هم الطائفة القائمة بأمر الله، هم العلماء بالله ورسوله وبالدين، هم المعانون من الله في أوقاتهم وكتبهم، هم الذين كلامهم أشد وقعا على المبتدعة من مدافع المتراليوز؛ لا المكي بن عزوز!».

وقد اشتغلت منذ سنوات بتأليف طبقات لعلمائهم وصلحائهم ستخرج - إن شاء الله تعالى - في عدة مجلدات[(٢)]، يسر الله علي إتمامها بمنه وفضله... آمين.



(١) أوسع وأشمل ترجمة للمكي بن عزوز توجد في «فهرس الفهارس» ٨٧٧/٢، وانظر نص هذا الكلام المستشهد به في نفس المصدر ١٦/١.

(٢) يشير المؤلف في كلامه هذا إلى مشروع كتابه: «طبقات الكتانيين طريقة»... والذي وقفت عليه هو مسودة، لم تبيض بعد، في خزانة حفدة المؤلف، تخرج في عدة مجلدات.



الوصل الثالث
في فقرات من كلامه

حبب إلي أن أذكر هنا فقرات من كلامه يستفيد منها القارئ الكريم، وجملة من أفكاره النيرة، وآرائه الصائبة؛ ليعلم أن الله تعالى رزق المغرب في هذا القرن إماماً جدد معالم الدين، وأحيى سنة سيد المرسلين، وخط للمسلمين خطوطاً، لو واصلوا السير فيها لجنبوا أنفسهم ويلات الاستعمار والجهل، ولساروا بالدولة الإسلامية سيراً حثيثاً نحو الرقي الصحيح، والمدنية الصادقة.

دعوته إلى الكتاب والسنة:

قال في رسالة كتبها لتلامذته بمكناس: «وكم كتبنا من أجل قرَاءة القرآن في الزاوية؛ الذي هو الورد الحقيقي الذي أذن جل ذكره فيه لنبيه وحبيبه ﷺ، ولو تُواجِروا عليه، ونحن نؤدي ذلك مشاهرة».

وقال في أخرى كتبها لتلامذته بمراكش: «وكل فقير لا يقرأ خمسة أحزاب قرآنية في اليوم ويتلو ألفاً من اسم الجلالة «الله» قبل الفجر؛ فاعلموا أن باطنه خراب من محبة الله الخاصة، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾. [البقرة: ١٦٥]».

وقال في كتابه «مدارج الإسعاد الروحاني»[١] «لما اشتغل الطالب طول

(١) كتاب مخطوط في خزانة حفدة المؤلف.

عمره بعلوم الآلة؛ فقد اندبغ أديمه ـ في الجملة ـ بأدوات التفسير، فهلا انقلب إليه وصرف الوجهة إليه؟، فإن القرآن هو روح العالم وروح الأنبياء والرسل والملائكة عليهم السلام، لأن الإنسان غير عالم بالطبع لولا رَشَاشَات العلم الإلهي، المفاض على العالم، وليس إلا علم القرآن».

وقال ـ أيضاً ـ بعد أن عد أنواعا من علوم التفسير : «وإذا كان هذا محصول علم التفسير، فكيف ينبغي لعاقل أن يتجنبه ولا يشغل كل عمره به، فإن بالخوض فيه يطلع على وجه إعجازه، وبه يعلم صدق الرسول دلالة عقلية، فيكون أعون على الاستسلام والانقياد لكل ما أتى به».

ومعلوم في تاريخه أنه كان يُدَرس التفسير بالزاوية الكتانية بفاس وسنه ثمان عشرة سنة، بل نص هو على ذلك في كتابه «إزاحة الأتراح في الجهر بالبسملة»[1].

وقال ـ أيضاً ـ في كتابه «بيان الآفات في حكم اللعبات المسماة بالكرطة والضامة وما شاكلهما»[2] «إن علامة محبة الله: محبة رسوله. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾. [آل عمران: ٣١]، فكل من ادعى محبة الله ولم يحب القرآن فهو كاذب، وكل من ادعى محبة القرآن ولم يتبع نبيه في الأقوال والأفعال والحركات والسكنات فهو كاذب، وكل من ادعى متابعة نبيه، ولم يحب بحبه ويبغض ببغضه، فليس له شاهد يعضد دعواه، وكل من ادعى هذا ولم يكن أعرف بطرق السنة من القَطَا حتى لا يكاد يشذ عنه شيء من السنة المحمدية باعتبار طرقها المتشعبة المتكاثرة، وخصوصا من يد النقاد الجهابذة النظار الذين أفنوا أعمارهم في تصحيح أحاديثها، وسبر مخرجيها؛ ما رُتبتهم في العدالة والتجريح، فلا يجمل بمريد رضَى اللهِ أن لا يبحث عن كتب الحديث، حتى إذا ذكر عنده الحديث لا يعلم من خرجه، ولا من تكلم على معانيه ومآخذه الفقهية واللغوية والأدبية، وأما من لا يعتمد في أحاديثه

(١) مخطوط في خزانة حفدة المؤلف.

(٢) مخطوط في خزانة حفدة المؤلف.

إلا على «نزهة المجالس»[1]، وجل أحاديثها الله أعلم بصحتها!، كيف يعترض على من يمارس الكتب الستة، مع ما تيسر من شروحها وحواشيها؟!».

وقال في كتابه «سلم الارتقاء»[2] «إن العلمين الجليلين الفاضلين المهمين الذين هما مراد الشارع من تربية العالم؛ وهما: علم الحديث، وعلم الرياضة. صارا كالمنسوخين اليوم، أما علم الحديث؛ فلا تجد قائلا به. إذ استدللت بحديث لأحد على جزئية من الجزئيات؛ اغتاظ كأنك أتيت من الدين ما لم يأذن به الله، وعارضك هو بكلام حكيم من الحكماء، أو إمام من الأئمة. أبْعَدَ علم رسول الله ﷺ المؤيد بالوحي السماوي، علمِ الذي كان منزله مُستراحا لملائكة السماء، وتطأه الملائكة صباحا ومساء، فهو المبين عن الله حقيقة مكنون العبادة التي خلقت الجن والإنس لأجلها، قال جلت عظمته: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾. [الذاريات: ٥٦]».

وقال في إجازته لخليفته بسلا العلامة الكبير والصوفي الشهير: أبي بكر بن محمد التطواني[3] - رحمه الله - بعد الطالعة: «وأوصيك - أخي - بالوصية العامة التي أوصى بها الحق فقال: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾. [الشورى: ١٣]. وإقامته بإقامة شعائره؛ من إحياء ما اندرس من آثار

---

(١) الكتاب لعبدالرحمن بن عثمان الصغوري الشافعي المتوفى سنة ٨٩٤هـ، وموضوعه هو: الوعظ والإرشاد، غير أنه مليء بالأحاديث الموضوعة، طبع عدة مرات. انظر «كشف الظنون» ٢/٨٥٣.

(٢) طبع على الحجر بفاس سنة ١٣٢١هـ.

(٣) أخذ العلم على أحمد بن خالد الناصري، وعبدالله بن خضراء، والفقيه محمد بن المدني كنون الكبير، كما تولى القضاء بقبيلة زمور، وكان يدرس بالزاوية الكتانية بسلا وعدة جوامع بها - له عدة رسائل في التصوف جمعها الشيخ محمد الباقر الكتاني في كتاب مستقل - توفي سنة ١٣٣٧ وهو قاض بسيدي سليمان وبها دفن، وذكر المترجم في بعض مقيداته أن التطواني ختم عليه ما يقرب من مائة سفر - (من أعلام المغرب العربي في القرن الرابع عشر)، للعلامة عبدالرحمن الكتاني ص: ٧٨. والإجازة تقع في ثمان صفحات توجد مخطوطة في مجموع عند حفدة المؤلف.

النبوءة، فابحث عن سنته ﷺ، وأقم عمودها، واستعد لما تجيبه به إن سألك بعد غد: لأي شيء لم تبحث عما بلغك عن الله عني؛ فإنك إن اتبعتني أحبك الله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾. [آل عمران: ٣١]، وإذا أحبك لم يعذبك: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾. [المائدة: ١٨]. ومهما عثرت على حديث ولم تعمل به؛ فيسألك عنه غدا. ووا خجلتك منه».

«وإياك - أخي - أن تقول كما يقول الفقهاء: هذا الحديث لم يأخذ به مالك. أو كذا. فهو كلام مموّه، وهل الأئمة ليسوا على الطريقة المثلى؟. بلا؛ فكل من اتبع إماماً من الأئمة يقال فيه: إنه للمعلم الأكبر، ﷺ، اتبع؛ لأنهم ما نهجوا إلا على نهجه، وكلٌ اقتصر على ما بلغه من أقواله وأفعاله وأحواله. وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي﴾، فيه هذه النكتة. بل الآية تعطي: أنا لا نقلد إماما واحدا؛ فهذا مما لم يأذن به الله، فكل واحد منهم نجم، ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾. [النحل: ١٦]، فاتبع أي إمام شئت، فما اتبعت في الحقيقة إلا نبيك المأمور باتباعه، فكل واحد منهم رسول من الله إليك أي: لغوي - فكل برزخ بينك وبين غيرك هو رسول، وفي القرآن: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾. [البقرة: ٢٨٥]، والرسول: شرعي ولغوي، والآية تشملهما».

«فدونك - أخي - واقتفاء أثر من شئت منهم، فما قلدت إلا النبي الأمي. وهم إنما بلغوا عنه ما بين لنا في الكتب، فما قلد أحد أحدا أصلا، فالناس كلهم مقلدون لرسول الله ﷺ حقيقة وصورة ورتبة. فمن بلغك حديثا عن آخر واقتفيت أثره؛ فما اتبعت في الحقيقة والحس إلا المبلغ عنه لا غير، وهم إنما نقبوا على الشريعة حتى أوصلوها لك غضة طرية، فالمقلَّد في الحقيقة هو: سيدنا محمد ﷺ. وهل يفوه أحد بأنك تقلد جزئية من جزئيات ما بلغك عنه ﷺ وتترك الآخر هملا[1]؟! هذا مما لم يأذن به الله».

---

(١) الهَمَل: السُدى، المتروك ليلاً أو نهاراً.

«غير أن هاهنا مسألة؛ وهي: أنك مهما سمعت آية أو حديثا، ولم تقدر في ذلك الوقت على المشي عليها؛ فاعلم أنك غير معني بها في ذلك الوقت، فاتقوا الله ما استطعتم، لأن أحوال الخلق هي عين الشؤون الإلهية، فالرب على الصراط المستقيم، والعالم كله مأسور تحت أسر تربيته، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. [هود: ٥٦]، فارم حجاب الوهم، واجعل الحق أمامك».

«وهذا علم قد أغفله الناس. وهَبْ أن الشريعة أمرت بشكر الوسائط، ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾. [لقمان: ١٤]؛ فلا تزد على حد سنن الشكر، حتى تتقيد به، ولا تقلد غيره وتصير كأنك ومذهبهم مِلل لا توارث بينها، لا؛ لا!، بل كل من أمرته باتباع غير مقلَّده يجد في نفسه كزازة كأنك أمرته بمعصية».

وهل ترك الإنسان في الدين حجة إذ قال قلدت النبي محمدا[1]

«وإذا رغب مقتد عما ذهب إليه مجتهد من المجتهدين؛ فإنما رغب في الحقيقة عما شرعه الله ورسوله، ومن هاهنا تتضح لك علوم؛ أهمها: تصويب جميع المجتهدين، وفي القرآن: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢﴾. [الفاتحة: ٢]، والرب من جملة إطلاقاته: المربي. وإذا كان الحق مربي العالم؛ فالكل له وجهة هو موليها فيما ذهب إليه، وهو القول بأن كل مجتهد مصيب. وإذا كان كل مجتهد مصيبا كما أعطت الآية؛ فتقوم الحجة - أيضاً - على من يُخَطِّئ غير المجتهد الذي اتبعه، مع أن ليس ثم من شرع لهم ما نهجوا نهجه إلا الحق تعالى، فهو الشارع الحقيقي، وفي القرآن: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ﴾».

«فالحق هو المشرع، وأما سيدنا ﷺ؛ فظهرت على يديه الشرائع لا

(١) بيت من ثلاثة أبيات تنسب للحافظ أبي الكرم الواسطي الحوزي (خميس بن علي بن أحمد بن علي بن الحسن المتوفى سنة ٥١٠ هـ) كان عالماً محدثاً.. . انظر الوافي بالوفيات ٤٢٠/١٣ اعتناء محمد الحجيري.

غير، بتبيينها للناس: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾. [النمل: ٤٤]. فانظر قوله: «لتبين»، ولم يقل: «لتشرع»، فالحق هو المشرع لجميع الأحكام الصادرة منه ﷺ، وكون أحواله لم تنضبط: فمرة كان يفعل كذا ومرة كذا. .وهلم جرا؛ كل ذلك مرادٌ للحق؛ ليسلك من بلغته إحدى تلك الجزئيات مسلكها. ولأجل هذا المعنى؛ تعدد المجتهدون. تَفَهَّم!. فما استنكف حقيقة من استنكف عن متابعة غير مقلده الواحد إلا عن الله ورسوله، فتبين عاقبة التقليد. وهذا بساط طويل الذيل مبسوط في كتبي».

وقال ـ أيضاً ـ في كتاب: «الاجتباء»[1] الذي أبدى فيه الفرق بين طريقته الكتانية وبين غيرها من الطرق : «نعلم أنه ﷺ سائلنا عن كل حديث بلغنا عنه، ويقول: لأي شيء لم تعمل به؟. ولا يكفيك الجواب بأن إمامك لم يأخذ به؛ فإنه لم يأمرك بالتقيد بمذهب واحد، والمشي على نهج واحد، فكل مجتهد عنده مصيب. وإنما كان مصيبا من حيث بلغته شذرة من شذور ذهب آثاره ﷺ، فقال بها وحض عليها، ولم يحط كل منهم بما له من الكمالات».

وقال فيه أيضاً[2]«اعلم أن كل من زعم أنه محمدي ثم صار تبلغه الأحاديث عن سند الكل ﷺ، ويقول : إن هذا لم يأخذ به الإمام؛ فهو أسير تقليد ذلك المقلد. أين قوله: إنه محمدي؟. فكان على المتورع في المنطق أن يقول: نحن مالكيو المذهب، أو شافعيو المذهب، أو غيرهم ممن ألزم نفسه تقليدهم، فلا يقول: إنه محمدي ثم يقول: هذا الحديث لا أعمل به لأن مقلدي لم يأخذ به».

وقد ذكر في كتابه: «إزاحة الأتراح»[3] أدلة قوية على أن كل مجتهد مصيب، لم يسبق إليها، فليراجع.

---

(١) توجد نسختان مخطوطتان منه عند حفدة المؤلف، ويقع في حوالي خمس كراسات.

(٢) المخطوط: الورقة ٥.

(٣) «إزاحة الأتراح عما يختلج وهم المبسمل جهراً من إيهام خلاف النجاح من الآي القرآنية والأحاديث الصحاح»، مخطوط عند حفدة المترجم.

ومن المعلوم في الأوساط العلمية والشعبية؛ أنه أحيى بالمغرب عدة سنن، وأوذي في سبيلها إذاية شديدة، وألف هو وأصحابه مؤلفات عديدة في تأييد تلك السنن؛ وفي طليعتها: القبض والرفع، وتتبعها يؤدي إلى الطول.

عنايته بعلم التوحيد:

للمترجَم عدة رسائل في علم التوحيد، ذكر فيها العقائد الستة والستين[1] بأسلوب مبسط، يستفيد منه العوام مايتطلبه منهم دينهم طلبا أكيدا. جاء في ختام واحدة منها قوله: «يجب على الذكور والإناث والعبيد والمكلفين، أن يحفظوا هاته العقائد، وإذا كان الذاكر للهيللة يستحضر احتواءها على هذه الصفات الكريمة والنعوت القدسية؛ حصل على سر جليل، ونور عظيم، وفائدة تامة، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

ثم زاد قائلا: «وهو عهد منا إلى سائر تلامذتنا: أن يحفظوها أولا إجمالا، ثم يبحثوا عن معانيها تفصيلا، وعهد منا إليهم أيضاً: أن مقدمي الطائفة الكتانية عندنا مهما لقنوا الورد لمريد إلا ويشترطوا عليه حفظ العقائد، ويأخذوا عليه العهد بذلك كما أخذناه عليهم. ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. [البقرة: ٢١٣]».

دعوته لنشر العلم:

قال في رسالة لأبي عبدالله محمد بن المعطي العمراني المراكشي[2]: «ولا نعذر أحدا من أهل العلم بالزاوية أن يكثر سواد العلم وسواد الدين وسواد النسبة؛ فإن من فيه أهلية للتدريس يدرس، ونعزم عليه في ذلك، ومن ليست فيه أهلية؛ فليلزم القراءة بالجد والحزم، ويحفظ المتون، ويكثر

---

(١) العقائد الستة والستين هي عقائد الأشاعرة التي هي أصول الدين...

(٢) سبقت ترجمته، والرسائل التي كان يرسلها الشيخ محمد الكتاني لمحمد بن المعطي توجد مخطوطة عند حفدة المؤلف.

من المطالعات والمراجعات والمذاكرات؛ فإن ذلك لذة الدنيا قبل لذة المعرفة بالله تعالى، وقد كادت البلاد أن تشغر من العلم. ويجب أن يجتمعوا كلهم ويُحضروا النسخ، ويفتحوا «جمع الجوامع»(١) في وقت، و«التلخيص»(٢) في وقت، و«الشيخ الطيب»(٣) في وقت، ويتعاهدوا جميعا، ولا يراعوا رئيسا ولا مرؤوسا، فإن الله لا يُعبد ولا يُتقرب إليه إلا بالعلم، وتفقدوا المتكاسل منهم والمتقاعد».

وقال في «رسالة المواخاة»(٤): «وإذا حضرتم مجلسا؛ فليكن كله ذكرا وتلاوة، ومذاكرة وسرد كتب القوم، أو شرح «الجامع الصغير»(٥)؛ فإن الأمة لا ينفعها إلا إرشاد نبيها، وعلمه الغير المشوب الغض الطري، القريب العهد من الله سبحانه».

وقال فيها أيضاً: «ولتُسرد «الحكم العطائية» كل يوم بين العشاءين مع شرحها، ومشاركة الفقهاء بالزاوية في البيان والإفصاح، والتبيان والشرح، من غير مَيْز لهذا عن هذا؛ فهذا من قَوَّامِيَّتكم بالقسط فيما بينكم،

---

(١) «جمع الجوامع» في أصول الفقه لابن السبكي، وهو من أئمة الشافعية ومن كبار علماء مصر توفي سنة ٧٧١ هـ، «فهرس الفهارس» ١٠٣٥/٢ «كشف الظنون» ٤٦٧/١.

(٢) أظن من خلال السياق أن الشيخ يشير إلى كتاب «تلخيص المفتاح في المعاني والبيان»، للشيخ جلال الدين القزويني المعروف بخطيب دمشق، المتوفي سنة ٧٣٩هـ، وهذا الكتاب من أعظم ما صنف في علم البلاغة، انظر «كشف الظنون» ٣٨٤/١.

(٣) الشيخ الطيب ابن كيران (١١٧٢-١٢٢٧هـ) يقال عنه: إنه آخر الحفاظ والبلاغيين، نظراً لبروزه في الفنين معاً، والشيخ إما يقصد كتاب ابن كيران في شرح «المرشد المعين» (مخطوط الخزانة العامة: ك ٨١) أو يقصد كتابه في البلاغة وهو عبارة عن أرجوزة في الاستعارة والمجاز (م.خ.ع ك ضمن مجموع رقم ٢٢٣٢. الحياة الأدبية في عهد الدولة العلوية لمحمد الأخضر: ٣٤٥.

(٤) انظر ص: ٦١ من رسائل الإمام محمد بن عبدالكبير الكتاني، الآنفة الذكر.

(٥) «الجامع الصغير من حديث البشير النذير» للشيخ الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ وأشهر شروحه: فيض القدير لعبدالرؤوف المناوي الشافعي المتوفى سنة ١٠٣٠هـ، «كشف الظنون» ٤٤٢/١.

ولا تُصْلِحُوا الجماعة ما لم تَصلُحُوا أنتم، وتكونوا على قلب رجل واحد، وتتجردوا عن الحظوظ النفسية، والأغراض الشخصية، وتتذاكروا كلكم وتتباحثوا كلكم. والذي يسرد يقول للجماعة: ما ظهر لكم؟. بقلب سليم مخبت أواه أواب منيب[1]. فإن القلوب ليس بينها وبين الله حجاب؛ فاقرعوها، واستخرجوا ما لله ـ جل اسمه ـ من الخبايا والأسرار في عباده، وتمعنوا أسرار النبوة في قوله: من رأى منكم رؤيا فليقصها علينا[2]. وذلك ليطلع على أسرار الله في خلقه؛ إذ كل واحد بينه وبين الله ـ سبحانه ـ وجهة خاصة، لا يشاركه فيها غيره»[3].

ووقفت على ورقة بخطه وجهها لبعض كُتابه، مشتملة على ما يأتي: «اكتب رسالة لولد قلبنا سيدي محمد ابن المعطي واطلب منه أن يدمن على قراءة ابن السبكي[4]، ويسرد «حاشية الكمال»[5] عليه، وإن لم تكن عنده؛ يرسل إليها؛ فإنها بالزاوية، ويطيل المجلس؛ ولابد. ويفتح الشيخ الطيب على «المرشد»[6]، ويقرره تقريرات عجيبة، ويقبل ويرد في جامع ابن يوسف. ويقرأ الاستعارات أيضاً ـ بمسجد قرب داره، ومهما أشرف على ختم كتاب من هذه الكتب؛ فليجعل له ختمة حافلة، وليستدع الطلبة. وأكد عليه على لساني إلخ..».

وقال في «رسالة المواخاة»[7]: «وانظروا إلى «إحياء علوم الدين»[8]،

---

(١) المخبت: المتواضع. الأواب: الكثير الرجوع إلى الله. المنيب: من الإنابة وهي الرجوع إلى الله بالتوبة.
(٢) حديث رقم ٢٠٦٢، رواه الدارمي في سننه كتاب الرؤيا.
(٣) من رسائل الإمام ص: ٦٢.
(٤) يشير إلى كتابه «جمع الجوامع» في أصول الفقه.
(٥) «حاشية الكمال» نسبة إلى الإمام، العالم المحدث اللغوي الفقيه محمد بن عبدالواحد بن عبدالحميد كمال الدين؛ الشهير بابن الهُمام السكندري، وهو من كبار علماء الحنفية، توفي سنة ٦٨١هـ، انظر «الفوائد البهية» ص: ٥٦ للعلامة اللكنوي.
(٦) يعني به الطيب ابن كيران الآنف الذكر.
(٧) انظر رسائل الشيخ محمد الكتاني ـ ص: ٣٧.
(٨) «إحياء علوم الدين» لحجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي المتوفى بطوس سنة=

فما أتى على المسلمين إلا من عدم تأبطهم لـ: «الإحياء»، حضرا وسفرا، قياما وقعودا وعلى جنوبهم. . .إلخ».

وقال أيضاً: «أحب أن تبحثوا عن «منازل السائرين» للإمام الهروي[1] كتاب صغير الحجم عظيم الجدوى والفائدة، وإن لم يوجد هناك؛ فكاتبونا عليه، واختموه فيما بينكم المرة بعد المرة، وتكلموا فيه حسبما يهبكم واهب الجود جل أمره، وتكون المذاكرة مناوبة لا مناهبة[2] كما كان الصحابة الكرام؛ فإن الأمر جد، والناقد بصير، والعلماء إذا لم يرثوا نبيهم في أحواله ففيم يرثونه؟!».

نوع من حملاته على علماء طريقته :

قال في «رسالة المواخاة»[3]: «إنه ـ جل عدله ـ أمنكم على تبليغ شرعه إلى أَعْبُدِه، وجعلكم أوعية لحمله، ومكنكم من الإفصاح والتبيان عما استحفظكم، وأعطاكم فسحة من عز تمشون بها في الناس، وأعطاكم مقاليد النفوذ فيهم، فما عذركم مع الله سبحانه ومع رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله، ومع أملاكه الكرام، ومع العلم الذي حُملتموه، ومع الإنسانية التي بها عرفتم، ومع تطويق الخلافة عن أهل الله ـ سبحانه ـ فيمن ائتمنوكم على أصحابهم ومريديهم وتلامذتهم في هذا التقاعد والتكاسل والعجز، وعدم النهضة الإيمانية، وعدم القيام على ساق في النصح لعباد الله وتذكيرهم بأيام الله، وعدم إرشادهم ودلالتهم على الله تعالى، والسكوت

= ٥٠٥هـ، وهو من أجل كتب السلوك والمواعظ وأعظمها؛ حتى قيل فيه: لو ذهبت كتب الإسلام وبقي «الإحياء» لأغنى عما ذهب ـ انظر الحديث عنه بتفصيل في «كشف الظنون» ١/٨٣.

(١) «منازل السائرين إلى الحق المبين»، لشيخ الإسلام عبدالله بن محمد بن إسماعيل الأنصاري الهروي الصوفي المتوفى سنة ٤٨١هـ، وهو كتاب في أحوال السلوك، انظر «كشف الظنون» ٢/٦٦٥.

(٢) المناهبة: المباراة في الجري. والمقصود: نشر العلم والتنافس الشريف.

(٣) رسائل الشيخ محمد بن عبدالكبير الكتاني، ص: ٤٢-٤٣.

والمحاباة، والتلبس بالأغراض الشخصية، والتذرع بالأحوال الطبيعية، وعدم النهضة لله بالله مع الله في الله لا لأمر نفساني أصلا، ولا لمحبة محمدة، ولا لقصد ثواب ولا حظ أخروي؟؟؟».

رأيه في أخوة العلماء:

قال في «رسالة المواخاة»[(١)]: «وصورة الأُخُوة التي أعقد بينكم: أن تتجردوا كلكم عن الأحوال الشخصية والأغراض الطبيعية، وتتحركوا حركة إيمانية، ونهضة روحانية، وتكونوا في الحق سواء، وكان عمر - رضي الله عنه - وقافا عند كتاب الله تعالى[(٢)]، لا يكن فيكم عال ولا نازل، ولا مقدم ولا مؤخر، ولا شريف ولا عالم، ولا رئيس ولا متعال، بل كونوا في الحق سواء ﴿قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾. [النساء: ١٣٥]».

وقال أيضاً[(٣)]: «وروح هذا الإخاء: أن تكونوا عارين عن الحظوظ الطبيعية، وعن ملاحظة الأحوال الشخصية، وأن تكونوا عونا على الحق لا على مقتضيات النفوس، وإذا قمتم؛ فقوموا بالله لله عن أمر الله، مراعاة لحقوق الله ولو على أنفسكم».

وقال أيضاً[(٤)]: «ومن روح هذا الإخاء: الانتصاب لدوام النصح لعبيد الله تعالى، وتلون الدعوة إليهم، كل حسب قابليته، وكم من واحد ينجح في النصح، ويُساء به الظن أنه لا يقبله، وأقرب الناس من الله أبعدهم منه، وأبعد الناس من الله أقربهم منه».

نوع من حملاته على أصحاب الامتيازات الأجنبية:

قال في «ختمة الآجرومية»[(٥)] أثناء حديثه عن علامات محبة النبي ﷺ:

---

(١) المرجع السابق: ص: ٤٣.

(٢) حديث رقم ٤٢٧٦، رواه البخاري في صحيحه، كتاب «تفسير القرآن».

(٣) الرسائل، ص: ٥٥.

(٤) الرسائل، ص: ٦١.

(٥) أملاها بالزاوية الكتانية بفاس سنة ١٣٠٩ أمام جمهور غفير من مختلف طبقات الشعب. وتوجد نسخة منها في مكتبة الدكتور علي الكتاني رحمه الله تعالى.

«ومنها: بغض كل من انتمى للكفرة - أي: أرباب الإحتماء بهم - وقد حذر الحق من ذلك في غير ما آية: ﴿لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾. [آل عمران: ٢٨]. أفادت الآية: النهي عن موالاة الكفار، إما استقلالا وإما اشتراكا مع المؤمنين، والصورتان داخلتان في منطوق النهي».

«قال في «الكشاف»، و«روح البيان»: يعني: إنه منسلخ من ولاية الله رأسا. وقال بعضهم: أي: فليس من أهل دين الله؛ لأن الشخص إنما ينتظم في أصل الدين نفسه. وفي «الجلالين»: فليس من دين الله في شيء؛ أي: إنه بريء منه ومفارق دينه».

«وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾. [المائدة: ٥١]، قال ابن عباس: أي: كافر مثلهم. وقال الزَّجَّاج[1]: من اتخذهم عضدا على المسلمين؛ فهو منهم. وقال ابن عطية[2]: من تولاهم بمعتقده ودينه؛ فهو منهم في الكفر واستحقاق النقمة والخلود في النار، ومن تولاهم بأفعاله من العضد في النصر ونحوه، دون معتقد ولا إخلال بإيمان؛ فهو منهم في المقت والمذمة الواقعة عليهم وعليه».

«وقال تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ - أي منافقي أهل المدينة - ﴿يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾. [المائدة: ٨٠، ٨١]. قال في «الكشاف»[3]: يعني: أن موالاة المشركين كفى بها دليلا على

---

(١) إبراهيم بن السري بن سهل: أبو إسحاق الزجاج عالم بالنحو واللغة، له عدة مؤلفات من بينها: «معاني القرآن»، توفي ببغداد سنة ٣١١هـ. الأعلام للزركلي ١/٤٠.

(٢) الإمام أبو محمد عبدالحق بن أبي بكر بن غالب بن عطية الغرناطي، المتوفي سنة ٥٤٦هـ، عرف بتفسيره «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» أثنى عليه ابن حيان فقال: هو من أجل من صنف في علم التفسير. «كشف الظنون».

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل، للإمام العلامة أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، المتوفى سنة ٥٣٨هـ، وقد كان الزمخشري معتزلي الاعتقاد، «كشف الظنون» ٢/٤٠٣.

نفاقهم، وأن إيمانهم ليس بإيمان. وفي «الجلالين»[1]: أي: خارجون عن الإيمان».

«وعلى كل؛ فالاحتماء بهم ومصادقتهم واتخاذهم أصدقاء؛ جرحة في الدين. قال في «الكشاف»: فإن موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان:

تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك؛ ليس النَوْك عنك بعازب[2]

أي: ليس الحمق عنك ببعيد».

وسيأتي في وثيقة «البيعة الحفيظية»[3] التي كان له شرف وضع شروطها؛ أنه: طالب بتطهير المغرب من دنس الحمايات.

دعوته إلى إقامة العدل، والإخلاص في العمل، وأداء الشهادة ابتغاء وجه الله:

قال في «رسالة المواخاة»[4]: «أمر ـ سبحانه ـ عباده المؤمنين أن

---

(١) تفسير الجلالين، من أول التفسير إلى سورة الإسراء هو للعلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي المتوفى سنة ٨٦٤هـ ولما توفي كمله الشيخ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، ويقال بأنه لب التفاسير، «كشف الظنون» ١/٣٦٥.

(٢) البيت لبشار بن برد العقيلي، وهو من أشهر المولدين على الإطلاق، أدرك الدولتين الأموية والعباسية واتهم بالزندقة فمات ضرباً بالسياط ودفن بالبصرة حوالي سنة ١٣١هـ، «الأعلام» للزركلي ٢/٥٢.

(٣) اجتمع أشراف فاس وعلماؤها برئاسة الشيخ محمد الكتاني في فاتح ذي الحجة ١٣٢٥ الموافق ٣ يناير ١٩٠٨، ووضعوا ستة عشر شرطاً لهذه البيعة من أهمها: الحكم بالعدل، رفع ما أضر بالأمة من الشروط الحادثة بالجزيرة الخضراء (الخزيرات)، تقييد سلطة السلطان وخضوعه لمبدأ الشورى، تطهير المغرب من الحماية، عدم استشارة الأجانب في أمور الأمة، إرجاع الجهات المأخوذة من الحدود المغربية، رفع ضرر المكوس.. وغيرها من الشروط التي كانت سبباً في إيغار صدر السلطان عبدالحفيظ على الشيخ الكتاني، انظر هذه الشروط بتفصيل في ص ١٩٩ من هذا الكتاب، وفي «إتحاف أعلام الناس» لابن زيدان ج ١/٤٤٩.

(٤) انظر «الرسائل» من تحقيق حمزة الكتاني. ص: ٤٣ ـ ٤٤.

يكونوا قوامين بالقسط؛ أي: العدل، فلا يعدلوا عنه يميناً ولا شمالاً، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يصرفهم عنه صارف. وأن يكونوا متعاونين متساعدين، متعاضدين متناصرين فيه، وقوله سبحانه: ﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾. [النساء: ١٣٥]. هو كقوله جل ثناؤه: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾. [الطلاق: ٢]، أي: أدوها ابتغاء وجه الله: ف: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾. [القصص: ٨٨]، أي: كل شيء ابتغي به غير وجه الله هالك مضمحل، لا أثر له ولا نور، ولا تهذيب للنفس يصحب فعله، ولا نتيجة يجدها المكلف من التلبس بفعله، إذ الشرائع كلها أدوية روحانية، وطب إلهي للأمراض الحاصلة للأرواح والعقول والنفوس والأسرار».

«فإنما سماه ـ جل اسمه ـ هالكاً؛ لأنه لا أثر له في الوجود ولا في نفس العامل ولا في الواقع، ولا يجد له المكلف ثمرة يوم التغابن، إلا وجهه؛ أي: إلا ما ابتُغي به وجهه جل سناه. فإذا أديت الشهادة ابتغاء وجه الله؛ كانت صحيحة خالية من التحريف والتبديل والكتمان، ولذلك قال جل علاه: ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾. [النساء: ١٣٥]، أي: اشهد الحق ولو عاد ضرره عليك، وإذا سئلت عن الأمر؛ فقل الحق فيه، ولو عاد ضرره عليك».

دعوته إلى الصدع بالحق:

وقال فيها أيضاً[1]: «لا يحدث من الصدع بالحق ضرر أصلاً؛ لقول الله جل مجده: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ - ولم يقل سبحانه يخذلكم - ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾. [محمد: ٧]، ولم يقل سبحانه: «ويزلزل أقدامكم». فالوهم والخيال نسخ هذه الآية الكريمة وأشباهها، وفي الحقيقة: محبتُنا المنزلة في قلوب الخلق وحُب المحمدة والعلو في الأرض؛ هو الذي نسخها، فلذلك لم ننصر الله ولم ينصرنا: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾. [الحج: ٤٠]».

(١) «رسالة المؤاخاة»: ٤٤.

رده على من يزعم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يسقط من قلوب الخلق:

وقال فيها أيضاً[1]: «يتوهم أهل الحجاب أن أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، يسقطهم من قلوب الخلق، وهو وهم كاذب؛ إذ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، والورثة الكاملون، لم يسكتوا طرفة عين عن النصح للخلق كافة، لكن مع السياسة العادلة الشرعية؛ فنتج نصحُهم، وقُبل رُشدهم، وصادف محلا للقَبول. إنما كان قصدهم بالنهي عن المنكر: حفظ الأمة، والأخذَ بزمام الشهوات والشبهات في الدين؛ فردوها كما تُرَد جِماح الخيل باللجُم[2]، وكان قصدهم: امتثال أمر الله ـ جل قدسه ـ بما طوقهم من حُسن الرعاية في الرعية، والقيام على حفظها عن أمر الله سبحانه».

«وقد بالغ الخاتم الماحي، صلوات الله وسلامه عليه، في النصح ورد الشوارد، وقمْع الأوابد إلى جلال الربوبية، إلى أن أسلم شيطانه صلوات الله وسلامه عليه فصار لا يأمره إلا بخير[3]، وللعلماء الوارثين حظ من هذا الباب أيضا.. .إلخ».

تأنيبه لمن يهمل الإنسانية:

وقال فيها أيضاً[4]: «لم تبق إلا الأغراض والشوائب، والحظوظ والرياسات التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ولا يحصد منها الإنسان ثمرة ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾. [آل عمران: ٣٠]. ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾. [الشعراء: ٨٨، ٨٩]. أي: مما سواه جل سلطانه».

---

(١) «المصدر»، ص: ٤٤ ـ ٤٥.

(٢) إشارة إلى البيت السادس عشر من بردة البوصيري: «المجموعة النبهانية» ٦/٤:

من لي برد جماح من غوايتها ... كما تُرد جماح الخيل باللجم

(٣) حديث رقم ٢٨١٥، أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) المصدر ص: ٤٧.

«وكل من يقوم مع حظوظ نفسه وشهواته وأغراضه؛ فقد أهمل الإنسانية وأوضاعها. وكل من لا إقدام له على المعالي والمعاني والتجرد عن الأحوال الشخصية؛ فلم يظهر شرف الإنسانية، إذ من خاصية الإنسانية: الشهامة والإقدام، بل من خواص الحيوانية أيضاً!».

رأيه فيما وصل إليه الأجانب من النفوذ في العالم:

وقال فيها أيضاً[١]: «وقد علمتم ما وصل إليه الأجانب اليوم من النفوذ في العالم؛ فإنما وصلوا لذلك بأمور؛ منها: الحرية. التي عبر عنها الشرع الكريم بالقسط. والعدل والنصح، وعدم المُحاباة والقيام في كل موطن وما يقتضيه، ومعرفة كل منصب وما يطلبه، وعدم إهمال بعضها بعضاً، ومعرفتهم بحق من ظهر فيه أدنى نبوغ وتيقظ، وعدم إهماله حقه، وعدم رفضه.. بخلاف غيرهم».

معوقات الإسلام في نظره:

وقال فيها أيضاً[٢]: «إن من أسباب انحطاط الأمة الإسلامية في كل صقع: إهمال من نبغ فيهم كاتباً أو شاعراً، أو مشيراً، أو صانعاً يحسن صنعة التَجْبيص أو البناء، أو الأواني أو الثياب، أو صاحب صوت حسن، أو تنحاش إليه الخلق؛ يرمونه رمية واحدة عن قوس واحد. ولم يكن صدر الإسلام كذلك!».

«ومن أسباب انحطاط الملة أيضاً: عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واشترطوا له شروطاً قل أن تتفق؛ فعرقلوا مساعي الشرع بتلك الشرائط، والله سبحانه يقول: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ﴾. [هود: ١١٦]. وقال بعد أن قسم بني إسرائيل فرقا: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا

---

(١) المصدر ص: ٤٨.

(٢) نفسه ص: ٤٨-٤٩.

﴿قَالُوا۟ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾. [الأعراف: ١٦٤]. فطائفة أمرت ونهت، نجاها سبحانه، وطائفة نهت من نهى عن المنكر، وقالوا: «الله مهلكهم أو معذبهم»، وطائفة لم تأتمر ولم تنته؛ فأهلك جل سلطانه الطائفتين: ﴿وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفۡسُقُونَ﴾. [الأعراف: ١٦٥]، ﴿فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا وَمَوۡعِظَةً لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾. [البقرة: ٦٦]. مع أن النهي وقع عن المكروه زمن النبوة، وعن ترك المندوب وعن ترك السنن. . . إلخ».

وقال فيها أيضاً[١]: «إن من أسباب انحطاط الملة: ذكر الأحكام مجردة عن أسرارها، وقول أهل الفروع: هذا تعبدي، هو عجز منهم عن بيان الحكمة والسر، والشرع كله مكشوف لأهل العلم بالله ليس عندهم فيه شيء غير معقول المعنى، و«**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»[٢]، والفقه: الفهم، أي: عن الله في شرعه، وهو: المعنى بالغريزة في حديث: «**إذا حفظ الرجل القرآن، واحتسى من أحاديث رسول الله، وكانت هناك غريزة؛ فهو خليفة من خلفاء الرسل**»».

وقال فيها أيضاً[٣]: «ومن أسباب انحطاط الإسلام: عدم العمل على كتب الحديث في باب التأديب والتهذيب، والأخلاق والمعاشرة، والرقائق والآداب».

دعوته إلى النظام الشورى:

وقال فيها أيضاً[٤]: «وإذا أردتم إبرام أمر؛ فليكن شورى بينكم، وليس أحد منكم أحق بالإيثار بالحق من الآخر. فمن لاح على لسانه الحق؛

(١) «الرسائل» ص: ٦٥.
(٢) حديث رقم ٦٩، رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم.
(٣) «الرسائل»: ص٦١.
(٤) «الرسائل»: ٥٥ ـ ٥٦.

فليتبع. واستحضروا سر قول الشارع: «**والله لو سرقت فلانة لقطعت يدها**»[1]. يعني: فاطمة الزهراء عليها السلام؛ وحاشاها. وتذكروا قوله عند قرب أجله ﷺ: «**من ضربته** ـ أو كذا أو كذا ـ **فليقتص مني**»[2]، ومن يعدل إذا لم يعدل الله ولا رسوله صلى الله تعالى عليه؟!. وتذكروا نقله عن الله ـ جل سلطانه ـ آيات مفزعة، محرقة مهولة، لولا أن الأمر حق ونبوة؛ لما ظهرت تلك الآيات، ولكُتمت. وكان ذلك من إحدى علامات النبوة. . .إلخ».

وسيأتي في الوصل الثالث عشر، أنه: أول من دعا إلى الملكية الدستورية في الشروط التي اشترطها على الملك عبدالحفيظ أثناء بيعته بفاس، كما يستفاد ذلك من المادة التالية:

«إذا عرض ما يوجب مفاوضة مع الأجانب في أمور سلمية أو تجارية؛ فلا يبرم أمرا منها إلا بعد الصدع به للأمة، حتى يقع الرضى منها بما لا يقدح في دينها، ولا في عوائدها، ولا في استقلال سلطانها. . .».

تمنيه إصدار مجلة:

وقال فيها أيضاً[3]: «وكان ينبغي لعلماء الملة لما رأوا هذه الجرائد العجمية انتشرت؛ أن يفهموا أن ظهورها حرب بالأقلام في الحقيقة لأهل الملة، فكان ينبغي لهم أن يضعوا تأليفا ـ ولو أن تشترك فيه جمعية دينية ـ ويكلف كل واحد بتحرير كتاب فيه، وينسب الكتاب لجمعيتهم؛ في أسرار الشريعة المطهرة، وبيان مواقع نجومها المُقْسَم بها في قوله سبحانه: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾. [الواقعة: ٧٥]. ويطبعوا هذا التأليف مجانا لله ولرسوله وشكرا للأمانة، وحفظا للإيمان في قلوب الأمة، ورعيا للوطن،

(١) حديث رقم ٣٢١٦، رواه البخاري في صحيحه كتاب: أحاديث الأنبياء.

(٢) «**من كانت له قبلي مظلمة فليقم فليقتص مني**» ـ الحديث رقم ٢٦٧٦، رواه الطبراني في «المعجم الكبير» ٣/٥٨.

(٣) «الرسائل» ص: ٦٦.

ومقابلة للحرب بالسلم، وإدحاضاً للأباطيل وعرقلة لمساعيها بالحجج الدامغة، ويطبعوا منه الآلاف من النسخ، ويفرقونه في الدنيا لله. ولو وقع مثل هذا؛ لحدثت أمور في العالم خيرية وسماوية. ولكن إهمال القرائح وعقمها أنتج نتائج وخيمة لا تحمد. فأنيبوا إخواني وأحبابي وتداركوا ما أمكن تداركه».

صور من ثورته على المجتمع:

وقال فيها أيضاً[1]: «تجد المسلمين كأنهم مِلل لا يتوارثون، يعرض هذا بوجهه ويعرض هذا بوجهه، وفي الحديث: «**لا تدخلوا الجنة حتى تومنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا. ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟؛ أفشوا السلام بينكم**»[2]. وفي الحديث: «**تصافحوا يذهب الغل من قلوبكم**»[3]. فالمصافحة السنية طب إلهي مذهب للضغائن والأحقاد. وقد جعل ـ جل ثناؤه ـ العداوة والبغضاء في القرآن أشد من شرب الخمر، وأقبح وأظلم وأشنع؛ فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ - فالخمر والميسر وسيلة عند الشيطان لإيقاع العداوة والبغضاء -﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾. [المائدة: ٩١]. ووصف أهل الجنة بصفتين، فمن وجدتا فيه؛ فهو من أهل الجنة، ومن لا؛ فلا: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾. [الحجر: ٤٧]. والثانية: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾﴾. [الواقعة: ٢٥]. أي: مجالسهم طاهرة من اللغو، فضلا عن آفات اللسان المذكورة في «الإحياء». فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

«فأصل كل معصية وغفلة وشهوة: الرضى عن النفس. وأصل كل طاعة ويقظة وعفة: عدم الرضى منك عنها. وأن تصحب جاهلاً لا يرضى

---

(١) «الرسائل» ص: ٥٨.

(٢) حديث رقم ٨٧٢٣، رواه أحمد في مسنده ـ باقي مسند المكثرين.

(٣) حديث رقم: ١٤١٣، رواه مالك في الموطأ كتاب: الجامع.

عن نفسه؛ خير لك من أن تصحب عالماً يرضى عن نفسه، وأي علم لعالم يرضى عن نفسه، وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه؟... إلخ»[١].

وقال أيضاً[٢]: «العلماء إذا لم يرثوا نبيهم ومتبوعهم - صلى الله عليه - في هذه الأحوال؛ ففيم يرثونه؟!».

وقال أيضاً[٣]: «جل أخوة الناس اليوم نفاق، ولم يستح الشارع من الصحابة إذ قال: **«أثقل الصلاة على المنافقين: صلاة العشاء وصلاة الفجر»**[٤]، وقال الصحابي: «ولقد رأيتُنا وما يتخلف عنها أي: الصبح - في الجماعة إلا منافق... إلخ».

وقال أيضاً[٥]: «قد صارت جموع المسلمين كلها خوضاً في الباطل، وقد ذكر سبحانه قوماً سئلوا لأي شيء سلكوا سقر؟؛ فقالوا: ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾. [المدثر: ٤٣ - ٤٥]. وكأن أعمال الناس اليوم صارت أعمال من لا يومن بيوم الحساب!».

نوع من حملاته على المواطنين الذين يهملون البضائع المغربية ويتهافتون على البضائع الأجنبية:

قال في كتابه «بيان الآفات»[٦]: «فإنا لله على ضعف إيماننا حتى تركنا الشعائر الإسلامية، وأقمنا الوظائف الرومية. فكيف لا يغلبوا علينا وقد هجرنا سنن نبينا، وعمرنا أوقاتنا بسننهم وآلاتهم، وبضائعهم

(١) «الرسائل» ص: ٥٩.
(٢) «الرسائل» ص: ٤٧.
(٣) «الرسائل» ص: ٥٧.
(٤) حديث رقم ٩١٢٢، رواه أحمد في باقي مسند المكثرين.
(٥) «الرسائل» ص: ٦٥.
(٦) «بيان الآفات في حكم اللعبات المسماة بالكرطة والضامة»، وهو مخطوط، منه نسختان في خزانة حفدة المؤلف.

وزخارفهم، ومحدثاتهم التي تشغل القلوب والأبصار؟. حتى إذا سمعك شخص تقول: إن النصراني الفلاني قدم ومعه الزخارف الدنيوية، والأشغال التي تنسينا الآخرة وأهلها، وتقسى قلوبنا وتزهدنا في الحِرَف الإسلامية التي يَتَمَعَّشُ بها المساكين والدراويش الذين غلب عليهم طِيب الأكلة، فأظمئوا نهارهم، وأسهروا ليلهم فيها، ولما ينكبُّ المسلمون على تلك الوساوس تضيع حرفة ذلك المسكين. وإلى أين يذهب؟، أسرج دابته، وأيقظ نفسه - ولو بعد العشاء الأخيرة - ودفع الكسل عن نفسه، وربما لم يصل العشاء تعللا بأن الكسل غلبه. ويذهب عنده، ولا يجده في محله. أو يجده ولا يأذن له في الدخول عليه؛ فيرجع، ويتكرر تردده عليه لأجل الهوايات، وإذا استدعاه مومن خالص الإيمان، لإكرام أو طلبه لشفاعة - إن كانت له وجاهة - أو سمع جنازة مسلم، أو طلبه أن يستقرضه أو يسلفه أو يستخدمه؛ لما وجد شيئا أثقل عليه من ذلك».

«وكل هذا سببه أمران: هُجران علم الرياضة اليوم بالمغرب، وعدم المذاكرة فيه، وعدم التأليف فيه، وعدم استعماله حتى يعلمه الناس. و: عدم بث الشعائر الإسلامية، وإظهارها من أهل الفضل والعلم؛ فتجد المساجد خالية، ما فيها إلا أهل الحِرف والصنائع، مع أن أهل العلم ينبغي لهم أن لا يُهملوا حضور الجماعات؛ لينتفع الناس ولو برؤيتهم وتُؤَدِتهم وأناتهم، وإماطتهم الأذى عن الطريق، ومحافظتهم على الرواتب، وجُثيهم على الرُكب بين يدي الله في المساجد، والإكثار من تلاوة القرآن جهرا حتى يتذكر العالم، ويتأسى الغافل».

«فالعُصاة جهروا بمعاصيهم وما استحيوا، وأهل الفضل كتموا طاعتهم. فمن يُظهر الشعائر الإسلامية، ومن يعلن بالوظائف المحمدية؟، فـ: «**رحم الله عبدا أظهر من نفسه قوة**»؛ كما في الحديث»[1].

(١) حديث رقم ١٨١٥٢، رواه أحمد في مسنده مسند الكوفيين.

نوع من علاجه لداء الفرقة والاختلاف:

قال في عهوده الكتانية[1]: «العهد الأول: حفظ الرابطَة الإخائية، والمودة الإيمانية، مع بعضكم بعضا، بحيث تجعلون جميعكم نفسا واحدة، قائمة بذات واحدة، ولينظر كل واحد منكم هذا النظر؛ فربما تَحَصَّل منه نتائج، الإخلال بها هو الذي أوصل العالم الإسلامي لهذا الحد في جميع معمور الأرض، فقد تجد الجمع مجتمعا وهو يصدق عليه قول العالم: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾. [الحشر: ١٤]».

«وما شرع الله ـ سبحانه ـ الجماعة والجمعة والأعياد، وصلاة الكسوف والخسوف، والاستسقاء والموسم الأكبر بعرفه؛ إلا للألفة والائتلاف، وحسن التآخي، ولطف تحكيم الروابط الدينية، حتى تأتلف القلوب على محبة الدين وخدمته، والتشرف بالتلبس بشعائره، والقيام بوظائفه. وقد يسري الأمان منا لبعضنا بعضا؛ فلا نطمح إلا لمحاسن بعضنا وذكرها ونشرها. وبذلك ينتظم شمل الأخوة الإسلامية، ويدوم التعاضد والترقي في المعارج التي توجب رضوان الله الأكبر، وتنتج رضى الله الأكبر، وتنتج رضى الخلق أيضا. فما شرع ـ سبحانه ـ الشرائع؛ إلا ليستر قبائحنا ومساوئنا لو علمنا سر مشروعيتها. لأنا إذا امتثلناها؛ قامت بنا المحامد، واجتنبنا المذام. وبذلك يحصل قصد الشارع:

على نفسه فليبك من ضاع عمره   وليس له منها نصيب ولا سهم[2]

دعوته إلى الثبات في باب الله وتحمل الشدائد في سبيل الدين:

قال في رسالة بعثها من مراكش سنة ١٣١٤ لتلامذته بفاس:

---

(١) «العهود الكتانية» هي: المسماة بـ: «سفن النجاة وكهوف العباد» وهي مطبوعة ضمن «رسائل الشيخ محمد بن عبدالكبير الكتاني» السالفة الذكر وذلك من الصفحة ٢٦٧ إلى ٢٧٩. تحقيق د. حمزة الكتاني.

(٢) البيت الأخير من قصيدة مشهورة لابن الفارض: عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري الدار والمولد والوفاة، لقب بشرف الدين وبسلطان العاشقين، شاعر صوفي، توفي بمصر سنة ٦٣٢هـ، يضم ديوانه سبعاً وسبعين قصيدة. انظر ديوانه شرح عبدالغني النابلسي، و«الأعلام» للزركلي ٥/٥٥.

«اِعلموا ـ إخواني ـ أن عنوان المجد والشرف، وترجمان السعادة الأبدية، والقرب المعنوي من رب الأرباب، وبرنامج رضى الله الأكبر؛ هو: الثبات في باب الله تعالى، وعدم التزلزل عن بابه إذا بدت النكبات والنزلات: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾. [محمد: ٣١]، ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾. [العنكبوت: ٢، ٣]. وإذا لم تثبتوا في باب الله؛ ذهبتم جفاء، وكنتم مع المفتونين بالحظوظ النفسية، والقواطع الوهمية. وإذا ثَبَتم؛ انخرطتم في سلك الربيين، ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾. [آل عمران: ١٤٦]، وما جزاء الصبر إلا الصبر. وإذا لم يساعدكم الدهر على ما تريدون؛ فساعدوه على ما يريد، وإذا قام بكم الزمان؛ فاجلسوا واسكُنوا ولا تُطاولوه؛ فإنه لا يُقاوَم، فليس في الإمكان أبدع مما كان [(١)]. «**لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر**»[(٢)] كما في الحديث الصحيح...».

«غير أن الصبر مُر، لا يتجرعه إلا حُر، والنكبة واحدة؛ فإذا جزعت فهما اثنتان، ولا ينجيكم من تجليات الدهر إلا الصبر عليها، فإن صبرتم؛ أحبكم الله، وإذا أحبكم؛ لا يعذبكم. فاستوصوا بأنفسكم خيراً، ولا تهملوها حتى يقع لها التلف من حيث لا تشعرون، وفي الحديث: «**إن لنفسك عليك حقا**»[(٣)].

وبعد أن استعرض جماعة من أئمة الإسلام، وقادات التصوف الإسلامي الذين امتحنوا في سبيل الله؛ قال: «ولو ذكر الإنسان ما وقع للأنبياء والصحابة، والخلفاء والملوك على اختلاف طبقاتهم، والأدباء على اختلافهم، والمشايخ على اختلافهم؛ لما وسع ذلك مجلدان أو أكثر، ومع

---

(١) هذه الجملة منسوبة إلى الإمام الغزالي رحمه الله، وللمؤلف ـ رضي الله عنه ـ شرح عليها ضمنه في كتابه «خبيئة الكون»، المطبوع على الحجر.

(٢) حديث رقم **٤٤٥٢** رواه البخاري في صحيحه كتاب: تفسير القرآن.

(٣) حديث رقم: **١٨٣٢**، رواه البخاري في صحيحه.

هذا كله؛ فمقادر أهل المجد محفوظة، على منصة التبجيل بأعين الاحترام ملحوظة، وعند الممات تظهر التركات».

وقال في أخرى كتبها من مراكُش أيضاً: «وكم قاسى مولانا رسول الله في بداية البعثة من الشدائد، حتى اضطره الحال إلى أن اختفى ﷺ ثلاث سنين في دار الأرقم ابن أبي الأرقم، إلى أن أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكان ذلك من أسباب الفتح؛ لحِكَم اقتضتها المشيئة الإلهية. وكذلك سير الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ للحبشة، فراراً من إذاية أهل مكة لهم، ومعهم بنته ﷺ: أم كلثوم».

«وكم أوذي ﷺ في الله حتى قال: «**ما أوذي أحد بمثل ما أوذيت**»[1]. وسلاه الحق آلافاً من المرات في القرآن الكريم؛ حتى لا يتنغص بمكائدهم، ولا يكترث بخدعهم، فإن الباطل له جولة، ثم يضمحل، والحق له صولة، ظهر أو خفي».

«ومن جملة أسباب ذكر القصص في القرآن، والتفنن في تعدادها المرة بعد المرة، وذكرها على أساليب مختلفة في سورة واحدة: تسليته ﷺ، وتطمين قلبه المكرم. قال الله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ﴾ - يا محمد -﴿إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾. [الأنعام: ٣٣]، ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾. [الأنعام: ٣٤]. أي: ما تجرعوه من الغُصص في مكابدة الخلق في جانب الله؛ فلتكن أنت كذلك!».

«على أن هذا من جملة الإرث الذي ينبغي للعلماء أن يرثوه من الأنبياء في حديث: «**العلماء ورثة الأنبياء**»[2]، فإذا بهم إذا سمعوا من أوذي في جانب الله بسبب تعاونه مع إخوانه على البر والتقوى؛ يجعلون ذلك من

---

(١) حديث رقم ٢٣٩٦، رواه الترمذي في سننه، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع.

(٢) حديث رقم ٢٦٠٦، رواه الترمذي في سننه كتاب: العلم.

أسباب الطعن فيه، والتوصل للتمضمض بعرضه، ولا يعدونها من مناقبه؛ حيث ظهر فيه نعت من نعوت أصفياء الله من خلقه، وهو من عدم إنصاف من لم يعرف هذا الملحظ، ومن عرفه ولم يفهمه للخلق فقد غلط العامة وغالط نفسه، وخاطر بنفسه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾. [آل عمران: ١٨٧]. وغير خفي أن الدين: إيمان وإسلام وإحسان. وغير خفي أن الإحسان ما تظاهر به إلا العارفون رضي الله عنهم، وهو ملزوم؛ يلزمه: الإيمان والإسلام، كما أن المتكلمين قاموا بوظائف الإيمان، وأهل الفقه قاموا بشعائر الإسلام، والإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[١]. وبالجملة؛ فاثبتوا في باب الله».

وقال في رسالة بعث بها من تادلة إلى والده ـ قدس سره ـ سنة ١٣١٥: «أنا أحب أن أكون ممن أوذي في ذات الله؛ فإني أعشق مقام خُبَيْب[٢] رضي الله عنه، ومقام سعيد بن جُبَيْر[٣]، المذكور في آخر «القول الشافي»»[٤].

دعوته لتعليم المرأة:

قال في بعض رسائله: «ومن حقوق الزوجة على الزوج: أن يعلمها

---

(١) حديث رقم ٤٨، رواه البخاري في صحيحه كتاب: الإيمان.

(٢) خبيب بن عدي الأنصاري، صحابي جليل شهد بدراً، وكان أسيراً عند بني الحارث بن عامر بن نوفل، لأنه قتل أباهم الحارث، فلما خرجوا به ليقتلوه قال: دعوني أصلي ركعتين، فكان أول من صلى ركعتين عند القتل؛ وهو القائل:

فلست أبالي حين أقتل مسلماً ... على أي جنب كان في الله مصرعي

توفي خبيب سنة ثلاث للهجرة، انظر «الاستيعاب» لابن عبدالبر ٢/٤٤٠ تحقيق علي محمد البجاوي.

(٣) سعيد بن جبير: من أعلم التابعين، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٩٥هـ، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: قتل الحجاج سعيداً وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه، انظر طبقات ابن سعد ٦/١٧٨.

(٤) «القول الشافي والبيان الكافي في أن فاعل القبض في الفريضة غير جافي»، وتوجد نسخة منه في خزانة حفدة المؤلف.

أحكام الحيض، وأوقاته، وزيادته ونقصانه، وأحكام الاستحاضة، وعلم أوقات الإظهار، وليغنها بذلك عن سؤال غيره والظهور للرجال».

«وكان ينبغي أن يجعل الولاة للنساء فقهاء أولياء، يؤَمَّنون على النفوس والأعراض والعورات، ويقومون بتعليم النسوة. فالمرأة لا تحضر مجالس التعليم والتأديب، والولاة لا يلتفتون لذلك، والزوج لا يعتني بما يصلح.. فمن يعلمها؟. ولذلك ورد: «لا يلقى اللهَ عبدٌ بذنب أعظم من جهالة أهله»[1].

في الخبر المشهور: «**كفى بالمرء إثما أن يُضيع من يعول**»[2]، ويقال: أول من يتعلق بالرجل يوم القيامة: زوجته ووُلْده، فيوقفونه بين يدي الله عز وجل؛ فيقولون: يا ربنا؛ خذ حقنا من هذا؛ فإنه ما علمنا ما نجهل، وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم به. فيقتص لهم منه. وفي خبر: «**إن العبد ليوقف للميزان وله من الحسنات أمثال الجبال، فيسأل عن رعاية عياله، والقيام بهن، وعن ماله: من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟. حتى تستفرغ تلك المطالبات جميع أعماله، فلا تبقى له حسنة، فتنادي الملائكة عليهم السلام: هذا الذي أكل عياله حسناته في الدنيا، وارتهن اليوم بأعماله**[3]»... إلخ.

نهيه عن الكلام في الحقائق وغوامض العلوم ومتشابه التوحيد:

قال في رسالة لأهل الرباط: «وإياكم والكلام في الحقائق وغوامض العلوم، ومتشابه التوحيد، وما يشوش الأفكار، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا

(١) قال الشوكاني في «الفوائد المجموعة»: ٣٩٤/١: قال في المختصر: «لا أصل له»، قلت: أي: لا أصل له من حديث النبي ﷺ، ولعله من كلام بعض السلف. انظر المصدر وهو من تحقيق العلامة عبدالرحمن يحيى المعلمي، ط ٣.

(٢) حديث رقم ١٤٤٢، رواه أبو داود في سننه كتاب «الزكاة».

(٣) حديث رقم ٤٢٣٥، رواه ابن ماجه في سننه كتاب: الزهد.

ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾. [آل عمران: ٧]».

«ولو كان لطرق القوم محتسب يدقق أعمالهم؛ لمنعهم من إنشاد الشعر الذي فيه الحقائق. بل إن كانوا في المجالس العامة؛ فحسبهم الأمداح النبوية: «البغدادية»[١]، و«الهمزية»، و«البردة»، وإن كانوا في حِلَق الذكر؛ فالشعر المشتمل على العشق ومحبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ، والشعر المشتمل على التوحيد، والشعر المشتمل على مراتب الفناء، وشرائط الطريق مما ينحو منحى المعاني المطاقة، المرققة للقلوب، الآخذة لها، والجاذبة لها من الاستغراق في الحس والأغيار[٢]).

«وقد أوقف سبحانه أبا سعيد الخَرَّاز[٣] رضي الله عنه وهو: من رجال «الرسالة القُشَيرية»[٤] فقال له: أما تستحي مني؛ تشبهني بليلى، وزينب، والكأس، وكذا وكذا؟، فاعتذر أبو سعيد الخراز؛ فقال له سبحانه: لولا أني أعلم الصدق من قلبك؛ لقطعت الوُصلة التي بيني وبينك!».

«فليحذر الإخوان من إنشاد أشعار الحقيقة الطامة؛ فإنها توهم التشبيه والتجسيم. وما كَفَرت اليهود ـ لعنهم الله وخذلهم ـ إلا بحملهم النصوص على ظواهرها؛ فكفروا. قال تعالى: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾. [آل عمران: ٧٩]. قال

---

(١) «البغدادية» نسبة للبغدادي، وهو محمد بن أبي بكر بن رشيد البغدادي، أصله من قصر كتامة وتسمى قصائده بـ: «الوترية في مدح خير البرية»، ولكثرة ما جاء فيها من المواعظ والنصح سمي صاحبها بالواعظ البغدادي. توفي ابن رشيد سنة ٦٦٣هـ «كشف الظنون» ٢/٢٠٠. وانظر ترجمته في «الذيل والتكملة» ٨: ٢٧٤.

(٢) الأغيار: السوى: كل ما سوى الله تعالى.

(٣) أبو سعيد الخراز: أحمد بن عيسى، بغدادي الأصل، قيل إنه أول من تكلم في علم البقاء والفناء، توفي سنة ٢٧٧هـ «الرسالة القشيرية»: ٤٠٩.

(٤) «الرسالة القشيرية» في علم التصوف للعلامة العارف بالله أبي القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري النيسابوري، المتوفى بنيسابور سنة ٤٦٥هـ، والرسالة ألفها القشيري سنة ٤٣٨هـ، ووجهها إلى الذين عادوا التصوف، فهي تعطينا صورة كاملة عن التصوف ورجاله منذ ظهوره حتى عصر المؤلف، وتضم مدخلاً وأربعاً وخمسين باباً، وأربعة فصول، (انظر المصدر نفسه، تحقيق معروف مصطفى زريق).

الإمام البخاري: هم الذين يربون الناس بصغار المسائل قبل كبارها...». إلخ.

تنويهه ببقي ابن مَخْلَد والألوسي والشَوكاني:

قال الشيخ عبدالسلام بن المعطي العمراني ـ رحمه الله ـ في «اللؤلؤة الفاشية في الرحلة الحجازية»[١] ـ أثناء حديثه عن إقامة المترجم بطنجة في شهر جمادى الأولى سنة ١٣٢١ في طريقه للحجاز ـ ما لفظه: «سمعته ـ رضي الله عنه ـ يذكر بعض العلماء الماضين، وقال: تبارك الله على سيدنا محمد ﷺ وأمته؛ تقدم فيها أناس لولا أن النبوة ختمت به؛ لادُعِيَتْ فيهم النبوة!. فذكر منهم: بقى بن مخلد[٢]، وأثنى عليه الثناء الجميل، وقال: إنه ألف ستمائة مجلد».

وقال المترجَم في جزء ألفه في سن رفع اليدين في الصلاة في المواطن الثلاثة[٣]: «وقد ورد علينا تفسير من قِبَل بغداد؛ اسمه: «روح المعاني»، واسم مؤلفه: محمود الألوسي البغدادي[٤]، في تسعة أجزاء. ما ساعدني القلم والإملاء الروحي إلا أن أسميه: عالم المشرقين والمغربين، لا المغرب ولا المشرق، ولا المشرقين، ولا المغربين، ولو شئت أن أقول: عالم المشارق والمغارب لصدقني من مارسه وخالطه وكانت له ممارسة كبيرة قبل بمجموع التفاسير الموجودة والخفية، فهناك ربما يشهد بمثل ما شهدت.

---

(١) هي رحلة حجازية في ٢٩ ورقة من الحجم الكبير، لا زالت مخطوطة في خزانة حفدة المؤلف.

(٢) بقي بن مخلد بن يزيد الأندلسي القرطبي، حافظ مفسر، توفي سنة ٢٨٦هـ، له تفسير قال عنه ابن بشكوال في «الصلة»: لم يؤلف مثله في الإسلام. المصدر: ق ١١٨/١.

(٣) توجد نسخة مصورة بخط يد الشيخ محمد الكتاني عند حفدة المؤلف.

(٤) محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي: مفسر ومحدث من أهل بغداد، كان سلفي الاعتقاد، صوفي المشرب، له عدة مؤلفات من أشهرها «روح المعاني في التفسير»، اتسم باعتناء مؤلفه بالتفسير الإشاري، وهو في تسع مجلدات، توفي ببغداد سنة ١٢٧٠هـ، انظر «الأعلام» ١٧٦/٧.

وإن وقعت له غفلات؛ فسبحان من لا يغفل، ولو ادعى الاجتهاد لما نازعته فيه!».

«وكذا شرح «منتقى الأخبار» لابن تيمية، للحافظ المتقن المتبحر محمد بن علي الشوكاني الصنعاني اليمني، سماه: «نيل الأوطار»[1]، لو ادعاه؛ لسُلم له أيضا، كما يُعلم بمراجعته، مع يد بيضاء في العلوم، وذهن وقاد، وقلب يقظان، وهمة عُليا. وهذان الإمامان الجليلان مما يضِن وجودهما آخر الزمان. والألوسي الألوسي؛ فلله النوع الإنساني حيث كان هو منه، ولله التدبير الإلهي حيث استخلف سيدنا آدم في الأرض حتى استخرج من ظهره أمثاله، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾. [الكهف: ٤٥]».

وهو كلام ينبئ عن المكانة السامية التي يحتلها في قلبه هؤلاء الأعلام وأشباههم من أئمة الإسلام؛ الذين كان لهم علم جم، واطلاع نادر، وقدرة على الاجتهاد وأخذ الأحكام من كتاب الله وسنة رسوله، وكانوا يعلنونها حربا شعواء على التعصب المذهبي.

نماذج من حكمه:

قال في حكمه القدسية[2]:

- نعم العبد أنت لو أنك لا تخرج عن قانون العلم.
- نعم العبد أنت لو صاحبت الحركات والسكنات بالورع الكلي.
- نعم العبد أنت لو قمت في الأوقات بالآداب.
- نعم العبد أنت لو وفيت كل موطن وما يقتضيه.
- نعم العبد أنت لو خرجت عن اللطيف والكثيف، وكنت مع الله بلا حال.

---

(١) «نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار»، يقع في ثمان مجلدات، لمحمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشَوكاني الفقيه المجتهد، من كبار علماء اليمن، له ١١٤ مؤلفاً، توفي بصنعاء، وكان قاضياً بها سنة ١٢٥٠هـ، «الأعلام» ٢٩٨/٦.

(٢) طبعت بفاس سنة ١٣٢١.

- نعم العبد أنت لو دامت لك وحدة الشهود.
- نعم العبد أنت لو راعيت أوائل الأوقات.
- نعم العبد أنت لو لم تشتغل اليوم بما تلوم نفسك عليه غدا.
- نعم العبد أنت لو كنت لا تتعبد إلا بالسُنة صرفا.
- نعم العبد أنت لولا عدم صدقك مع الله في التكليف.
- نعم العبد أنت لو أنك لا تخرج عن السنن الأصلية والشرع النبوي.
- نعم العبد أنت لو اقتفيت أثر نبيك في المنشط والمكره.
- نعم العبد أنت لو علمت ما رُشِّحت له.
- نعم العبد أنت لولا أنك نفور عنه.
- أوحى الله سبحانه إلى بعض أنبيائه عليهم السلام: «لو يعلم المدبرون عني اشتياقي إليهم؛ لتقطعت أوصالهم شوقا إلي. هذا في المدبرين عني؛ فكيف حبي للمقبلين علي؟!».
- نعم العبد أنت لو أتبعت السيئات الحسنات.

أركان طريقته:

قال في إجازته المطبوعة[1]: «إن لطائفتنا الكتانية المحمدية الأحمدية أركانا أربعة:

«الركن الأول: التوبة مما جنته يداك من حين التكليف إلى وقتك الذي أنت فيه. والتوبة تجُب ما قبلها، وهي: الندم والإقلاع. وفي الحديث الكريم: «**الندم توبة**»[2]، «**ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة**»[3]، وقد كان سيد أهل الأرض يدمن الاستغفار دائما، ولا يظن ظان

---

(١) طبعت سنة ١٣١٢هـ، وطبعت كذلك ضمن «النفائس الكتانية»، الرسالة رقم: ٧، المصدر: ١٩٥.

(٢) حديث رقم ٢٥٠٧٧، رواه أحمد في مسنده باقي مسند الأنصار.

(٣) رواه الترمذي (٣٥٥٤)، وأبو داود (١٥١٤) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقال الترمذي: حديث غريب إنما نعرفه من حديث أبي نصيرة وليس إسناده بالقوي.

أنه ﷺ كان يستغفر من مقام حل فيه نبي مرسل أو ملك مقرب؛ فإن بدايته ﷺ لم تشارك شيئا مع نهاية غيره، فيُنْظَر من أي شيء كان يستغفر؟. مع مراعاة الإجلال والإعظام والإكبار لقدره العلي ﷺ، وأعمال الأرواح الطاهرة والقوى النورانية في معنى ذلك، ولا يقف الإنسان مع ما يقوله من لم يُرزَق تعظيمه ﷺ، فإن طريقتنا مبنية على الاستغراق فيه ﷺ».

«الركن الثاني: تصحيح مقام التقوى؛ وهي: امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، ظاهرا وباطنا. وهي مراتب: أدناها اتقاء الشرك، وأوسطها: حفظ الجوارح ظاهرا وباطنا، وأعلاها: اتقاء خطور سوى الحق سبحانه على القلب؛ وهي: الخِصِّيصة التي لا يؤتاها كل أحد. وهؤلاء قال قائلهم:

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري سهوا قضيت بردتي[1]

ومن أكثر من قرع الباب على يد الأكابر أهل الكلمة المسموعة، والشفاعة التي لا ترد في حضرة الله؛ يوشك أن يُفتَح له».

«الركن الثالث: التماس المعاذير لسائر عباد الله، على اختلاف مراتبهم واتساع مجال آرائهم، وتباين مذاهبهم. فمن لم يسلم عليك ـ مثلا ـ أو سلمت عليه فلم يرد عليك؛ تعتذر أنت عنه بأنه لم يسمعك، أو كان مشغول البال. وقس واستعن على هذا بدوام استحضار أن الحق تعالى هو الآخذ بالنواصي، ولا فاعل سواه: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. [هود: ٥٦]. فتأمل؛ فإنه إذا كان الحق في نفسه على الصراط المستقيم، وهو مع ذلك آخذ بالنواصي؛ فما ثم بهذا الاعتبار إلا الصراط المستقيم!. ولا تزد على الإنكار على المنحرف بلسان الشرع، ومن كان هكذا؛ أنكر وهو أب شفيق رحيم».

«الركن الرابع: نظرة التعظيم في سائر الموجودات. فإن أرباب البصائر يشهدون أن لكل نَسْمَة وِجهة ونسبة خاصة تستحق تلك أن تُعَظَّم من أجلها.

---

(١) البيت لابن الفارض...، والمراد بالردة هنا: الرجوع لبداية غفلاته، لا الردة الشرعية. كما في «خبيئة الكون» للمترجم. (المؤلف).

وتَفَهَّم سر قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾. [النور: ٣٥]. وهذا بساط طويل الذيل، وقد أومأتُ إلى المقصود».

هذه مواد هامة من القانون الإسلامي الذي وضعه المترجَم لإخوانه المسلمين وتلامذته المؤمنين، ليعملوا على تنفيذه بعزائم فولاذية، وضمائر حية. وفعلا؛ نفذ في حياة المترجم، وحياة والده الإمام قُدس سرهما رَغْما عن المعارضة التي لقيها من الجامدين والجاهلين. وهو - ولا شك - قانون يستحق العناية والتقدير، والتنفيذ والتطبيق من كل العاملين المخلصين، الهادين المهديين، الذين يريدون أن يسيروا بأمتهم في طريق العزة الإسلامية وظل الشريعة المحمدية.





الوصل الرابع
في جملة من أوراده

قبل أن أذكر جملة من أوراده و أذكاره التي كان يلقنها لتلامذته ومحبيه، أورد كلاما نفيسا للإمام ابن قيم الجوزية[1] رحمه الله، في موضوع الذكر، نقلا من كتابه النفيس «مدارج السالكين شرح منازل السائرين»؛ ونصه[2]:

«ومن منازل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. [الفاتحة: ٥]: منزلة الذكر، وهي: منزلة القوم الكبرى التي منها يتزودون وفيها يتجرون، وإليها دائما يترددون، والذكر: منشور الولاية؛ الذي من أعطيه اتصل، ومن مُنعه عزل. وهو قوت قلوب القوم التي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورا. وعمارة ديارهم؛ فمتى تعطلت عنه صارت بورا. وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الحريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب».

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ... فنترك الذكر أحيانا فننتكس

(١) ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر الدمشقي؛ المتوفى سنة ٧٥١هـ، وكتابه «مدارج السالكين» شرح فيه كتاب «منازل السائرين» للإمام الهروي وقد سبقت الإشارة إليه. كشف الظنون ٢/٦٦٦.

(٢) المصدر: ٢/٣٩٥ ـ ط٤ تحقيق محمد المعتصم بالله.

«به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات. إذا أظلهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم؛ فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون. يدع القلب الحزين ضاحكا مسرورا، ويوصل الذكر إلى المذكور، بل يدع الذاكر مذكورا. وعلى كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة، والذكر عبودية القلب واللسان؛ وهي غير مؤقتة، بل هم يأمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال ﴿قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾. [آل عمران: ١٩١]. فكما أن الجنة قيعان[١] وهو غِراسها، فكذلك القلوب تكون بوارا خرابا وهو عمارتها وأساسها».

«وهو جلاء القلوب وصقالها ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلما زاد الذاكر في ذكره استغراقا؛ ازداد المذكور محبة، وإلى لقائه اشتياقا. وإذا واطأ في ذكره قلبه للسانه؛ نسي في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضا من كل شيء. به يزول الوقر عن الأسماع، والبكم عن الألسن، وتنقشع الظلمة عن الأبصار. زين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين. فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء، وهو باب الله الأعظم، المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته».

«قال الحسن البصري[٢] رحمه الله: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، والذكر، وقراءة القرآن. فإن وجدتم، وإلا؛ فاعلموا أن الباب مغلق».

«وبالذكر يصرع العبد الشيطان كما يصرع الشيطان أهل الغفلة

---

(١) قيعان: جمع قاع: أرض واسعة سهلة مطمئنة، مستوية؛ لا حزونة فيها ولا ارتفاع ولا انهباط.

(٢) الحسن بن يسار البصري: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وهو أحد العلماء الفقهاء الشجعان النساك، توفي بالبصرة سنة ١١٠هـ، قال عنه الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء وأقربهم هدياً من الصحابة. «الأعلام» للزركلي ٢/٢٢٦.

والنسيان. قال بعض السلف: إذا تمكن الذكر من القلب؛ فإن دنا منه الشيطان صُرع كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فيجتمع عليه الشياطين فيقولون: ما لهذا ؟!. فيُقال :مسه الإنسي. وهو روح الأعمال الصالحة، فإذا خلا العمل عن الذكر؛ كان كالجسد الذي لا روح فيه. . .والله أعلم».

ثم زاد ابن القيم[1] يقول: «وهو في القرآن على عشرة أوجه: الأول: الأمر به مطلقا ومقيدا. الثاني: النهي عن ضده من الغفلة والنسيان. الثالث: تعليق الفلاح باستدامته وكثرته. الرابع: الثناء على أهله والإخبار بما أعد لهم من الجنة والمغفرة. الخامس: الإخبار عن خسران من لها عنه بغيره. السادس: أنه سبحانه جعل ذكره لهم جزاء لذكرهم له. السابع :الإخبار أنه أكبر من كل شيء. الثامن: أنه جعله خاتمة الأعمال الصالحة كما كان مفتاحها. التاسع: الإخبار عن أهله في أنهم أهل الانتفاع بآياته وأنهم أولو الألباب دون غيرهم. العاشر: أنه جعله قرين الأعمال الصالحة وروحها، فمتى عدمته كانت كالجسد بلا روح».

«أما الأول؛ فكقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾. [الأحزاب : ٤١ ـ ٤٣]. وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾. [الأعراف : ٢٠٥]. وفيه قولان: أحدهما: في سرك وقلبك. والثاني: بلسانك بحيث تسمع نفسك».

«وأما النهي عن ضده؛ فكقوله: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾. [الأعراف : ٢٠٥]، ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾. [الحشر : ١٩]».

«وأما تعليق الفلاح بالإكثار منه؛ فكقوله: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. [الجمعة : ١٠]. وأما الثناء على أهله، وحسن جزائهم؛ فكقوله :

---

(١) المصدر: ٣٩٧/٢.

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ - إلى قوله -﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾. [الأحزاب: ٣٥]. وأما خسران من لها عنه؛ فكقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]. وأما جعل ذكره لهم جزاء لذكرهم؛ فكقوله: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾. [البقرة: ١٥٢]».

«وأما الإخبار عنه بأنه أكبر من كل شيء؛ فكقوله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾. [العنكبوت: ١٤٥]. وفيها أربعة أقوال؛

أحدها: أن ذكر الله أكبر من كل شيء؛ فهو أفضل الطاعات؛ لأن المقصود بالطاعات كلها: إقامة ذكره، فهو سر الطاعات وروحها.

الثاني: إن المعنى: أنكم إذا ذكرتموه؛ ذكركم؛ فكان ذكره لكم أكبر من ذكركم له. فعلى هذا: المصدر مضاف إلى الفاعل، وعلى الأول: مضاف إلى المذكور.

الثالث: أن المعنى: ولذكر الله أكبر من أن يبقى معه فاحشة ومنكر، بل إذا تم الذكر؛ محق كل خطيئة ومعصية. هذا ما ذكره المفسرون».

«وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يقول: معنى الآية: إن في الصلاة فائدتين عظيمتين؛ إحداهما: نهيها عن الفحشاء والمنكر. والثانية: اشتمالها على ذكر الله وتضمنها له. ولما تضمنته من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر. وأما ختم الأعمال الصالحة به؛ فكما ختم به عمل الصيام بقوله: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾. [البقرة: ١٨٥]، وختم به الحج بقوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ﴾. [البقرة: ٢٠]. وختم به الصلاة؛ كقوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ﴾. [النساء: ١٠٣]، وختم به الجمعة؛ كقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾. [الجمعة: ١٠]،

ولهذا كان خاتمة الحياة الدنيا، وإذا كان آخر كلام العبد؛ أدخله الله الجنة».

«وأما اختصاص الذاكرين بالانتفاع بآياته؛ وهم: أولو الألباب والعقول. فكقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾. [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]».

«وأما مصاحبته لجميع الأعمال، واقترانه بها، وأنه روحها؛ فإنه ـ سبحانه ـ قرنه بالصلاة؛ كقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾. [طه: ١٤]. وقرنه بالصيام وبالحج ومناسكه، بل هو روح الحج ولبه ومقصوده، كما قال النبي ﷺ: «**إنما جُعل الطواف بالبيت والسعيُ بين الصفا والمروة، ورميُ الجمار؛ لإقامة ذكر الله**»(١). وقرنه بالجهاد وأمر بذكره عند ملاقاة الأقران ومكافحة الأعداء، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾. [الأنفال: ٤٥]».

«وفي أثر إلهي: يقول الله تعالى: «**إن عبدي كلَّ عبدي: الذي يذكرني وهو ملاق قرنه**»(٢) سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ يستشهد به، وسمعته يقول: المحبون يفتخرون بذكر من يحبونه في هذه الحال؛ كما قال عنترة:

ولقد ذكرتك والرماح كأنها   أشطان بئر في لبان الأدهم(٣)

---

(١) حديث رقم ١٦١٢، رواه أبو داود في سننه، كتاب المناسك.

(٢) حديث رقم ٣٥٠٤، رواه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات.

(٣) البيت ٧٢ من معلقة عنترة بن شداد العَبْسي، أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى، عاش طويلاً ومات مقتولاً حوالي سنة ٢٢ ق.هـ. وقد ورد البيت في معلقته برواية أخرى:

يدعون عنترة والرماح كأنها   أشطان بئر في لبان الأدهم

* أشطان: حبال، لبان الأدهم: صدر حصانه الأدهم. (انظر شرح المعلقات السبع للزوزني)

وقال الآخر:

ذكرتك والخطي يخطر بيننا   وقد نَهَلَت منا المثقفة السُمر[1]

وقال الآخر:

ولقد ذكرتك والرماح شواجر   نحوي وبيض الهند تقطر من دمي[2]

«وهذا كثير في أشعارهم، وهو مما يدل على قوة المحبة؛ فإن ذكر المحبوب محبه في تلك الحالات التي لا يهم المرء فيها غير نفسه، يدل على أنه عنده بمنزلة نفسه أو أعز منها، وهذا دليل على صدق المحبة والله أعلم»[3].



(١) البيت لأبي عطاء السندي (أفلح بن يسار) شاعر فحل نشأ بالكوفة وكان معاصراً للدولتين الأموية والعباسية وتشيع للأموية وهجا بني هاشم توفي بعد سنة ١٨٠هـ. انظر فوات الوفيات ١/٧٣.

(٢) البيت من معلقة عنترة السالفة الذكر، انظر شرح المعلقات السبع للزوزني.

(٣) «مدارج السالكين» : ٢/٤٠٠.



وفيما يلي جملة من أوراده وأذكاره:

ورد السحر

يستيقظ المريد الكتاني في الثلث الأخير من الليل، ويتوضأ ويصلي إحدى عشرة ركعة، ثم يتوجه إلى الله بخشوع وأدب قائلا[1]:

أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم. (١ مرة).

أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه. (٢٥ مرة).

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [سورة الفاتحة]. (٧ مرات).

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾. [سورة الناس]. (٧ مرات).

---

(١) الأرقام التي بجانب كل لفظ ورد تعني عدد المرات التي يجب فيها على المريد قراءته. وقد أضفنا للرقم لفظ: مرة، أو مرات. للتمييز.

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ④ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤﴾. [سورة الفلق]. (٧ مرات).

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ① ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ④﴾. [سورة الإخلاص]. (٧ مرات).

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ① لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ③ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ④ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ⑤ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ⑥﴾. [سورة الكافرون]. (٧ مرات).

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾. [البقرة: ٢٥٥]. (٧ مرات).

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. (٧ مرات).

اللهم صلِّ على سيدنا ومولانا أحمد، سر الذات، ولوح التَشَكُّلات، وآله وصحبه وسلم. (٧ مرات).

اللهم اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك مجيب الدعوات. (٧ مرلت).

اللهم افعل بي وبهم، عاجلاً وآجلاً في الدين والدنيا والآخرة من المعرفة ما أنت له أهل، إنك غفور حليم، جواد كريم، رؤوف رحيم. (٧ مرات).

﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٠ ـ ١٨٢]. (١ مرة).

اللهم صل على سيدنا ومولانا أحمد، الذي جعلت اسمَهُ متحدا باسمك ونعتِك، وصورةَ هيكله الجِسْماني على صورة أُنموذَج حقيقةِ خلق الله سيدنا آدم على صورته، وفجرت عنصر موضوع مادة محموله من أَنِيَةِ أنا الله. (١ مرة)[١].

الله. (٣٠٠ مرة).

بل حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده، وآله وصحبه وسلم. (١ مرة).

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ (١ مرة).

يا ربنا بمَظْهَرِ الشهود[٢] ... ومصدر الفيض على الوجود

وعنصر الفضل ومادة الرسل ... وسدرة السير لمنتهى الوصول

ابسط علينا من أيادي الامتنان ... مايثلج الصدر له مدى الزمان

وافتح علينا من فيوض المدد ... لجج بحر ما لها من عدد

واشرح صدورا بالتجلي والكشوف ... واغسل ظغائننا أليمها مخوف

واسبل علينا الستر والأمانا ... فرح قلوبا وأزح أحزانا

واستعمل الأشباح في الطاعات ... كذا الأرواح للمشاهدات

وجرد النفس من الكثافة ... وحلها بحلل اللطافة

وجرد العقل من العقال ... وتوج السر بتاج الكمال

وهذبن بفضلك الأخلاقا ... ويسرن بجودك الأرزاقا

وعلمن منك العلم المكنون ... وعُمنا من فيض سرك المصون

واحفظ علينا السمع من آفات ... والشم والذوق من العاهات

(١) وهي الصلاة المعروفة بالأُنموذجية.

(٢) هذا الرجَز من إنشاء المترجَم، وهو المعروف عند الإخوة الكتانيين بالتوسل الكبير (المؤلف).

كذا اليدان وكذا الرجلان والأصغران وكذا العينان
واستعملنها في رضاك يا ودود وحببن إليها كثرة السجود
واحفظها يا رب من الشيطان ومدها من مدد الرحمن
بحق قيوم السماوات ومن له الشؤون كل يوم تظهرن
وحق من إليه تلجأ الورى عند الشدائد فتنحل العرى
مُن علينا بحلاوة الإيمان والانخراط في بساط الإحسان
نحن ووالدينا والأهلونا كذا الأُصَيْحاب أنل فنونا
كذا بنونا ما بقوا منعمين في الدين والدنيا مع المستيقنين
واحفظ عليهم دينهم واكلاهم من الشياطين فلا تفتنهم
عما أمرتهم به أعيذهم بكلماتك التي تنجدهم
واغننا يا غني يا وهاب حي كريم رؤوف تواب
واشفنا يا شافي فقد عم الحرج اشتدي أزمة وعجل بالفرج[1]
واكفنا ياكافي إذا دُهِمنا بضَغَطات الدهر لا ذهلنا
واكشف خطوب الدهر يا قوي حي قيوم عظيم ولي
واسبل علينا الستر يا قيوم في كل لحظة لنا يدوم
وزج بي في لجة المشاهدة ولا تثبطني عن المجاهدة
لكي أكون شاربا بالكاسين ومعطيا شعائرا بالعلمين
يا ربنا يا ربنا يا ربنا يا ربنا يا ربنا يا ربنا
وطهر العقول من شكوك واحفظ أوامري من التروك
مهيمن قدوس يا رحمن عطوف يا حنان يا منان
سلم جموعنا من التكسير أدم كمالنا بلا تغيير

---

(١) إشارة إلى قول أبي الفضل النحْوي التوُزَري التلمساني (٤٣٣ - ٥١٣) في المنفرجة:
اشتدي أزمة تنفرجي قد آذن ليلك بالبلج
(انظر «عنوان الدراية» للغبريني /٣٢٦).

واجمع قلوبنا عليك يا قريب ... في كل وقت يا كريم يا مجيب
واكفنا شر الحسود الغشوم ... مع المعاند الغبي الظلوم
بما تشاء يا مذل يا وكيل ... خيب فُخوخ الكافرين يا جليل
واكسف عقولهم واركس مسعاهم ... امحل خلجانهم وخصب مرعاهم
واعقم تدابيرا لهم والمصائد ... أوقعها بهم بجب الأخاديد
أذقهم اللهم بؤس المُشئمات ... وقد خلت من قبلهم المَثُلات
واجعل آراءهم لها تناكسْ ... في الجزئيات وكذا النوامس
وخذهمُ أخذ عزيز مقتدر ... بالبطشة الكبرى بأمر قد قُدِر
ورد كيدهم بهم يا قهار ... اقهر عدوى وانتقم يا جبار
وشتت الجموع منهم يا قدير ... واذهب بنورهم يا حق يا بصير
وعُمهم منك بجند الرَهَبُوت ... واشمل إيماننا بجند الرَغَبُوت
واحفظ علينا بيضة الإسلام ... وزدها ريشا بتآخي الأنام
أيد عقولنا بروح القُدُسِ ... ومدنا بدون حصر الأكؤس[1]
وخيب القُصود والأماني ... منهم على الفور بلا تواني
أدِرْ علينا من دروع وزرود ... ومن حصون الحفظ جودا يا ودود
بحق سر باء بسم الله ... والذات والصفات يا إلٰهي
لا تخفرن ذمتنا فيما انتمى ... لنا ولاذ وأنله مَغْنَما
واجعل رحابنا مناهل الوُراد ... حسا ومعنى وملاذا للعباد
هذا الدعاء وعليك التكلان ... أجب دعانا عاجلا يا رحمن
بالمصطفى لَبِنَة التمام ... مشيد الإيمان والإسلام
أزح كروبي واذهبن غمومي ... واكشف شجوني وأمط همومي
بآله وصحبه العظام ... ماحدا حاد بحمى الكرام

❃ ❃ ❃

---

(١) كأس تجمع على: كؤوس وأكوس وكِئاس.

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. [البقرة: ٢٨٦]. (٣ مرات).

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧]. (٣ مرات).

اللهم إني أعوذ بك من جدب البلاء، ودَرْك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء. (١ مرة).

اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضَلَع الدَيْن وغلبة الرجال. (١ مرة).

اللهم اغسل عني خطاياي بماء الثلج والبرَد، ونق قلبي من الخطايا كما يُنَقى الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي، كما باعدت بين المشرق والمغرب. (١ مرة).

اللهم إني أسألك بأنك أنت الله لا إلٰه إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤاً أحد، اغننا بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمن سواك. (١ مرة).

اللهم مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء، وتذل من تشاء، بيدك الخير، إنك على كل شيء قدير. (١ مرة).

رحمن الدنيا والآخرة وراحمهما، أنت تعطيهما من تشاء، وتمنعهما من تشاء، فارحمني رحمة تغنني بها عن رحمة من سواك. (١ مرة).

اللهم فارج الهم، كاشف الغم، مجيب دعوة المضطرين، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، فارحمني رحمة تغنني عن رحمة من سواك. (١ مرة).

اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أَمَتِك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميتَ به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم

الغيب عندك، أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حُزني، وذهاب همي وغمي، بجاه سيدنا ومولانا أحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله.

الله. الله. يا رب. يا رب. يا رب. يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، أسألك باسمك العظيم الأعظم، أن ترزقني رزقا حلالا طيبا مباركا، برحمتك الواسعة يا أرحم الراحمين يا رب العالمين، اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه.

ومن مواهبك استغنيتُ عن عَرَض ... لديك كل الغنى يا كنز كل ولي

❋ ❋ ❋

وقاية الله أغنت عن مضاعفة ... من الدروع وعن عال من الأطم[1]

ما سامني الدهر ضيما واستجرت به ... إلا ونلت جوارا منه لم يضم

ولا التمست غنى الدارين من يده ... إلا استلمت الندى من خير مُسْتَلَم

ومن تكن برسول الله نصرته ... إن تلقه الأُسْدُ في آجمها تجم[2]

من يعتصم بك يا خير الورى شرفا ... فالله حافظه من كل منتقم

❋ ❋ ❋

يا أكرم الخلق على ربه ... ياخير من فيهم به يُسأل[3]

كم مسني الكرب وكم مرة ... فرجت كربا بعضه يذهل

ولن ترى أعجز مني فما ... لشدة أقوى ولا أحمل

فبالذي خصك بين الورى ... برتبة عنها العُلا تنزل

---

(١) الأبيات الثلاثة الأولى هي الأبيات رقم ٧٨، ٧٩، ٨٠ من «البردة» - والأُطُم: الحصون ج أطمة، «المجموعة النهائية» ٤/١٠.

(٢) البيتان ١٣٤ و١٣٥ من «البردة»، نفس المصدر السابق ٤/١٤.

(٣) تنسب هذه الأبيات للشاعر التونسي الورغي (أبو عبدالله محمد بن أحمد) شاعر من أئمة البلاغة، له ديوان شعر مطبوع، كانت وفاته سنة ١١٩٠هـ، انظر «الأعلام» للزركلي ٦/٩٥.

عجل بإذهاب الذي أشتكي ... وقد توقفت بك أسأل
فحيلتي ضاعت وصبري انقضى ... ولست أدري ما الذي أفعل؟
فأنت باب الله أي امرئ ... أتاه من غيرك لا يدخل
صلى عليك الله ما صافحت ... زهر الروابي نسمة شَمْأل

❋ ❋ ❋

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم
ولن يضيق رسول الله جاهك بي ... إذا الكريم تجلى باسم منتقم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم
يا نفسي لا تقنطي من زلة عظمت ... إن الكبائر في الغفران كاللمم
لعل رحمة ربي حين يقسمها ... تأتي على حسب العصيان في القسم
يا رب واجعل رجائي غير منعكس ... لديك واجعل حسابي غير منخرم
والطف بعبدك في الدارين إن له ... صبرا متى تدعه الأهوال ينهزم
مولاي صل وسلم دائما أبدا ... على حبيبك خير الخلق كلهم[1]

وأستغفر اللهم عدد المستغفرين، وما يستغفر به أهل السماوات والأرَضين، استغفارا يفوق ويفضُل كفضل الله على سائر خلقه. (٧ مرات).

اللهم يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادر.(٧ مرات).

اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.(٣ مرات وفي الثالثة يزيد: تسليما).

اللهم إنا نسألك إيمانًا دائما، ونسألك قلبا خاشعا، ونسألك علما نافعا، ونسألك يقينا صادقا، ونسألك دينا قيما، ونسألك العافية من كل بلية، ونسألك تمام العافية، ونسألك دوام العافية، ونسألك الشكر على

---

(١) الأبيات الأخيرة من «البردة»، «المجموعة النبهانية» ١٥/٤.

العافية، ونسألك الغِنى عن الناس، اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.(٣ مرات).

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ (١ مرة).

حسبنا الله ونعم الوكيل. (١ مرة).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ [سورة القدر]. (٣ مرات).

يا ربنا اجعل خير عُمْري آخره ... وكن لنا عند كروب الآخرة
وثبتِ اللسان عند النزْعِ ... بالقول الثابت وِفاقَ الشرع
تولنا عند حلول الرَمَس ... ولا تعاملنا بشر النَفَس
وكن مُؤَنِّسي إذا الأهل ذَهَبْ ... عني وصرت مُوحشا بين التراب
وارحم عظامي حين تبقى نخِره ... من أثَرات حَشيات زاخرة
انا المُسَيْكِنُ أنختُ وزرى ... بأكرم الكرام فارفع قدري
وقابل المسيء بالإحسان ... واستر عُوَيْرات لهذا الجاني
وهب مسيئنا لمن قد أحسن ... شِنْشِنَة تُعرف فيما قد جنى
أنا الكسير قد أنخت رحلتي ... بباب من أرجوه يوم شدة
إنا رجوناك لدفع المعضلات ... في الدين والدنيا ورفع الدرجات (٣ مرات)
يارب إن عذبت كل مصاب ... فلا تعذبني بذل الحجاب[1]

لا إله إلا الله، محمد رسول الله. (١٢ مرة).

---

(١) هذا الرَجَزُ من إنشاء المترجم، وهو المعروف عند الإخوان بـ: «التوسل الصغير» (المؤلف).

الصلاة الأنموذجية (١ مرة).

اللهم صل على من روحه محراب الأرواح والملائكة والكون، اللهم صل على من هو إمام الأنبياء والمرسلين، اللهم صل على من هو إمام أهل الجنة عباد الله المؤمنين وآله وصحبه وسلم. (٣ مرات، وفي الثالثة تزيد: «وعلى»، قبل: آله).

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.

اللهم مغفرتك من ذنوبنا ورحمتك أرجى عندنا من عملنا.(٣ مرات).

سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي العِزة والجبروت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبوح قدوس رب الملائكة والروح، ملء الميزان، ومَبْلغ العلم، ومُنتهى الرضى، ومنتهى الرحمة، وعدد ما خَطه القلم وسبقت به المشيئة.(٣ مرات).

يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا أرحم المساكين، ويا أرحم الراحمين، اللهم إنك تعلم سريرتي وعلانيتي، فاقبل معذرتي، وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي، وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنبي، اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي، ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لا يصيبني إلا ما كتبت لي، ورضني بما قسمت لي.

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾. [الشورى: ١٩]، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾. [الأنعام: ١٠٣]، ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾. [يوسف: ١٠٠]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾. [فاطر: ٦٣]، ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾. [لقمان: ١٦]، ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾. [الأحزاب: ٣٤]، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾. [الملك: ١٤].

اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي، وأزواجه أمهات المؤمنين، وذريته وأهل بيته، كما صليت على سيدنا إبراهيم، وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد. (١ مرة).

﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾. [يس: ٥٨].

اللهم يا لطيفاً بخلقه، يا عليماً بخلقه، يا خبيراً بخلقه؛ الطف بنا. يا لطيف يا عليم يا خبير. (١ مرة).

يا لطيف. (١٠٠ مرة).

الله لطيف بعباده إلى... خبير. (١ مرة).

يا لطيف. (٢٩ مرة).

الله لطيف بعباده إلى... خبير. (١ مرة)[١].

التواب الغافر الحسيب الوكيل الكافي، الرزاق السلام المومن السريع (٢٢ مرة).

ثم الحزب المُطَلْسَمُ الشهير[٢].

ثم صلاة القاسم[٣]. (١٠ مرات).

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.

وينبغي للإخوان أن يفرغوا من ورد السحر مع آذان الصبح.

* * *

---

(١) يعرف هذا اللطيف عند الإخوان باللطيف الصغير، ومن عوائد الطريق قراءته أثناء عيادة المرضى. (المؤلف).

(٢) طبع بفاس عدة مرات وله خصائص هامة (المؤلف).

(٣) سيأتي نصها في «الورد اللزومي». (المؤلف).

ورد الآذان

بعد الإنصات للمؤذن وحكاية أذانه؛ يقرأ الإخوان الورد الآتي :

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. (١ مرة).

اللهم صل على سيدنا ومولانا أحمد الذي جعلت اسمه متحدا باسمك ونعتك. . .إلخ. (١ مرة).

اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة؛ آت سيدنا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم الوسيلة والفضيلة، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته، إنك لا تخلف الميعاد. (١ مرة).

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات، وتقضي لنا بها جميع الحاجات، وتطهرنا بها من جميع السيئات، وترفعنا بها أعلى الدرجات، وتبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات. (١ مرة).

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.

❊ ❊ ❊

ورد هيللة الآذان

بعد الفراغ من ورد الآذان؛ يذكر المؤذن وحده أو مع بعض الإخوان الهيللة بصيغة خاصة ثلاث مرات، أو خمسا، وإثر الفراغ يقرأ الذاكرون والإخوان الحاضرون الورد الآتي :

صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله. (١ مرة).

جزى الله عنا سيدنا ونبينا ومولانا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله ما هو أهله.

رضيت بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبسيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم نبياً ورسولاً. (١ مرة).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. (١ مرة).

﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾. [هـود: ٨٠]. ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾. [غافر: ٤٤]. ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾. [هـود: ٨٨]. ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. [الأنبياء: ٨٧]. ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾. [غافر: ١٩]. ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١]. (١ مرة).

ما شاء الله ولا قوة إلا بالله. (٣ مرات).

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران: ١٩٣، ١٩٤]. (١ مرة).

الحمد لله رب العالمين بجميع محامده كلها، ما علمت منها وما لم أعلم، على جميع نعمه كلها، ما علمت منها وما لم أعلم، عدد خلقه كلهم، ما علمت منهم وما لم أعلم. (١ مرة).

اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك. (١ مرة).

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾. [آل عمران: ٨]. ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾. [الأعراف: ٢٣]. (مرة واحدة).

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.

وإثر الفراغ من هذا الورد - الذي الصبح وغيره فيه سواء - يصلي المؤذن أو غيره من رجال المديح النبوي على النبي ﷺ بالصيغ التالية، وذلك في الصبح خاصة:

الصلاة والسلام عليك يا أكرم الخلق على الله. (١ مرة).

الصلاة والسلام عليك يا طور التجليات الإحسانية. (١ مرة).

الصلاة والسلام عليك يا عروس المملكة الربانية. (١ مرة).

الصلاة والسلام عليك يا روح جسد الكونين. (١ مرة).

الصلاة والسلام عليك يا غوث الثقلين. (١ مرة).

الصلاة والسلام عليك يا مقدم جيش المرسلين. (١ مرة).

الصلاة والسلام على صورتك في الصور، وعلى اسمك في الأسماء، وعلى روحك في الأرواح، وعلى جسدك في الأجساد، وعلى قلبك قلب القلوب، وعلى سرك في الأسرار، وعلى قبرك في القبور، وعلى آلك وأصحابك وعلى جميع الأنبياء والملائكة والمرسلين، وعلى جميع أهل السموات والأرضين الأولين والآخرين، وعلينا معهم ملأ الميزان ومنتهى العلم، ومبلغ الرضى وزنة العرش وعدد كلمات ربنا التامات، ونسألك اللطف فيما جرت به المقادر. (١ مرة).

ثم يقومون لصلاة الفجر.

* * *

ورد الفجر

وبعد الفراغ من سنة الفجر؛ يقرأ الإخوان الورد التالي:

يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت.(٤٠ مرة).

سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم. أستغفر الله.(١٠٠ مرة).

﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾. [الأنبياء: ٨٧]. (١٠٠ مرة).

ثم يقومون لصلاة الصبح.

* * *

ورد صلاة الصبح

بعد الفراغ من أداء فريضة الصبح؛ يقرأون الورد الآتي:

أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه.(٣ مرات).

أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم بديع السموات والأرض وما بينهما، من جميع جرمي وظلمي وإسرافي على نفسي وأتوب إليه.(٣ مرات).

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم، وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.(٣ مرات).

السكوت هنيهة لقراءة الباقيات الصالحات سراً[١].

اللهم أجرنا من النار.(٧ مرات).

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحي ويميت، وهو على كل شيء قدير.(١٠ مرات).

---

(١) يقول الله تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦﴾. [الكهف: ٤٦]، قال ابن كثير في تفسيره لهاته الآية: «سئل أمير المؤمنين عثمان بن عفان عن الباقيات الصالحات؛ ما هي؟، فقال: هي لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». «تفسير ابن كثير» ٣: ٨١.

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ (١٠ مرات).

سبحن الله العظيم وبحمده.(٣ مرات).

بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.(١٠ مرات).

يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طَرْفة عين ولا إلى أحد من خلقك.(٣ مرات).

الصلاة والسلام عليك وعلى آلك يا سيدي يا رسول الله. (١ مرة).

الصلاة والسلام عليك وعلى آلك يا أكرم الخلق على الله. (١ مرة).

الصلاة والسلام عليك وعلى آلك يا سيدي يا حبيب الله. (١ مرة).

ثم الورد اللزومي، فدرس التفسير أو الحديث، فالورد القرآني؛ وهو: حزبان من القرءان الكريم، ثم صلاة الضحى.

❋ ❋ ❋

الورد اللزومي

أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم[1]. (١ مرة).

بسم الله الرحمن الرحيم. (١ مرة).

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) تعوذ نبوي أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه. (المؤلف).

﴿وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾

دَسْتُور[(١)] يا رسول الله، دَسْتُور يا أهل النوبة.

أستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات.[(٢)]. (٢٧ مرة).

اللهم صل على سيدنا ومولانا أحمد، الذي جعلت[(٣)] اسمه متحداً[(٤)] باسمك ونعتِك[(٥)]، ....

---

(١) دَستور كلمة فارسية مُعَرَّبة ولها عدة معان، ومعناها هنا: الاستيذان؛ أي: أطلب الإذن منك يا رسول الله في جميع الطاعات، وخصوصاً في هذا الذكر. قال المترجم في بعض إجازاته: وبهذا تحفظ على الإنسان جوهرة روحانية، وقد أضاع هذا الباب الخلق ولله الأمر من قبل ومن بعد. (المؤلف).

(٢) أخرج الطبراني في «الكبير» من حديث أبي الدرداء - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من استغفر الله للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعا وعشرين، أو خمسا وعشرين مرة، أحد العددين؛ كان من الذين يستجاب لهم، ويرزق بهم أهل الأرض**». (المؤلف)

(٣) جعل لها معان عديدة؛ ذكرها المترجم في كتابه: «لسان الحجة»، ص **١٤٦** و**١٤٧**، ومنها: التصيير؛ أي: وصيرت يا الله إسم حبيبك وصفيك متحداً باسمك. (المؤلف).

(٤) المراد بالاتحاد هنا: الاقتران. قال المترجم في «لسان الحجة» : «إن الاتحاد هنا لم يقصد به إلا ما صرحت به الأحاديث النبوية، واستفاض خبره في جميع كتب الإسلام، من أن الإسم الشريف المحمدي مكتوب مع اسمه سبحانه في جميع أمكنة السموات والجنان، والقصور والغرف، ونحور الحور العين، وورق شجرة طوبى، وورق سدرة المنتهى، وأطراف الحجب، وبين أعين الملائكة عليهم السلام، بل جعل - سبحانه - التعبد بتعظيم ذكره كالتعبد بتعظيم ذكره» إلخ... ونظراً لهذا الارتباط، عبر عن الإسمين الكريمين بالاتحاد، ونحن نرى الخطب والرسائل والآذان والإقامة والتشهد لا يذكر الله فيها إلا وذكر معه إسم الرسول، والقرب الحسي ينبئ عن القرب المعنوي، وما هو بأول مجاز ارتكب في الإسلام.

ويعجبني قول المترجم في «لسان الحجة» : «إن الاتحاد هنا لا يلزم عليه ما ألزم في إطلاق الاتحاد في جانب الحق على ما يفهم من ظواهر كلام بعض أهل الشهود، وإلا؛ فحاشاهم أن يقصدوا ما قُول عليهم، فالاتحاد المذكور للإسم لا يلزم عليه محذور». (المؤلف).

(٥) أي: وجعلت يا الله نعته متحداً بنعتك؛ فقرنت طاعته بطاعتك، وحكمه بحكمك، وبيعته ببيعتك، وعزته بعزتك... كما في القرءان (انظر «لسان الحجة»). (المؤلف).

وصورة هيكله[1] الجِسْماني على[2] صورة أُنموذَج[3] حقيقةِ «خلق الله سيدنا آدم على صورته»[4]، وفجَّرت عُنْصُر موضوع مادة محموله من[5]

---

(١) الهيكل العظيم من كل شيء - كما في «القاموس» - في إحدى إطلاقاته. (المؤلف).

(٢) على بمعنى: في، لأن حروف الجر مشتركة؛ ينوب بعضها عن بعض. (المؤلف).

(٣) الأنموذج: مثال الشيء، أي: صورة تتخذ على مثال صورة الشيء ليعرف منه حاله. كما في «القاموس» مع شرحه. (المؤلف). والمقصود بالشرح: «تاج العروس»، للحافظ مرتضى الزبيدي. (المحققة).

(٤) أخرج البخاري وغيره عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«خلق الله آدم على صورته»**، الحديث، واختلف العلماء في مَعاد الضمير؛ فمنهم من أعاده على سيدنا آدم، والمعنى: أن الله خلق آدم من أول الأمر بشراً سوياً كامل الخلقة، بخلاف غيره، فإن له أطواراً، ومنهم من أعاد الضمير على الله سبحانه، مستدلاً برواية غير البخاري أن صورة وجه الإنسان على صورة الرحمن، ومعلوم مذهب السلف في الموضوع من إقراره كما جاء من غير اعتقاد تشبيه، وإحالة العلم إلى علم الله. ومنهم من قال: إن الإضافة في الحديث تكريم وتشريف، لأن الله خلق آدم على صورة لم يشاركه فيها شيء من الصور في الجمال والكمال. ويعجبني قول الرازي صدر تفسيره: «أي: خلقه على صفته في كونه خليفة في الأرض متصرفاً في جميع الأجسام الأرضية كما أنه تعالى نافذ الأمر في العالم». (المؤلف).

قال المترجَم في «لسان الحجة»: «إن سيدنا آدم مخلوق على الشكل المحمدي، إذ لم ينقل أن من تقدمنا من الأمم السالفة على غير الشكل المحمدي؛ فيؤخذ من هذا: أن ما فعل بسيدنا آدم من المكانات إلى أن أسجد له الملائكة، وعلمه الأسماء كلها، وانسلخت منه الذوات الجسمية؛ فكله في الحقيقة إدماج لجلالة هذه الحقيقة المحمدية المخلوق على صورتها، وشفوف لها على مراتب الأكوان. ولأجل موقع هذه النكتة؛ زاد في الصلاة: حقيقة، وقوله: وصورة هيكله. مفعول لجعلت، أي: جعلت اسمه مقارناً لاسمك، وجعلت صورته في ملكك هي الأصل، وعليها شكلت الصور، وعلى صورتها خلقت الخلائق، وعلى مثال حروف اسمها «محمد» أبرزت الأجسام». (المؤلف)، انظر المصدر ص ١٧٥ وهو مطبوع (المحققة).

(٥) وفجرت ـ يا الله ـ أي: شققت عنصر النور الأعظم، أول بارز من حضرة الغيب، وأول منشق انشق عن حضرة العناية، وهو: النور المحمدي، موضوع الأشياء الذي عنه انسلخت الكائنات، وتكونت الأشياء كلها؛ علويها وسفليها، من بحر نوره، وسعة حقيقته. مادة الأشياء التي لا شيء إلا وهو به منوط، ولم ينفصل عنها شيء، ولم يخرج عن دائرتها شيء من الأشياء. بل هو الدائرة الكبرى التي عنها كانت الدوائر، والنقطة الشاملة التي منها تفرعت النقط، محموله شبه إسناد المحكوم به، وهو: كون=

أَنِيَةِ[1] : «أنا الله»[2]. بل[3]﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾، وءاله وصحبه وسلم[4].

= هذه الحقيقة الأحمدية هي مدد الكل، ومنها المبدأ، ولم يخرج شيء عن كونها الأصل فيه، والسبب في وجوده للموضوع بحمل الشيء على الشيء كحمل الجلالة المحمدية على صفحات السموات ليلة الإسراء بجامع الكون على الكل، والمخالطة والإثبات له. ثم اقتصر على لفظ المشبه به، فكانت استعارة تصريحية، ثم اشتق من الحمل بالمعنى المجازى المحمول، فكانت الاستعارة في المصدر أصلية، وفي الوصف تبعية، ولا حامل في الحقيقة ولا محمول، ولا واضع ولا موضوع. ولم يزل العقلاء والفضلاء من أهل كل فن يورون باصطلاحات العلوم في خلال كلامهم المنظوم الذي يضيق عن تحمل المعاني المودعة في النفس، فكيف بالمنثور الذي لا ضيق فيه؟. كذا في «لسان الحجة». (المؤلف). المصدر: ص **٢٠٦**.

(١) لفظ الأنية هنا: أريد به مدلول قول الحق جل جلاله: «أنا الله لا إله إلا أنا»، وغيرها من الآيات الدالة على تفرده سبحانه بالثناء على نفسه، وهي كلمة استعملها الصوفية قديماً. (المؤلف).

(٢) أي: من أنية قول الحق: أنا الله. وحَذْفُ القول كثير في الكتاب والسنة وكلام العرب. قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾. أي: يقال لهم.

وقال الشاعر:

حتى إذا جن الظلام واختلط ... جاؤوا بمَذْق: هل رأيت الذيب قط

المذْق: هو اللبن الممزوج بالماء. أي: يقولون فيه عند رؤيته: هل رأيت الذيب؟. والبيت من شواهد ابن عقيل ١١٨/٢ (المحققة).

والمعنى - كما في «لسان الحجة» : إنك - يا الله - شققت نور الحقيقة المحمدية من نورك، أي: لم تكن عليها هيمنة؛ لا للعناصر الترابية، ولا للمواد الطبيعية. بل تجليت عليها من حضرة البهاء والجمال والكمال، فكونتها من نورك، وقلت لها: كوني محمداً؛ فكانت. (المؤلف). المصدر ص: **٢١٤** (المحققة).

(٣) بل: لها معان كثيرة، ذكرها المترجم في «لسان الحجة»، المصدر ص: **٢١٤**. . .، ومنها: الانتقال؛ كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾﴾.

(٤) استعمل هنا الاقتباس؛ وهو متفق عليه عند السلف والخلف، والمعنى - كما في «لسان الحجة» : أن الإنسان الكامل لو نظر إليه الناظر المكاشف، نظراً قدسياً، وجاءه من جهة ما أنزله فيه ربه جل جلاله من المنزلة والمكانة؛ لوجده أعظم من مظاهر=

يا أحد[1].(٣٧ مرة).

السلام عليك يا عين العيون[2]، السلام عليك يا روح الأرواح[3]،

= الرب، وأنه بلغ من المكانة إلى أن قال فيه خالقه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾.

قال الشيخ جسُّوس في«شرح الشمائل» عند قوله صلى الله عليه وسلم: «**من رآني فقد رأى الحق**»: «يحتمل أن يكون مفعولاً به، أي: فقد رأى الحق سبحانه وتعالى؛ لأنه صلى الله عليه وسلم المجلى الأعظم، والمرآة الكبرى لظهوره تعالى وظهور صفاته، إذ أقواله وأفعاله وأحواله كلها دائرة على الدلالة على الله تعالى والتعريف به، فمن رآه؛ شهد فيه جلال الله وجماله، وعليه؛ فالكلام على حذف مضاف؛ أي: وجد جلال الله وجماله عنده».

ولهذه الصلاة المعروفة عند الناس بالأنموذجية خمسة عشر شرحاً: سبعة منها للمترجم، والباقي لتلامذته، وقد كان ظهورها من أسباب نشاط الحركة الفكرية في العشرة الثانية والثالثة من هذا القرن، وبقيت عدة سنوات موضع تعاليق الأوساط العلمية بالمغرب؛ لعنايتها بشمائل النبي صلى الله عليه وسلم الباطنة، في أسلوب فلسفي عالي لم يعهده الناس من قبل، ولا يوجد نظيره إلا في كتب الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي وأحزابه، رضي الله عن جميع أهل الله آمين. (المؤلف).

(١) لهذا الإسم خِصيصة عظيمة؛ وهي: أنه يترك حرارة قوية في نفس الذاكر به، فيحبب له الطاعة ويكره له المعصية، كما أنه يثبت قلب صاحبه على المبادئ الإسلامية، ويكون فيه روح التضحية بالنفس في سبيل عزة الإسلام. ومن أجل ذلك كان سيدنا بلال - رضي الله عنه - يكرره وهو يعذب في الله، كما في علم السيرة النبوية.

(٢) المراد بالعيون هنا: أعيان المملكة الربانية في الأرض، وهم: مائة ألف نبي وأربع وعشرون ألف نبي، وفيهم ثلاثمائة وأربعة عشر من الرسل، كلهم يسلم عليهم باعتبار ظهور أنواره صلى الله عليه وسلم فيهم، وانتشار كمالاته عليهم. ولما قال عليه السلام: «**ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام**»، وقد سلمنا عليه باعتبار تجرده في الخارج، وباعتبار ظهوره في الأعيان في قولنا: يا عين العيون. صار كل من سلم عليه بهذا السلام تقع له الردود بعدد كل من سلم عليه، ولا تسأل ما يحصل للإنسان وللألف من أولاده ببركة رد واحد منه عليه السلام، فضلاً عن هذه البركات التي لا يوازيها شيء بعد الإيمان والإسلام. (كذا في بعض رسائل المترجم). (المؤلف).

(٣) المراد بالأرواح: سكان العالم العُلوي. فهو يسلم عليه صلى الله عليه وسلم باعتبار ظهوره - عليه السلام - في أعين العالم الروحاني العلوي، فيجاب أيضاً باعتبار أعدادهم، وما يعلم جنود ربك إلا هو، فيكون قد وصل العالم العلوي والسفلي=

السلام عليك بلسان: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾[1].(١٠ مرات).

لا إله إلا الله محمد رسول الله. (١٠٠ مرة).

صل عليه وعلى آله وأصحابه وأمهات المؤمنين، وعلى جميع الأنبياء والملائكة والمرسلين، وعلينا معهم، يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين، بقدر عظمة ذاتك في كل وقت وحين. (١مرة).

اللهم صل على سيدنا ومولانا أحمد، الذي جعلت اسمه متحدا باسمك ونعتك. . .إلخ. (١ مرة).

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.

اللهم صل على سيدنا ومولانا أحمد، الذي جعلت اسمه متحدا باسمك ونعتك. . .إلخ.(١٩ مرة).

اللهم صل على سيدنا ومولانا أحمد، القاسم أمداد الخزائن الإلهية، على أجناد الدوائر المُلْكية، من لُجة قاموس بحر جودك الأعظم، الطامحةِ لشآبيب فيضه قوابلُ الممكنات في عالم البطون والظهور، الذي جعلت اسمه الجامع المُفيضَ ميازيب[2] رَحَمات العطايا، الراعي برعاية الله والحامي بحرز الله والكالئ بكلاءة الله متحدا باسمك الأعظم، الذي به انتظم أمرُ العالم واستقام أمر السموات والأرَضين من مَنِّك ونعتِك، ووضعت في عالم التخطيط من التجلي الرحماني، صورة هيكله الجسماني، مثالا انطبعت

= واتخذ الأيدي عندهم؛ فبالضرورة لا يسلموه للأهوال والمشاق، ولا لأهوال يوم القيامة، ولا لحلول النكبات والأزمات. كذا في بعض رسائل المترجم. (المؤلف).

(١) هذا أدب معه ﷺ؛ فكأنه يقول: مهما تفانيت في إيجاد صيغ السلام اللائقة بمقامكم النبوي؛ فإني لا أستطيع القناعة بواحدة منها، ومن أجل ذلك أسلم عليكم في المرة الثالثة بلسان أصحابكم المشهود لهم بعلو المقام من بارئ الكون سبحانه، القائل فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ (المؤلف).

(٢) ميازيب: ج ميزاب؛ وهي: القناة يجري فيها الماء.

الكائنات أجمعُها بشكله المحمدي عنوانا للسعادات الأبدية السَرْمَدِية، على صورة أُنموذَج الأشياء من رحمة بحرِ حقيقةِ: «خلق الله سيدنا آدم على صورته»، وفجَّرت عُنْصُر موضوع مادة محموله، روح العالم، وآدمِ آدمَ، ونقطة باء كُتُب الغُيوبات من أَنِيَة: «أنا الله»، بابك الأعظم، وصراطِك الأقدس الأقوم، السابح في بحار عظمة نور وجهك، الدال عليك بك في جميع الحَضَرَات والحيثيات، وزُج بي في أرض الأنوار، واحملني بعنايته على مَطية الأسرار، وأشهدنيه حتى أتحققه وُجدانا وعِيانا، وأغرِقْني في عين حياة طوالع سعود حقيقته الربانية حتى أكون به ومنه وإليه، بل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾، وآله وصحبه وسلم تسليما، عدد رضاك عنه يا الله. يا الله. يا الله[1]. (٣ مرات).

﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.

الله أكبر، الله اكبر، الله أكبر. بسم الله على نفسي وديني، بسم الله على أهلي ومالي، بسم الله على كل شيء أعطانيه ربي، بسم الله خير الأسماء، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه داء، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، بسم الله ابتدأت، وعلى الله توكلت. الله .الله ربي لا أشرك به شيئا. أسألك اللهم بخيرك من خيرك، الذي لا يُعطيه أحد غيرُك، عز جارُك، وجل ثناؤك، ولا إله غيرك، اجعلني في عِيَادك، واحفظني من شر كل ذي شر خلقته، وأحترز بك من الشيطان الرجيم. اللهم إني أحترس بك من شر كل ذي شر خلقتَه، وأقدم بين يدي: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾،

(١) التعليق على الصلاة الأنموذجية، يلقي أضواء على صلاة القاسم هاته؛ التي هي مزج لها. ومن أراد مزيد البيان؛ فعليه بمطالعة شرحها المسمى: «حل الطلاسم في شرح صلاة القاسم»، لعارف مراكش أبي عبدالله محمد بن المعطي العِمراني رحمه الله، وقد طبع بالقاهرة سنة ١٣٢١. (المؤلف).

ومن خلفي مثل ذلك، وعن يميني مثل ذلك، وعن يساري مثل ذلك، ومن فوقي مثل ذلك، ومن تحتي مثل ذلك[1].

(ثم يسكت هنيهة يقرأ فيها فاتحة الكتاب سرا، مفتحة بالبسملة ومختتمة بآمين، في نفَس واحد إن استطاع[2]، ويهديها لروحانية مولانا رسول الله ﷺ، ويترضى عن شيخه ووالديه وأبنائه وإخوانه).

[اللهم صل على سيدنا محمد عدد من صلى عليه من خلقك، وصل على سيدنا محمد كما ينبغي لنا أن نصلي عليه، وصل على سيدنا ومولانا محمد كما أمرتنا أن نصلي عليه وآله وصحبه]. (١٠ مرات صباحا فقط)[3].

اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك[4]، سبحان ربك... إلخ.

الصلاة والسلام عليك وعلى آلك يا سيدي يا رسول الله. الصلاة والسلام عليك وعلى آلك يا أكرم الخلق على الله. الصلاة والسلام عليك وعلى آلك يا سيدي يا حبيب الله[5].

---

(١) هذه الحافظة رواها عن النبي صلى الله عليه وسلم خادمه سيدنا أنس بن مالك - رضي الله عنه - كما أخرجه ابن سعد عن أبان بن عياش. (المؤلف).
وللعالم الصوفي أبي عبدالله محمد بن الجيلالي الحداد الفلالي الطنجي - رحمه الله - شرح عليها بالخصوص؛ سماه: «بلوغ الأماني في شرح حافظة الراتب الكتاني». (المؤلف).

(٢) أخرج الديلمي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قال: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قرأ فاتحة الكتاب، ثم قال: آمين. لم يبق مَلَكٌ في السماء ولا مُقَرب في الأرض إلا استغفر له»**. (المؤلف).

(٣) ما بين القوسين ساقط في الأصل.

(٤) دعاء نبوي أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها. (المؤلف).

(٥) شرح هذا الورد الكتاني جماعة من العلماء، أعرف منهم: عمنا أبا عبدالله له عليه شرحان: أحدهما صغير في عدة كراريس، والثاني كبير في مجلد؛ ويحمل اسم: «السر الحقي الامتناني الواصل إلى ذاكر الراتب الكتاني»، وقد طبع بفاس سنة ١٣٢٥هـ، وشيخنا أبا الجمال محمد الطاهر بن الحسن الكتاني له عليه شرح لم يتم،=

. . . .

= وشيخنا أبا عبدالله محمد ابن الحاج السُلمي له عليه شرح نفيس، أدمجه في الجزء الثاني من ترجمته للمترجَم، وأبا الحسن علي بن محمد العدلوني شرحه في رجز سلس ومفيد، والعلامة الناسك أبا عبدالله محمد بن أبي بكر المريني؛ مدير المدرسة المحمدية بسلا، له عليه شرح نفيس يخرج في مجلد، ولكاتبه - سامحه مولاه - شرحان عليه؛ أحدهما: صغير؛ واسمه: «الحدائق العرفانية، في شرح الجامعة الكتانية»، والثاني كبير؛ واسمه: «سراج المريدين في شرح ورد السادات الكتانيين»، وله جزء خاص في فضائله؛ واسمه: «اللفظ المكرم، في فضائل الورد الكتاني المحترم» (المؤلف).



الحزب السيفي

للمترجَم أحزاب سبعة: الحزب المُطلسم[1]، الحزب الواقي، الحزب التضرعي، الحزب السيفي، حزب اللطف، حزب البسط، حزب التذلل. وقد عين لقراءتها أوقاتا مختلفة، وسأقتصر هنا على ذكر الحزب السيفي.

وقد قال عنه في مقدمته: «إنه يقرأ لتشريد أعداء الله تعالى وأعداء رسوله الكفرة المتمردين، ويقرأ بنية هزم جيوش الكفار، ورد الكرة عليهم بجنود سماوية، ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾. [النساء: ٨٤]».

كما قال عنه: «إن كيفية قراءته: أن يقرأه القارئ على طهارة، وتقديم التوبة النصوح حتى يصلح للشفاعة، ويقدم بين يدي نجواه سيد الاستغفار؛ وهو: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. وإن شاء أن يقدم

---

(١) طبع الحزب المطلسم طبعة عصرية سنة ١٤١٦، باعتناء الدكتور حمزة الكتاني، أما الأحزاب الأخرى؛ فهي مطبوعة على الحجر.

- عرّف ابن عياد الشاذلي في كتابه «المفاخر العلية» الأحزاب بقوله: ... وهي في الاصطلاح: مجموع أذكار وأدعية وتوجهات وضعت للذكر والتذكر، والتعوذ من الشر، وطلب الخير، واستنتاج المعارف، وحصول العلم، مع جمع القلب على الله. المرجع ص: ١٤٢.

صلاة التسبيح قدمها. ثم يقرأ الفاتحة، وثلاثاً من الإخلاص ويهديها لروحانية حضرة صاحب الرسالة، صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله، ويستحضر روحانيته العظيمة القدسية.

كل أمر تعنى به تقلب الأعـ ـيان فيه وتعجب البصراء[1]

ثم يقول: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾. [غافر: ٤٤]، اثنى عشرة مرة، ثم يشرع بإخبات وخشوع، وسكينة ووقار واضطرار وبكاء أو تباك، ويستحضر تضاؤل الإسلام وضعفه، وقوة أهل الصدر الأول وضعفنا، وقوة إيمانهم وضعف إيماننا؛ فإن هذا الاستحضار ربما ينتج له بعض اضطرار وإقلال من الشهوات والمخالفات والعزلة والشغل بما يعنى، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل».

وفيما يلي نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم، والسلامان على الرؤوف الرحيم، وآله وصحبه عدد كمالاته

أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾. [البقرة: ٢٤٦].

قدير على ما يريد.

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُۘ سَنَكْتُبُ مَا

(١) البيت رقم ٤٠٢ من همزية البوصيري المشهورة، التي مطلعها:

كيف ترقى رقيك الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء

(المجموعة النبهانية ١/٧٧).

﴿قَالُوٓاْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾. [آل عمران: ١٨١].

قوي لا يحتاج إلى معين.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾. [النساء: ٧٧].

قهار لمن طغى وعصى.

﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾. [المائدة: ٢٧].

قدوس يهدي من يشاء.

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾. [الرعد: ١٦].

قيوم يرزق من يشاء.

يا الله. يا عظيم. يا عظيم. يا عظيم؛ تَوِّجْنا بتيجان هيبة رهْبة عَظَمُوتية جلال قهر كبرياء جبروتك، حتى لا يقدر علينا جبار من عَبيدك، ولا شيطان مَريد، ولا شانئ جريء غَضَنْفَر[1].

وأقصم اللهم بتجليات قهرك الفاتك، وبطشِك الذي لا يقاومه مقاوم، وجبروتيتك التي تضمحل في جانبها جميع العَظَمُوتيات[2] والرَهَبُوتيات

(١) شانئ: مبغض، والغضنفر: الجافي الغليظ، وهو اسم من أسماء الأسد.

(٢) العظموتيات: الكبر.

والقَهْريات جميع ظهور الأعداء ومريدي كيد الإسلام.

﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج ١٩ ـ ٢٢].

وأَدِرْ اللهم فواعل فاتكات الدوائر، وابسُط عليهم أَثَرات نيرانِ غضبِ كبرياء محيطات بطْش انتقاماتك التي لا يَنْجَعُ فيها خاتَم ولا دروع، ولا وقاية ولا حصن ولا حِرز، وأمطر عليهمُ الأرواح الخبيثة النارية المختلسةَ عقول الجبارين والمتمردين والطاغين والمتجرئين، وألبِسْهُم جلابيب: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾. [الفجر ١٣]، ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾. [إبراهيم: ١٥ ـ ١٧]، ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾. [العنكبوت: ٤٠]، ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾. [الدخان: ٤٨].

﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾.

وخرب اللهم دور حصون زرود بروج مُشَيَّدات مصانع المتسلطين علينا بإثارة نار الفتن والأهوال فيما بينهم، ورُدّ كيدهم في نحورهم، وضَعْ رأيهم، واكسف اللهم نور عقولهم. وفاجئهم بالنكَبات والطوارق والصدَمات، حتى لا يشتغلوا بغير ما أثاروه علينا، المواجهةُ لهم أنى توجهوا، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾. [فاطر: ٤٣].

اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك.

وتوّجْنا اللهم يا قهار يا جبار يا منتقم بسيفك الباتر القاصم غيباً وشهادة، حتى لا يكيدَنا حاسد بمكيدة إلا رد عنا سيفُك القاطع مكيدتهم،

علمنا بذلك أو لم نعلم، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾. [الفجر: ١٤].

يا عزيز. يا عزيز. يا عزيز أعزنا بعزك المنيع الرفيع الذي لا يطاول، حتى تجعل لنا فوق البدر مِهاداً، وتُهيء لنا شِيَماً وثناء، وأعمالاً صالحة تجعل لنا الجوزاء تحت يدينا وساداً.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧﴾ [الحاقة: ٥ ـ ٧].

﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝١٩ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ۝٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٢٢﴾.

وأظهر اللهم أثرات حلول البؤس والانتقام والهلاك والبوار بهم. بمقتضى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢﴾. [الحاقة: ٣٠ ـ ٣٢]، ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۝٢٠﴾. [القمر: ١٩، ٢٠]، ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦﴾. [القمر: ٤٥ ـ ٤٦]، ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ۝٣١﴾. [القمر: ٣١] فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝٤٦﴾. [الطور: ٤٦]، ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢﴾. [الطور: ١١ ـ ١٢]، ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝٤٠ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ۝٤١﴾. [الذاريات: ٤٠ ـ ٤١].

﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾. (١٠ مرات).

﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾. [الفتح: ٦]، ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١﴾. [الدخان: ١٠، ١١].

﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝١٢﴾. [الدخان: ١٢]. (٧ مرات).

وعمر اللهم مسامعهم وأبصارهم وأذواقهم وشمهم وآلات حركاتهم بعذابك الواصب، تتلوه البطشة الكبرى إلى أن تلقيه في أمر مريج[1].

﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾.

وأرسل اللهم عليهم شُواظا من نار كما أثاروا علينا نار الفتن والأهوال والتشويشات، من بين أيديهم ومن خلفهم، وعن أيمانهم وعن شمائلهم، ومن فوقهم ومن تحتهم. واسقهم اللهم ـ يا شديد البطش يا جبار، يا منتقم يا مهيمن ـ من أثر غضب سَطْوة مكرك الخفي بأعاديك وأعادي أوليائك ماء حميما فقطع أمعاءهم، مع ما يحيط بهم من كونهم تَلْفَحُ وجوههم النار وهم فيها كالحون، ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾. [الكهف: ٢٩]، ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾. [الحشر: ٢]، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾. [المؤمنون: ٤١].

وواجِهْهُم بمقتضى :

﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾.

واكلأنا اللهم من غوائل مكايد مصايد مخادع حِيَلِهِم وخدعهم بحصن دروع كلماتك التامات، التي لا يضر معها شيء في الأرض ولا في السماء، وأنت السميع العليم. واحرُسنا اللهم بحصن كَلاءة حفظ صون صيانة ملاذِ سترك المنيع العزيز الشان، العظيم السلطان، حتى لا تنفذ فينا مكيدة شيطنة شعبذة[2] زخارف أباطيل شياطين الإنس والجن، واقذف اللهم في قلوبهم الرعب مما أتيتنا من سطوة قهر مجد فخر عز كمال سلطانك، وعظمة

(١) مريج: مضطرب.

(٢) المشعبد: الهازئ كالمشعوذ.

جبروتية عظموتية تاج برهانِك، الذي توجت به أهل كهف الرعاية والعناية، والمجادة والصيانة، حتى جعلت من بين يدي مؤذيهم سداً، ومن خلفهم سداً، فأغشيناهم فهم لا يبصرون طُرُقَ المُخادعات والمقارضات والمقارصات[1]، يا من أمرُه بين الكاف والنون. سبحانك سبحانك، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله. أطفأها الله. أطفأها الله.

يا خيل الله اركبي..(٧ مرات).

﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾.

الله أكبر. الله أعز من خلقه جميعاً، الله أعز مما أخاف وأحذر. أعوذ بالله الذي لا إله إلا هو الممسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه[2]، من شر عبدك فلان... وأتباعه وأشياعه من الجن والإنس.

اللهم كن لي جاراً من شرهم، جل ثناؤك، وعز جارك، ولا إله غيرك..(٣ مرات).

واجعل اللهم خافقات رايات المجد والعز، والحفظ والصون، تخفق فوق هامات رؤوسنا أنى توجهنا

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ﴾. [آل عمران: ٥٣]. ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾. [الأعراف: ١٥٦]، ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ [الأعراف: ١٥٠]. ﴿فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمْ﴾. [الأحقاف: ٢٥]، «**الله أكبر، خربت خيبر**»[3]. إنا إذا نزلنا بساحة قوم ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾. [الصافات: ١٧٧][4].

---

(١) المقارصات: من القارصة؛ أي: الكلمة المؤذية.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ﴾ الآية ٦٥ سورة الحج.

(٣) كلمة قالها النبي صلى الله عليه وسلم عند فتح خيبر سنة ٧هـ انظر صحيح البخاري باب غزوة خيبر٢/٦٠٣...

(٤) قال تعالى في الآية ١٧٧ من سورة الصافات: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾﴾.

أعوذ بالذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، من شر ما خلق وذرأ، ومن شر نَفَثَات الشياطين وإلقاءاتهم. وأدِرْ يا عزيز يا جبار بدوائر مكايدهم دوائر فواعل صوائل غارات وجعلنالكم الكرة عليهم مقدمة جيوش ﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾. [النساء: ٨٨].

﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾.

حَسْبُنا الله لدينا، حسبنا الله لما أهمنا، حسبنا الله لمن بغى علينا، حسبنا الله لمن حَسَدَنا، حسبنا الله لمن كادنا بسوء، حسبنا الله عند الموت، حسبنا الله عند المسألة، حسبنا الله عند الميزان، حسبنا الله عند الصراط، حسبنا الله لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب.

وأثخنِ اللهم كاهل صناديد دواهي سحرة رؤوس أفاعلهم، واعكس فواعلها في فاعلها، وأزمِن عصا تْيَار توجهات هِمَمِهِمُ الشريرة حتى لا تنفذ لهم فعلة من الفعلات، في لحظة من اللحَظات.

حسبنا الله ونعم الوكيل. (١٠ مرات).

ولا حول ولا قوة إلا بالله وخاب كل جبار عنيد. اللهم إن الإسلام أصبح منك في نعمة وعافية وستر، فأتمم نعمتك عليه وعلينا، وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة، حسبنا الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم. وأفصم عُرى أزرار جموعهم، وشتتهم أياديَ سَبا، حتى لا تقوم لهم قائمة يسطون بها في وقت من الأوقات، ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾. [الفتح: ١٠]، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾. [البقرة: ١٣٧]، ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾. [الأنفال: ١٦٣]، ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾. [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤]، ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧٢]، وأعوذ بكلمات الله التامات

التي لا يجاوزهُنَّ بَرٌّ ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ.

ولرُبّ حادثةٍ يضيق لها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرجُ
كَمُلت فلما استحكمت حلقاتها فُرِجَت وكان يظنُّها لا تُفرج[1]

﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾.

واشدُد اللهم وطأتك على أهل العتو والعناد المتمردين من الضالين، ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة: ٩٣ ـ ٩٦].

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [سورة الفيل] (١٠ مرات).

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة: ٢١]، ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ۚ﴾ [آل عمران: ١١٢]، ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾. [البقرة: ٢٠]، وأسبل اللهم يا ذا القوة رداء حسن وقاية: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ﴾ مَنَعَة دروع زُرود جلابيب ألطاف سُرادقات سترك، حتى لا تعبث بنا مقتضيات ضَغَطات الدهر وطموحاته، يا إلهنا وإله كل شيء.

---

(١) البيتان الشعريان للإمام الشافعي، أحد الأئمة الأربعة، ولد في غزة بفلسطين، وزار مصر، وبها توفي سنة ١٩٩هـ، قبره معروف هناك، قال عنه المبرد: كان الشافعي أشعر الناس، وأعرفهم بالفقه والقراءات، له عدة مؤلفات مشهورة وديوان شعر يضم ١٣١ قصيدة، انظر «الشافعي شعره وأدبه»، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم نصر: ٣٦.

اللهم إله جبريل وميكائيل وإسرافيل، وإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، عافني يا من لا تاخذه سنة ولا نوم، ولا تسلطنْ أحداً من خلقك علينا بشيء يَكيدنا بنائبة من نوائب الدهر، وأتمم اللهم يا قريب يا شهيد، يا حسيب يا عفو، يا مغيث يا وكيل، نور كمال جمال إتمام عطاءِ جودِ كرمِ فيض نعمك المتواترة علينا، يا من له ما في السموات وما في الأرض مُلكاً وعَبيدا، يجير ولا يُجار عليه، أبلس نفوسهم حتى لا يقدِرون، وأذهِب ما بقلوبهم حتى لا يَفقهون، واصمُم آذانهم حتى لا يسمعون، واطمس على أعينهم حتى لا يبصرون، وخُذ بقوة شمهم حتى لا يشمون، واختم على أفواههم حتى لا يتكلمون إلا بخير، «وامسَخْهُم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون»[1].

يا جبار يا قابض يا ناصر، يا خافض يا ضار، يا جليل يا محيط، يا عظيم يا وكيل، يا مذل يا منتقم، يا مهلك يا مخذل، يا ذا القوة المتين، يا ذا البطش الشديد، يا ذا العرش المجيد، يا فعّال لما يريد، غُلَّهم بأغلال الانتقامات، وصَفدهم بقيود البطشيات، واسحبهم بسلاسل الجبريات، وارجفهم بسلاسل المكر الخفي، يا قوي يا غالب، يا قهار يا منتقم، يا مؤخر يا متكبر. وأمطرهم برَشَاشَات خِذلان ذل الهموم والغموم، والأحزان والقواصم، والعوافص[2] والنزلات القاصماتِ ظهورَ الطغاة والمتمردين، عاجلا عاجلا.

يا قاصم يا جبار يا مذل، (٩مرات).

وفاجئهم بطوارق غوائل صوائل، عواصف الجنود الريحية، والصعقية والمطرية والخسفية والمسخية، وألبسهم شِيَعاً، وأذق بعضهم بأس بعض، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾.

---

(١) إشارة إلى آية: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ ٦٧﴾ [يس: ٦٧].

(٢) العوافص: الأشياء المرة البشعة، التي يعسر ابتلاعها.

﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾.

وأسمعهم خوارق بوارق جلاجل سلاسل تأجُّج مكر نيران ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾. [الفرقان: ١٢]، وأصبِح اللهم ما لهم على الأرض صعيداً جُرُزاً، ومُد على جناتهم حُسباناً من السماء فتُصبح صعيداً زلقاً، أو يصبح ماؤها غَوْراً فلن تستطيع له طلباً.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾. [البقرة: ٢٥٥]، ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾﴾. [البقرة: ١٩]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾. [البقرة: ٢٥٥].

وأسبل اللهم جيوش عواصف عوافص طَعَانات سيوفك القاصمة، التي لا تدع جباراً عنيداً ولا شيطاناً مَريداً إلا أتلفته ومزقت أيادي نعمه، وموائد مننه، وكسرت نصال أباطيل ترهات تمويهات ما خبأته الأعادي لما يرجع عليها وفيها ومنها وعليها. واخبأنا في ظلال زوايا خبايا مكامن ستور حصنِك المنيع، الرفيع المُطَرز بالكلمات التامات والتحيات المباركات، يا من ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾. واجعل اللهم دروعهم وحصونهم وستورهم أوهن من بيت العنكبوت.

الغارةَ عليهم أنى توجهوا وخيموا. (٧ مرات).

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحشر: ٢]. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ﴾ [إبراهيم: ١٣ ـ ١٤].

يا فتاح يا عليم. (٧ مرات).

﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٨]. (٧ مرات).

﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾. [يس: ٥٩]. ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾. [البقرة: ٢٥٥].

اللهم وما قصر عنه رأينا، ولم تنطو عليه نيتنا، ولم تبلغه مسألتنا، من خيّر وعدته أحدا من خلقك، أو خير أنت معطيه أحدا من عبادك، فإنا نرغب إليك فيه، ونسألك برحمتك رب العالمين.

سبحان الذي تَعَطَّف بالعز وقال به، سبحن الذي لبس المجد وتكرم به، سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له، سبحان ذي الفضل والنعم، سبحان ذي المجد والكرم، سبحان ذي الجلال والإكرام، ابسط علينا أردية جودك وحنانك، وعطفك وتيسيرك ومعونتك، والظفَر والفوز والحفظ والستر ﴿أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥].

إن أبطأت غارة الأرحام وابتعدت — فأقربُ الشيء منا غارة الله
يا غارة الله جدي السير مسرعة — في حل عُقدتنا يا غارة الله[1]

لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا حيلة ولا احتيال ولا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه (٧ مرات).

اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان، بديع السماوات والأرض، ذو الجلال والإكرام؛ ارزُقنا بالألف ألفة وإيمانا وأمنا وأوبة، وبالباء بركة، وبالتاء توبة وتَرَقيا وتِهياما[2]، وبالثاء ثوابا، وبالجيم جمالا، وبالحاء حكمة وحِلما وحنانا، وبالخاء خيرا وخوفا وخِبرة وخُبرا،

---

(١) وجدت هذين البيتين في: «مرآة المحاسن» للشيخ العربي بن يوسف الفاسي، حيث ينسبهما المؤلف تارة إلى الشيخ أبي عبدالله بن وفا المصري المتوفى سنة ٧٦٥هـ، الأعلام ٣٧/٧؛ وتارة إلى الولي العارف سيدي محمد العجيل اليمني، المتوفى سنة ١٠٦٢هـ، «معجم المؤلفين» ٣: ٥٩. انظر المصدر ص: ٩١، تحقيق الدكتور حمزة بن علي الكتاني.

(٢) التهيام هو: الهيام. وإنما زيدت التاء للتكثير.

وبالدال دليلا، وبالذال ذكاء وذكرا، وبالراء رحمة ورأفة، وبالزاي زكاة، وبالسين سعادة دينية ودنيوية وبرزخية وأخروية، وبالشين شفاء، وبالصاد صدقة وصلة وصدْقا، وبالضاد ضياء، وبالطاء طراوة، وبالظاء ظَفَرا، وبالعين علما واعتقادا وعيانا وعرفانا، وبالغين غِنى، وبالفاء فلاحا، وبالقاف قُربة، وبالكاف كفاية وكرامة، وباللام لطفا، وبالميم موعظة وملاذا إليك وإلى رسولك، وبالنون نورا في قلبي، وفي قبري، ومن بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي ومن تحتي، وفي سمعي وفي بصري، وفي شَعري وفي بشري، وفي لحمي وفي دمي وفي عظامي، وبالواو وُصلة، وبالهاء هِداية، وبالياء يقينا.

اللهم صل على سيدنا، ومولانا محمد، عدد ما في علم الله، صلاة دائمة بدوام مُلك الله اهـ.

ولعل القارئ الكريم يُدرك من بعض هذه الأوراد، أنني قصدت بها إعطاء البرهان على أن المترجم، لم يكن يقتصر في كفاحه الوطني ضد الاستعمار، على الوسائل العملية فحسب، بل كان يضيف إليها الوسائل الروحية حسبما يأمر به الإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام.

فبينما نقرأ في تاريخه أنه كان يحتج على تدخل فرنسا في المغرب، واستيلائها على مراكز عديدة من أرضه التي هي كل لا يتجزأ، ويدعو المغاربة لولوج ميدان الجهاد المقدس، الذي يفرضه الإسلام على كل مسلم، فيستجيبون له، ويسجلون صفحات ذهبية في تاريخ المقاومة المغربية، للحماية الفرنسية، نقرأ أيضاً أنه كان يأمرهم بقراءة التوسل الكبير المتقدم، والحزب السيفي هذا، وكل منهما نال شهرة كبيرة في مختلف الأوساط المغربية إذ ذاك، حتى إن الأخير طُبع مرات عديدة.

ومَن غيرُ الله يُلجأ إليه في كشف الخطوب وتفريج الكروب؟!. غير أن الحكمة الإلهية تقتضي تارة التعجيل، وكرة التأخير. ولله في خلقه شؤون.





الوصل الخامس
في رحلاته

أهم رحلات المترجم: رحلته لمراكش، ورحلته للحجاز. وسأتحدث عنهما معا باقتضاب.

أ ـ رحلته لمراكش

كان المترجم ـ قُدس سره ـ محسودا من شخصيات بارزة في عدة طبقات في الأمة: طبقة الأشراف، وطبقة المتفقهين، وطبقة المتصوفين.

فشخصيات من النوع الأول؛ كانت ترى أنها تشاركه في الشرف الطيني، ومع ذلك لم تظفر بالجاه القوي والنفوذ العظيم الذين كان يتمتع بهما.

وشخصيات من النوع الثاني؛ كانت ترى أنها تشاركه وصف العالمية، ومنها من كان رفيقه في الدراسة، ومع ذلك لم يُقبل عامة الناس على الاستفادة منها، ولم تحظ بالمشيخة التي حظي بها، ولم يشتهر ذكرها في البدو والحضر كما اشتهر ذكره.

وشخصيات من النوع الثالث؛ كانت ترى أن طريقته الكتانية أدركت شهرة كبرى في مدة وجيزة، وأن مدينة فاس أصبحت كعبة يحج إليها الناس

من كل جهة قصد التلمذة له، واعتناق أفكاره ومبادئه، وأنه إن واصل نشاطه فربما يتضاءل نفوذهم، ويضعُف أمرهم، فعزم جميعهم على الوقوف في وجه طريقته ومعارضة دعوته.

وكانت رحلته الإرشادية الأولى لصحراء تافيلالت، فرصة مواتية لإظهار عدائهم له، والانتقام منه، فأشاعوا عنه عدة إشاعات، وعمروا المجالس بانتقاده، بل وشتمه، ودعوة الناس للابتعاد عنه، لكن أعمالهم هذه باءت بفشل ذريع وخيبة كبرى.

وبعد أن رجع من الصحراء وضاعف نشاطه في ميدان الهداية والإرشاد، ونفع البلاد والعباد؛ ضاعف خصومه بفاس نشاطهم في ميدان الدس والمكر، وكل ما يجلب له الضر، محاولين القضاء على دعوته التجديدية، وإطفاء نور البرية، وكان شطرهم من ذوي الرياسة والجاه، الذين كانت تحظى آراؤهم بالتصويب، ومطالبهم بالقَبول من لدن الأوساط الرسمية بمراكش، عاصمة المغرب الإدارية إذ ذاك.

وقد شاء أولئك الخصوم أن يبرروا عداوتهم له بانتقاد جملة من آرائه وتعابيره الصوفية، التي كان يربي بها جملة من أصحابه تربية خاصة، لم يُرَشَّحوا لفتح مقفلها، والكشف عن غامض سرها، لعدم دراستهم لعلم التصوف، ومعرفتهم باصطلاحات أهله، وعدم مراجعتهم لكتب الحاتمي والفارضي والجيلي[1] وأضرابهم من فحول هذا الشأن وأئمته، وزهدهم في رجال الإرشاد الأحياء، واقتصارهم على التعلق برجال الله الأموات. ذلك التعلق الذي لم يكن يجاوز نطاق الأوراد والأذكار، مع الاشتغال بالغيبة والنميمة وغيرهما. وتغافلوا عن العشرات من مؤلفاته، والمئات من رسائله، والآلاف من مجالسه، التي كان يربي بها الجماهير تربية عامة، ويدعوهم

(١) القطب الجيلي: هو عبدالكريم بن إبراهيم بن عبدالكريم، من علماء الصوفية، اشتهر بكتابه: «الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر»، وهو كتاب على اصطلاحات الصوفية، يشتمل على نيف وستين باباً. توفي الجيلي سنة **٨٣٢**هـ «كشف الظنون» ١٩٣/١، «الأعلام» ٥٠/٤.

فيها لإحياء الدين، واتباع تعاليم سيد المرسلين، ولكن الأمر كما قال البوصيري رحمه الله:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رَمَدٍ ... وينكر الفم طعم الماء من سَقَمِ[1]

وفي هاته الحقبة كانت الرسائل تتوارد عليه من مريديه وأنصاره بالصحراء، يلحون عليه في الخروج إليهم من جديد، لمواصلة دعوته الإسلامية، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلم يسعه إلا تلبية هاته الدعوة، وإسعاف هاته الرغبة، فخرج من فاس في يوم الأحد الواحد والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة وألف.

وبمجرد ما شاع هذا النبأ في الأوساط الفاسية؛ أصاب خصومه حزن أفقدهم رشدهم وجعلهم يخبطون خبط عشواء، وأدركوا أن مثل هاته الرحلات تقوي مركزه الاجتماعي وتُضاعف نفوذه الديني، وأجمعوا أمرهم وقرروا في هاته المرة الاتصال بقاضي فاس إذ ذاك[2]، والتأثير عليه في كتابه رسالة للسلطان أبي فارس مولاي عبدالعزيز[3] ـ رحمه الله ـ في شأنه، فنجحوا في مسعاهم، ولم تكد تمضي عدة أسابيع حتى كانت الرسالة بين يدي السلطان، ووزيره الأول أحمد بن موسى[4] مشتملة على تهمة

---

(١) البيت ١٠٤ من قصيدة «البردة» للإمام البوصيري. «المجموعة النبهانية» ١٢/٤.

(٢) وهو: محمد بن رشيد العراقي المتوفى سنة ١٣٤٨هـ.

(٣) عبدالعزيز بن الحسن العلوي ولد سنة ١٢٩٥هـ، واجهته صعوبات في حكمه نتيجة ضعف إمكانياته المادية نظراً للظروف التي كان يعيشها المغرب آنئذ حيث رفض المصادقة على قرارات الجزيرة الخضراء (١٣٢٣) التي عرفت عند العامة «بشروط الخزيرات» لأنها شكلت إجحافاً في حق المغرب ومساساً بسيادته وملكه، فطلب منه التراجع عن موقفه.. وقد أدى تسلسل هذه الأحداث إلى احتلال فرنسا لوجدة والدار البيضاء والشاوية، ولذلك عزل عن الملك سنة ١٣٢٥هـ، وتولى أخوه عبدالحفيظ مكانه. توفي السلطان عبدالعزيز بطنجة ودفن بفاس سنة ١٣٦٢هـ. الدرر الفاخرة لابن زيدان ١١١ ـ التاريخ الدبلوماسي للتازي م ١٦٤/١٠.

(٤) أحمد بن موسى بن أحمد بن مبارك السوسي، ولد سنة ١٢٥٧هـ ودرس بالقرويين، =

خطيرة تبرر القضاء النهائي على المترجم، ودعوته وطريقته، ألا وهي اتهامه: بطلب الملك!.

هكذا تنكر الحقائق، وتقلب الأعيان...

مع أن كل من اطلع على مؤلفاته ورسائله، وحضر دروسه العلمية ومجالسه الإرشادية؛ يعرف أن الأسباب الحقيقة لعداوة خصومه له هي:

دعوته الإسلامية الجامعة، وانتقاداته الدينية والاجتماعية، التي شملت جميع طبقات الشعب، من أمراء ووزراء وقضاة وباشوات ورؤساء طرق، وأتباع مختلف هاته الطبقات، وعلماء المعاهد الدينية، وكتب التدريس بها وأساليبه العقيمة، وكذلك صيحاته المتوالية على العلماء، الذين كانوا لا يفهمون روح الإسلام، ولا يعتنون بدراسته من جميع نواحيه، ويفنون أعمارهم في تعليم الطلبة «المختصر» و«التحفة»، وعلمي المنطق والحساب، ويتركون دراسة كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، كي يكتسبوا منهما روحا جديدة تحملهم على إزالة عوامل الانحطاط، التي أصابت أمتهم، وأخرتها عن قافلة الأمم الراقية، وتحطيم أغلال الذل والهوان المسلسلة بها، وإبعاد شبح الاستعمار المهددة به إذ ذاك، وجلب وسائل السعادة والرفاهية لها، وإقامة النظام الشوري بالمغرب، والسير به إلى مواطن العزة والخلود... إلى غير ذلك مما لا زال محفوظا في كتبه ورسائله.

فكان لسان القوم يقول: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾. [الأحقاف: ١١]، ولسان الإنصاف يقول: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾. [الأحقاف: ١١].

كما كانوا يرون أن انتشار دعوته الإسلامية وتنفيذ مطالبه من لدن

= كان حاجباً في عهد السلطان المولى الحسن، ثم وزيراً وسياسياً محنكاً وصدراً أعظم في عهد المولى عبدالعزيز، كان له الدور الكبير في استقرار أمور المغرب منذ وفاة المولى عبدالعزيز، خصه بعض الكتاب بتأليف خاص اسمه: «الثغر البسام في مآثر الوزير أحمد بن موسى الهمام»، توفي سنة ١٣١٨هـ بمراكش، «الإتحاف» لابن زيدان ٣٧٢/١، «الإعلام» لابن ابراهيم ٤٤٣/٢.

السلطان وحكومته؛ أشياء تؤدي إلى تنحيتهم عن ميدان القيادة والتوجيه، وضعف مركزهم الديني والاجتماعي والسياسي.

وبإشارة من والده الشيخ عبدالكبير - قُدس سره - قصد مراكش الحمراء قصد الاجتماع بالسلطان ووزيره، وتفنيد التهمة الملصقة به، وما أن وصل اليوم الخامس عشر من محرم الحرام، فاتح سنة أربعة عشر وثلاثمائة وألف، حتى أشرقت شمسه عليها، فأحط رحله أولا بالزاوية الدرقاوية البدوية[١]، التي أقام فيها نحو أسبوع، زار أثناءها الوزير الأول، وشرح له الغاية من زيارته لمراكش، وتحدث له عن الأهداف التي يقصدها من دعوته الإسلامية ومواقف خصومه منه، فرحب به وأخبره أنه سينزل ضيفا على السلطان مدة إقامته، وسلم له مفاتيح روض بهيج، كائن بحومة «جِنان ابن شقراء»، فانتقل إليه المترجم، وجعله محلا لإقامته، وبعد مدة وجيزة سلم له أيضاً مفاتيح روض آخر كائن بحومة «رياض الزيتون» قرب الأول، ليتخذه «زاوية كتانية» يقيم فيها شعائر طريقته وتعاليم حركته.

وما إن علم أهل مراكش بوجوده بين أظهرهم، حتى صاروا يتواردون عليه زَرَافات ووحدانا يرحبون بمقدمه، ويحضرون دروسه التي صار يعقدها كل يوم بالروض المذكور، تلك الدروس التي كانت تنتهي بتهافتهم على اعتناق دعوته وأخذ طريقته، وإبداء تأييدهم له، والحمل على خصومه وأعدائه.

ولعارف مراكش وأديبها أبي عبدالله محمد بن المعطي العمراني قصيدة نونية في تهنئة المترجم بدخوله لمراكش؛ هذا نصها[٢]:

هبت رياح مسرة وتهان ... فتمايلت منها غصون البان

---

(١) الزاوية الدرقاوية البدوية: نسبة للعارف سيدي أحمد البدوي زويتن المتوفى عام ١٢٩٧هـ، تلميذ الشيخ مولاي العربي الدرقاوي انظر ترجمته في: «السلوة» (٣/٢٣٦)، و«إتحاف المطالع»: (١/٢٧٢).

(٢) لأبي عبدالله محمد بن المعطي العمراني ديوان شعر يتكون من مدائح في الجناب النبوي وفي مدح شيخه محمد بن عبدالكبير الكتاني، والديوان مخطوط في خزانة حفدة المؤلف، والقصيدة قورنت بالأصل، «الديوان» الورقة ٦.

وشذا الحمام على الأراك مغنيا　　يكسو شجيا حُلة السلوان
وبلابل خطبت بخضر منابر　　بجوامع العرصات والحيطان
وسعت سليمى للوصال بعيد زفـ　　رات الهوى والدمع والأحزان
فسقت بكف الحب كأس سلافة　　عادية تسبي نهى الفتيان
تحكي بحدتها سيوف لحاظها　　فكأنها وكأنها مثلان
يا حسنها من غادة هيفاء قد　　عز النظير لمثلها والثان
مالي سلوٌ إن ذكرت خيالها　　إلا الإمام الأوحد العرفاني
شيخ الطريق وركنه وعماده　　كهف السلوك وغفلة العجلان
الطاهر الأصل الشريف المرتضى　　بحر العلوم ودرة التيجان
باب الحقيقة والشريعة والتقى　　العارف بن العارف الصمداني
سر الإله وكيمياء[1] وجوده　　بل حجة ظهرت على الأكوان
بل رحمة قد أهديت للخلق من　　جود الندا المدرار بالآمان
لله ما يحويه من فيض ومن　　فضل ونور ساطع رباني
يا من بغى شبها له؛ أقصر فما　　شبها تنظمه كعقد جمان

إن رمت حصر صفاته أحجمت من دون العشير وعدت كالولهان

وإذا الفتى بلغ النهاية سؤددا　　عادت مدائحه من النقصان
والعي أليق ما يكون بمادح　　إذ تستفيض شواهد البرهان
ولربما كانت فهاهة باقل　　في موطن تعلو على سُحبان[2]
ما ضره حسد الحسود وإن نما　　في الخافقين ولا عتو الشان
لم لا أتيه على الوجود ومقلتي　　قرت برؤية طلعة الكتاني

---

(١) كيمياء الوجود: يعرف الصوفية الكيمياء بقولهم: هي تخليص القلب عن الكون باستئثار المكون، «التعريفات للجرجاني» ص ١٢٧.

(٢) فهاهة باقل: الفهاهة هي: العي والسقطة، وباقل: إسم رجل من ربيعة كان يضرب به المثل في العي، وهي من الأمثال العربية في باب التشبيه، وسُحبان: من ربيعة أيضاً، وكان لسناً بليغاً.

والدهر أسعد باللقاء بعيد ما ضنت لياليه بنيل أماني
يا بغيتي يا عمدتي يا عدتي يا منية المتعطش اللهفان
قد ضقت ذرعا من ذنوب دونها ضرب الرقاب وهَدة الأركان
وأتيت من سفه جرائم أنتجت شكل البوار وغاية الحرمان
إن لم يكن للعبد منك عناية دارت عليه دوائر الخُسران
حاشا وشم الأنف تحمي غيرة عبد الإباق وجيرة العصيان[1]
أرجو وآمل عطفة يحلو بها مر الزمان وعيشة الرضوان
ولأنت أنت جُذَيْلها[2] إذ كنت من نسل الكرام الممطري الإحسان
الماجدين الأطهرين ذوي العلا رهط النبي محمد العدناني
صلى عليه بالسلام إلٰهه مع آله والصحب والجيران
والتابعين وتابع من بعدهم ما غردت ورق على أغصان

ولم تمض إلا أيام قلائل، حتى أخبره الوزير بأن السلطان أمر جمعاً من كبار العلماء، بإجراء مناظرة معه بالقصر الوزيري؛ المعروف بـ: «الباهية»، وأن هاته الفكرة كانت بإيحاء منه؛ قائلاً: «وقد قصدت بها دفع التهمة الملصقة بكم، وحصر نقط الخلاف في مقدار قيمتكم العلمية، وهل أنتم مستحقون للمشيخة بمعناها المعروف عند كبار الصوفية أم لا»، فأبدى استعداده لذلك[3].

وقد افتتحت الجلسة الأولى بتلاوة ما ورد عليهم في شأنه من فاس، ولم يكد القارئ يأتي على آخر الكلام، حتى ابتدأ المترجم الكلام بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾. [المزمل: ٩]، ثم التفت إلى الوزير قائلا: «أنشدك

(١) الإباق: هرب العبد من سيده.

(٢) جُذيلها: تصغير للجذل، قال بعضهم أنا جذيلها المحكك! وهو هنا الأصل من الشجرة تحتك به الإبل فتشتفي به،أي لك علم ورأي يشتفى بهما كما تشتفي الإبل الجربى بالجذل، والتصغير زيادة في المدح.

(٣) المظاهر السامية الورقة ٦٥.

الله!؛ هل ليس في فاس منكر يكتب لكم به إلا التعرض لأهل الله؟».

فأجابه بعض أعضاء مجلس المناظرة بقوله: «لا ينبغي للإنسان أن يخرج عن سَنَن السلف والصحابة»، يشير إلى أن التجمل بالثياب الذي كان من عادة المترجم، ليس من سنن السلف والصحابة.

فرد عليه بقوله: «أسمعنا شيئا من سيرتهم، لعلنا نعلمها!». فسكت.

وحينئذ أطلق المترجم عذبة لسانه شارحا حقائق الإسلام، ومنتقدا على علماء عصره وصوفيته، عدة أشياء، وملفتا نظرهم إلى أن الوصف الحقيقي للصوفي، هو: اتباعه للكتاب والسنة ودعوته إليهما.

وقد تعددت مجالس المناظرة، وشملت جميع العلوم التي يتقنها أعضاء اللجنة وكبار علماء المغرب إذ ذاك، غير أن أغلبها كان في علمي: الكلام والتصوف.

فمن علم الكلام: الوجود: هل هو صفة نفسية، أو من المعاني المعنوية، أو من السُلوب؟، وهل هو زائد على الذات أو عينها؟، وما ملحظ القائل بكل؟، وهل توافقا على محل واحد أو اختلفا؟. وما الفرق بين الوجود العام والخاص؟. وهل هو ماهية؟، والحال عند الأشاعرة؟.

ومن علم التصوف: الإذن الذي يذكره القوم في كلامهم، وممن هو؟، وكيفيته، وحكم إفشاء الحقائق وبثها للعوام، والحال عند القوم والرقص، والغيبة في الذكر والقوة من الجهتين، وما ينسب إلى القوم من الكلام المشعر بالحلول والاتحاد، والتفاسير الموهمة. . .إلى غير ذلك مما يطول أمره[1].

وقد جال مناظروه جولات عديدة في ميدان التعصب والجمود، وحاولوا غير ما مرة تعجيزه، ولكنهم باؤوا بالفشل الذريع، واعترفوا في غيبته بعلمه الجم، واطلاعه النادر، ومقدرته الكاملة؛ لأنه كان يدعم كلامه

(١) من رسالة كتبها المترجم من مراكش إلى والده بفاس. (المؤلف).

ببراهين عقلية، وشرعية وحسية، وأدبية وفتحية. . .كانت تحظى بالقَبول من بعض الأعضاء وبالجدال المُحرم من البعض الآخر. ولم يكن قصد المجادلين إلا السعي في تعجيزه وتصديق خصومه الفاسيين، كي يتم لهم ما أرادوا من قتله أو سجنه أو منعه من مواصلة نشاطه على الأقل. ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وبلغ بهم التعصب، أو على الأصح: الجهل بعلم السنة؛ إلى القول بأن جُل أحواله ﷺ خاصة به، فكان إذا استدل على أصوبية رأيه بأحوال النبي ﷺ؛ قالوا: «هذا خاص به ﷺ»، فإذا خاطبهم بالدليل؛ عجزوا وانتقلوا لتوجيه سؤال آخر. وفي بعض الجلسات كانوا يوجهون له أسئلة، فإذا تلقوا الجواب الشافي الكافي؛ قالوا: «لسنا عن هذا نسألك!»، فيضطر إلى تعداد الأجوبة حتى لا يجدوا مناصا من إظهار الاقتناع.

وقد كان جلهم أبواقا ينفخ فيها أعداؤه بفاس. والأمر لله.

وقد دامت مجالس المناظرة ما يقرب من شهرين، وكانت تستغرق أربع ساعات في أغلب الأحيان، وكم حاولوا فيها التغلب عليه غير ما مرة، أو ترجيح أنظارهم على أنظاره على الأقل، ولكنهم كانوا يبوؤون بالعجز، ويرجعون القهقرى حينما كان يطالبهم بالدليل أو المرجح.

قال صاحب «المظاهر» ما لفظه[1]: «فكانوا يطالعون ويجتهدون، ويلقون عليه الأسئلة المتنوعة في كل فن؛ فيجيبهم على البديهة فوق ما يتطلبون».

وقال ابن الطيب في ألفيته[2]:

فاحتف جمع غير مرة به	لم يلتفت واشتد جأش قلبه
ولونوا العلوم والمسائل	لم يأل جهدا كل من يسائل
فلم يبؤ كل بغير العجز	وباء جمع منهم بالرجز

(١) المخطوط الورقة ٦٥.

(٢) يقصد المؤلف هنا: أحمد بن محمد بن الطيب الجاوزي الفيلالي، المتوفى سنة ١٣٢٤هـ، والبيتان مأخوذان من ألفيته: «الغنية الفريدة»، وقد سبقت الإشارة إليها في مقدمة الكتاب.

وقال أبو الحسن علي بن محمد العَدلوني[1] في شرحه لحكم ابن عطاء الله: «إنه أجاب عن جميع الأسئلة التي أوردوها عليه؛ حتى أعجزهم».

وقال المترجم نفسه في رسالة كتبها لتلامذته بفاس ما لفظه: «وتبرأنا من كل شيء يخالف ظاهر الشرع، لا في الماضي ولا في المستقبل، وأما ما في كتبنا؛ فليس بمخالف لظاهر الشرع، وألزمتهم على ذلك إلزامات؛ فأبدوا من من عُوارات الجهل ما يُطوى ولا يحكى، ومن وجد خيرا فليحمد الله».

ولم تخل المحادثات في الجلسات الصوفية من الكلام على مقالات نسبت إليه ولأصحابه، فأقر منها ما قاله في مؤلفاته ودروسه، مستدلاً على أصوبيته من الكتاب والسنة، وكلام أيمة التصوف. وأنكر ما لم يقله مما أذاعه عنه خصومه وأعداؤه، وزاد فأكد براءته من جميع الأقوال والأحوال، المخالفة لظاهر الشرع المطاع، المنسوبة إليه ولأصحابه.

ومع كل هذا اشتد النزاع إلى درجة أصبح معها الوفاق مستحيلاً. فطالبهم بأن يبحثوا عن رجل صالح عالم عامل زاهد متورع لا تاخذه في الله لومة لائم، ولا ينتصر لنفسه، ويعرف السنة النبوية، وتاريخ الصحابة الكرام والأولياء الأعلام، واصطلاحاتهم ومشاربهم، ليعاشره ويناظره، وحينئذ ينجلي الصبح لذى عينين، وتظهر الحقيقة بدون مين. فواعده الصَدْرُ بإجابة رغبته، فَشُق وعده على القوم، واقترحوا عقد جلسة ختامية قالوا عنها: إنها ستكون حاسمة للنزاع. فساعدهم الوزير، ثم رفعت الجلسة على أمل في الغد.

وما كاد الليل يرخي سدوله، حتى عقدوا جلسة سرية دونوا فيها رسالة مشتملة على انتقاداتهم على تائيته العرفانية[2] المطبوعة بفاس، معتقدين أنهم

---

(١) سبقت الإشارة إليه.

(٢) تقع التائية في ١١٣ بيتاً ومطلعها:

سقتني بثغر الوصل قهوة حسنها ... مشعشعة دارت بألحان نشأتي

وقد وردت أيضاً في كتاب: «من رسائل الإمام محمد بن عبدالكبير الكتاني» من ص ٣٢١ إلى ٣٢٧ المشار إليه آنفاً. =

سينتصرون عليه انتصاراً باهراً، ويحظون بتأييد الوزير. ولكنهم ما كادوا يستقرون في المجلس، ويأذن الوزير بافتتاح الجلسة؛ حتى شعروا بالخيبة وباؤوا بالفشل: ذلك أنهم طلبوا من المترجَم أن يُنصت إلى رسالة كتبوها في الرد عليه، فأجابهم بقوله: «على رِسْلِكم حتى أُسْمِعَكُم كلمات»، ثم شرع في تلاوة مؤلف حافل مشحون بالأدلة العقلية والشرعية والنقلية، أجاب فيه عن انتقاداتهم المدونة في رسالتهم التي أرادوا قراءتها، ألهمه الله إلى تأليفه في نفس الساعة التي كانوا يؤلفون فيها رسالتهم المذكورة؛ وهو المعروف من بين كتبه بـ: «البحر المسجور، في الرد على من أنكر فضل الله بالمأثور» في أربعة كرارس[1]، وهو برهان واضح على علمه الجم، ولهجته القوية في مجلس المناظرة، وكيفية دفاعه عن آرائه وأفكاره. وحقيق برجال التصوف الإسلامي أن يتخذوه سلاحاً يحاربون به أعداءهم أينما كانوا. وقد كان له تأثير قوي على الوزير؛ فكان يولي اهتماماً كبيراً لما يقرأه المترجم منه، ويبدي علامات الإعجاب والتقدير، وينطق بكلمات في حقه تستحق التدوين.

وبـ: «البحر المسجور»، سكنت القلاقل في الجملة.

ومن اللطائف هنا: قول أبي الحسن العَدْلوني في شرحه لحكم ابن عطاء الله: «إن سيدنا وشيخنا ومولانا محمدا الكتاني - رضي الله عنه - طلب منه القاضي السيد العربي المُنَبْعِي[2] - رحمه الله - أيام الاختبار بمراكش، بمحضر الوزير السيد أحمد بن موسى - رحمه الله - لما أعجزهم

= - خمست التائية من طرف الشيخ محمد الباقر الكتاني (المؤلف) واسم التخميس: «الجواهر الفرقانية في تخميس التائية الكتانية». يوجد بخزانته، وله شرح مقتضب عليها اسمه: «تقرير أسرار الفيض على أبيات والدي أبي الفيض» وهو يتألف من **٣٩** صفحة ولا يخلو من فوائد طريقية هامة.

(١) هذا التأليف مخطوط عند حفدة المؤلف.

(٢) العربي بن المقدم المنيعي، كان عارفاً بالقراءات وبالعربية، وصاحب نظم ونثر، تولى الوزارة في عهد المولى الحسن الأول، كما تولى القضاء والتدريس بمراكش، وتوفي سنة **١٣١٨**هـ، انظر «الإعلام» لابن إبراهيم **٩/٣٧**.

في إلقائهم الحجج، وجوابه رضي الله عنه عن جميعها ـ أن يُظهر لهم كرامة تدل على صدق دعواه المشيخة والولاية؛ فقال له رضي الله عنه: «ما تقول في قول سيدنا نوح عليه السلام لما قال له قومه: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾. [الأعراف: ٧٠]. فأجابهم بقوله: ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [هود: ٣٣]؛ هل هذا قبل نبوته أو بعدها؟. فإن قاله قبل النبوة؛ فيحتاج ذلك إلى تاريخ، وإن قال بعدها؛ فيسعنا ما يسع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام». فأفحمه».

هذا وقد صرح المترجم للوزير، إثر انفضاض الجلسة الأخيرة برغبته في العودة لفاس؛ لأن الاتفاق التام بينه وبين مناظريه أصبح من المستحيلات، ورجا منه محادثة السلطان في الموضوع، واطلاعه على حقائق الأشياء. وبعد أيام؛ أبلغه موافقته على ذلك بشرط وقوع إشهاد عليه، يحتوي على ما صرح به غير مرة في مجالس المناظرة، من أنه: يتبرأ إلى الله من كل ما يخالف الشريعة، ويلتزم بعدم إفشاء علم الحقيقة في مجالسه العامة، ويدفع له مؤلفاته فيه كي يُطْلِعَ عليها العِلْمَ الشريف، ويرى فيها رأيه، ذاكرا أنه مضطر إلى اتخاذ هذا التدبير ليرضي به بعض الأوساط الرسمية بفاس، التي كانت لا ترضى بغير القضاء عليه بديلاً.

وحيث إن الله تعالى حفه بالألطاف الخفية، من أول هذه القضية الهائلة إلى آخرها.

وحيث أنّه انتصر انتصاراً باهراً على أعدائه، في إقناع الوزير بإلغاء طلب المُلك من قائمة التهم الموجهة إليه.

وحيث أنه مل من مناظرة أناس لا يمتون إلى العلم الصحيح والأخلاق الفاضلة بصلة، وكلما قهرهم بدامغ الحجج، وروائع البيان، إلا وتلقوا من خصومه بفاس، رسائل يغذونهم بها تغذية كريهة، من نوع جديد، تكون سببا في امتداد حبل النزاع أسبوعاً آخر.

وحيث أنه يسعى في نشر أفكاره الإصلاحية، ودعوته التجديدية، وإحياء السنة، وإماتة البدعة، وهذا السعي يفرض على صاحبه استسهال كل صعب في سبيل نجاحه.

وحيث أنه اشتاق إلى والديه وعائلته ووطنه شوقا شديدا. . .

فقد رأى أن يجيب الوزير إلى اقتراحه، ويقبل وقوع إشهاد عليه بما ذكر، وفعلا تم أصل الإشهاد في خامس ربيع الثاني، عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف وعند تحرير صيغته النهائية، زيدت فيه مقدمة، اشتملت على أهم المسائل التي وقعت المناظرة فيها، بأسلوب لم يخلُ من الدس والمكر، بل والكذب أيضا، كما وقع حرص شديد على تكرير لفظ: «التوبة»، وتجاهلوا قوله تعالى: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩].

وبعد مضي نحو أسبوع على الإشهاد؛ أنهى الوزير إلى علم المترجم، أنه كتب عن الأمر الشريف، رسالة إلى الشيخ الإمام المصلح أبي الفضل محمد مصطفى ماء العينين الشنجيطي الحسني[١] يستدعيه فيها للقدوم لمراكش قصد إعطائه الكلمة الأخيرة في كثير من القضايا الهامة، التي كانت تشغل النفيس من أوقاته، وأهمها: قضية المترجم، والاطلاع على مؤلفاته الصوفية بحسب النيابة عن السلطان، وهل ما فيها موافق للشرع، وهل صاحبها جدير بحمل لقب المشيخة، والقيام بأعباء الدعوة إلى الله ؟!، وأشعره أنه قصد بذلك تحقيق رغبته التي أبداها في بعض مجالس المناظرة؛ فأبدى استعداده لذلك، لما يعلمه من تبحر الشيخ المذكور في علمي الظاهر والباطن، وإخلاصه لله تعالى في السر والعلن، وطهارة قلبه من العلل الظاهرة والباطنة.

ولما أشرقت شمسه على مراكش بعد انتظار دام ثلاثة أشهر، لم يتخلف أحد من أهلها عن استقباله، وكان في طليعة الكل: الوزير الأول، وأمراء البيت العلوي الشريف. بحيث كان يوما مشهودا، وموسما من مواسم الخيرات معدودا، أظهر فيه السلطان ووزراؤه وشعبه، ما يكنونه من محبة وتقدير، للشيخ ماء العينين، العامل لمصلحة دينه وبلاده.

---

(١) الشيخ الشهير، والمربي الكبير، والعلامة المشارك، كان له أتباع كثيرون في جل أنحاء المغرب، له عدة تآليف في فنون عديدة، عمر طويلاً، توفي بتزنيت سنة ١٣٢٨هـ. «شجرة النور الزكية» ٤٣٣/١، «إتحاف المطالع» ٣٨٥/١.

وكان أول عمل قام به بعد استراحته من أتعاب السفر، هو: اجتماعه بالمترجم، ومحادثته معه في مختلف المسائل التي اشتد النزاع فيها في مجالس المناظرة، والاطلاع على مؤلفاته الصوفية. وكان اجتماعا هاما، عرف منه الشيخ ماء العينين حقائق الأشياء، وخُبث نوايا أعداء المترجم، وأبدى إعجابا كبيرا بعلمه الجم ومعرفته الكبرى، واطلاعه النادر وآرائه الإصلاحية، وجهوده المبذولة لصالح الإسلام والمغرب، وصرح بأنه لا بأس بتلقينه علوم كبار الصوفية لجماعة من تلامذته، وحمل على مناظريه وأعدائه حملات عنيفة، قرأ على إثرها قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس: ٣٩]، والله يقلب الليل والنهار[1].

وأخيرا رجا منه أن يكتب له شرحا على صلاته «الأنموذجية»، فألف: «لقطة عجلان» في نحو كراس[2]، وبمجرد اطلاعه عليه كتب تقريظا ضمنه رأيه في المترجم ومؤلفاته، **«ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل»**[3] كما في الحديث الشريف.

وقد كان تقريظ الشيخ ماء العينين القول الفصل في محنة المترجم هاته، قطع ألسنة مناظريه وأعدائه، وعاشوا عدة شهور في غاية الحسرة، ومزيد الألم، مع أنهم كانوا حديثي عهد بانتصار جديد أحرزوا عليه بفاس؛ حيث نجح بعضهم في التأثير على بعض الأوساط الرسمية بفاس، حتى وجهت عدلين إلى والد المترجم ليشهدوا عليه الالتزام بعدم قراءة الصلاة الأنموذجية بالزاوية الكتانية الفاسية.

ولكنه لم تمض على ذلك إلا أيام قلائل؛ حتى من الله سبحانه على

---

(١) يقول تعالى في الآية ٤٤ من سورة النور: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾.

(٢) «لقطة عجلان في شرح الصلاة الأنموذجية» طبع طبعة حجرية سنة ١٣١٤هـ.

(٣) أخرجه ابن الجوزي عن طريق الخطيب البغدادي كما في تاريخه، بعد إيراده لطرق الحديث وإسناده (٧/٢٢٣ رقم: ٣٧٠٤)، قال الألباني في الضعيفة ٣٢٢٧: «فالحديث بهذه الأسانيد موضوع»... قلت: إذا كان الحديث بهذه الأسانيد لا يصح؛ فإن لمعناه شواهد صحيحة، قال تعالى في سورة الرحمن الآية ٦٠: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾.

المترجم، بأكبر انتصار حصل عليه في رحلته المراكشية هاته:

ذلك أن السلطان مولاي عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ أصدر ظهيرين شريفين: أولهما لخليفته بفاس الأمير مولاي عرفة العلوي[1] رحمه الله، وثانيهما: لقضاة فاس؛ يحتويان على أمره بقراءة الصلاة الأنموذجية، وقد بلغ من عنايته بالتقريظ العيني، أن أدمجه في ظهيره لقضاة فاس.(صورة من الظهيرين)

وهذا نص المقصود من الظهير الثاني:

«قد أطلعنا الشيخ البركة السني الأفضل الأجل، سيدي ماء العينين على صلاته المعلومة؛ فسلمها له، حيث لم يجد فيها ما ينكر، وكتب له عليها ما نصه:

«الحمد لله وحده. والسلامان على أفضل من عَبَدَه. هذا؛ وليعلم الواقف هنا من جميع أهل العلم، أني أيها الكويتب لهذه الحروف، غفر الله لي وأعاذني من كل مخوف، تصفحت كلام هذا السيد الجليل، فلم أجد ما أنقم عليه فيه مما لا يحتمل تأويلا صحيحا، وأظن أن أحد ثلاثة لا ينقم عليه شيئا مما قال؛

«أحدهما: رجل ذاق مذاقه، وشاهد مشهده».

«والثاني: رجل تبحر في لسان العربية، وعلم دقائقه من مجاز واستعارة، وعموم وخصوص... وغير ذلك من أنواع العلوم العربية التي تحتوي عليه».

«والثالث: رجل طالع كتب القوم الذين يتكلمون بمثل هذا الكلام، ولو لم يتركوا لضاع الدين، وضاع كثير من الذين سلكوا هذا المسلك».

«والأصوب عندي: أن لا يتعرض له من لم يفهم كلامه، بل قُصارى

---

(١) عرفة ابن السلطان سيدي محمد بن عبدالرحمن العلوي، الخليفة بفاس في عهد المولى الحسن، توفي بفاس سنة ١٣٢٤هـ، «إتحاف المطالع» ١/٣٦٩.

خبره إن لم يقبله: أن يقول له: الله أعلم بك، وبما تقول. لاسيما ما دام يجد له احتمالاً ولو شاذاً أو ضعيفاً، لكون المومن من شأنه التماس المعاذر، والله يتولانا وأحبتنا بالتمام، على المحبة والسلام. عبد ربه ماء العينين ابن شيخه الشيخ محمد فاضل بن مامين غفر الله لهم، وللمسلمين آمين، وفي **١٥** رجب عام **١٣١٤**».

«ولأجل هذا؛ آذنا له في قراءة الصلاة المذكورة؛ لتكونوا من الإذن له على بال. وقد أجبنا ابن عمنا مولاي عرفة بمثله والسلام».

وقد وقفت في رسالة لوالد المترجم، على كلمة قيمة صدرت من الوزير الأول إثر اطلاعه على التقريظ العيني، وهي أن: «جميع من أنكر على الشيخ الكتاني، أخرجه شيخنا من الأصناف الثلاثة، وأنه ليس له حظ ولا نصيب منها. ومثل شيخنا من يختبر[(١)]».

وبمجرد إثبات التقريظ العيني في الظهير السلطاني؛ أصبحت الأوساط الرسمية، تعتقد أن ملك المغرب هو الذي يقول: إن المنكرين على الشيخ الكتاني لم يذوقوا مذاقه، ولم يشهدوا مشهده، ولم يتبحروا في لسان العربية، ويعلموا دقائقه من مجاز واستعارة وعموم وخصوص... وغير ذلك من أنواع العربية التي تحتوي عليه، كما أنهم لم يطالعوا كتب القوم الذين قبله، الذين يتكلمون بمثل هذا الكلام، ولو لم يتركوا لضاع الدين، وضاع كثير من الذين سلكوا هذا المسلك.

وقد طال مُقام المترجم بمراكش نحو خمسة عشر شهراً، كان جامعاً فيها بين التدريس في أوقات، والتأليف في أوقات، وتربية المريدين في أوقات، وإرشاد السالكين في أوقات؛ فختم صحيح البخاري بـ: «فتح الباري»، وألف أزيد من عشرين مؤلفاً[(٢)]، واعتنق طريقته آلاف من مختلف طبقات مراكش والجنوب.

---

(١) تقريظ الشيخ ماء العينين هذا، مطبوع بآخر «لقطة عجلان» في حياة الشيخين الكتاني والشنجيطي. (المؤلف).

(٢) ذكر أسماءها في نهاية كتابه في القبض.

ومن حِكَمه التي صدرت منه بمراكش: أن شخصا قال له: «كم أقمت عند السلطان، وكم مضى على فراقك لأهلك؟». وكان قصده التهويل بأن شأن المقبلين على الله أن يقولوا للشيء: كن؛ فيكون، لا يسيروا بسير العبودية. فقال له: «مُكثي عند السلطان أَدْوَنُ من مُكث سيدنا يوسف عليه السلام في السجن، وغيبتي عن أهلي أقصر من غيبة نبي الله سيدنا يوسف عن أهله، ولو ارتقيت ما ارتقيت، لا أبلغ رتبة سيدنا يوسف عليه السلام، ولو ارتقى والدي ما ارتقى ما بلغ رتبة سيدنا يعقوب عليه السلام، والرب رب، والعبد عبد!!!»، فلم يجد جوابا(١).

وفي اليوم السابع عشر من شهر ربيع الثاني؛ بارح مراكش صحبة السلطان مولاي عبدالعزيز، قاصدا قبيلة الشاوية، وبعد مقامه بها ما يقرب من ثلاثة أشهر؛ قصد فاسا، حيث وصلها في شهر رجب الفرد عام خمسة عشر وثلاثمائة وألف، وورد عليه وعلى والده سيل من التهاني نظما ونثرا.

وبهاته الرحلة؛ قطعت الطريقة الكتانية مرحلة التكوين والتأسيس، والاعتراف من الأوساط الرسمية بصلاحيتها لخوض غمار الإصلاح والإرشاد، وقضت على المؤامرة التي دُبرت ضدها، واستقبلت عهدا جديدا عَظُم فيه أمرها، وارتفع في الوجود ذكرها، وتشبث بأذيالها أئمة كبار، وشيوخ عظام، أعانوا منشئتها على تجديد صروح الإسلام بهذه الديار، وإبادة معاقل البدع والضلال.



ب ـ رحلته للحجاز

بعد أن نشر المترجم ـ عليه رضوان الله ـ دعوته الإسلامية بالمغرب،

---

(١) «المظاهر السامية» المخطوط الورقة ٨٢.

وأقام لها مراكز عديدة، ونصب لها خلفاء وعمداء، ودعاة في مختلف الجهات؛ اشتاقت نفسه الكريمة لأداء فريضة الحج، وزيارة قبر رسول الله ﷺ، والاتصال بقادة الدعوة الإسلامية، والهيئات العلمية ببلاد الشرق، ودراسة الأحوال العامة بها إثر اتصالها بالأجانب، والوقوف على الإصلاحات التي أدخلت عليها، ومعرفة الأخطاء التي أدت إلى استعمار بعضها، وربما ستؤدي إلى استعمار واستغلال البعض الآخر.

وكان يوم الأحد السابع عشر من شهر ربيع النبوي، عام واحد وعشرين وثلاثمائة وألف، موعداً لهذه الرحلة المباركة، فبارح مدينة فاس وبصحبته أهله وأولاده، ونخبة من تلامذته، بعد أن ودعه جمهور غفير من مختلف الطبقات بفاس ونواحيها، معربين عن تأسفهم لفراقه، وتقديرهم لجنابه.

وقد أنشده في حفلة الوداع شيخ الإسلام وأمير الإفتاء بالمغرب، أبو المواهب جعفر بن إدريس الكتاني الأبيات التالية:

أشمس الغرب حقا ما سمعنا ... بأنك قد سئمت من الإقامة
وأنك قد عزمت على طلوع ... إلى شرق سموت به علامة
لقد زلزلت منا كل قلب ... بحق الله لا تقم القيامة[1]

وواصل السير إلى أن وصل «مكناس» يوم الثلاثاء، وقبل الوصول إليها بعدة كيلومترات، استقبله جمهور غفير من أهلها، ودخل إليها في مظاهرة كبرى قل نظيرها، فبدأ بزيارة المسجد الكبير اقتداء برسول الله ﷺ في البداءة بالمسجد كلما دخل المدينة، وبعد أن صلى فيه عدة ركعات أمام

---

(١) قرأت في «نفح الطيب» ج ٣ ص ٢٥٠ من الطبعة الأولى: أن القاضي أبا البركات البلفيقي لما عزم على الرحلة إلى المشرق؛ كتب إليه ابن خاتمة: أشمس الغرب إلخ... فحلف أبو البركات أن لا يرحل من إقليم فيه من يقول مثل هذا. (المؤلف).

- وقد سبق التعريف بالإمام جعفر بن إدريس المتوفى سنة ١٣٢٣هـ (المحققة).

المحراب؛ قصد منزل تلميذه الشهم الهمام، العارف بالله أبي العباس[1] أحمد بن محمد بناني رحمه الله، ولم يجاوز مقامه بها ثلاثة أيام، كان فيها قبلة للزوار من مكناس ونواحيها، فكان لا يألوا جهدا في تبليغ الدعوة إلى كل الناس وتحبيب الله إلى عباده، وفي يوم الجمعة **٢٣** منه أدى فريضة الجمعة بمسجد النجارين؛ الذي هو المسجد العتيق، ثم فارق مكناس قاصدا سلا، فودع بقلوب مملوءة أسفا وألما على فراقه، وكان السيد أحمد بناني ينشد البيت الآتي :

فحيث توجهتم حبتكم سعادة ويرعاكم الرحمن من كل جانب

وكان وداعه للفوج الأخير من مودعيه بقصبة «تُولالة»، فرجع السيد بناني المذكور وهو ينشد قول البوصري رحمه الله :

ورجعنا وللقلوب التفاتا ت إليه وللجسوم انثناء[2]

ولا أستطيع أن أصف الحفاوة الكبرى التي استقبل بها من طرف قبيلة «زَمُّور الشَلْح» التي أنقذها من الضلال والفوضى، وجعل منها مراكز للأمن والسلام، بعد أن كانت مراكز للسلب والنهب، وزرع في أهلها حماسا للدين منقطع النظير، حملها بعد ذلك على الوقوف في وجه الجيش الفرنسي وقوف الأبطال. وهكذا توالت الاستقبالات إلى أن وصل «سلا» في اليوم الثاني من ربيع الثاني.

قال حاكمها إذ ذاك: العالم الأديب الوطني الكبير؛ أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد السلاوي[3] في رسالة كتبها لوالد المترجم متحدثا

---

(١) العلامة المشارك المطلع القاضي، له عدة مؤلفات توفي سنة **١٣٤٠**هـ. «الإتحاف» لابن زيدان **٤٦٣/١**.

(٢) البيت رقم **٣٢٦** من همزية البوصيري.

(٣) عين عاملاً على العَدوتين طيلة سنتين، لكنه نفي إلى وجدة بسبب معارضته لفرض ضريبة «البطانطا» على التجار والصناع، توفي بمدينة سلا سنة **١٣٢٤**هـ. «الإتحاف الوجيز» ص **١٤٨**، تحقيق مصطفى بوشعراء.

عن هذه الزيارة: «وكان يوما مشهودا، سطعت فيه الأنوار على جدرانها وأرضها وأشجارها وأحجارها، وذراتها، ونزل بدارنا التي هي داره، والحمد لله الذي جمعنا به ولم يحرمنا رؤيته، وقد أملى لنا بالمسجد الأعظم، بعد صلاة الجمعة، ثلاث ساعات في حديث زيادة الإيمان[1]؛ أبدى فيها من المرقصات المطربات ما بهر الألباب، كما أملى ليلا قبله في بيت المادح:

لك ذات العلوم من عالم الغيـ ... ـب ومنها الآدم الأسماء[2]

والحاصل: على أن البلدة وأهلها ترقص طربا بحلوله الكريم، ويتعوذون من فاجع ارتحاله...». إلخ.

وفي اليوم الحادي منه؛ ارتحل لـ: «الرباط»؛ فكان استقباله أروع، وخرج لاستقباله على شاطئ البحر علماء الرباط وجميع طبقاتها، وفي طليعتهم: الإمام العلامة القاضي أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن البُرَيْبِري[3] رحمه الله، وقد تعرض جملة من الشعراء الرباطيين للحفاوة الكبرى التي قوبل بها في قصائد قدموها إليه؛ ذكرنا جملة منها في «التاج» و«الدائرة»، وأقرأ بالمسجد الأعظم درسا جامعا حضرته كل الشخصيات العلمية بالرباط، حتى القاضي البريبري المذكور، وشيخ الجماعة أبو حامد المكي بن محمد بن علي البِطَاوْري[4] ونقل منه في شرحه على «الهمزية»، كما حضر دروسه الأخرى التي كان يلقيها في الجموع والمحافل.

وبعد أن أقام بالرباط أياما؛ بارحها قاصدا الدار البيضاء للإبحار منها

(١) الحديث رقم ٤١٩٧ أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب زيادة الإيمان ونقصانه: وقوله تعالى: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ وقوله كذلك ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾.

(٢) البيت الخامس من همزية البوصيري، المجموعة النبهانية ١/٧٧.

(٣) العلامة المطلع الشهير، والفقيه الكبير، تولى القضاء بمدينة الرباط التي توفي بها سنة ١٣٢٦ («إتحاف المطالع» ١/١٣٢٦).

(٤) أبو حامد البطاوري، عالم مشارك ناظم وناثر (ومن أعلم أهل الرباط وأعلاهم قدراً) له عدة تآليف، توفي بالرباط سنة ١٣٥٤هـ «سل النصال»: ٨٠، «إتحاف المطالع» ٢/٤٧٥ وغيرهما.

إلى طنجة، وكانت جموع الشعب تستقبله بتقدير كبير، وحماس منقطع النظير، إلى أن وصل لـ: «فضالة» التي حملت اسم «المحمدية» اليوم.

وفي قنطرة وادي الملح القريبة منها؛ وفد عليه جمع من علماء مراكش الذين استدعاهم لمصاحبته للديار الحجازية، ومشاركته في الدعوة إلى الله بتلك البقاع السامية، وأعرف منهم: شيخ الجماعة بمراكش أبا عبدالله محمد الصالح بن قطب الدين المدني العمراني[١]، والعلامة المفتي أبا محمد عبدالسلام بن محمد بن المعطي العمراني[٢]، والعلامة المشارك أبا الحسن علي بن محمد بن عبدالقادر الحسني العدلوني؛ فسر بهم غاية السرور، ورحب بهم أتم ترحيب.

وفي يوم الجمعة ٢٨ منه؛ أمر بإقامة فريضة الجمعة، وكلف الشيخ عبدالسلام المذكور بالخطبة، وكان موضوعها: شرح أركان الإسلام، واستعراض أنواع من تعاليمه، والدعوة إلى التشبث بها.

قال الخطيب ـ رحمه الله ـ في رحلته المسماة بـ: «اللؤلؤة الفاشية[٣] بعد أن أثبت نص الخطبة: «ثم بعد الفراغ من الصلاة؛ أتيته ـ رضي الله عنه ـ فقبلت يده الكريمة، وجلست بين يديه، فقال: تقبل الله. ودعا لي بخير، فبقيت جالسا وقد أقبل على زيارته خلق كثير، فرأيته يكافح الناس بأحوالهم الباطنة، وبما في ضمائرهم؛ فيقرون بذلك، ومن ذلك: أن رجلا كان قد عق أمه وفر عنها، أراد تقبيل يده، فانكمش ـ رضي الله عنه ـ وجمع يده،

---

(١) العلامة المشارك شيخ الجماعة بمراكش أبو عبدالله محمد الصالح بن المدني العمراني. توفي عام ١٣٤٧هـ التاج الورقة ٢٠ وانظر كذلك «من أعلام المغرب العربي في القرن ١٤»، ص: ١٨٢.

(٢) الشيخ العلامة، والفقيه المشارك، والأديب، مفتي الحضرة المراكشية عبدالسلام العمراني السرغيني، المتوفى سنة ١٣٥٠هـ بمراكش.

(٣) «اللؤلؤة الفاشية في الرحلة الحجازية» لعبدالسلام بن المعطي العمراني المراكشي، الكتاني طريقة السالف الذكر، وهي في مائة وسبعين صفحة، وتوجد نسخة مخطوطة منها عند حفدة المؤلف، أنظر خ ع ك ٣/١٠١٢، وكذا «المصادر العربية» : ٢/٢٣٦.

وقال له: ألك أم؟، فقال الرجل: ليس لي أم ولا أب، إنما عندي الله تعالى!. فقال الشيخ: الناس كلهم - ولو كانت لهم آباء وأمهات - عندهم الله تعالى، ولكن لابد من الصدق. فقال الرجل: يا سيدي؛ نعم لي أم، ولكنها في الدار البيضاء. فقال رضي الله عنه: وحيث كانت في الدار البيضاء وأنت معنا، وبينكما نحو أربع ساعات، فلماذا فارقتها ولم تبر بها؟، اذهب فلا ينفعك نبي ولا ولي إلا إن رضيت عنك أمك وصرت بارا بها!، فبهت الرجل وتعجب الحاضرون من ذلك...».

وقال أيضا: «ثم بعد فراغ الناس من الزيارة؛ ركب رضي الله عنه، وركب من كان معه من أعيان الفقراء المودعين من أهل الرباط، وأهل سلا، وأهل مراكش، ومن قبائل شتى لا يحصون كثرة، فتقدم في موكب جميل، وزي حفيل، بعد أن ودع أهل البلد وأوصاهم بالمحافظة على الصلاة والصدق مع الله تعالى، والجد والاجتهاد. وشرع في السير، فكان لا يسير خطوات إلا وتتعرض له طائفة من الخلق، فيحبس بغلته حتى يزورون، ويوصيهم بالصلاة، وكثرة التهليل، ويأمر النساء، باتخاذ اللثم واعتزال صف الرجال...».

وقال أيضاً[1]: «ثم صلى العصر وركب ولا زالت وفود الناس تتلقاه من كل جانب ويتبركون به، ويقبلون حافر بغلته؛ حتى شككنا - من أجل ذلك - في إدراك الدار البيضاء ذلك اليوم، ومع ذلك أشرفنا عليها في الاصفرار، فرأينا خيل «أولاد حريز» - فرقة من «الشاوية» - وهي عدة صافنات جياد تلعب فرحا به، ورأينا وفود أهل الدار البيضاء التي خرجت للقاءه، وقد جللت البسيطة من ركبان ورجال وصبيان، وفرح الجميع بقدومه، وارتجت البلد فرحا وسرورا».

وقال - أيضاً - بعد عدة صفحات؛ سجل فيها جملة من إنباءاته وإملاءاته: «وسمعته - رضي الله عنه - يقول: كل من لم يحصل على

(١) «اللؤلؤة الفاشية»: المخطوط، الورقة ١١٤.

مقامات اليقين التسع التي هي من مبادئ التصوف المشار إليها بقول «المرشد»[1]: «ويتحلى بمقامات اليقين»؛ فليس بفقير، وإلى الآن لم يدخل الطريق. قال رضي الله عنه: «ودرجات التوكل **٤٥٦**، وقد كنت في أوائل الفتح كثير الاعتناء بقطع درجاته، فأسافر بلا زاد ولا ركوب، وأريض نفسي على ذلك، حتى كنت هذه مدة قطعت من ذلك **٢٢٤** درجة». ثم ذكر قضية توكل أم موسى حين أمرها الله تعالى بإلقائه في اليم. .إلخ، قال تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ۝٣٨ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ﴾ [طه: ٣٨، ٣٩]».

وقال أيضاً: «وسمعته ـ رضي الله عنه ـ يقول: «من كان يذكر بالأسماء وهو لا يستحضر معانيها ولا الثناء بها، وإنما جرى على لسانه ما لا يقصد؛ فليس بمتكلم فضلاً عن كونه ذاكراً، فضلاً عن كونه مثاباً، فضلاً عن كون الحق جليسه، فضلاً عن كونه مثنياً. . فهذا عابث ومتعب نفسه من غير طائل ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾. [الزمر: ٢٢]». قال رضي الله عنه: «وأما الذاكرون أسماء الله تعالى بقصد استجلاب خواصها؛ فهؤلاء يعذبون قبل عبدة الأوثان؛ لأنهم يعبدون الله على حرف، والله تعالى يقول في حق عبدة الأوثان: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾. [الزمر: ٣]، ولسان حال هؤلاء يقول: ما نعبده إلا ليقربنا إلى الدنيا! فاحذر خساسة هذا المقصد». . .».

وقبل غروب يوم السبت سادس جمادى الأولى؛ ركب باخرة صغيرة خاصة به أقلته وتلامذته إلى طنجة، التي وصلها صبيحة الأحد الموالي له.

قال ابن المعطي[2]: «فتلقانا أعيانها ـ منهم من وصل في الفلك قبل النزول ـ فلما طلع سلم المرسى؛ أذن ـ رضي الله عنه ـ في إتمام الصلاة

---

(١) «المرشد المعين على الضروري من علوم الدين»، منظومة في الفقه المالكي لعبدالواحد بن عاشر الأنصاري، الفقيه الأندلسي الأصل، نشأ وتوفي بفاس سنة ١٠٤٠هـ. «سلوة الأنفاس» ٢/٢٧٤.

(٢) «اللؤلؤة الفاشية»: الورقة ١١٦ ضمن مجموع.

الرباعية، وقدمت له ـ رضي الله عنه ـ بغلة الأخ البار النائب يعني: السيد الحاج محمد الطريس؛ نائب السلطان مولاي عبدالعزيز بطنجة[1]، المشهور بإيمانه الكامل ووطنيته الصادقة ـ فقال: «أنا لا أركب عليها بهذه المجاديل الحريرية»، فنزعت في الحين، وأبدلت بخيوط القنب والصوف، فركبها ودخل في موكب عظيم، وزي كبير، فوجدنا داراً كبيرة عجيبة البناء، تامة المرافق، بها خصة بالصحن، وفيها نحو ١٦ مسكناً، تنسب للجناب العالي بالله، معدة لنزول أصحابه، وروضاً أنيقاً أعد لنزوله ـ رضي الله عنه ـ فبمجرد نزوله؛ جاء الإذن الشريف بتعيين الأئمة للصلوات الخمس.

وبعد أن أقام ثمانية عشر يوما بطنجة، كانت كلها أعياداً ومواسم ودعوة إلى الله، ونشراً للعلم، ودفاعاً عن المثل العليا، وقد أرخ أنباءها ابن المعطي في نحو كراسين؛ تضمنت تسجيل بعض إملاءاته العرفانية، وأفكاره السديدة النيرة؛ بارحها على ظهر باخرة ألمانية كبيرة جميلة، زوال يوم الجمعة ٢٦ منه، قاصدا مصر.

ومن الملاحظ أنه: قابل بطنجة مبعوثاً خاصاً من السلطان مولاي عبدالعزيز رحمه الله، سلم إليه هدية السلطان السنوية لأهل الحرمين الشريفين، ليوزعها عليهم حسب نظره. وقدرها: عشرون ألف ريال كما في رحلة ابن المعطي.

وقد قضوا في الباخرة أياما سعيدة، عامرة بالعلم والأدب بالرغم عن هيجان البحر. وفي رحلة ابن المعطى مساجلات شعرية بين المترجم وتلامذته. وقد تضمن شعر المترجم: استسهال كل صعب في سبيل إدراك الآمال، والإشادة بالنبي ﷺ، والدعاء إلى الله بإظهار الإسلام على الدين كله، كما تضمن شعر تلامذته: الإشادة بمناقبه ومزاياه، والتأكيد بأنهم لا يخشون هول البحر ما داموا بجانبه.

وقد اغتنموا فرصة إرساء الباخرة بميناء مرسيليا، صبيحة يوم الثلاثاء

---

(١) كان رئيساً للوفد الذي مثل المغرب في مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة ١٣٢٤هـ الموافق ١٩٠٦م (مظاهر يقظة المغرب الحديث ١٩٩/٢).

متم جمادى الأولى؛ فنزلوا إلى اليابسة للوقوف على مدى الحضارة التي وصلت إليها أوربا بجل أنحاء المدينة، وزاروا معمل السكر، وكانت للمترجم رغبة كبرى في زيارته والوقوف على أجهزته، ومعرفة العيوب التي تساعده على شل حركته؛ لأنه المعمل الوحيد الذي صار يكتسح أموال المغاربة أكثر من غيره، ويسعى في اختلال أنظمة الجهاز الاقتصادي بالمغرب، ومعلوم أن المترجم كان يمنع شرب الشاي على أتباعه، ويحاربه في الجموع والمحافل، ويصرح بأنه مقدمة لاحتلال المغرب، وأن الأموال التي تصرف فيه لو صرفت على تجهيز المغرب من الناحية العسكرية؛ لاستطاع أن يقاوم كل خطر يهدد كيانه.

ودعوة المترجم لمقاطعة البضائع الأجنبية ـ وفي طليعتها الشاي والسكر ـ شهيرة بالمغرب، قل من لا يعرفها، حتى إنها تسببت له في عداوة كثيرة مع شخصيات بارزة، رسمية وغير رسمية، والأمر لله.

وفي المساء؛ رجعوا إلى الباخرة، واستأنفوا سيرهم إلى أن وصلوا إلى مدينة نابولي الإيطالية يوم الخميس، فقضوا فيها يوما وقفوا أثناءه على معالمها التاريخية ومرافقها الحيوية.

وفي صبيحة يوم الجمعة ثالث جمادى الثانية؛ بارحوها قاصدين بر الصعيد، وكان وصولهم إليه: زوال يوم الثلاثاء السابع منه، وما كادت الباخرة ترسو به حتى صعد إليها الأستاذ الشاعر، ذو الفكر النير، والوطنية الصادقة؛ أبو الحسن علي بن أحمد زُنَيْبر السلاوي[1]، مبعوث سفير المغرب بالقاهرة الشهم الهمام السيد الحاج محمد لحلو الفاسي مرحبا بالمترجم، ومخبرا بأن السفير وجهه لاستقباله ببر الصعيد، وأنه بقي ينتظره به عشرين يوما، فشكره على عنايته وعناية السفير، واعتذر له بأن تأخره يرجع إلى عدم وجود باخرة تقله في الأيام الأولى من وصوله لطنجة إلى بر الصعيد.

(١) العلامة المشارك، والشاعر الأديب، توفي سنة ١٣٢٨هـ، «إتحاف المطالع» ١/٣٩٤.

ولما نزلوا للمدينة؛ اكترى المبعوث المذكور منزلين؛ أحدهما للمترجم، والثاني لتلامذته، ولم يجاوز مقامهم ببر الصعيد يومين، استراحوا فيهما من أتعاب البحر الأبيض المتوسط، واجتمعوا مع شخصيات عديدة من أهل العلم والتصوف؛ في طليعتها: العلامة المفسر المحدث الشيخ عبدالفتاح بن أحمد الجمل[1] رحمه الله.

وفي صبيحة يوم الخميس الرابع منه؛ بارحوها قاصدين القاهرة على متن السيارات، بعد أن حضرت لوداعه شخصيات بارزة، في طليعتها: نائب السلطان السيد عبدالحميد العثماني[2] رحمه الله.

وبعد ست ساعات؛ وصلوا إليها، فوجدوا في استقبالهم: السفير المغربي، وبصحبته الإخوان المغاربة المقيمون بمصر، وجمهور من إخواننا المصريين. وبعد تقديم عبارات الترحيب والتهنئة؛ ركبوا ثمان عربات أعدها السفير لهم، وقصدوا منزله.

قال ابن المعطي: «وقد ـ أعد أي: السفير ـ داره لمولانا الشيخ، وروضا لنا، فنزلناه، وبر بنا وأكرم مثوانا، وبقينا عنده إلى أن جاء إبان الحج. . .».

وقد أقام بالقاهرة ما يقرب من شهر؛ زار أثناءه الصحابة والتابعين، وآل بيت سيد المرسلين، والأولياء والصالحين، والعلماء العاملين، كما زار المآثر التاريخية، ووقف على المنجزات العمرانية، واجتمع برجال العلم والتصوف والسياسة، وتبادل معهم الآراء والأفكار حول مستقبل الإسلام، والأخطار التي تهدد شريعة سيد الأنام، واستجازه كثير من علماء الأزهر، وأخذوا عنه طريقته الأحمدية، وانتصب جمع منهم للدعوة إليها في الأوساط الدينية، وأقرأ في الجامع الأزهر درسا حافلا، برواق المغاربة على كرسي

(١) العلامة المفسر المحدث عبدالفتاح بن أحمد الجمل، ولد في مدغشقر سنة ١٣٠٢هـ ونقله والده إلى زنجبار؛ فأخذ عن أكثر علمائها وأنبغهم، توفي بزنجبار سنة ١٣٥٣، «لوامع النور» ٢/٢٣٤.

(٢) توفي السلطان عبدالحميد سنة ١٣٢٦/١٩٠٨م الأعلام للزركلي.

جيد، وكلف شيخ الإسلام أعوانه بالحضور حفظا للنظام كما صرحت بهذا جرائد مصر إذ ذاك.

وكان موضوع الدرس: قوله ﷺ - حسبما في الصحيحين عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان**»[1]، وقد تكلم عليه من عدة مطامح تفوق العشرة:

المطمح الأول: في الكلام على رجال سنده على عادة الأقدمين، ثم نتف في التعريف برجال الحديث من حيث الكلام على لطائف إسناده، ثم استطرد سر ابتداء الكتاب العزيز بالفاتحة، وبين ثلاثة أسرار قدسية في سر الابتداء بالفاتحة.

المطمح الثاني: في علم اللغة.

المطمح الثالث: في علم الكلام؛ وفيه مرصدان؛ الأول: في الإلهيات، وفيه مواقع أربع؛ الأول: في استخراج العقائد التي يجب على المكلف معرفتها من الكلمة المشرفة، الموقع الثاني: في ذكر أصول الصفات الإلهية التي لا يعذر المومن من معرفتها، وهي محل الخلاف في المقلد الذي شاع وذاع، وملأ الأصقاع، الموقع الثالث: في ذكر أقسام التوحيد، الموقع الرابع: في أن بالتوحيد عمران العالم الشهادي، وبالكفر خراب العالم. المرصد الثاني: في الرساليات، والكلام فيه في مسلك واحد لعدم اتساع الوقت، وفيه: الكلام على معجزات الرسل الدالة على نبواتهم، وفيه: ذكر وجوه إعجاز القرآن على وجه غريب.

المطمح الرابع: فيما في الحديث من علمي المعاني والبيان.

المطمح الخامس: في علم المنطق.

---

(١) حديث رقم ٢٧٧٥، رواه أحمد في مسنده (مسند بني هاشم).

المطمح السادس: في علم الفقه.

المطمح السابع: في أصول الفقه.

المطمح الثامن: في علم المصطلح؛ وفيه: بيان لطائف هذا الإسناد.

المطمح التاسع: في تعداد روايات الحديث، ومن أخرجه، والأجوبة عن بعض إشكالات من هذا المعنى.

المطمح العاشر: في الأسئلة الواردة على الحديث الكريم وأجوبتها.

المطمح الحادي عشر: في الاستنباطات المأخوذة منه.

وقد حضره جمهور غفير من علماء مصر وطلبتها، ومختلف طبقات أهلها، وأقر الجميع له بالعلم الجم، والمعرفة الكبرى، والمقدرة التامة، والثقافة العالية، والفضل الكبير. وتحدثت عنه الجرائد المصرية، كما تحدث عنه الشعراء المصريون في قصائدهم. قال الشيخ أحمد رواق الشامي في قصيدة هنأ فيها الشيخ الإمام الوالد بدخوله لمصر:

والأزهر المعمور من درسه قد كاد من فرح به أن يطير

ولازالت أصداؤه تتجاوب بين أساطين الجامع الأزهر إلى الآن؛ فقد زرت مصر سنة **١٣٥٧**، ووجدت جماعة من رجاله يتحدثون عنه بإعجاب وتقدير، وقد تحدث الإمام محمد بن جعفر الكتاني في «النبذة» عن هذا الدرس؛ فقال: «وأملى بالجامع الأزهر من مصر درساً حضره الخاص والعام، وانبهروا منه انبهاراً عظيماً في ذلك العام»[١].

ومن أهم الشخصيات السياسية التي قابلها: أمير مصر السيد عباس باشا الخديوي[٢]، وقد قال عنه ابن المعطي: «إنه رجل تقي نقي، صغير

---

(١) المصدر ص **٢٢٥**، تحقيق عصام عرار ومحمد الفاتح الكتاني.

(٢) هو أحد من حكموا مصر من أسرة محمد علي، خلعته الحكومة البريطانية من الحكم إبان الحرب العالمية الأولى فقضى بقية حياته مغترباً بسويسرا، توفي سنة **١٩٤٤** - **١٣٦٣**، انظر «الأعلام» للزركلي **٣/٢٦٠**.

السن؛ عمره سبع وعشرون سنة، يصحب معه الأيمة والمؤذنين حضرا وسفرا، مطهرين من رذيلة الدخان التي عمت بلواها عند أهل مصر وغيرها، يجمع أهل الفضل والعلماء والصالحين كل شهر مرة، وله زوجة تركية من الصائمات الصالحات، شأنها: أن تصلي الفريضة وتقرأ في المصحف وردا معلوما دائما، وتصوم الثلاثة أشهر: رجب وشعبان ورمضان، وليس للسلطان عبدالحميد التركي عليه إلا السيادة والخراج...». إلخ.

وقد احتفل به الأمير عباس احتفالا رائقا، وجرت بينهما مذاكرات سياسية وعلمية هامة، وأثناء المذاكرة؛ أتى الخدم بأواني القهوة مصنوعة من فضة ومحلاة بالذهب؛ فحول المترجم الحديث للكلام على تعاليم الإسلام؛ ومنها: تحريم استعمال أواني الذهب والفضة. فشعر الأمير بذلك، وأمر حينا بإبدال تلك الأواني بأخرى عادية.

وبعد الانتهاء من الحفلة؛ طاف به على أهم مرافق القصر، إلى أن وصل إلى بهو توجد فيه الآلة الكاتبة، فبادر الأمير إليه وطبع رسالة ترحيب بالمترجم، فلما ناولها له؛ شكره شكرا جما على عنايته بالعلم وأهله..

وبعد إتمام الطواف؛ ودعه بباب قصره بمثل ما قابله به من الاحترام بعد أن طلب منه الدعاء الصالح، وأن يهب الله له غلاما زكيا؛ ففعل ...وإثر ذلك اشترى المترجم الآلة الكاتبة من مصر، وصار يستعملها بالمغرب.

ومن أهم الشخصيات العلمية التي زارته بمصر: شيخ الإسلام، الإمام العلامة؛ الشيخ علي الببلاوي المالكي[1]. وقد أظهر عناية كبرى به، وخصوصا حينما أقرأ بالأزهر درسه الشهير. والإمام الكبير، اللغوي الشهير؛ الشيخ محمد محمود الشنجيطي[2]؛ المتوفى بمصر سنة ١٣٢٢، ومعروف

---

(١) عالم مشارك، توفي بالقاهرة سنة ١٣٢٣، له عدة مؤلفات، انظر: «الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية» لزكي مجاهد ٢٥١/٤.

(٢) محمد محمود الشنجيطي: كان علامة عصره في اللغة والأدب، أقام بمصر ثم رحل إلى مكة المكرمة، له عدة تصانيف، توفي بمصر سنة ١٣٢٢هـ، «معجم المؤلفين» ٧٠٠/٣.

عن هذه الشخصية أنها لم تكن تنقاد لأحد، ولما اجتمعت بالمترجم؛ انقادت له انقيادا كليا، حتى إنها لم تكن تفارقه، وقالت له: «ما جاءنا من المغرب مثلك!»، ومدحته بقصيدة.. ومفتى الديار المصرية: الإمام العلامة الشيخ عبدالقادر الرافعي الحنفي الأزهري[(١)]، وقد أشاد بالمترجم في إجازته لشقيقي الأكبر أبي عبدالله محمد المهدي رحمه الله[(٢)]. وخطيب الجامع الأزهر العلامة الكبير الشيخ محمد السقا الشافعي[(٣)]، وشيخ الحنابلة بالديار المصرية العلامة الشيخ أحمد البستيوني[(٤)]، وشيخ الطريقة الخلوتية وأحد علماء الشافعية العلامة الصالح الشيخ سعيد بن علي الموجي[(٥)]، ومدرس العلوم الرياضية بالأزهر العلامة المعقولي الشيخ أحمد الحملاوي الشافعي[(٦)]، والعلامة الشهير الشيخ محمد حسنين العدوي الشافعي، والعلامة الجليل المؤلف المجيد الشيخ عبدالمجيد الشرنوبي[(٧)]، والعلامة المسند المعمر الشيخ عبدالبر بن أحمد منة الله الأزهري المالكي[(٨)]...وغيرهم من الذين لا أحصيهم كثرة.

---

(١) فقيه حنفي من علماء الأزهر، كان يلقب بأبي حنيفة الصغير، له عدة مؤلفات، توفي سنة ١٣٢٣، انظر «الأعلام» ٤/٤٦.

(٢) ترجمة هذا المفتي طبعت في مصر في مجلد (المؤلف).

(٣) العلامة المشارك، الفقيه الخطيب بالأزهر والمدرس به، إمام السقا من أهل مصر، له تصانيف عديدة، توفي سنة ١٣٤٦، انظر «رياض الجنة» ١/١٥٨.

(٤) شيخ الحنابلة بمصر، له عدة مؤلفات، كان حيا سنة ١٣٢٣هـ، انظر «فهرس الفهارس» ٢/٦٠٦.

(٥) الموجي الغرقي الشافعي، له نظم في طريق الصوفية، فرغ منه سنة ١٢٩٦هـ، انظر «معجم المؤلفين» ١/٧٦٧.

(٦) أحمد بن محمد الحملاوي، تخرج بدار العلوم، ثم بالأزهر، له عدة كتب، كما أن له ديوان شعر أكثره مدائح نبوية، توفي سنة ١٣٥١، «الأعلام» للزركلي ١/٢٥١.

(٧) عبدالمجيد الشرنوبي، العلامة المالكي الشهير، والفقيه المحدث اللغوي المتصوف، له عدة مؤلفات، كان حيا سنة ١٣٤٠، انظر ترجمته في «رياض الجنة» ٢/٩٧، و«شجرة النور» ١/٤١٢.

(٨) «فهرس الفهارس» ٢/١١٥٠ ضمن مجموع.

وكان للمترجم عناية كبرى بالتردد على الجامع الأزهر؛ لما أسداه للإسلام من خدمات جليلة لا ينساها التاريخ.

وقد قال ابن المعطي عن الأزهر: «إنه ملآن بطلبة العلم المجاورين، وليس فيه موضع خطوة بلا طلبة، وعددهم ـ على ما هو محصى في دفاتر الأروقة ـ اثنان وعشرون ألفا، وعدد المدرسين به: ثلاثمائة وخمسون»[1].

وفي ليلة اليوم السادس من شهر رجب الفرد؛ بارحوا القاهرة قاصدين ثغر السويس، حيث وصلوها قبل الفجر، فأقاموا فيها أياما اجتمعوا فيها بشخصيات علمية وصوفية.

وفي ليلة الجمعة العاشر منه؛ بارحوها قاصدين جدة، فوصلوها فوق ظهر باخرة، ضحوة يوم الإثنين ١٣ منه، وبعد أن زاروا فيه ضريح أم العالم مولاتنا حواء عليها السلام، واجتمعوا ببعض علمائها؛ قصدوا مكة المكرمة، ذات الأماكن المعظمة، وبعد الطواف والسعي؛ تحللوا من العمرة، وبها كانوا أحرموا أولا، واكترى المترجم دارا بجوار الكعبة المشرفة بأربعين إبرة لمدة ستة شهور. كما اكترى تلامذته دارا أخرى بعيدة عن الحرم بثمن يسير. وكان مطوفهم هو: الشيخ عبدالمعطي الحريري رحمه الله.

وما كاد نبأ وصول المترجم إلى مكة ينتشر بها؛ حتى هرع إليه سكانها والواردون عليها من مختلف بلاد العالم، يستفيدون من علمه ومعرفته، ويلتمسون دعاءه الصالح، ويهتدون بأفكاره النيرة.

---

(١) «اللؤلؤة الفاشية»: ١٤٧.

٩٠

پیشگاه دولتکاه پدرانه

دولتلو افندم حضرتلری

اوچ کون اول زیارتکزه اولدیغم تعقیبه توجهکزه دولتکزه جواب تشکر فرصتی ارامقده ایکن

بو دفعه مغرب اقصی علمای بنامندن ودکتور عبدالعزیز حضرتلرینک منتقبیه کرامندن

السید محمد شریف کتانی ایفای فریضه حج مقصدیله جناب جنابکوکینه قاصد

والتفات ونوازشده دولتلری کندیلرینه اخص مقاصد بولنمقله بو صورتده تأییدی مودتی

ذریعه حسنه اتخاذ وشو توصیه عاجزانه‌ایله مطلوبی [illegible] انفاذ ایلدی لطف وکرم [illegible]



رسالة من مدير عموم الأوقاف العثمانية يوصي فيها بالمترجم

وفتح التفسير ابتداء من سورة آل عمران بالبيت الحرام. وأمر تلامذته العلماء بالتدريس أيضاً؛ ففتح الشيخ علي العدلوني: «الشفا»، والشيخ عبدالسلام العمراني: «جوهرة اللقاني»(١) في التوحيد، والشيخ الصالح العمراني: كتاب الحج من «المختصر»(٢). وهكذا شاركوا في النهضة العلمية بمكة مشاركة رفعت رأس المغرب عالياً، وأبانت للحجاج أن المغرب يتوفر على دعاة من نوع السلف الصالح.

كما أن شريف مكة الأمير عون الرفيق ـ رحمه الله ـ استدعاه غير ما مرة لقصره، واحتفل به احتفالات شائقة. وكان يقوم إجلالاً له كلما رآه، فأشار له مرة بعدم القيام، فأنشده هذين البيتين الشهيرين كما في بعض دواوين العالم الصوفي أبي عبدالله محمد بن عبدالهادي القادري(٣) رحمه الله:

قيامي للعزيز علي فرض — وترك الفرض أنى يستقيم
فهل أحد له عقل ولب — ومعرفة يراك ولا يقوم؟!

وجرت بينهما مذاكرات تاريخية هامة، سمع أثناءها من فم المترجم ما أدهشه من علم نافع وأفكار صالحة، حتى قال له يوماً: «ما جاءنا من المغرب مثلك!»، ووجده عازماً على هدم البقية الباقية من بعض الأضرحة المقدسة بمكة؛ فشرح له الغاية من بنائها، وعدد له الأدلة التي اعتمد عليها الأمراء السابقون في تشييدها، وألفت نظره إلى الأخطار المحدقة بالإسلام من جراء تكالب الدول الاستعمارية عليه، ووجوب الاهتمام بإنقاذه، وعدم الاشتغال بما يوسع شقة الخلاف بين المسلمين، ويشغلهم عما هم بصدده

---

(١) «جوهرة التوحيد»، منظومة في علم الكلام للشيخ إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني المالكي، (نسبة إلى لقانة من البحيرة بمصر) المتوفى سنة ١٠٤١هـ، أولها:

الحمد لله على صلاته — ثم سلام الله مع صلاته

«كشف الظنون» ١/٤٨٤.

(٢) مختصر الشيخ خليل في فروع المالكية: والمقصود به: خليل بن إسحاق الجندي المالكي المتوفى سنة ٧٦٧هـ، «كشف الظنون» ٢/٥١٨.

(٣) عالم مشارك، له عدة تآليف، توفي بتطوان سنة ١٣٣٩، «إتحاف المطالع» ٢/٤٢٩.

من خوض معركة الإنقاذ وإتباعها بالبناء، فعدل رحمه الله عن فكرته.

ورسائل المترجم إلى والده أثناء هذه الرحلة تعد وثائق هامة يرجع إليها كل من يعني بموضوع رحلات المغاربة للحجاز[١].

واستجازه من العلماء الجم الغفير الذي لا يحصى، حتى إنه كان يواصل الليل بالنهار في كتب الإجازات في علم الإسناد، وفي طريقته الكتانية، كما أنه استجاز لنفسه من عدة شيوخ، كانوا مُثُلاً عليا للسلف الصالح، وتقدم ذكر جملة منهم في وصل «مشيخته»، واستجاز لشقيقه وأولاده جماعة أخرى من كبار العلماء وشيوخ التصوف، سيأتي ذكر جملة منهم في وصل: «ثناء الناس عليه».

واعتكف بالمسجد الحرام في العشر الأواخر من شهر رمضان، وبعد خروجه؛ صرح لتلامذته - كما في رحلة ابن المعطى - بقوله: «إن هذه الخلوة استكشفت فيها أموراً، حتى أني وددت أن لو أدخلت لها كل أحد؛ حتى النساء». إلخ. .ولم يترك مكاناً مقدساً إلا وزاره، وتحدث عنه أحاديث عرفانية دونها ابن المعطى في رحلته.

وفي يوم السبت ٢٦ من ذي القعدة؛ دخل الكعبة المشرفة وبصحبته ولده الأكبر الشيخ محمد المهدي، وتلميذه الشيخ الصالح العمراني، وخادمه السيد الحاج المكي بنيس - رحمهم الله[٢] - وبقوا فيها نحو الساعتين؛ حيَث غسلوها بأنفسهم، وصلوا، ودعوا لأنفسهم وللأمة المحمدية، وحصل للمترجم حال قوي، وتجل خاص؛ أفاض الله عليه فيه من نعمه ما لا يحصى، وزاده أثناءه شرفاً وفضلاً. وقد استأذنه أتباعه في الاحتفال بذلك

---

(١) يوجد بعض منها في خزانة المؤلف بسلا، وفي خزانة الدكتور علي الكتاني بالرباط.

(٢) الحاج المكي بنيس: الصوفي والداعية، ، كان لا يفارق الشيخ محمد الكتاني في حله وترحاله، شوهدت له كرامات، ذكرها المؤلف في كتابه: «طبقات الكتانيين طريقة»، سجن مع شيخه وتوفي بعده بحوالي أربعين سنة. وبذلك يكون قد توفي سنة ١٢٦٨هـ، «طبقات أهل الطريقة بفاس» مسودة طبقات الكتانيين طريقة (بدون ترقيم).

اليوم سنوياً في جميع الزوايا الكتانية، شكرا لله تعالى واعترافاً بنعمه جل وعلا؛ فآذنهم.

ولما وصل وقت الحج؛ أحرم بالقِران[1]، وأدى فريضته حسب الهدي المحمدي. لم يتقيد في ذلك بمذهب من المذاهب كما نص عليه في رسالة طويلة كتبها لوالده قدس سره.

وفي مكة المكرمة وزع شطر هدية ملك المغرب، لأهل الحرمين الشريفين على مستحقيها.

وفي مساء يوم الأربعاء الثالث والعشرين من ذي الحجة؛ طافوا طواف الوداع، ثم فارقوا مكة المكرمة قاصدين المدينة المنورة على ظهور الجمال. فوصلوها زوال اليوم التاسع من شهر محرم الحرام، فاتح سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة وألف، فاستقبلوا فيها استقبالاً حاراً من أهل العلم والدين، ونزلوا في دور ثلاثة أعدت لهم.

قال ابن المعطي[2]: «فلما تطيب ولبس أحسن ثيابه؛ خرج علينا فأوصانا باستحضار الآداب الكاملة، وقال: جددوا توبتكم، وأصلحوا نياتكم، واستحضروا مائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبي وثلاثمائة وأربعة عشر رسولاً، وأن ما يجب مع كل واحد منهم من التعظيم والاحترام، يجب أن يستعمل أضعافه معه ﷺ؛ فإن جميع الأنبياء والرسل، والملائكة والأرواح الطاهرة عاكفة بحضرته. فقلنا له: «يا سيدي؛ ليس لنا كبير علم ولا معرفة ولا أدب يليق بهذا الجناب الأعظم، ونحن على قصدك ونيتك، وطلبك وثنائك، وأدعيتك وتعظيمك، وأدبك وإجلالك ومعرفتك»، فدخلنا حوله[3] ووقفنا حول المواجهة الشريفة...». إلخ.

---

(١) القرِان: هو الجمع بين الحج والعمرة بنية واحدة وتلبية واحدة وإحرام واحد وطواف واحد وسعي واحد.

(٢) يحيل المؤلف هنا على «اللؤلؤة الفاشية في الرحلة الحجازية»، المخطوط الورقة ١٦٦.

(٣) كذا في الأصل.

وهكذا قضوا أياما بالمدينة المنورة، يعجز القلم عن وصفها، كانوا أثناءها ملازمين الصلاة مع الجماعة بالمسجد النبوي الشريف، وتلاوة القرآن الكريم، وكانوا يقرأون الورد الكتاني وهم مستقبلون القبر الشريف، كما أنهم تفانوا في زيارة الأماكن المقدسة والمشاهد المعظمة.

وفي المدينة المنورة وزع الشطر الثاني من الهدية الملكية لأهل الحرم المدني على مستحقيها، فانطلقت ألسنة المدنيين بالدعاء الصالح للمغرب ولملك المغرب: مولاي عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ كما انطلقت ألسنة المكيين بمثل ذلك من قبل.

وفي يوم الأحد الثالث والعشرين منه؛ فارقه علماء مراكش راجعين إلى المغرب، وبقي هو بالمدينة مؤملا الإقامة بها.

غير أن والده جبل السنة والدين ـ قدس سره ـ ألح عليه في عدة رسائل مبكية في الرجوع عاجلا إلى المغرب، فأجابه لذلك، وبارح المدينة أواسط صفر الخير سنته، ووصل إلى طنجة في أواسط ربيع الأول، بعد أن قضى بالجزائر أياما؛ عرف أثناءها نوايا الأخطار التي تهدد المغرب إن لم يتخذ الاحتياطات اللازمة.

وقد استقبله أتباعه بنشيد رقيق من إنشاء العلامة أبي عبدالله محمد ابن قاضي طنجة الشيخ محمد بن عبدالقادر بن سودة المري الفاسي[١] رحمهما الله.

ونزل بالقصر السلطاني، وبعد الاستراحة من أتعاب السفر؛ واصل السير إلى زرهون حيث زار جده قطب المغرب أبا العلاء مولانا إدريس رضي الله عنه، ومنه إلى فاس؛ حيث وصلها في شهر ربيع الثاني.

وقدمت إليه التهاني من كثير من العلماء والأدباء والشعراء؛ ذكرت بعضها في «التاج»، وشطرا منها في «الدائرة»[٢].

---

(١) العالم المشارك المطلع الحافظ، محمد بن محمد بن عبدالقادر بن سودة، له ديوان شعر في مجلد، توفي سنة ١٣٦٨هـ، ودفن بالقباب بفاس، انظر «إتحاف المطالع» ٢/٥١٤.

(٢) سبق التعريف بهذين الكتابين في مقدمة الكتاب.



الوصل السادس
في نبذة من شعره

للمترجم - قدس سره - شعر كثير، جمعت ما عثرت منه في نحو مائتي[1] صحيفة، وذلك سنة ١٣٥١هـ، وسأقتصر هنا على نبذة منه؛ فأقول:

حرف التاء

قال في ألفيته الخاصة بالكمالات المحمدية[2]، متحدثا عن بعض ما استفاده النبي ﷺ من ربه - جل ثناؤه - ليلة الإسراء:

وعلمَه العلم المحيط بتدبير الـ ... ـممالك والأشيا وفقه الهداية
وعلمَه علم الكمون وأسرار الـ ... ـظهور وأحكام القضا والمشيئة
وعلمَه معنى النفوذ وجملة القلـ ... ـوب ومعنى الأصبعين وحكمة
وعلمه القرآن إذ لم يكن هنا ... ك جبريل سرا أو سفير رواية

(١) «شعر الشيخ محمد الكتاني: جمع وتحقيق ودراسة» : عنوان لأطروحة تقدم بها الباحث إسماعيل الموسوي لنيل دكتوراه الدولة في الآداب، كلية اللغة العربية بمراكش، سنة ٢٠٠٠، جمع فيها ما يزيد عن ٣٥٠٠ بيتا.

(٢) توجد نسخة منها بخط يد المؤلف في خزانة جمعية الشرفاء الكتانيين بالرباط. وقد أخرجها الدكتور حمزة بن علي الكتاني.

وقد كان جبريل يذكره به | بقالب تفصيل لمجمل خلوة
وعلمَه آداب ملك ومالك | وآداب تشريع وآداب رتبة
رآه بعيني رأسه رؤية الكفا | ح في عالم التجريد عن وهم كثرة
رآه به لما تجلى بذاته | عليه وأفنى ذاته والبقية
هناك تجلى الحق من غيب ذاته | وأشهده ذاك الجمال بقوة
وحمله من قربه ما تضاءلت | له كائنات الله أول نظرة
وصار له مأوى بها جنة المأوى | وعلمه الرحمن تصريف قدرة
وأشهده ما لا يطاق شهوده | وأسكنه بحبوح علم الإرادة

وقال في تائيته الشهيرة المطبوعة بفاس[1]:

سقتني بثغر الوصل قهوة حسنها | مشعشعة دارت بألحان نشأتي
فيا ساقيا مهلا فما روي الحشا | أدرها على سري بحانات حضرة
سكرت ولكن من محيا جمالها | فطلعتها سكري ككاسات خمرة

ومنها في الوصايا:

فخل جميع الكون واصرم حباله | وبدد كثافات العناصر صبغة
وحسن ظنونا بالورى لا تسيء بهم | فذلك أدنى المقت، والباب سدت
ودونك بحر الشرع فالزم سبيله | ولا تعبأن بالمبطلين لشرعة
ودونك أهل الله فالزم ودادهم | وقربتهم فالباب منهم لحضرة
وإياك والتدبير للرزق إنه | يجر إلى التشكيك في سر كلمة
وإياك والتحجير للحق إنه | تجلى بتلوين على لون قبضة
ودونك فكر الوهم فالغه إنه | مؤد إلى تقييد عقل وصورة
ودونك والتجريد للقلب إنه | هو الغرض الأقصى ونيل الطريقة

---

(1) عدد أبيات التائية هو ١١٣ بيتا، وهي مطبوعة أيضاً ضمن رسائل الإمام محمد بن عبدالكبير الكتاني من ص: ٣٢١ إلى ٣٢٧.

ودونك والإطلاق في كل ما ترى ... فذاك مراد الحق عين الخليقة
ودونك ذل النفس فابغه إنه ... يرقي على الأفلاك فوق المجرة
ودونك حسن الظن فهو المنى والفو ... ز والنيل للخيرات في كل رتبة
وإياك سوء الظن بالمرء إنه ... هو المقت في الدارين بين البرية
وإياك والإعطاء للنفس حظها ... فذاك هو الإغواء أصل البلية
وإياك والتمزيق للعرض إنه ... هو الآية الكبرى وسبل المحجة
وإياك والإكثار للنوم إنه ... يقسى عليك القلب في كل مرة
وإياك أن تعنى بنفسك والقها ... على الزبل إن شئت المعالي بسرعة
ودونك ود الود فاحفظه إنه ... علامة إيمان ومزج المودة
ولا تنسه بين الأعادي لأجل أن ... تقوم بأمر الحق أمر الأخوة
ولا تنس من أولاك خيرا لأن ذا ... طباع لأحرار نأوا عن كثافة
وإياك والأغيار لا تكترث بها ... لأن شهود الحق يفني البقية
وطهر قبيل العصر كلك مخلصا ... وألق وجود الظل في ماء وحدة
وكبر على الأكوان تكبير ميت ... تفانى عن الإحساس لما تجلت
وألق مثال الظل في صبح شمسها ... وصارم شكوك العقل في شأن سجدة
وصل صلاة الجمع في فرق جمعه ... لكي تنزوي عنك البقايا الكثيفة
تصير بمرأى للخطاب ومسمع ... محلا لنفث الروع إرث النبوءة
فحيهلا[1] بالسكر فيها وواصلن ... ودع عنك أرباب الدعاوى السخيفة
وشقق عليها الثوب والقلب واشطحن ... على الكون في حانات جمع الأحبة
ودونك والإكثار للذكر إنه ... صقيل لمرآة الفؤاد الصدية
ومزق ثياب العز في جنب وصلها ... فإن فناء النفس شرط لوصلة
تنزه عن الشرك الخفي فإنه ... تبدى على كل بأحسن صورة
ودونك مرمانا، فرمه، فإنه ... محجتنا البيضا وأوثق عروة

---

(١) كلمة يستحث بها.

طريقتنا أربت على الفلك تبتغي مراتب فوق الفوق من بين أخوتي

* * *

حرف الدال

وقال أيضا :

عرج بمنعرج الكثيب الأخضد بين العقيق وبين حي الخُرَّد[1]

واسلك حرا ومناهل الوراد في عذبات رند لِلهضاب الورد

فإذا علقت بربع قلبي حيه إن الفؤاد رهين رَبع الفُوَّد

وانثر على قصر العقيق عقيق دمـ ع صبابة الوجد الكئيب الأكمد[2]

وسلكت ما بين البشام ورنده وسكرت من دن الرحيق بعسجد[3]

وقطعت ما بين الشظا وتصعدت زفرات وجد من ضلوع القعهد

وأتيت من وديانه في أدخر وطربت ما بين الخيام وصرخد[4]

فأقر السلام أهيله عنى وقل صب الجمال متيم بالأسأد

قد طالما قد أبرزت عيناه من سفح الدموع ممزجا بتنكد

ليت الزمان بوصلنا ووصالنا غنى فأغنى عن وصال العُوَّد

يا قلب قم نحو الحبيب متيما عل الزمان بوصلنا لم يحسد

ولرب ساجعة شجت قلبي ضنى نغماتها بين الأراك الأملد

دانت تطارحني الهوى فكأنما تدري الهوى بضلوعها مستقعد

وكأنما تدري الذي بجوانح الصب العليل المرتدي بالأنكد

---

(١) الخرد: الخريدة والخريد والخرود من النساء أي البكر التي لم تمسس قط.

(٢) الأكمد: من أكمده الحزن إذا اشتد عليه.

(٣) البشام: شجر طيب الريح والطعم يستاك به، والعسجد: إسم موضع بعينه.

(٤) الأثيلات: مفرد أثيلة؛ وهو: اسم موضع، صرخد: اسم موضع بالشام تنسب إليه الخمر الجيدة.

فبكيت من ألم النوى وجدا به وبكت بغير الدمع فوق الأملد
من فاته أبدا وصال حبيبه فليرسل الدمع الهتون العربدي[1]
واها على دهر مضى واها له فبشعبه ورد الظباء القصد
ما أحرزت تلحات نجد كالربى كالشيح كالسرح العظام العلكد[2]
كالقاعة الوعساء والعلمين من وبد الأثيلاث الشعاب الصرخد[3]
كالزاهر الدكناء والظهران والتنعيم والزوراء ثم الفيد[4]
كالنازلي أرض الهراة وهضبها ورياضها والمنحني والمأبد
كالساكني ربع الثنية واللوى والحلة الفيحاء بين الفرصد[5]
بألذ من تلك الدهور مضت لنا طيبا وليس أريجها كالأبيد[6]
فيها رمت بنبال جفن في الوغى فكأنني وكأنها في مورد
هيفاء تزري بالمحاسن والطلا تختال كالغصن الرطيب الأملد[7]
قد ساقه أرج النسيم بروضة فكأنها من حسنه في فرقد[8]
إنسانة فتانة قتالة وعدت ولكن الزمان مبعدي
وتميس بين معصفر ومزعفر وممسَّك ومعنبر ومهند
ولها سنان من نصال قد غدت تطوي بها كل السفنج الألود[9]
صهباء ليس كؤوسها إلا الثنيات العذاب على رضاب الجلسد[10]

---

(١) العربدي: الشديد.
(٢) تلحات: مرتفعات، العلكد: الغليظ.
(٣) الوعساء: الأرض اللينة ذات الرمل.
(٤) الفيد: منزل بطريق مكة.
(٥) الفرصد: شجر معروف، والأكثرون على أنه شجر التوت (اللسان).
(٦) الأبيد: نبات مثل زرع الشعير.
(٧) الأملد: الناعم.
(٨) فرقد: الفرقدان: نجمان في السماء لا يغربان، وقد تغنى الشعراء قديما بالفراقد وبالفرقد.
(٩) السفنج: السريع، الألود: الشديد الذي لا يعطي طاعة.
(١٠) الجلسد: إسم صنم كان يعبد في الجاهلية.

عنت فأفنت ثم أبلت أسكرت ندمانها بتلفتات في دد[1]
ظهرت وأبدت من بديع جمالها فرَقا أذاب حُشاشة في المعهد
سترت وأهدت من حواشي حسنها وردا أبان عذار وجد مهند
فتكاتها تبلى الأسود فلم تدع للعاشقين جواهرا في كرمد
فتنت مواهي حسنها في حسنها فكأنها وكأننا كالمفرد

وقال أيضا :

فاشهدوا أني غلام للحبيب مولاي محمد
بدت الأكوان شوقا للحبيب مولاي محمد
تاه عقل العالمين بالحبيب مولاي محمد
هامت الأملاك جمعا بالحبيب مولاي محمد
وتجلت وترقت بالحبيب مولاي محمد
ورأت ما لم تره بالحبيب مولاي محمد
علمت أسرار حق بالحبيب مولاي محمد
صلح الجوهر منها بالحبيب مولاي محمد
بقيت أمرا مطاعا بالحبيب مولاي محمد
شغلها صل عليه بالحبيب مولاي محمد
هامت الأملاك جمعا بالحبيب مولاي محمد
دارت الفلك وحارت بالحبيب مولاي محمد
وله الأملاك تصبو بالحبيب مولاي محمد
شغلها ذكر ثناه بالحبيب مولاي محمد
ذكره مرتع قدس بالحبيب مولاي محمد
ذكره ذكر وقرب بالحبيب مولاي محمد

---

(١) الدد: هو اللهو واللعب.

ذكــره شـغــل بـحــق   بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد
ذكــره مـعـراج وصـل   بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد
ذكــره لـلـقـلـب مـحـي   بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد
ذكــره كـشـف لـلـبـس   بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد
ذكــره أمـن لـلـوقـت   بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد
ذكــره نـصـر وفـتـح   بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد
ذكــره مـغـنـي الـعـوالـم   بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد
ذكــره حـسـبـي وكـسـبـي   بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد
ذكــره درعـي وحـصـنـي   بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد
ذكــره مـفـتـاح قـرب   بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد
ذكــره أحـمـى جـنـاب   بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد
ذكــره بـرد سـلام   بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد
ذكــره روح لـهـيـب   بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد
ذكــره رفـع لـقـدري   بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد
ذكــره خـصـب الأراضـي   بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد
ذكــره رفـرف سـري[١]   بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد
ذكــره رافـع حـجـب   بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد
ذكــره جـاذب حـال   بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد
ذكــره جـمـع وفـرق   بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد
ذكــره مـرآة كـشـف   بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد
ذكــره جـمـع شـتـات   بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد
ذكــره سـيـفـي ورمـحـي   بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد
ذكــره عـصـمـة أمـري   بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد

---

(١) الرفرف: البساط أو الستر.

ذكـــــره ركـــــنـــــي وعـــــزي بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد
ذكـــره حـــصـــن حـــصـــيـــن بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد
ذكـــــره عـــيـــن حـــيـــاة بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد
ذكـــــره هـــــاد بـــــحـــــق بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد
ذكـــــره راتـــــق فـــــتـــــق بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد
ذكـــره مـــرشـــد حـــائـــر بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد
ذكـــــــــره وارد حـــــــــق بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد
ذكـــره مـــجـــلـــي هـــمـــوم بـالـحـبـيـب مـولاي مـحـمـد

****

حرف الراء

وقال مادحا الجناب النبوي :

هـو الـرحـمـة الـمـهـداة لـلـخـلـق إنـه رؤوف حليم لم يزل للورى بحرا
هو الغوث والغياث إن قحط الورى يـنـادوا أيـا روح الـوجـود الأقـرى
هو الغوث والغياث إن يئس الورى ونـادوا أيـا غـوثـاه أبـطـأت الـبـشـرى
فيسجد للرحمن يسمع: قل يكن وسل تعطه نوري لك الدولة الكبرى
شفيعا شفيعا أنت أنت لها وقد تداعت بنا الأحوال أبدت لنا تترى
تقلد أبا الزهراء سيفك قد طمت[1] أهاويل في الأكوان غوثا أبا الزهرا

وقال ـ أيضاً ـ مخمسا أبيات الجنيد: توضأ بماء الغيب. . .[2]:

(١) أي: كثرت.
(٢) هذه أبيات مشهورة خمسها كثير من الصوفية قديما وحديثا، وتنسب لأبي القاسم الجنيد؛ أصله من نهاوند، ولد ونشأ في العراق، وهو من أئمة الصوفية، توفي سنة ٢٩٧هـ، انظر «الرسالة القشيرية» ص: ٤٣٠، تحقيق معروف مصطفى زريق.

أزل علة الشرك الخفي لدى السير وكن أنت في طي وأخراك في نشر
وإن رمت كشف الحسن في داخل الدير توضأ بماء الغيب إن كنت ذا سر
وإلا تيمم بالصعيد أو الصخر

ورد مورد الأسمى ففض ختامه وحل بواد الأنس واقرع خيامه
وهم بشهود الحق وارع ذمامه وقدم إماما كنت أنت إمامه
وصل صلاة العصر في أول الظهر

صلاة شهود الوالهين بحبهم بحضرة أنوار الشهود لقربهم
تطهر من الأكوان تهدى لشربهم فهذي صلاة العارفين بربهم
فإن كنت منهم؛ فانضح[1] البر بالبحر

❋ ❋ ❋

حرف الميم

وقال أيضا :

سرى بفؤادي الوجد نحوك هائم فعوضني حتفا من القرب قاصم
فنجم الدياجي قد أعار جفونه لصب لذي الأطلال سهده دائم
أرقت لشجو الورق والنجم شاهد علي وقاضي العشق فيه جرائم
أريد هجوعا عل طيفك ينجلي فيرصدني جفن لديه صوارم
إذا هبت النكباء دب بجسمنا لذيذ ليالي الوصل فيها مواسم
كما دبت الصهباء لما تجوهرت بجسم صريع فيه غنت حمائم
تصحف لي أجفانه لين غصنه فوا كبدي حنت لصخر تهادم
وكل جمال في البرية أصله جمال له كل القلوب تراجم
ومن لم يكن يوم الزحام ملبيا لنيل سهام الجفن فيه تراكم
فما ذاق من طعم الغرام لذاذة وليس له في العشق سهم يساهم

---

(١) فانضح: من النضح؛ وهو: الرش.

وله ـ أيضاً ـ هذا الجدول العجيب:

حواشي الحسن رقت وراقني تعاطى كؤوس الوصل عني[1]

لواء الحسن أو ما بجفنه

والوان إسقامي بها أن

بفتك أساري الحب والكل

بها عنى ثياب همومن

الهوى مرولكن إذا أنا لثمت ثغورا عاد وجدي

❋ ❋ ❋

(١) صدر البيت الأول: معان، وعجزه: لازم، وصدر الثاني: مزال؛ إسم مفعول من الإزالة، وعجزه: قاذم؛ بالقاف أوله، وصدر الثالث: مذاق، وعجزه: كالم؛ بالكاف أوله، وصدر الرابع: ملاك؛ بكسر الميم، وعجزه: ناعم.

فهذه أبيات أربعة ميمية القافية، وابتداء وقافية، كل بيت هي صدر البيت الذي يليه بقلب الحروف كما أن الأبيات التي يمنته كذلك. (المؤلف)

حرف النون

ولما طال مقامه بمراكش أثناء محنته الأولى، أنشأ قصيدة رائعة في التشوق إلى والده: الشيخ أبي المكارم عبدالكبير الكتاني ـ قدس سره ـ ووطنه فاس؛ مطلعها:

رماني زماني مذ علاني حبها ... بوقع سهام المعضلات رماني[1]

ومنها مخاطبا الحق سبحانه وتعالى:

وعجل بإيابي إلى والدي فإن ... قلبي له قد طار مع سرب غزلان
وجبت قفارا مع ظباء لعلني ... أرى طلعة أبهى من الشمس تلقاني
وننسى زمانا قد أساء ببيننا ... وفرقنا عما عهدنا بأوطان
فنغدوا بوصل واتصال ولا ندع ... أطايب فيض الأذان وأدناني
فنختال لما أن تجلت شموسنا ... بغرب فكان الغرب شرقا وكأنني
ولا نكتفي بالوصل حيث تآلفت ... مواقفنا بل لا نرى فعل ريان
أيا زمنا قد خنت عهدا وما لنا ... يدان بما أبدت عوافص[2] خفان
ففرقت ابنا عن أبيه أما كفا ... ك ما قد جرى بالسفح من دمعنا القاني
لعمري لقد أبكينا دمعا ... وقد جرت مدامعه تجري على فيض طوفان
فلو ضمنا في مرصد الحكم مجلس ... لكانت عليه كرة من فتاتان
فينصفنا من نفسه ويردنا ... كما كنا في أنس وعز مغان

(١) القصيدة تضم ١٢٩ بيتا، وتوجد معظم هذه الرسائل التي كان يرسلها إلى والده في خزانة خاصة، وقد نشرت واحدة من هذه الرسائل ضمن رسائل الشيخ محمد بن عبدالكبير الكتاني: (سلسلة النفائس الكتانية) السالفة الذكر.

(٢) عوافص: من العفص، وهو الذي يتخذ منه الحبر، والشيخ ـ رضي الله عنه ـ يريد هنا: أثر عفص الخفين في الأرض.

ولا يكتفي بالعهد منه لأنه … على الجور يبني حكمه ويعاني

فلا يرعوي للهالكين ولا الذين … تغذوا بألبان على حسن عقيان

أما آن أن تبدو مشارق غربنا … فيشرق في داج الجهالة بدران

وتنزاح عنا غمة الأمر إنها … أحاطت بنا والقلب واه بأشجان

توخيت عن إفشاء سري فلا أرى … أراني ولا يدري بمنزع إنسان

وعن ظل ظلي إنني أصله فلو … وجدت سبيلا ما دراني مكاني

وأكتم عن علمي سرائر خاطري … وعن خاطري سري لسر جناني

أسيري سرى إن كتمت فصوله … واني أسير إن أبحت عناني

ويا عجبا حر يصير بنطقه … أسيرا أما يثني عنان لساني

فذا زمن قلت كمالات أهله … وصاروا على متن لكسرى ومروان

ولما رأيت الدهر أبدى تجاهلا … تجاهلت حتى قيل إنني الثاني

وأضمرت ما أدري وإن كنت عارفا … مخافة غر يمتطي غرب ساسان

وقد عكفت روحي بمرتع قدسها … وظلها ممدود فغنى وأغناني

وسالمني يمنى البشائر فلتكن … ميامن دهري مالها يسريان

تدثرت من حرب له إذ توقدت … فظل جناح منه حيا وبياني

كما غرت فاستكتمت حبي بمقلة … وما كان ظني ما بعيني من إنسان

فأنكرته لما تبدى مقامه … وغالطت فيه وهو حشو جناني

ألا فاعجبوا من منكر وهو عارف … تكافأ ما قد صار ضدان ضدان

وكم خضت بحر الكنايات مائلا … لشرع الهوى حتى حباني وأدناني

فقلت أمولانا الكبير لقد بدت … مطالع وجدي في المديح أتنساني

وإني غرثان[1] للقياك طالبا … من الله أن تطوي مسافة حيران

ولا يجعلنه آخر العهد إنني … على العهد ما أنساني طوله زمان

ولازلت في نعمى رضاك مقلبا … يمينا ويسرى إن دعواك ترعاني

---

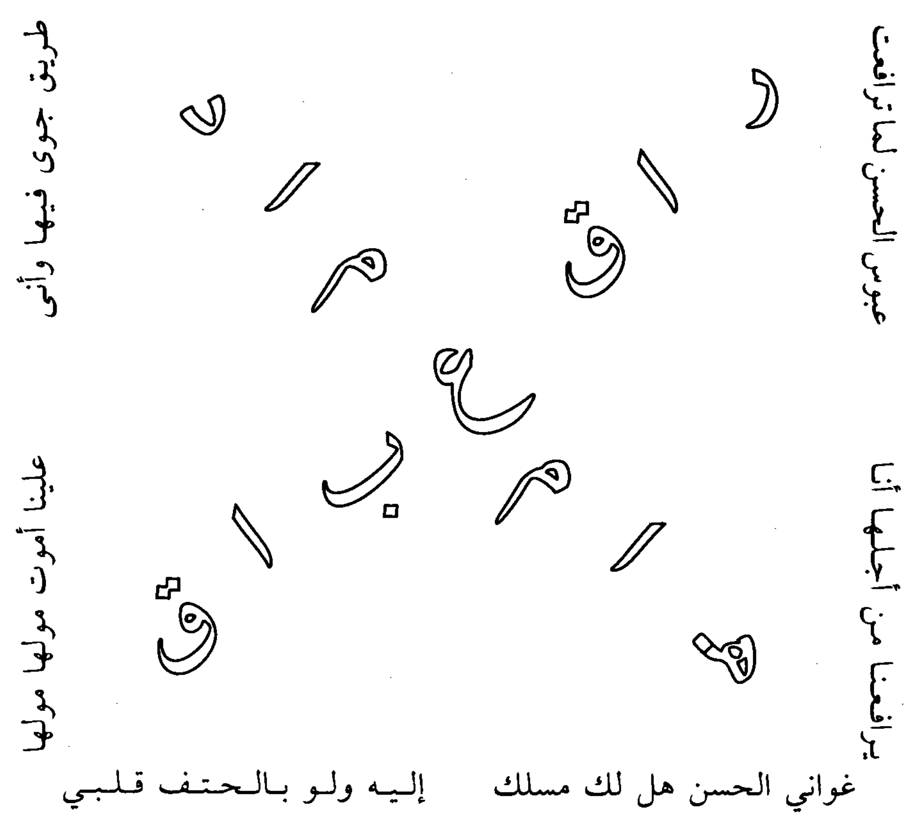
(١) غرثان: جائع.

ولا لي من أوي إليه ولو سمت ... بفضل له فوق السماكين[٢] نسران
وما تركت للغير في القلب منصبا ... محبتكم لا أثمرت زهر أغصان
وتا الله إن الدهر شرف أعصرا ... بكم وعقيم أن يعزز ثاني
وما طاب عيش الفرع إلا بأصله ... وكيف وأنتم من عصارة عدناني

حرف العين

وله ـ أيضاً ـ هذا الجدول العجيب:

ثغور الحسن أبلت مدامعي ... وهام بها وجدي بها أنا



(١) السماكان: نجمان نيران.

حرف القاف

وقال داعيا إلى تحمل الشدائد في سبيل الحق :

ومن يمتطي شمس المعارف يجتلي أشعتها فليصطبر للطوارق
ولا ينزعج إن أثخنته جراحا ت الوقائع وليشهد كنوز الحقائق
فإن لذاذات المعارف تنسين سموم المنايا في كؤوس المضايق

❊ ❊ ❊

حرف السين

وقال أيضاً:

حدثني صبح دياجي الحندس عن قديم العهد مجلى العسعس[1]
عن نديم الصوت عن خمر بدت بكؤوس رصعت من لعس
عن ليالي الأنس عن سر غدا بيننا يسعى بكهف المجلس
إن معنى الحسن لم يودع لمن لم يصل صلصلة من جرس
فافن عن كل المرائي وادخلن باطن المعنى تجده ملبس
كم أناس ذهبوا ليس لهم من غواني الحسن ظل النفس
وادخل ألحان وزمزم واشطحن واجتن قهوة ثغر اللعس
وهنيهات بدت فاشكر لها إذ غدت بالفيض أنسْ المونس
جادلي الدهر بساعات غدت تجتني فضلا بدير الكنس
ومثاني الحسن تشدوا طربا إحتس الأكواب بين القسس

❊ ❊ ❊

---

(١) الحندس: الظلمة ـ العسعس: هذه الكلمة من الأضداد، فيقال: عسعس الليل إذا أقبل، وعسعس الليل إذا أدبر.

حرف الهاء

وقال أيضا :

طفنا بكعبة حسن قد ألفنا بها ... ظبا ممنعة من رعي مرعاها
دنوت أطلب منها المرعى سفسطة[1] ... فموهت واختفت عني بيمناها
فشردت وانثنت عني فاختلست ... عقلي فصار رهينا ما أحيلاها
سألتها الرفق بالمشتاق إن له ... بنار وجد نبال الجفن تصلاها
عذبت حبك يا سلمى وقد رشقت ... أحشاءه منك أسهم جهلناها
هيهات هيهات أن أسلو وقد غنمت ... لبي وعقلي وروحي عند مرآها
فصرت أرصدها في كل مدرجة ... حيران لا أرعوي أحدو مطاياها
لا تنكروا خفقاني وهي شاردة ... فكيف لو كشفت عني معماها؟
بالله هل حدثتك النفس عن خبري ... هيهات هيهات جور الوصل أقصاها
قد جئت منها إليها بافتقار وقد ... رجوت تقبيل يمناها ويمناها
سألتها بصميم الحب تغفر لي ... ما قد جنيت بكنعان وبصراها
يا رب إني اقترفت في الهوى ما به ... أرد لكن ظنونا فيك ترعاها
تالله لو فتكت روحي لما برحت ... تسعى بإثر لمجراها ومرساها
ناديت من أسف قلبي فقلت له: ... إياك أن تنثني عن طيب رياها
كأنها غصن بان في معاطفها ... ولا يزال قليبي طائرا أعلاها
إن لها في الحشا ميقاتا ليس لها ... فيه شريك في دنياها وأخراها
فمل بكون وجود الوهم فامح له ... تكاثرا في خيال منه وافاها
وخذ بلوح قلوب وأمط ما بها ... من الشكوك ولا تدع خطاياها
وصل تفاصيل فرق وأزل نقطة ... بالعين توهمني ضدا وأشباها
ناديت من أسف قلبي فقلت له: ... يا قلب كم من أسير مات يرعاها

---

(١) القياس المركب من بعض الأشياء الوهمية.

فقال: ما لعبت أيدي النوى بهم مثلي ولا كل من رق لعليـاها
ما إن له في الهوى قصد سوى أن ترى
فيا لحق هلكى حيارى من ثناياها
فنحن أيتام في حجر الهوى ولكم جاروا علينا وما وفوا وصاياها
سألتها: أين قلبي؟ عندما ظعنت في السير قالت: أراه عند مسعاها
فاستفهمتني وقالت: أي قلب ترى؟ فقلت: أوهاها، أدناها، وأشقاها
تريد وصلي ببطنان الأراك هوى وإنما غمرات الحسن تلهاها
فأينما تولوا فثم وجه لها فكل نجد لها دار ومغناها
ما بين نفي وإثبات تراهم فهم ما بين ذات ووصف في مراياها
إياك أن تكشفي عنك النقاب، فلا نهم بالوصول إلا أن نرى طه!

وقال أيضا:

إذا ما بدا بأي عين أراه أراه به لا لا يراه سواه
أشعته بانت فبانت رسومنا فكنت أنا المرءي بدون أنا هو
إذا قلت يا هو قال لي: من تناجي؟ وإن أنا لا أدعو يقول: أتنساه؟
فلا راحة في الحب ترجى وإنما تقطع أوصال الذي يتمناه
على كل حال ذا بساط تحير فإن كنت ذا وصل ففك معماه

❋ ❋ ❋

حرف الياء

وقال في «اللؤلؤة الاستعطافية بالأعتاب المحمدية»[(1)]:

إذا غازلتك الجاذبات الشعاعية وطارحت ديجور المواد الطبيعية

---

(1) نشرت في نهاية ختمة البخاري، وطبعت على الآلة الكاتبة سنة ١٩٩٩، باعتناء الدكتور حمزة بن علي الكتاني.

إلى أن قال بعد تسعة وعشرين بيتا :

فلذ بمدد الكائنات وروحها ... وبرزخ أمداد الشؤون الشمولية
هو المبدأ الفياض والدولب الذي ... يفيض على الأدوار سر الألوهية
هو العنصر الكلي والدورة التي ... بها كان بسط الدائرات الوجودية
قد اعتدلت فيه الحقائق فهي في ... خطوط استواء في نعوت العبودية
وما أثرت فيه العناصر إنما ... تبدي بشكل الرابطات الأناسية
هو القلب بين الكائنات لذاك قد ... تقدم صدر الجيش جيش الرسالية
فأعظم به من أحمد ومحمد ... فقد كلمت فيه معاني المحمودية

وقال أيضاً:

ثوى الحب واستعلى وما قد رثى ليا ... وأركسني من حيث أرعى لياليا
وأزعجني في الحي أرجو وصال من ... دهاني وأشجاني وأبلى فؤاديا
وأنهكني حتى لقد صرت في الهوى ... كأني هلال الشك أرعى خياليا
وأنحلني حتى لقد كدت في الهوى ... بمقلة وسنان أزج مثاليا
ولازلت أرعى في الطلول بوارقا ... لتنتعش الأوصال مما دهانيا
وما ظفرت روحي بمغنى جمالها ... جزافا لقد أسهرت وصل وصاليا
فأكثر أخي من طاعة الله جهرة ... قياما ببعض الحق والشوق هاديا
وأكثر من الأذكار من دون ميقات ... وإحضار قلب في العبادات ساريا
وطهر قلوبا من شكوك قواطع ... تنوء عن الإحصا ففتش دواعيا
وحاسب على الأنفاس نفسك إن من
تقاعس عنها فهو في الفضل عاريا
جوارحك احفظها وصنها عن المنا
هي تحفظ في الدارين إن كنت واعيا
وشمر ذيول الحزم ليلك شائقا ... وقم في ظلام الليل ترعى الأمانيا
وأسهر جفونا في الصلاة مواصلا ... معاني الصلا للقلب طبا مداويا

وكم أخذت عيناك بالنوم حظها　　فاعط الحقوق العينيات كما هيا
وأيقظ قلوبا فهي غاية منية　　مراقب رب الملك في كل حاليا
وإياك تثبيطا عن الليل إنه　　ضياع لنصف العمر والنصف لاهيا
ولا تفترق عن ذكر ربك والصلا　　على مركز الأنوار عين حياتيا
وكف لسان الشر عن كل مومن　　ولا ينهم تلقى من الشر واقيا
صموت حيي ذاكر متورع　　محب شكور هائم في العواليا
صبور على ريب الزمان مسلم　　لما تبديه فينا البلايا السماويا
غفور عن الزلات مغض إذا بدت　　عوارات إخوان كريم مداويا
بقلب منير تنتهي حالق بها　　تكون منير القلب لا عنه لاهيا
وواصل لرحم الدين والطين لا تكن
مقاطع أرحام ولا تك ساهيا
وأخلص عبادات لربك جاهدا　　حظوظك جهدا لا تكون مرائيا
وكن مخلصا عادات حسك بالنيا　　ت تقلب أعيانا لديها تصافيا
أوائل أوقات الصلاة احتفظ بها　　بأول صف مع عيون بواكيا
وحافظ عليها مع خشوع جوارحك　　وقلب وتهيام على الشوق طاويا
وراقب إله العرش دأبا لتحفظن　　طوارق آداب ولا تك لاهيا
غيور يرى في القلب غيره فالزمن　　موارد إسعاد تكون مدانيا





الوصل السابع

في حاله

كان ربعة يضرب إلى الطول، أبيض مشربا بحمرة، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر من شدة بريقه ولمعانه، واسع الجبين، شديد سواد العينين، مقوس الحواجب مع طول كأنها هلال، أبيض الأسنان مع بريق وتحديد فيها، عظيم اللحية، تامها، تبلغ صدره، شديد سواد الشعر مع حجونة أي: تثن - عظيم الوفرة، يتلثم في غالب أحواله، له شعر ممتد من صدره إلى سرته، وكف ألين من الحرير، وأعضاء متناسبة غير متنافرة، تسطع رائحة المسك منه من قوة ذكاء الرائحة، وإذا سلك طريقا فاحت رائحة الطيب في أنحائه.

يدهشك منظره الخلاب، لشدة هيبته إذا رئي ذكر الله، يخجل بين يديه كل متكلم، ويتعثر في ابتدائه بالسلام الجلد المتجلد الجسور، والأسد الرابض في غابه، له صوت يأخذ بمجامع القلوب؛ إذا سمعته جزمت بأنه أعطي مزمارا من مزامير آل داود[1]، إذا تكلم ريء كالبحر يتدفق من بين ثناياه، شديد التواضع، لايأتيه أحد - من حر ولا عبد ولا أمة ولا مسكين - إلا وتنزل معه وقضى حاجته، يعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويجيب من

---

(١) روى البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال له: **«يا أبا موسى؛ لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود»**، الحديث رقم ٤٦٦٠ كتاب «فضائل القرآن».

دعاه من غني أو فقير أو شريف، ولا يحقر أحدا، يلبي الدعوة إلى الولائم مع غاية التحري، ويصدع بالحق فيها، ويشغل الناس أثناءها بما يرضي الله، يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم في سجونهم، لا يجفو أحدا ولو فعل معه ما يوجب الجفاء.

ولم يكن يجتمع معه أحد إلا وتظهر له منه كرامة أو كرامات، أو كشف أو تصرف أو إخبار بمغيب أو مغيبات، عمل كل ما في استطاعته لنشر بنود الأمن في مختلف جهات البادية المغربية، حتى أصبح زعماء البادية رجال سلام، بعد أن كانوا رجال فتنة، وهيأهم لخوض المعركة الكبرى: معركة الدفاع عن البلاد المهددة - إذ ذاك - بالاستعمار الفرنسي والإسباني، وبذل جهدا كبيرا في عقد أواصر الأخوة بين مختلف القبائل، لأنه يعلم أنها السبيل الوحيد لإنقاذ المغرب مما كان فيه من فوضى واضطراب.

وهب حياته للإسلام والمغرب، وجاهد في سبيل إنقاذهما من الأخطار المحدقة بهما جهادا عنيفا، حتى بعث الحياة في الأجساد الجامدة، وأعاد الحرارة إلى القلوب الهامدة، وله في هذا الباب الخدمات الجليلة التي يخطئها الحصر، وملئت بها الصحف العربية والأجنبية الصادرة في ذلك العهد.

وفيما يلي بعض الأدلة والشواهد:

قال الإمام في «النبذة»[١]: «كان أعجوبة الدهر خَلقا وخُلقا، وبذلا وجاها، وعلما وعملا، وفصاحة وقلما، وبراعة واقتدارا في كل شيء، وكانت همته في الذكر والتذكير، والدلالة على الله تعالى وعلى كل خير، وكان يقوم بعض الليل ويصوم الخميس والإثنين. . .إلى غير ذلك».

وقال صاحب «المظاهر»[٢]: «كان - رضي الله عنه رَبْعَة أميل إلى

---

(١) انظر المصدر ص: ٢٢٨ تحقيق محمد الفاتح الكتاني وعصام عرار.

(٢) المخطوط الأوراق من ١٢٩ إلى ١٣٦.

الطول، أبيض مشربا بحمرة، شديدة سواد الشعر، عظيم اللحية، تملأ صدره، ما رأيت أهيب منه ولا أحسن وجها وقدا ولا أطيب ريحا، وكان يتلثم في غالب أحواله، ولم أتجاسر قط على سؤاله عن سبب تلثمه، نعم؛ ذلك من شأنه المصطفى ﷺ في بعض الأحيان، وممن اشتهر باللثام: سيدنا موسى الكليم، وسيدنا دحية الكلبي، والشيخ أبو يعزى، وأبو العباس البدوي، وأبو العباس الملثم. . .وغيرهم من الأكابر».

«كل من رآه أحبه، يفاجئ أعداءه وهم يشتمونه، فلا يتمالكون أن يقوموا إجلالا لوجهه، ولا يفارقونه إلا بعد تعفيرهم لحاهم في يده ورجله، فإذا فارقوه تعجبوا من أنفسهم. تشم رائحته من بعد، كل من يرى وجهه يعلم أنه ليس بوجه كذاب، ورحم الله الشريف عون الرفيق أمير مكة؛ فإنه تكلم شخص عنده في الأستاذ، فقام إليه الأمير قائلا: «يا حمار؛ انظر إلى وجهه، لو نظرت إليه ما تكلمت فيه!»».



«وكان الأستاذ محسوداً أينما حل ونزل، محبوباً في الوجه مبغَضاً في الظهر، على عادة الله مع أمثاله في الإكثار من حسادهم وأعدائهم لغير سبب، وخصوصاً في مسقط رأسه وسكنه؛ لأنه ما فقد عالم حرمته إلا في بلده، ورحم الله ورقة: «لن يأتي أحد بمثل ما أتيت به إلا عودي». وقد كان الشيخ أبو محمد صالح ـ دفين آسفي ـ يوصي أصحابه قائلاً: «اسألوا عني قبل أن تقربوا من آسفي، فإذا وصلتم إلى بلدي؛ فاقطعوا عني السؤال!»».

«إلا أنه كان له خلق ألطف من الهوى، وألذ من نسيم الأسحار؛ جبل على السخاء والبذل، ينفق ما وجد ولا يخشى من ذي العرش إقلالاً، همته أبعد من الثريا، ما لقي وزيراً ولا سلطاناً ـ فضلاً عمن دونهما ـ إلا بطلب أو لرجاء نفع عمومي، همته في الذكر والتذكير والدلالة على الخير، كثير التلاوة والذكر، يقوم الليل ويعفر وجهه في التراب؛ يختار السجود عليه، يصوم الاثنين والخميس والأيام الفاضلة، يجيب عن كل ما يسأل عنه بالبديهة؛ سواء في الحديث أو التفسير، أو التصوف أو الكلام، أو البيان أو الأصول، أو الفلسفة أو علوم الحقائق والأسرار. . .أو غيرها من العلوم الأصلية والفرعية».

«لا يسمعه سائله أو المستمع يتكلم في علم إلا ويتحقق أنه لا يعرف غيره، ثم إذا عرض في السؤال الاستشهاد من علم آخر؛ ظن كذلك، فلا يقطع كلامه إلا ويقطع السامع أنه عالم الدنيا وبحر العلم الزاخر، إذا تكلم في مسألة لا يقطع كلامه فيها إلا الصلاة أو أمر لازم، وإلا؛ فكان لا ينقطع له ما يقول؛ سواء كان راكباً أو جالساً، أو قائماً أو متكئاً أو مضطجعاً».

«أما كلامه على أسرار الكتاب والسنة ودقائق المعارف وباهر العوارف وعلل النفوس وقواعد السلوك؛ فقد أملى من تلك الرقائق والحقائق ما استنارت به عقول سليمة، وتداولت من جراحات غفلاتها قلوب أليمة، وازدحم الخاص والعام على الاستفادة من تلك العلوم، والاقتباس من نور مشكاة تلك الفهوم».

جمع العلم في القرآن ولكن   تقاصرت عنه أفهام الرجال

«وتلقي كل أحد من تلك اللطائف على قدر الاستعداد، وعلى ما قدره الله له من سوق فيض الإمداد».

على قدرك الصهباء تعطيك نشوة ولست على قدر السُلاف تصاب[1]

«ولما وقعت كثرة الكلام في الختم والختمية؛ تصدى المترجم - رضي الله عنه - في الزاوية بفاس، للجواب على أسئلة الحكيم الترمذي المذكورة في «الفتوحات المكية»، التي عجز بها صاحبها مدعي هذا المقام السامي، فكان الشيخ يجلس بعد صلاة العصر إلى المغرب في يومي الإثنين والخميس الذين كان يصومهما للكلام على تلك الأسئلة، فيجيب بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب أحد من أهل عصرنا، يحضر إملاءه لذلك: الشيخ الوالد، وكبار الطائفة وفقهاؤها. والأسف كل الأسف؛ أن تلك الأجوبة الصادرة من الأستاذ بعباراته الجلية المشرق عليها نور الإذن الرباني، واللائح عليها أثر القبول الرحماني؛ لم يجمع جميعها في ديوان مخصوص. ولله الأمر من قبل ومن بعد».

تموت الخبايا في الزوايا ومالها من الناس بين الناس للناس ذاكر
تفوت كمالات الرجال شواردا إذا لم تقيدها علينا الدفاتر

«كما أنه كان يجلس للتذكير والكلام على السلوك وعلل النفوس كل يوم جمعة بعد العصر، فترى البحار منهمرة، والسيول متلاطمة الأمواج، حتى لا تدري من أين تسمع، إذ لا ترى إلا أنبوبا من النور خارجا من صدره، لست ترى تلك الحالة من غيره، ولا ترى وصفها في ترجمة أحد من السابقين، يستحضر آي القرآن وقت المذاكرة والإملاء للاستشهاد، حتى يقطع السامع أنه يلقن تلك الآيات. وإلا؛ فالحافظة لا توحي إليه الآيات المتفرقة. يحفظ السنة، ويستحضر أحاديث الكتب الستة، و«الترغيب

(١) ورد هذا البيت بدون نسبة في نفح الطيب ٦٩/١، تحقيق إحسان عباس.

والترهيب»[1]، و«كنز العمال»[2] كأنه يحفظها. وما رأيت في المغرب والمشرق من يستحضر الأحاديث بألفاظها سواه، رأيته مرارا يذاكر بعض من ختم الصحيح كم مرة؛ فيجد نفسه بين يديه كأنه لم يقرأ البخاري قط. يحسب في استحضار نصوص الكتاب والسنة كشيخ الإسلام البخاري[3]، أو ابن المديني[4]، وانتهى إليه العلم بمعرفة أسرارهما والجمع بين مشكلهما على طريقة كبار العارفين، الفلاسفة المشرعين، بحيث ينشدك لسان حاله قول سيدي محمد البكري[5] رضي الله عنه:

وها أنت طف شرق الوجود وغربه   فلا تلق لي مثلا ولا تلق لي شكلا

«وأما هديه في عباداته وغالب عاداته؛ فهو الهدي النبوي، سيما الصلاة؛ فلا تشتهي أن تصلي خلف أحد دونه، يهولك نطقه بالتكبير حتى يصغر كل شيء بين عينيك، يقيمها ويحسنها على الوجه التام، الذي وردت به الأحاديث الصحاح والحسان عن معلم الشريعة ﷺ، واختاره فحول المذهب وفطاحله النقاد».

---

(١) «الترغيب والترهيب» : للشيخ الإمام الحافظ أبي محمد عبدالعظيم المنذري، المتوفى سنة ٦٥٦هـ، وقد اقتصر المؤلف في كتابه على ذكر الأحاديث التي روتها الكتب المشهورة؛ كالصحيحين والسنن الأربعة وبعض المسانيد، انظر «كشف الظنون» ٣٣٥/١.

(٢) «كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال»، للشيخ علاء الدين علي بن حسام الدين الهندي الشهير بالمتقي المتوفى سنة ٩٥٧هـ، رتب فيه «جمع الجوامع» في الحديث للسيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ. «كشف الظنون» ٤٦٨/١.

(٣) محمد بن إسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن الأحنف الجعفي؛ الإمام الحافظ المتوفى سنة ٢٥٦هـ، من مؤلفاته: «الأدب المفرد» في الحديث ـ أسماء الصحابة ـ الجامع الصحيح، وغير ذلك «كشف الظنون» ١٤/٦.

(٤) علي بن عبدالله بن جعفر المديني البصري أبو الحسن: كان حافظ عصره، كما كان محدثا ومؤرخا له نحو مائتي مصنف، توفي سنة ٢٣٤هـ، «الأعلام» ٣٠٣/٤.

(٥) محمد بن مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري الصديقي، من الأدباء ومن فقهاء الحنفية بفلسطين، توفي بغزة سنة ١١٩٦هـ، له ديوان شعر، وكذا «المنح الإلهية في مدح خير البرية» وغيرهما، «الأعلام» للزركلي٧/١٠٠.

ومذهبي كل ما صح الحديث به ولا أبالي بقال فيه أو زاري[1]

«وكانت العلوم كلها طوع يده، ما بين معقولها ومنقولها، ولكن الذي غلب عليه منها: الحديث والتفسير، والتصوف والكلام، والأصول والبيان، ويعرف أبواب العبادات في الفقه معرفة كبرى، وما كان الناس يظنون أنه يعرف أبواب المعاملات، فلما حضر مجلس الشورى بالقرويين مع صدور المفتين؛ ظهر فيها أنه البحر المتلاطم الأمواج».

حبر ثبت والإنصاف شيمته أكرم به طاب من خَلق ومن خُلق
أتى به الدهر فردا لا نظير له مثل البخاري لما جاء بالعتق

«وكان مع جلالته وكمال هيبته يضحك مع الناس، ويتنازل للعبد والأمة وأرباب الحرف الممتهنة. دخل يزور أرباب السجون غير مرة، وكان يذهب حافيا في بعض الأحيان لعيادة مريض ونحوه، وربما خرج مكشوف الرأس بلا كساء، يركب الحمار والخيل المسومة، والدواب الفارهة، يبيت طاويا في بعض الأحيان، ويمد على بساطه ما لا قبل لأحد به. أحيانا يلبس ما وجد، وفي كثير من أحيانه يلبس الثياب المرقعة مباشرة للحمه، ويتجمل ظاهرا كما كانت عادة بعض أسلافه سلسلة الذهب».

ما الزهد في الدنيا فلا تجهلوا بلبس أسمال وأخلاق
لكنه لبس ثياب التقى مع حسن آداب وأخلاق

«لا يشتري الخضر والفواكه لأهله ونفسه، إلا إذا أكلها القوي والضعيف، يراعي في أكله وشربه القواعد الصحية غالبا، وكانت «تذكرة الأنطاكي»[2]

(١) ورد هذا البيت في «الضوء اللامع» للسخاوي، منسوبا للفقيه الشافعي النحوي، المحدث حسن بن محمد بن سعيد البدر الشظبي اليمني، توفي بتعز سنة ٨٣٤هـ المصدر ١٢٥/٣.

(٢) تذكرة الشيخ داود بن عمر الأنطاكي الطبيب الضرير، نزيل مصر والمتوفى بمكة المكرمة سنة ١٠٠٥هـ، والإسم الكامل للكتاب هو: «تذكرة أولي الألباب، في الجامع للعجب العجاب» وهو تأليف في الطب. انظر «كشف الظنون» ٣٢٦/١.

لا تفارقه إلا قليلا، تجد عنده تدقيقات في الطب تبهر الأطباء، ما أكل وحده إلا قليلا، وما كانت الدنيا عنده تساوي شيئا، لو أعطاك منها ما يكفيك ما رأى ذلك شيئا».

تـراه إذا مـا جـئـتـه مـتـهـلـلا   كأنك تعطيه الذي أنت سائله[1]
تعـود بسـط الكـف حتى لـو أنـه   دعـاها لقبض؛ لـم تجبه أنامله
ولـو لـم يكن في كفه غير نفسه   لجـاد بـهـا، فـليـتـق الله سـائـلـه

«دخل بيده من الدنيا ما لم يدخل على أحد من معاصريه، وما خلف مقدار شبر من الأرض على ملكه، له همة ارتقت على السماكين، وفاق بها جميع من عاصره، حتى رأيت بخط الشيخ الوالد رسالة خاطب بها المترجم لما كان بمراكش يقول فيها: «وأحمد الله كثيرا على ما خُصصتم به عن أهل وقتكم، ومُيزتم به من جميع طبقات أهل عصركم ووقتكم، من عالم ومنسوب وصالح..وغيرهم؛ وهو: رفع الهمة عن أهل الدنيا، والزهد فيما في أيديهم، ولا كرامة تماثلها، ولا فخر يضاهيها»».

«بل همته الكبرى في ترقي الإسلام وإصلاحه مما أحاط به، يهتم كثيرا بحالة المغرب وجهله وتأخره، ولا حديث له إلا في ذلك، حتى ربما ينسبه جليسه إلى الجنون، لأنه يراه يصف داء لا يتصور جليسه وجوده؛ كطبيب يحذر مريضا بظهور بدايات السل فيه، حتى قال له مرة بعض الفقهاء: «ما جلسنا معك إلا قمنا على غير انشراح، كأن العدو بباب فاس!»».

«يهتم كثيرا بمحادثات أوربا واتفاقاتها ومقاصدها نحو الإسلام، يتكدر

---

(١) وردت هاته الأبيات بدون نسبة في «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني ٣٧٣/١٠ تحقيق عبدالقادر عطا الله، والبيت الأول مشهور وهو لزهير بن أبي سلمى (١٣ق هـ) ورد في ديوانه ضمن قصيدة مدح تبلغ ٤٦ بيتا، ويقال بأنه: أمدح بيت قالته العرب!!. وقد ضمنه بعده كثير من الشعراء في قصائدهم. (ديوان زهير ص:٥٧ تحقيق د. فخر الدين قباوة).

لتفرقات تركيا وكثرة الأحزاب بها، ويجهل أمم المغرب الفظيع أكثر أكثر، لا يبالي في هذا الباب ولا يخاف على نفسه، ويلقي نفسه في المهالك، وكان يرى أن موته أفضل من حياته؛ لأنه لا يحب أن يشاهد المغرب على حالته من الجهل والغباوة والاستبداد والتأخر، يحض على اجتماع طرق أهل الله كلها، ولا يحب لهم التفرق والعداوة».

«كم سعى في تعليم أمم البربر وهدايتهم، وكان يوفد إلى كل جهة وفدا لتعليمهم الدين وآدابه، فكم من قبيلة كانت لا تحسن النطق بكلمة الشهادة، صارت له فيها زوايا يقرؤون القرآن ويحفظون أوراد الطريقة، بحيث رأيت بعيني في قبيلة زيان البربرية من لا يحسن من العربية إلا أوراد الكتانيين. وكم أمن من طرق، وأصلح بين فئتين وآخى بين أمتين، ورد المنهوبات والمسلوبات إلى أهلها».

«له همة في الكتب واقتنائها عجيبة.. يختم الكتاب المشتمل على مجلدات في ليلة واحدة، وأما الحفظ السالم من الشك والريب؛ فإليه المنتهى، وعنه الحديث الغريب في ذلك، ختم صحيح البخاري بـ: «فتح الباري» في مراكش في مدة قليلة؛ فما ذهب عن ذهنه شيء من «فتح الباري» بعد ذلك».

«قال لي زعيم الفقهاء بمراكش أبو عبدالله محمد بن إبراهيم السباعي[1]: «ما رأيت أحفظ من أخيك ولا سمعت به في عصرنا هذا!. قال: كنت أنا وهو في المحلة العزيزية، فكنا نترافق كل ما ركبنا، فكنت أراه يحفظ كل ما يرى من تفسير وحديث وأدب وتاريخ». قلت: وحفظ الأستاذ شيء أجمع عليه الموافق والمخالف، وأن الناس لم يروا مثله في ذلك، وختمه الصحيح بجامع القرويين بمحضر آلاف من الخلق؛ جلس في الغلس بعد صلاة الصبح، فلم يقم إلا قبيل الظهر، كل هذه المدة وهو

---

(١) شيخ الجماعة بمراكش كان إماماً مطلعاً، نقاداً متبحراً، وكان على علم بأمثال العرب وحكمهم وأشعارهم، له عدة مؤلفات، توفي سنة ١٣٣٢هـ، ودفن بضريح الشيخ الغزواني بمراكش، خصه ابن إبراهيم في «الإعلام» بترجمة مطولة، انظر ٧/ ١٩٠.

يملي من غير تلعثم ولا تلكؤ مشهور معروف، قل من لا يعرفه، حضره أعيان الفقهاء وكبار الجاحدين، ولو رأى ذلك من غريب عن بلادهم؛ لعدوه معجزة إلهية».

«وكان ـ رضي الله عنه ـ يحفظ الشعر ـ بل القصيدة ـ بسماعها مرة، فلم أر فيمن رأيت من أدباء الشام والحجاز ومصر والمغرب، من يحفظ المقطعات الشعرية كحفظه، بحيث لو شاء أن لا يتكلم إلا بالشعر؛ لما اعتاص الشعر عليه. والذي يحضر حلقة الذكر ويرى ترتيبه للمنشدين ما ينشدون، يقضي بالعجب العجاب، إذ؛ مرة لا ينشد طول حلقة الذكر إلا العشقيات، ومرة في الوصاليات ومرة في الحقائق، ومرات في غير ذلك، وقد تجالسه السنة فلا تسمعه كرر بيتا أو قطعة».

«إذا صرصر قلمه؛ قطعت أنه أفصح خلق الله قلما، وإذا نطق؛ جزمت أنه أطلقهم لسانا، وما أظن أن فصاحة القلم واللسان اجتمعا لإنسان قبله، إذ المعهود: الكمال في اللسان أو القلم، إذا رأيته يكتب لا تحسب أصابعه من لحم ودم من طول ما يكتب وسرعته، وربما كتب الكراريس المتعددة في اليوم الواحد. . .».

وقال صاحب «المدهش المطرب»[1]: «صدْرٌ من صدور عصره، عالم متبحر، حافظ من حفاظ الحديث، بصير بمعانيه وفقهه، متمكن في علم التفسير والأصلين والكلام، متبحر في التصوف غواص على دقائقه، ناهج في ذلك منهج أرباب الحقائق وأصحاب وحدة الوجود؛ كالشيخ الأكبر الحاتمي والجيلي وابن سبعين وابن الفارض وأمثالهم، خبير بأحوالهم وطبقاتهم، ومنازعهم ومذاهبهم، وفرقهم ومشاربهم، ومقاصدهم واصطلاحاتهم، قدير على فك المشكلات، وفض المعضلات، مثابر على نشر العلم، دؤوب على تقريره وتدريسه، لا يخلو وقت من أوقاته من الخوض في مسائله، حر الفكر والضمير، يجاهر بأفكاره ومبادئه في مؤلفاته ودروسه، مقتدر على إقامة الحجة، وإقناع الخصم والاستيلاء على أفكاره،

---

(١) «معجم الشيوخ» لعبدالحفيظ الفاسي، انظر ١/٤٥.

بما أوتي من قوة العارضة والقدرة على البيان والبراعة في الاستدلال مع فصاحة اللسان، وثبات الجنان، لم يبلغ أحد من أهل عصره - بعد الشيخ ماء العينين[١] - مبلغه في إقبال الخلق، وبعد الصيت، وشهرة الذكر في المشرق والمغرب. . . إلخ».

وقال القاضي علي العدلوني - رحمه الله - في كتابه: «النواشئ الاختصاصية في شرح الصلاة الأنموذجية»[٢]: «إنه جامع للعلوم كلها، والفنون بأسرها، لم تفته دقيقة دق فهمها، ولا عويصة عز حلها، ولا لغز عميت عنه الأبصار، وحارت دونه الأفكار، إلا وعنده فيه ما يشفي الغليل، ويبري العليل. ورأيت سيرته وأحواله - رضي الله عنه - فإذا هو عنصر علم وعمل وحال دائما يتفجر، وسيرته ومعاملته لا تعدو السنة قدر أنملة ولا أقل، ليس له شغل إلا بربه، لا تفوته لحظة باطلة من عمره، يدل الناس على مولاهم، ليس له فيهم شأن غير التحضيض على تعمير أوقاتهم ومجاهدة أنفسهم، والتخلي عن الدنيا وحالها ومآلها ومخالطة أبنائها، مزهدا لهم فيما يؤول للزوال، ومؤكدا عليهم إخلاص النية والإقبال، ومحذرا مما يوقع في سخط الله ورسوله، ومرغبا لهم فيما يوصلهم لرضوانه».

«في بشاشة وجهه وانطلاقه وتبسمه دائما، لا يغضب قط إلا لما يخالف أمر ربه، ولا يمل أبدا جلوسه، ولا ينصرف حتى ينصرف زائره، لا يقابل أحدا بما يكره على كل حال، كان يتصبب أحيانا جبينه ولو في أوقات شدة البرد عرقا، كأنه در على جمان، إن تكلم كفى، وإن أجاب شفى، يتفطن بأدنى إشارة وأقرب عبارة، وجميع ما رأيت في كتب القوم من سيرة المشايخ المتقدمين الناهجين نهج سيد المرسلين؛ رأيته فيه رضي الله عنه، وفيه أمور محمودة لم أعثر عليها في ديوان. . . إلخ».

---

(١) بل ولا الشيخ ماء العينين، فقد انتشرت طريقته في حياته في عموم المشرق والمغرب، واهتبل الناس بما عنده علما وسياسة وتصوفا، وترجمة الشيخ عبدالحفيظ الفاسي المذكورة لا تخلو من تعريض ودس.

(٢) توجد نسخة منها مخطوطة في خزانة حفدة المؤلف، وعدة نسخ في خزانة الدكتور علي الكتاني رحمه الله.

وقال القاضي أبو بكر بن محمد التطواني السلاوي[1] - رحمه الله - في تقريظه لختمة البخاري للمترجم: «ووجدت عنده من العلم المكنون، والسر المصون، ما لم يوجد عند غيره من كبار العارفين، كابن عربي وغيره، وله الأيدي الطوائل في العلوم النقلية والعقلية والكشفية، والمعراج الأرفع في مواقع التنزلات، والكشف الخارق عن أحوال أهل البدايات والنهايات. . . إلخ».

وقال صاحب «المظاهر» في رسالة كتبها للشيخ المكي بن عزوز رحمه الله، بعد أن ذكر أنه: يعجبه أن يكون الإنسان أثرياً صوفياً عصرياً[2]: «كان - أي المترجم - في حفظ السنة والآثار كابن تيمية[3]، وفي التصوف كالحاتمي[4] وأضرابه، وزاد بالاستغراق في المحمدية ودوام الهيام بالأحمدية، مع بقر مشكلات الكتاب والسنة، وفهمها على مقتضى استغراقه ودوام هيامه، بما أصبحت به تلك المشكلات واضحات. وفي علم الوقت؛ كأكبر واحد في الوقت، يستعين بآلة الأولين على فهم قواعد الثالث، ويشرح بمخترعات الثالث جزئيات الكل، فمزج الشريعة بالحقيقة، والفلسفة بالإسلام على أبهج طريقة، مع رمي التقليد الأعمى والتعصب الذميم».

---

(١) سبقت ترجمته، ويوجد هذا التقريظ ضمن مجموع يضم كتاب «المظاهر السامية في خزانة خاصة.

(٢) للشيخ عبدالحي الكتاني عدة مكاتبات مع الشيخ المكي بن عزوز، وفي هذا الموضوع يقول في كتابه «فهرس الفهارس» ٩٦١/٢: «وطالت مكاتبتي معه واتصالي به إلى أن مات، بحيث لو جمعت المكاتبات التي جرت بيني وبينه؛ لخرجت في مجلدة متوسطة»، انظر مقدمة «فهرس الفهارس» ١٦/١.

(٣) ابن تيمية أحمد بن عبدالحليم بن عبدالله الحراني الدمشقي الحنبلي، تقي الدين شيخ الإسلام، كان يدعو إلى إصلاح الدين، وكان آية في التفسير والأصول، له مؤلفات كثيرة، مات معتقلا بقلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ، انظر «الأعلام» ١٤٤/١.

(٤) محمد بن علي بن محمد بن عربي، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي، الملقب بالشيخ الأكبر، وهو من أئمة المتكلمين في كل علم. . يقال عنه بأنه من القائلين بوحدة الوجود، وقد حاول أن يدفع عن نفسه هاته التهم في «الفتوحات» ١٢٥/١، توفي سنة ٦٣٨هـ بدمشق، انظر مصنفاته ومصادر ترجمته في «الأعلام» ٢٨١/٦.

«وكان يفرق بين أنوار الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ويكشف اللثام عن محيا بواطن كلام الله تعالى الواردة في الحديث الشريف في قوله: «إن القرآن له ظاهر وباطن، ولباطنه سبعة أبطن»[(١)].

وكم له من حسنات في ميدان إعزاز السنة وإخماد البدعة؛ رحل إلى الصحراء سنة ١٣١٢ و١٣١٣، ولمراكش سنة ١٣١٤، وللحجاز سنة ١٣٢١؛ فأقام معالم الدين، وعمل على توحيد كلمة المسلمين. وتاريخ كل رحلة يخرج في مجلدات. وقد أذعن له فحول وتلمذوا له في سائر الأقطار الإسلامية، ومدح من شعراء العالم الإسلامي بما يقرب من عشرين ألف بيت من الشعر[(٢)]، وشهد له بعظيم الشان أيمة عصره شرقاً وغرباً.



---

(١) **«لكل آية ظاهر وباطن وحد ومطلع»**، أخرجه الطبري في تفسيره ٢٢/١.

(٢) أورد الشيخ عبدالحي الكتاني في «المظاهر السامية» بعض مطالع هذه القصائد، وذكر بأن بعضها طبع بمصر، المخطوط، الأوراق من ١٧٥ إلى ٢١٠. وللمؤلف رحمه الله تعالى كتاب جمع فيه ما كتب في والده من الأشعار، ضمنه أربعة آلاف بيت، وسماه: «الثمار اليانع في مختارات من الشعر الممدوح به والدنا الفرد الجامع» في خمسة كراريس.



الوصل الثامن
في ثناء الكبار عليه

جمعت من هذا النوع الشيء الكثير، غير أني سأقتصر هنا على كلام نخبة من أيمة العلم في مختلف بلاد العالم الإسلامي، الذين كانوا هداة الأنام، ومصابيح الظلام. وكلام واحد منهم كاف في الدلالة على عظمة المترجم، وشفوف مقامه في العلم والمعرفة، والتقوى والإخلاص، فكيف بجميعهم؟؛ لأنهم كانوا لا ينافقون ولا يدارون، ولا يوثرون مصالحهم الشخصية على مصالح الأمة.

ثناء الشيخ عبدالكبير الكتاني[1]

منهم: والده جبل السنة والدين الشيخ أبو المكارم عبدالكبير بن الشيخ محمد الكتاني المتوفى سنة ١٣٣٣، قرظ له على حكمه القدسية المطبوعة بفاس واصفا إياه بـ: وعاء السر، وخزانة المعارف الكبرى. ونقل عنه في كتابه «نجوم المهتدين»[2] واصفا له بـ: العارف الأكبر. وحلاه في إجازته لشقيقنا الأكبر أبي الفضل محمد المهدي رحمه الله بـ: العارف الغارف،

---

(١) ترجم له ابنه الشيخ عبدالحي في: «فهرس الفهارس» ٧٤٣/٢ كما أنه أفرده بترجمة خاصة في كتابه: «المظاهر السامية» المخطوط الورقة: ٣٨.

(٢) «نجوم المهتدين، في أدلة استحباب الذكر على طريقة المشايخ المتأخرين، برفع الأرجل من الأرض والاهتزاز شوقا إلى رب العالمين». طبع طبعة حجرية سنة ١٣٣٠هـ بفاس.

نادرة وقته. واستشهد بأبيات من شعره في رسائله الإرشادية، وما كان يذكر اسمه فيها إلا مقرونا بـ: الختم الأكبر، والمسك الأذفر. وترجمه في رسالته الأولى التي بعث بها للوزير أحمد بن موسى، وصرح فيها بأن الله تعالى أكرمه بمعرفته الخاصة، وولايته العظيمة، وأنه يتيمة الوجود، وعنقاء مُغرب.

وبالجملة؛ فكلامه في مدحه كثير، وقد اعتنى بتدوينه شقيقنا أبو الفضل المذكور[1]؛ فخرج في أكثر من مائة صحيفة.

ثناء الشيخ جعفر الكتاني

ومنهم: خاله شيخ الإسلام، علم الأعلام؛ أبو المواهب جعفر بن إدريس الكتاني المتوفى سنة ١٣٢٣هـ[2]، أنشده أبياتا لما عزم على الحج، عند وداعه خارج فاس، تأسف فيها على فراقه، خاطبه فيها بشمس الغرب، وتقدم ذكرها في الوصل الخامس، وناهيك بها منه.

ثناء الشيخ محمد بن جعفر الكتاني

ومنهم: ابن خاله الإمام الحافظ أبو عبدالله محمد بن جعفر الكتاني المتوفى سنة ١٣٤٥، ترجم له في «النبذة»[3] بعد ما ترجم والده الشيخ أبا المكارم قائلا ما لفظه: «ومنهم: ولده الذي طبق ذكره الآفاق، وشاع صيته في الحواضر والبوادي وسائر الرفاق، العلامة الأبهر، الصوفي الأكبر، من تفجرت ألسنته وأقلامه بالعلوم، وبهر بما يديه الخصوص والعموم، المربي النفاع، الكثير التلاميذ والأتباع: أبو عبدالله مولانا محمد...». إلخ.

---

(١) رسالة الشيخ عبدالكبير الكتاني للوزير ابن موسى تتألف من ثمان صفحات، كلها نصح وموعظة وحديث عن نشأة ابنه الشيخ محمد الكتاني... وهي مخطوطة في خزانة حفدة المؤلف، والمؤلف قصد بكلامه شقيقه محمد المهدي الكتاني، وقد تقدمت ترجمته... وتوجد مؤلفاته بخزانته الخاصة بمدينة سلا.

(٢) تقدمت ترجمته، وانظر الأبيات في ص:١٤٢.

(٣) تقدمت ترجمته، وانظر «النبذة»، ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

ثناء الشيخ ماء العينين الشنجيطي

ومنهم: الإمام القطب الشيخ ماء العينين الشنجيطي الحسني المتوفى سنة ١٣٢٨[1]؛ كان يصفه بـ: «نوارة الأولياء»، ويأمر أصحابه بتعظيمه ومحبته، ويقول لهم: «عدوها ليوم القيامة»، وإذا لقي أحدا من الإخوان الكتانيين؛ يقول: «أهلا بأصحاب شمس الضحى»، وكان لا يسميه إلا بها، وزاره جماعة من الإخوان السلاويين، فقال لهم: «نِعم الشيخ شيخكم، ونعم الطريق طريقكم، ونعم الشعار شعاركم، ونعم الناس أنتم!...»، أعادها مرات متعددة، وكتب موافقا ومصححا على كتاب «لقطة عجلان في شرح الصلاة الأنموذجية» للمترجم.

ثناء الشيخ العربي بن السائح العمري

ومنهم: مجدد الطريقة التجانية، الإمام العلامة العارف بالله، أبو حامد العربي ابن السائح العمري[2]، المتوفى سنة ١٣٠٩، كان يشير ويصرح له بالخصوصية وكمال العرفان لما اجتمع به في الرباط سنة ١٣٠٧، وقال مخاطبا والده الشيخ عبدالكبير: «إياك أن تكلف ولدك سيدي محمدا خُلقا ليس في سجيته؛ فإن الله لا يفعل به إلا ما يريد، وإني لأرجو الله أن يكون من أهل الأنس والتيه والدلال...». وأنشد أحد رجالِ المديح النبوي يوما بحضرته قول سلطان العاشقين ابن الفارض رضي الله تعالى عنه:

لو أن روحي في يدي ووهبتها   لمبشري بقدومكم لم أنصف[3]
لا تحسبوني في الهوى متصنعا   كلفي بكم خُلق بغير تكلف

فصاح قائلا: «والله إن سيدي محمدا لمنهم!»، وقال عنه مرة أخرى:

---

(١) تقدمت ترجمته في «أعلام الفكر المعاصر» ٢/٣٦٨.

(٢) انظر ترجمته في «أعلام الفكر المعاصر» ٢/٣٦٨.

(٣) البيتان من قصيدة مشهورة لابن الفارض؛ مطلعها:

قلبي يحدثني بأنك متلفي   روحي فداك عرفت أم لم تعرف

«إنه من أهل الصلاحَ، والسمت الحسن، والهدي الواضح ...». هذا ثناؤه عليه وهو لا زال منخرطا في سلك طلبة القرويين، فكيف لو أدرك مشيخته؟!.

ثناء الشيخ محمد بن إبراهيم الأندلسي(١)

ومنهم: مجدد الطريقة الدرقاوية، الإمام العلامة العارف الزاهد الصابر؛ أبو عبدالله مَحمد (فتحا) بن إبراهيم الأندلسي الفاسي، المتوفى سنة **١٣٢٦**، كان له حب صحيح فيه، واعتقاد كبير، وكان يقبل يديه كلما رآه، ويعجب من مذاكرته. وجاءه مرة طالبا منه الإذن في «ورد الحسبلة»، ودخل عليه المترجم يعوده ويودعه لما أراد السفر للحج، فطلب منه الشيخ المذكور الكلام في طريق القوم، فقال بعد سماعه كلامه: «ما سمعنا بمثل هذا قط»، وأطلق عذبة لسانه في المدح.

ثناء الشيخ أحمد بن عاشر الحداد(٢)

ومنهم: مجدد الطريقة الحراقية الشاذلية، العارف بالله؛ أبو العباس أحمد بن عاشر الحداد الرباطي المتوفى سنة **١٣٢٦**، كان يملأ زمنا طويلا من مجالسه في الثناء عليه كلما ذكره، وقال للمترجم لما حل بالرباط سنة **١٣٢١** في طريقه للحج: «إن الحضرة المحمدية رحبت بك ليلة قدومك للرباط، وأخبرت بالحفظ والقبول وطاعة النور والظلمة في الذهاب والإياب لك».

ثناء الشيخ محمد سر الختم الميرغني(٣)

ومنهم: العلامة العارف، أبو عبدالله محمد بن محمد سر الختم الميرغنى الحسيني الطائفي الإسكندري، المتوفى سنة **١٣٢٥**، قرأ عليه بعض

---

(١) انظر ترجمته في «رياض الجنة» للفاسي ٤٢/١.
(٢) انظر ترجمته في «أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين» ٢٠/٢.
(٣) انظر ترجمته في «فهرس الفهارس» ٥٥٦/٢.

المغاربة بزاويته بالإسكندرية الصلاة الأنموذجية ومزْجَها المعروف بصلاة القاسم، كلاهما للمترجم، فقال لتلاميذه: «اسمعوا كلام أهل الشهود، اسمعوا الكلام القريب العهد من الله!!».

ثناء الشيخ محمد بن عبدالرحمن البريبري[1]

ومنهم: الإمام العلامة، قاضي رباط الفتح ومفخرته، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن البريبري السلاوي ثم الرباطي، المتوفى سنة **١٣٢٦**، كان يقدسه تقديساً عظيماً في مجالسه ورسائله، ولما أخبر بوقت حلوله بالرباط في طريق حجه أسرع للقائه على شاطئ وادي أبي رقراق، وكان ذلك من الغرابة بمكان؛ لأنه لم يثبت عنه أنه رأى الوادي المذكور سنين كثيرة؛ لإيثاره الانعزال عن الخلق، واشتغاله بما يرضي ربه، ولازم دروسه الحديثية التي أملاها بالرباط. واطلع مرة على «الكشف والتبيان» للمترجَم[2]؛ فاهتز طربا وقال: «إن أمثالنا ليسوا بأهل أن يقفوا على مثل هذا الكلام».

ثناء الشيخ محمد حبيب الرحمن الهندي[3]

ومنهم: مجيزنا شيخ علماء الحجاز، وابن أدهم وقته، الشيخ محمد حبيب الرحمن بن علي الكاظمي الهندي، المتوفى سنة **١٣٢٢**، قال في إجازته له بعد مدح العلم: «وإن ممن وُفق لتحصيله، وشمر على ساق الجد والاجتهاد في سبيله، وصرف جوهرة حياته في حل مشكلاته، وأفنى زهرة شبابه في توضيح معضلاته؛ حضره الإمام العالم العلامة، القدوة اللوذعي الفهامة، مفخر الأوائل والأواخر، وارث العلم كابرا عن كابر، فرع الشجرة النبوية، معدن الجود والفتوة، الأستاذ العارف الرباني الشيخ محمد...». **إلخ**.

---

(١) انظر ترجمته في «أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين» **١٠٣/٢**.

(٢) الكشف والتبيان، عما خفي عن الأعيان، في سر آية: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾»، طبع هذا الكتاب بفاس سنة **١٣٣٢**هـ.

(٣) سبقت ترجمته.

ثناء الشيخ حسين الحبشي(١)

ومنهم: إمام مكة وعالمها، ومفتي الشافعية بها، أبو علي حسين بن محمد الحبشي اليمني الباعلوي المتوفى سنة ١٣٣٠. قال في آخر إجازته لشقيقنا المذكور: «إنه من ذوي العلوم الواسعة، والحقائق الجامعة، الذين علت همتهم، وتسامت في العلوم الظاهرة والباطنة رتبتهم، الواصل الموصل إلى طريق الحق والصدق واليقين، البدر السامي المقدار، الظاهر كالشمس في رابعة النهار، العارف بربه، المستغرق فيه بقلبه، من أرجو باتصالي به الخير، وزيادة النور والبركة ودفع الضير؛ سيدي محمد...».إلخ.

ثناء الشيخ محمد حسين العمري(٢)

ومنهم: الشيخ الأكبر، عالم الهند وعارفه: محمد حسين بن تَفَضُّل حسين العمري الهندي المتوفى سنة ١٣٢٢، تدبج معه وحلاه في إجازته له بـ: «العلم الأوحد، الفاضل المفرد، مالك الملكات، صاحب الكمالات الوهبية والكسبية، البحر الخضم الحلاحل المطمطم(٣)، قرة عين الزمان، إنسان عين الإنسان الذي يباهي بكماله الكمال، وحامت حول بحره العذب ألباب الرجال، العارف الشهير مولانا الشيخ محمد...». الخ.

ثناء الشيخ أحمد بن إسماعيل البرزنجي(٤)

ومنهم: علامة الحجاز، الشيخ أحمد بن إسماعيل الحسيني البَرْزَنْجي المتوفى سنة ١٣٣٢، وصفه في إجازته له بـ: «الإمام الهمام، قدوة الأنام، الجامع بين الشرفين؛ شرف النسب وشرف العلم بلامين، البارع في الكرمين؛ كرم العلم وكرم الإخلاص بأوفر سهمين، العلامة المحقق، الفهامة المدقق، الفريد في فنون العلوم، المنطوق منها والمفهوم، السيد محمد.

---

(١) انظر ترجمته في «رياض الجنة» ٢/ ١٤.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) المطمطم: العظيم.

(٤) «رياض الجنة» ١/ ١٠٦.

وانتهزنا الفرصة إلى التبرك بلقائه، والاقتباس من سنا برق عرفانه وضيائه...». إلخ.

ثناء الشيخ عبدالقادر الرافعي

ومنهم: شيخ الديار المصرية ومفتيها، العلامة الكبير الشيخ عبدالقادر الرافعي، الحنفي الأزهري المتوفى سنة ١٣٢٣هـ[١]، قال في إجازته لشقيقنا المذكور: «قد اجتمعنا بمن فاض سيل الكمال من سجاياه الكريمة، وتدفق فيض الفضل من مكارمه العميمة، الذي سما استعداده، وزها به اجتهاده، ودنت من مقامه الآمال، ولاذت بجانبه غايات الأعمال، السيد الشريف الشيخ محمد...إلى أن قال: فإذا هو من نخبة العلماء العاملين، وخيرة الأتقياء المرشدين، وقد رقى أعلى مراتب الكمالات، مع غزارة علم وسعة اطلاع في المنقولات والمعقولات، نفع الله به المسلمين، ولا زال ملجأ القاصدين».

ثناء الشيخ محمد محمود الشنجيطي[٢]

ومنهم: رئيس العلوم اللسانية بمصر، العلامة الكبير الشيخ محمد محمود الشنجيطي المتوفى سنة ١٣٢٢، كان يقول له لما اجتمع به بمصر سنة ١٣٢١: «ما جاءنا من المغرب مثلك!»، ولما قرأ عليه كتابه: «الاستباقات إلى حضور موائد صلة الحق للموجودات»[٣]؛ حصل له سرور كبير، حمله على أن قال: «ما سمعت أفصح من هذا الكلام!».

ثناء الشيخ أبو شعيب الدكالي[٤]

ومنهم: شيخنا الإمام محدث الإسلام، أبو شعيب بن عبدالرحمن

---

(١) «الأعلام» للزركلي ٦٤/٤.

(٢) «الأعلام» للزركلي ٨٩/٧.

(٣) يوجد هذا الكتاب مخطوطا في بعض الخزائن الخاصة.

(٤) «رياض الجنة» ١٤١/٢.

الصديقي الدكالي المتوفي سنة ١٣٥٠، حلاه في إجازته لشقيقي الأكبر بـ: «الشريف الأجل، العالم الأمثل، الحافظ اللافظ، الذي كرع من بحري الشريعة والحقيقة حتى ارتوى، سيدي محمد بن سيدي ومولاي عبدالكبير الكتاني الحسني، رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم آمين».

وحدثني كثير من إخواننا الكتانيين بمراكش، أنه: لما كان يدرس الصحيح بها أيام وزارته، قال للجماهير الغفيرة التي كانت تحضر دروسه: «ما رأت عيني من يحسن دراسة التفسير كالشيخ سيدي محمد الكتاني رحمه الله، سواء في المغرب أو المشرق»، وصار يصف لهم مجالس المترجم بالحرم المكي حينما كان يدرس التفسير به سنة ١٣٢١هـ.

ثناء الشيخ علي الجزائري

ومنهم: عالم الجزائر ومسندها وعارفها، أبو الحسن علي بن أحمد بن موسى الحسني الجزائري المتوفى سنة ١٣٣٠هـ، كتب مكتوبا منها لشقيق المترجم، يذكر له فيه اجتماعه بالمترجم لما عرج على الجزائر في رجوعه من حجه، يصفه فيه بـ: القطب الكامل، العلامة العارف الواصل، فريد العصر، والكبريت الأحمر[١]. و: «من جاد علي الكريم البر بلقيه السعيد، في وقت طالع سعد السعود، الواجب اتخاذ زمانه تاريخا أغر، نفتخر بذكره في كل مورد، ومصدر، وإن كان ذلك في كم وقت قصير، بما أعده في عروض البحر الطويل، من غير نكير؛ مولانا أبو الفيض الشيخ أبو عبدالله سيدي محمد ابن الشيخ المربي جنيد وقته وإمام عصره، سيدي عبدالكبير الكتاني...».

ثم زاد قائلا: «ولعمري لقد ارتعدت حينئذ فرائصي من مشاهدة جلالته، بعد أن كان ذلك مني أيضاً كذلك حين تشرفي بالوقوف على كتابه: «خبيئة الكون»[٢] المعنون على ما في باطن عرش قلبه؛ فإنه الشهد

(١) الكبريت الأحمر: كناية عن كل شيء نادر الوجود.
(٢) طبع على الحجر بفاس سنة ١٣٢١هـ.

المذاب، من خبايا الكريم الوهاب، التي أفاضها الله على قلبه من الفتوحات الربانية والإمدادات المحمدية بما يرجع إلى مضمونات عظيم الصلاة الكتانية».

ثناء الشيخ الفضيل الإدريسي(١)

ومنهم: محدث فقهاء المغرب، أبو الفضل الفضيل بن الفاطمي الإدريسي الزرهوني، صاحب: «الفجر الساطع على الصحيح الجامع» المتوفى سنة ١٣١٨هـ. كتب رسالة للشيخ عبدالكبير الكتاني يهنئه فيها بأوبة ولده ـ المترجم ـ من مراكش، يصفه فيها بـ: «النجل السعيد، الحائز من الكمالات كل طارف وتليد، نخبة الشرف، وذروة التصوف، العارف الفاضل الأمجد، بحر العلوم سيدي محمد».

ثناء الشيخ يوسف النبهاني(٢)

ومنهم: العلامة المشارك، المؤلف المجيد، الشاعر المبدع، الشيخ أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل النبهاني المتوفى سنة ١٣٥٠هـ، عقد له ترجمة في تأليفه: «كرامات الأولياء»؛ قال في أولها: «أبو الفيض الشيخ محمد بن عبدالكبير الكتاني الفاسي، السيد الشريف، العلامة الإمام الولي الكبير، أحد أفراد العصر، ونوابغ الدهر، وقد بلغني من الثقات الصادقين أنه من أولياء الزمان، وأوعية العلم والعرفان، وأن له كرامات وخوارق عادات، أعظمها أنه: يجتمع بالنبي ﷺ يقظة، وظاهر حاله يدل على صدقه في ذلك، فإنه بعد أن ادعى هذه الدعوى الصادقة تفجرت من صدره ينابيع العلوم الشرعية، والمعارف الإلهية، فقررها في الدروس في الملأ العام، وأطاب بها النفوس بحضرة العلماء الأعلام، فسلم له صحة دعواه الولايةَ الكبرى الخاصُّ والعام، سوى من غلب عليهم الحسد لعدم بلوغهم هذا المقام، ومَن دأبُهم

(١) «إتحاف المطالع» ١/٣٤٩.

(٢) «رياض الجنة» ٢/١٦١.

الاعتراض على أولياء الله الكرام، وأنا أصدقه وأومن بولايته وكراماته، وأسأل الله أن لا يحرمني من بركاته...». إلخ.

وقال في قصيدة خاطب فيها العم[1]:

ثم سلم على أخيك أبي الفيـ	ض كريم الأصول فخر الفروع
شمس فاس محمد قطبها العا	رف فرد الأفراد جمع الجموع
يقظة شاهد النبي بعين	زال عنها غين الحجاب الطبيعي
منه أبغي شفاعة عند خير الـ	خلق تدني الوصول للمقطوع

ثناء الشيخ محمد بن عبدالواحد الإدريسي[2]

ومنهم: العلامة العارف بالله، أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد الإدريسي، محشى صحيح البخاري، المتوفى سنة ١٣٢٤هـ. كتب رسالة لوالده يصفه فيها بـ: «سيدنا العلامة البحر الزاخر، الولي الشهير، الشريف أبي عبدالله سيدنا محمد..وزاد فقال: أعاد الله علينا من بركاته وبركة أبيه وأسلافه، وأقر به عين الأمة المحمدية»، ويصفه في أخرى بـ: «سيدنا وسندنا الولي الكبير، والعلامة الشهير، ذي السر الشائع، والقدر اللامع، مرشد العباد، ومنور البلاد، الشريف سيدي محمد».

ثناء الشيخ أحمد مرداد المكي[3]

ومنهم: شيخ الخطباء والقراء بمكة، الشيخ أحمد أبو الخير ابن الشيخ عبدالله مرداد الحنفي المكي، كتب في إجازته لشقيقنا الأكبر ما نصه: «من سعدي اجتماعي بغوث هذا الوقت والزمان، خلاصة السادات الأعيان، صاحب الأسرار، والعلوم الغزار، مربي المريدين، ومرشد السالكين، مخزن الفوائد واللطائف، ومعدن الحقائق والعوارف، مولانا أبي

---

(١) المقصود بالعم هنا: الشيخ عبدالحي الكتاني وقد سبقت ترجمته.

(٢) «فهرس الفهارس» ١/١٠٩ - انظر «إتحاف المطالع» ١/٣٦٩.

(٣) «فهرس الفهارس» ١/٤٣٤.

الفيض سيدي الشريف محمد؛ فنظر إلى الفقير بعين العناية».

ثناء الشيخ فتح الله البناني[1]

ومنهم: الإمام العلامة المشارك، العارف بالله، الشيخ محمد فتح الله بن الشيخ أبي بكر بناني، شيخ الطريقة الفتحية، المتوفى سنة **١٣٥٣**هـ، قال في «طبقات المجد الشامخ، فيمن لقيته من أعيان المشايخ»، إثر ترجمته لوالد المترجم: «ومنهم: ولده الشيخ الإمام، الصوفي الهمام، العلامة الأرشد، الموفق الأسعد، العارف الرباني، الولي الصمداني، الشريف الحسني؛ أبو عبدالله سيدي الحاج محمد، أبقى الله بركته، ونفع به وبأمثاله آمين. إمام فاضل، همام كامل، عالم عامل، ذو حياء وليونة، وتواضع وسكينة ووقار، عظيم الاستغراق في شهود حضرة الله، وحضرة النبي المختار ﷺ وعلى آله»...إلخ.

ثناء الشيخ عباس الحنفي[2]

ومنهم: مفتي الحنفية بمكة، الشيخ عباس بن صديق الحنفي المكي، كتب مكتوبا لوالد المترجم، يعرف فيه باجتماعه بولده، وأَخْذَهُ عنه، ويصفه فيه بـ: «المفرد العلم، الذي لا يخيب من أناخ بساحته وبناديه أم، الجامع لأشتات الفضائل، ومحيي سنة جميع ما انطوى عليه الفضلاء من الأوائل، الدرة اليتيمة، التي لا تُقَوم بأعلى قيمة»...إلخ.

ثناء الشيخ محمد بن سالم [السَري] التريمي[3]

ومنهم: مسند اليمن، الشمس محمد بن سالم التريمي الحسيني، حلاه في إجازته لشقيقنا الأكبر بـ: «شيخنا الإمام، القدوة الهمام، بركة

---

(١) «أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين» ٢/٣٧٧.

(٢) توفي سنة ١٣٣٥هـ انظر ترجمته في: «سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر» لعمر عبدالجبار ص: ٦٠.

(٣) توفي سنة ١٣٤٥هـ، انظر «فهرس الفهارس» ٢/٥٧٩.

الدهر، وحلية العصر، عالم الشرفاء، وشريف العلماء، سيدي ومولاي أبي عبدالله الشريف محمد بن سيدي عبدالكبير»، وقال في آخرها ما نصه: «وأوصيه بالاقتفاء بهدي سلفه عموما، وخصوصا سيدنا وشيخنا البركة والده محمدا في جميع أقواله وأحواله، وأفعاله وحركاته، وسكناته؛ ففيه الغنية والكفاية».

ثناء الشيخ عبدالرحمن الإمامي[1]

ومنهم: مجيزنا الإمام الوزير، أبو زيد عبدالرحمن ابن القرشي الإمامي المتوفى سنة ١٣٥٨هـ، قال لي ولشقيقي الأكبر لما ذهبنا لتهنئته بوزارة العدل بمحل سكناه بالرباط: «ما كنا ـ معشر فقهاء فاس ـ نعلم أن والدكم ـ رضي الله عنه ـ يتقن علم النوازل، ويعرف أبواب المعاملات من الفقه المالكي معرفة كبرى، حتى ضمنا وإياه مجلس الشورى بالقرويين، ورغما عن كون السلطان عبدالحفيظ كان يصرح له غير ما مرة بأنه يعتبره رئيسا للمجلس لا عضوا فيه، فما كان يتميز علينا بشيء، نعم؛ كان يتفوق علينا بمهارته العجيبة في علم الفقه، وخصوصا أبواب المعاملات، ويوجد للمشاكل العويصة التي كانت تعرض علينا حلولا سريعة، مستدلا على أصوبية آرائه بكلام أيمة الفقه المالكي الأقدمين، ويحيلنا على كتبهم التي لم تطرق أسماعنا قط، ويبدي استعداده لإطلاعنا عليها متى شئنا، وفي بعض الأحيان كان يصحبها معه، ويوقفنا عليها، ويلفت أنظارنا للاعتناء بها على غيرها، لما اشتملت عليه من الأقوال المعتمدة على الكتاب والسنة، ولخلوها من الجدال الذي لا طائل تحته».

«وكان يعتني بإيراد نصوص المذاهب الأخرى، التي تؤيد الفقه المالكي، في المشكل الذي نكون بصدد حله، مع ذكر الدلائل التي اعتمدوا عليها جميعا من كتاب الله وسنة رسوله، وترويج القواعد الأصولية بشكل

---

(١) «رياض الجنة» ٧٢/٢.

يلفت الأنظار، ولا أكون مبالغا إذا قلت: إن علمه الجم كان يرغمنا على الاعتراف في غيبته بأنه آية لله في الكون! ـ رحمه الله رحمة واسعة».

وقال لي مرة أخرى بفاس: «إن والدكم كان جوهرة نفيسة لم نعرف قيمتها الحقيقية إلا بعد فقدنا لها، وقد وقعنا في جميع ما كان يحذرنا منه في أواخر عهد الاستقلال، فإنا لله وإنا إليه راجعون...». ثم أطلق عذبة لسانه في الثناء عليه وتعداد كراماته.





الوصل التاسع
في نبذة من الشعر الممدوح به

مدح المترجَم بما يقارب عشرين ألف بيت من الشعر، غير أنه لم يكن يهتبل بذلك، بل كان يدفعه للحاضرين، ومن أجل ذلك تفرق شذر مذر.

وقد بذل شقيقي الأكبر أبو الفضل محمد المهدي ـ رحمه الله ـ جهودا كثيرة في جمعه، غير أنه لم يظفر إلا بما يقارب النصف[1]، والباقي لازال موزعا هنا وهناك. وسأقتصر هنا على بعض البعض منه، تاركا الباقي إلى المطولات[2].

❋ ❋ ❋

حرف الباء

لا يوجد من هذا الحرف ـ فيما أعلم ـ إلا قصيدة للعالم الأديب أبي محمد عبدالقادر بن عبدالله الغنيمي السلاوي، رحمه الله[3]، مطلعها:

---

(١) يوجد في خزانته الخاصة بسلا.

(٢) المؤلف يورد متفرقات من أشعار قيلت في مدح والده الشيخ محمد الكتاني، حسب الترتيب الأبجدي.

(٣) توفي سنة ١٣٥١هـ، انظر «إتحاف المطالع» ٢/٤٧٠.

سلا ظبية الوادي عن الوامق الصب وعن دمه الممزوج بالدمع في الصب[1]

***

حرف التاء

وقال أبو عبدالله محمد بن المعطي العمراني - رحمه الله - في تهنئة المترجم برجوعه إلى فاس من محنته المراكشية[2]:

ألا يا ركاب الشوق عرج بمهجتي على فاس الغراء مأوى الأحبة

إلى أن قال مخاطبا مدينة فاس:

ومتعت من بين البقاع جميعها بوطئة خير الناس سيد سادة
هو الماجد القَرْم الجواد محمد[3] سليل الهداة الآخذين بسنة
إمام الهدى محي الندا راحم العدا وواقي الردى لكل نفس مريبة
هو الفرد شيخ الوقت في أهل عصره هو العلم المشهور أس الطريقة
هو الجامع المكتوم عن كل منشإ سواآن إن مخصوص ومطلق أمة
هو البدر بل ذاك استعير ضياؤه وهذا يعير الخلق من نور حضرة
هو الشمس لا بل تلك[4] تغرب تارة وهذا له الإشراق في كل لحظة
هو البحر لا بل ذاك ملح شرابه وهذا فرات[5] مستطاب لشربة

وقال أبو عبدالله محمد بن سليمان العلوي[6] - رحمه الله - في تهنئة المترجم برجوعه من الحجاز:

---

(١) وتوجد بالمكتبة الكتانية بفاس (المؤلف).
(٢) ديوان العمراني يحتوي على ١٢ كراسة كما ذكر ذلك الشيخ عبدالحي في «المظاهر السامية» الورقة ٦٠.
(٣) القرم من الرجال: السيد المعظم.
(٤) كذا في الأصل.
(٥) فرات: عذب.
(٦) سبق التعريف به.

أشمس بدت من نحو حي أحبتي أم البدر أمسى في سماوات رفعة
أم الأنجم الزهر استقلت بأفقنا تحاكي سنا سعدى إذا ما تجلت
أم الصبح أبدى نوره كل معجب أم الدرة البيضاء بانت بقبلة
بلى إن ذا القطب الفريد زمانه به قد نعمنا بعد جدب وشدة
سري بدا مثل الكواكب في السما تضيء على أهل العلا والبسيطة
تخال الثريا في سماء جبينه وما هو إلا نور أحمد صفوة
له خلق قد زانه ببشاشة يلاقيك بالبشرى قبيل التحية
ويبسط آمال الرجاء لسائل فيحظى لديه بالعلوم النفيسة
إذا ما جلست لاستماع حديثه رأيت به بحرا رمى موج حكمة
هنيئا به جاد الزمان بوصله لنا فاستنار الجو من بعد ظلمة

❋ ❋ ❋

حرف الدال

وقال شاعر فاس العلامة المعمر الراوية أبو العلاء إدريس بن علي السناني[1] رحمه الله:

بني بنت خير الخلق والعترة التي محبتهم فرض علينا مؤكد

إلى أن قال:

ألست ترى الكتانيَ العارف الذي له كل صقع بالولاية يشهد
يتيمة عقد العارفين بعصرنا ففي كل أنواع العلوم له اليد
ولي حباه الله فضلا ونعمة وتيرته محض اجتباء مسرمد

---

(١) الأديب المشارك الناظم الناثر، له ديوان شعر إسمه: «الروض الفائح بأزهار النسيب والمدائح»، وله ديوان في الملحون مشهور، كما أنه له عدة مؤلفات، توفي سنة ١٣١٩هـ، انظر «إتحاف المطالع» ٣٥١/١.

لقد خلع المولى عليه مجادة[1] فأضحى على رغم الحسود يمجد
تجلى بهذا القطر كالشمس فاهتدى
بطلعته المرء السعيد المسدد
وكابر فيه ذو الله العناد لحكمة ولا عجب إن أنكر الشمس أرمد
أيطفئ نورَ الله إنكار جاحد ولو دام في الإنكار بالرجم يجهد
فإنكار فضل الله شيمة حاسد وفي كل عصر ذو الفضائل يحسد
وسنة ربي في الخليقة قد جرت بنصرة محسود كذا الأمر يعهد
فما برح المفضول يحسد فاضلا وما برحت شمس الولاية تجحد
هو الشمس شمس الوقت قدرا وطلعة
إليه المعالي والمحاسن تسند
هو الحبر والبحر الخضم دراية وعلما وتحقيقا فمن ذا يفند؟
وكم أوتروا قوس النكير وفوقوا إليه سهام الطعن والسيف جردوا
وكم أطلقوا فيه اللسان بزعمهم وكم طالعوا للخلق كتبا وقيدوا
لقد حصحص الحق المبين فلا تصخ
إلى قول أفاك عن الخير يبعد
فلا تك بعد العلم إمعة وسر على قولك الشافي به الحال تحمد
وخل أقاويل المعارض من ورا فما قد أتى بالحق إلا محمد
أفاض علينا الله من بحر سره كؤوسا بها يهدي الفؤاد ويرشد
وأسكننا في نهج منوال حبه لكي نرتقي فوق المعالي ونصعد

❋ ❋ ❋

حرف الراء

وقال قاضي الجماعة بمراكش أبو الفضل المصطفى بن عبدالقادر

(١) مجد مجادة، فهو مجيد.

العلوي[1]؛ صهر السلطان الجليل مولاي الحسن ـ رحمهما الله ـ من قصيدة:

أسيدنا ذا الفضل والمجد والعلا ونعماؤه قد عمت البر والبحرا
سلكت طريق الصالحين ونهجهم محاذ لخير الخلق في كل ما تقرا
ولم لا وأنت وارث بأصالة وفرض فمنك اليوم نقتنص البشرا
أتيت أتيت بابكم متوسلا بجاهكم الأسمى يحط عنا الوزرا
فأنتم لهذا الداء رصد لبرئه وعز طبيب بل بعجزه قد قرا
فهذا عبيد يرتجي فضل جودكم ويستمطر الأمزان من جودكم تترى
وحاشا علاكم أن يخيب لديكم فقير ضعيف يختشي الضر والفقرا
له الفضل إن أوليته منك نظرة وأدنيته قربا وأوسعته بشرا
فذو رحم أولى بفضلكم وكم تجود على الأرحام بل تمنح البرا
فيا ابن رسول الله يا خير وارث
يكافئ على شعر إذا استنشد الشعرا
لقد فضلت فاس على كل بلدة وحق لها التفضيل والتيه والذكرى
حللت بها بدرا منيرا تلألأت لأجلك أنوار وحازت بكم فخرا
أمولاي إني عبد عبدك فامنحن لعبد رضاك لا يرى أبدا هجرا

وقال أبو عبدالله محمد بن المعطي العمراني مادحا ختمة البخاري[2] للمترجم:

برزت مخدرةُ الجمال الأبهر غيداء ترفل في قميص أخضر
هتكت حجابا طالما حجبت به ورمت نقابا للمحيا الأقمر

---

(١) توفي سنة ١٣٥٢هـ، انظر «إتحاف المطالع» ٢/٤٦٥.

(٢) ختمة البخاري للمترجم مطبوعة طبعة حجرية سنة ١٣٢٣هـ، وقد وقع الفراغ من إملائها سنة ١٣١٦هـ، وتضم ١٦٠ صفحة، والقصيدة مثبتة في «المظاهر السامية» للشيخ عبدالحي الكتاني من الورقة ١٨٣ إلى الورقة ١٨٥ مع بعض الاختلاف وفي ديوان الشاعر: الأوراق: ١٠- ١١ ـ ١٢.

منا على عشاقها من بعدما عز الفؤاد ففاز كل مظفر
أبدت جمالا في كمال زانها وغدت تجر به ذيول التبختر
ها حسنها أضحى لنا تمثال حو ر مائسات في رياض أعطر
ومن العجائب أنها بكر تسا ق بلا مهور ذات شأن أخطر
فانعم بها متمتعا مسترشفا معسول ثغر مستلذ أطهر
وامدد لحاظك هل ترى أختالها في الدهر أجمع أو شبيهة منظر
ختمت محاسن حدثت بصفاتها كتب الصحيح بما روت للمخبر
جمعت ملاحة ما حواه جامع من كل فن لا تراه بدفتر
فهي الفريدة في بديع جمالها فتقلدن منها قلادة جوهر
وهي المعيرة للبهاء عندما تبدو الغواني بحسنها المستوفر
لاغرو إن سجدت لطلعة وجهها ربات حسن أو جمال أبهر
أو ما علمت بأنها بنت لفكـ ـر طالما شق العويص بأبتر
خود تدل على جلالة والد كالنجم دل على ضياء الأزهر
لسن يريك من البلاغة حدها عند الخطابة في رقي المنبر
وإذا انتضى لنظام شعر بث في طي القوافي كل معنى أسحر
وإذا نظرت لبحر علم زاخر لم تبك حبرا بالنجيع الأغزر
ومن العجائب إن حشوت مسامعا
منه تزيدك من عجاب أكبر
ولطالما أجدى وأهدى للورى درر المعارف في خلال مسطر
هذا على شرف الجدود ومجدهم
وتنافس الأبناء فيه بأكثر
طيب العريكة والعشيرة والعنا صر موذن بفضيلة للمعشر
كتان قومٌ ما لهم من مشبه يرجو اللحاق لما لهم من مفخر
فلذا ترى بدر التمام محمدا جمع المحاسن مثل روض أزهر
أو ما ترى سرا عجيبا جاء في ختم البخاري في صنيع أبهر

كم من علوم قد أباد ذكرها نسج العناكب خطها بالمزبر[1]
كم بث في صدف السطور جواهرا
هانت لها بالبذل روح المشتري
لله شيخ جَد في نشر الهدى
ورمى الضلال بداهيات السمهري[2]
كم سنة أحيى بعلم ميتها كانت تظن من عظيم المنكر
كم من صدٍ قد جاءه يشكو الظما
عند اللقا أضحى غريق الزُخَّر
كم من قلوب لاهيات صادها سهم يُفَوقه بلحظ أحور
إن تعر حادثة فحسبك همة عزما تصيب كمثل قوس موتر
كم من مزايا لا تنال بحيلة قد فاز منها بالنصيب الأوفر
من رام جهلا عدها أو حدها سلكت به نحو السبيل الأوعر
يا من يروم معارج القدس التي من لم يجبها كان مثل الأبتر
هلا قصدت رباعه متنصلا وبكيت دمعك بالنجيع الأحمر
يشفيك من داء تطاول عصره وتشم أذكى من أريج العنبر
ماذا التواني والركائب قد سرت والعمر ولى على نجيب أصفر
كم أنت في ظمإ الهواجرِ صابر والقوم غرقى في معين الكوثر
قم فانتدب واحْدُ المطايا للسرى
هذا الدليل مشى بنور أنور

وقال الشاعر المطبوع، الأستاذ الفحل، أبو محمد عبدالله بن عباس القَبَّاج[3]

---

(١) المزبر: القلم.
(٢) السمهري: الرمح الصليب.
(٣) الأديب البارع، والكاتب البليغ، نزيل مدينة فاس، والمتوفى بها سنة ١٣٦٢هـ، له عدة دواوين شعرية، انظر «إتحاف المطالع» ٢/٥٠٢.

رحمه الله، وهي من درر شعره الذي أنشأه في عهد شبابه إثر رجوعه من الديار الحجازية، وقد ألقاها بالزاوية الكتانية بفاس، بمحضر جم غفير من العلماء والأشراف والصوفية :

خذو ليَ من سعدى أمانا من الهجر فمالي على هجر الأحبة من صبر
وما الهجر من سعدى علي بهين فأسلو ولا قلبي صفات من الصحر
رمتني بسهميها فلم تخط مقلتي وما كنت من ألحاظها آخذا حذري
وما الحذر مغن والقضاء إذا جرى أتى المرء بالنقصان من حيث لا يدري
لقد صدقتني في الهوى وصدقتها فلم تتعامل بالغرور وبالغدر
إلى مثلها يصبو الحليم صبابة ويسهل مرقى كل ذي مركب وعر
إلى الله أشكو ما بقلبي من هوى وما بضلوعي من ضرام ومن جمر
أبيت فلا جفني يكف دموعه ولا غلة الأشواق تبرد من صدري
وما غمضت أستغفر الله مقلتي نعم غمضت، لكن على دمعة تجري
لقد كثر الواشون عني وزوروا علي مقالا لا ببطني ولا ظهري
وسدوا طريق الصلح بيني وبينها فما سمعت مني ولا قبلت عذري
لئن حجبوها عن مسارح ناظري فما حجبوها عن خيالي وعن فكري
وعهدي بسعدى يدرك الصب عطفها وتحمل عن مشتاقها نُوَبَ الصبر
فيا أسفا ما لي هلكت من الأسى وفي يدها نفعي وفي يدها ضرِي
هل العيش إلا أن يساعدني النوى بوصلك يا سعدى ويسعدني دهري
أحن إلى وادي العقيق وأهله كمثل حنين الأم للولد البكر
وأذكر أ أياما حمدت لأجلها زماني وما أنفقت فيها من العمر
عسى عطفة منكم يهب نسيمها فيا ليتني حملت فيها على قدري
فياليت من أهواه يرثى ويرعوي ويغنم في وصلي عظيما من الأجر
سلوا الليل قد والله ما كف مدمعي ولا ذقت طعم النوم فيه إلى الفجر
وكيف يذوق النوم حيران مدنف يبيت من الأفكار يسبح في بحر
لعل رسولا منك يقبل بالرضى فيلقاه قلبي بالبشائر والبشر

لعل لياليك القصار تعود لي فأقطعها بين الأحاديث والذكر
وأجني ثمار الوصل منها وقد دنت سوالف بحر من مشوق إلى بحر
وقد ألبستني خمرة الوصل نشوة ثملت بها زادت على نشوة الخمر
ودارت علينا للعتاب سُلافة أفاضت دموع العين كاللؤلؤ النثر
عسى فالتعسى منه للقلب راحة وإنْ لم يكن فيه شفا علة الصدر
رجوت الأماني حيث كانت وعودها
لنا عن أبي الفيض الشريف ذوي القدر
إذا وعدتنا عنه وعدا نفوسنا قبضنا بأيدينا على ذلك الأمر
إمام الهدى والسيد العلم الذي معارفه فاقت عن العد والحصر
خليفة رب العالمين أمينه على السر في أمر الخلائق والجهر
يحامي عن الدين الحنيف بعمله ويقطع بالأسرار طائفة الكفر
وينصر أمر الله فيها ولم يزل يروح ويغدو في الكلاءة والنصر
أقام قناة الدين بعد اعوجاجها وشيد أركانا من المجد والفخر
سميع مجيب دعوة العبد إذ دعا جواد كريم يبذل العسر باليسر
به التف شمل المجد واجتمع النوى وأصبح عقد الشرع منتظم الأمر
إذا ما اجتلينا من محياه طلعة رأينا مياه الجود في وجهه تجري
سعى يافعا سعي الكهول إلى العلا وهو ابن خمس مع وراء من العشر
تتيه المعالي إن ذكرت محمدا ويشمخ أنف العلم من نخوة الفخر
فسطوته تخشى ونعماه ترتجى وفي يده ما شا من النفع والضر
إذا اسود وجه الدهر أشرق وجهه
وكان لنا عونا على نُوب الدهر
ينال من الأعداء ما هو طالب بأسراره لا بالمكيدة والمكر
ويأنف من تدبير رأي وحيلة لغير الإله عالم الخير والشر
طليق المحيا باسم الثغر عنده عطايا بلا من وعز بلا شكر
فطورا بتقريب ونوع من الرضى وطورا بإبعاد ونوع من الزجر

فيقضي ولا يفعل ويولي ولا هوى ... ولكنه حكم على حكمه يجري
حليم فلا فظ غليظ عليهم ... شفيق بهم أحفى من الولد البر
أدام بتقوى الله نفسا زكية ... تحن سجاياه إلى الخير والأجر
ونال مقاما لم ينله من الورى ... سواه بفضل الله والحمد والشكر
وقام مقاما أعجز الدهر كونه ... قيام مطاع الأمر متبع الأمر
فصارت له الساعات في كل ليلة ... تساوي بما قد قيل في ليلة القدر
وما استولت الدنيا عليه وقد ... حوت يمينه ما فيها من النفع والضر
فليله حي بالصلاة وبالدعا ... وكثرة ما يتلوه من سائر الذكر
وصبحه في صوم وعلم وطاعة ... وذلك عند الله من أعظم الخير
وحلقة علم يسقط الطير فوقها ... منزهة الأرجا عن اللغو والهجر
بها ظل أهل العلم حوله عكفا ... كما عكفت زهر النجوم على البدر
وما به من حاج إليهم وكم بهم ... هنالك من حاج إليه ومن فقر
أتوه يؤمون المعارف والذي ... حباه به المولى بواسطة الخضر
ومن كان نصر الله قائد أمره ... إلى الخير لم يحفل بزيد ولا عمر
وفي شيخنا الكتاني لله حجة ... تقام على أهل الضلالة والكفر
ألست ترى إعراضه عن عدوه ... وتسليم كل الأمر لله ذي الأمر
وكيف كفاه الله ما كان يتقي ... وأطفأ عنه الشر من كل ذي شر
فيا أيها القطب العظيم ومن له ... مكارم إن عدت تزيد على القطر
ويا جامعا شمل الهدى برجاله ... على الطاعة أبشر بالسعادة والنصر
نحبك حبا لو تقسم بعضه ... على الخلق لم يوجد عدوان في قطر
ويلبس من نعماك أثواب عزة ... يتيه بها الماشي ويزهو من الكبر
أتاك وأحداث الليالي محيطة ... به وهو ملقى ليس يجري ولا يمري
وقد رد من جوف الثريا إلى الثرى ... فألقى كما يلقى القلام من الظفر
وأصبح مقصوص الجناحين ينتمي ... لخذلانه من كان يرجوه للنصر
يمد يد الراجي المحدث نفسه ... بنيل الأماني منك يا جابر الكسر

لعلك ترثي لانكساري وزلتي وتدرك كسري وانضداعي بالجبر
فكم بك عن غيري وعني من غنى
وكم لي آمال إليك من الفقر
فلو توزن الدنيا جميعا وأهلها بظفرك ما وفوا قُلاما من الظفر
فقد أضحت الآمال تلقاء بابكم كراديس[1] من شفع معد ومن وتر
فمن كان منهم آملا قدر همه فهمي على مقدار جودك لا قدري
فمن حاتم الطائي من عمرو في النَدى
ومن عنتر العبسى من عمرو في الكر؟
فأنت إلى المقصود سرت وهم إلى وأين تماد الماء من خضرم البحر[2]
إذا افتخر الطائي بنحر عشاره ففخرك في ملء القلوب من السر
وإن فر عن صمصام[3] عنتر قرنه فكم فر شيطان لدى حلق الذكر
فما أنت إلا الغيث عم بوبله مغاني الربوع العامرات مع الفقر
ولم تتحبب بلدة دون بلدة ولا رمت قطرا دون آخر بالقطر
عسى يا وجيه الدين تهتز نبتتي وتكسو أعاليها من الورق الخضر
فإني غرس في نداك غرستني وألبستني نعمى رفعت بها قدري
أأخشى وإن أظمأ وجودك كوثر وفي كل دار ساقية تجري
ومن كان غوث الوقت مالك أمره فقد بات معه في أمان من الدهر
فأنت لرب العرش فينا خليفة ومثلك لا نلقاه في البر والبحر
جزيت جزاء المحسنين عن الورى وأنت بهم أحنى من الوالد البر
إذا أحسنوا أحسنت فيهم ومن أسا
جررت عليه ذيلي العفو والستر

(١) كراديس: كتائب الخيل، شبهت برؤوس العظام الكثيرة.
(٢) هكذا في الأصل وكذلك في «المظاهر السامية»، والخضرم: الكثير الماء.
(٣) الصمصام: السيف القاطع.

ومـدحـك مـفـروض عـلـى كـل مـسـلـم
وهـذا إذا فـرضـي سـلـمـت مـن الـوزر

فـدتـك أنـاس لا تـهـش لـمـدحـة ولا تـرتـجـى يـومـا لـنـائـبـة الـدهـر

فـعـش وابـق طـول الـدهـر حـتـى إذا فـنـى
أتـى بـعـده عـصـر فـعـشـت مـدا الـعـصـر

وأسأل مـولانـا الـعـظـيـم بـجـاهـكـم وما حزتمو من نخبة العلم في الصدر

ومـا لـكـم مـن كـل قـدر ورفـعـة ونـور وأسـرار وعـز ومـن فـخـر

وعـلـم وحـلـم فـي الـورى وشـهـامـة وجـود وإحـسـان وفـضـل ومـن بـر

وصـفـح عـن الأعـدا وكـثـرة سـؤدد وحكمة قول ليس توجد في سطر

يـبـلـغـنـي مـا أرتـجـيـه جـمـيـعـه قـريـبـا قـريـبـا عـاجـلا لـيـس بـالأمـر

سـألـتـك يـا ربـي بـحـرمـة جـده نبي الهدى اقبل دعائيَ في شعري

عليه صلاة الله في الصبح والمسا وفي الظهر والليل البهيم إذا يسري

مـع الأهـل والأصـحـاب مـا سـار راكـب
إلـى مـكـة الـغـراء واشـتـاق لـلـحِـجـر

ومـا قـال عـبـدالله فـي كـل سـاعـة خذو لي من سعدى أمانا من الهجر[1]

❊ ❊ ❊

حرف اللام

وقال العلامة اللغوي أبو العباس أحمد بن محمد بن الطاهر السباعي أصلا[2]، السوسي دارا ومنشأ، الحسني نسبا، رحمه الله، في «نغمات

(١) القصيدة موجودة بأكملها في «المظاهر السامية» للشيخ عبدالحي الكتاني، من الورقة ١٩٢ إلى ١٩٧.

(٢) سبق التعريف به وبمطولته «نغمات المثاني في اشتياق المعاني لحضرة مولانا الشيخ محمد الكتاني»، وفي «المظاهر» وردت القصيدة منسوبة لأبي عبدالله محمد بن الطاهر السباعي السعيدي المتوفى سنة ١٣٣٧هـ، المخطوط الورقة ٢٠٩.

المثاني، في اشتياق المعاني، لحضرة مولانا الشيخ محمد الكتاني» :

سلام كما هب النسيم يُقَهْبِل[1] سليل العلا عن كل شيء يقهبل
يناغي به آل النبي محمد عليه صلاة الله ما الروض يخضل[2]

إلى أن قال مخاطبا المترجم :

لأنت الذي حزت الوراثة كلها بفرض وتعصيب وذلك منحل
لأنت الذي أشبهت جدك أحمد بخلق وخُلق كل ذلك مكمل
جمعت شتات الأحمدية والمحمـ دية بطنانا لما يتسلسل[3]
لأنت الذي لو أن أحمد لحظة عدمت لكان الكل منك يخيل

إلى أن قال:

هو الخاتم الحاوي لأسرار طرسها وأنبئ بذا العنوان من يتأمل
على متن معلى الاستقامة صورة ومعنى وعلما للهداية يبذل
هو المرتوي من كأس عين الحياة ما قطا حولها حامت عليها تبسمل
هو الجوهر المكنون أخفى سنا جما نه كل من في الرشد أضوا وأجمل
يتيمة ما قد قلت فيه لقد أضا ء ذا العقد لو أنصفت والليل أليل
أرى لبب الأعصار فيه تنافست كما الغيد في الدر الذي الشمس يخجل

إلى أن قال:

هو الفرد فليأس الذي هو معرض بمن حيث عم الخصب في المحل مهزل
هو الغوث قل للدهر يجهد جهده وكيف أبالي وهو في الجود مجزل
هو الذيفك العقل من عقله فذا غدا إلفه مستوحش العلم يعقل

---

(١) القهبلة : ضرب من المشي.

(٢) يخضل : يبتل.

(٣) بطنانا : ج بطن.

هو العمدة العظمى وهل خال جملة ... جفاها بوجه النحو يزهو ويعطل

وهل من له في سنة المصطفى كما الـ ... كتاب رحى أقطابها ما تزلزل

إذا طحنت جيش النكير بمعرك[1] ... فلسن الهدى باللترات تطول

لعمري لغار الغزو مما تعاجبي ... إذا منكر في منطح الصخر يعمل

إلى أن بدا لي أن ما جعل بذا ... له المسك إلا للردى يتذلل

فيا ويح من يصغى لشن مقعقع ... ألم يسمع الإنصاف إذ يتمثل؟

فهل ثابت حصر العصا سحر ساحر ... أيستسمن الأورام إلا مجهل

وهل زخرفات للبراهين تعتلي ... أينقع آل غلة تتشعل

وهل صولة للبس والليل مقمر ... إذا الحق يجلو فالتشعوذ يبطل

❋ ❋ ❋

حرف الميم

قال القاضي أبو الحسن علي العدلوني رحمه الله:

القلب من لوعة الأحباب في ضرم ... براعة العشق أفضته إلى ألم

إلى أن قال:

لا العتب أرضى وليس اللوم أذكره ... إذا لما سلمت نفسي من التهم

وحيث لابد لي من العتاب ففي ... نفسي لتفريطها والحق لم ترم

إذا لم تخلص لختم الوقت خدمتها ... مقيم نور الهدى بالحق في الظلم

«محمد» نجل عبدالكبير الذي ... أعلامه اطردت في العرب والعجم

فشمسه طلعت على القلوب غدت ... تسري وقد سمطت زينا من الكلم

عنوانه: أن طوبى مأوى من بلغت ... به السنون إلى «شت»[2] بلا ألم

---

(١) اسم موضع.

(٢) إشارة إلى رقم ١٤٠٠، أي: القرن الرابع عشر.

بحر السماح وبحر الجود زينه تسهيمه أبدا بالحلم والكرم
ناشر ما لم يكن في الكون منتشرا كلا وتم له التكميل في العلم
إن قلت كالبدر بعد العشر منفرقا فالبدر يصرم وهو غير منصرم
مذ حل في المهد ناسب العفاف وما أردى وما زاغ وهو غير منفطم
من شاء عزا وعز المرء منيته زاوجه بذليل القلب بالخدم
أبدى التعظيم على الوجه العظيم من الرب العظيم بترديد من النعم
قد وسع الدين والإسلام أيده مذ جاد بالمبطشين الكف والقلم
مرتب الحق دال الخلق ناصره نعم وأيده بالعهد ذي العصم
فهو جميع الورى والحصر دعه تفز وألحقن جزأه بالكل تغتنم
والوصل والفصل فيه والفراق وفيـ ـه الجمع بين الورى بأحسن الشيم
لو لم يكن ءاية للناس ما انتصرت به المذاهب منها مذهب الكلم
يستطرد الفضل في كل الأنام كما بالسيف طرد العد أو العلم والحكم
وقد أراح الذي بالفضل مدعيا والهزل حيث أريد الجد في العدم
فهو لكل ولي كاف مؤتلف له ومختلف بأزيد النعم
لا تصح مقتفيا لغيره فله في معرض المدح ما ينجي من اللمم
فدع وقيت على غير مقابلة وعج جزيت له تنجو من الغمم
فيه نجاة على جمع وتفرقة من العدا ونجاة الذنب والأثم

❋ ❋ ❋

حرف النون

وقال الشيخ أبو الجمال محمد الطاهر بن الحسن الكتاني رحمه الله[1]:

يا سائلا كيف الوصول وقد نأت طرق الرشاد بهذه الأزمان

---

(١) سبقت ترجمته.

حجرت بحرا واسعا متراكما أمواجه تعلو على الجدران
هلا أتيت البيت من أبوابه تنجو من التخبيط[1] والهجران
فاقصد حمى الشيخ الإمام المجتبى شيخ الشيوخ ومعدن العرفان
تاج الولاية ركنها وأساسها إرث النبوءة شيخنا الفرداني
بحر الشريعة والحقيقة والهدى محيي طريق المصطفى العدناني
العارف المكتوم والختم الذي قد جاءنا بالسر والبرهان
العالم النحرير قطب ذوي النهى الكامل المحبوب في العمران
ذاك السني الهاشمي ومن به نرجو المفاز ونحظى بالغفران
أعني به شيخي الهمام المرتضى غوث البرايا محمد الكتاني
نجل الإمام الفرد في أوصافه ونعوته وكماله المتداني
ركن السيادة شمسها وسراجها قطب الوجود إمامنا الصمداني
شيخ الشيوخ وفخرهم وإمامهم وإمام كل موحد رباني
عبدالكبير ومن به نرجو الكريـ ـم يمن بالإفضال والإحسان
تالله مافي الغرب من شبه له كلا ولا في العصر منه مدان
هذا هو الكنز المطلسم يا فتى هذا هو الفرد العظيم الشان
هذا الذي حاز المعالي كلها هذا الذي قد خص بالتبيان
هذا الذي حزنا به شرفا كما بطريقه نسمو على الأقران
هذا الذي حفظ الإله جنابنا بوجوده من سائر الحدثان
هذا الذي صقل الجليل قلوبنا بشهوده من سائر الأدران
هذا الذي عم البرية فيضه في سائر الأقطار والأوطان
هذا الذي تأتي الوفود لبابه من شاسع الأمصار والبلدان
يرجون ما قد عم من أفضاله ونواله بتيقظ الأذهان
فيلقن الأوراد والأذكار مع ما فيه إسعاد لذي عصيان

---

(١) التخبيط: الحيرة.

أضحى بهذا العصر ينقذ أهله ... ويقيهم ما عم من خسران
يهديهم سبل الرشاد بفيضه ... ويجفهم بذخائر الرحمن
ويؤمهم فضلا بكل فضيلة ... ويخصهم بدقائق العرفان
ويحوطهم بعناية أحدية ... ويقودهم للهدي والقرءان
أحيى شريعة خير من وطئ الثرى ... وأزاح شبهة كل ذي خذلان
وغدا لدين الهاشمي مجددا ... ومرقيا للقاصي ثم الداني
لله ما أحلى شمائله وما ... أحلى فضائله بكل أوان

وقال الشيخ أبو عبدالله محمد بن المعطي العمراني رحمه الله[1]:

كيف يحلو بعدكم لي وسني ... ولظى بُعدكمُ تحرقني
كنت في مدة عمري ساليا ... أجد السلوان أهدى سنن
لا أرى لسع هوى في كبدي ... أواري روع نوى يطرقني
فبدا لي غير ما أحسبه ... حين عاينت الذي يفجعني
علقت روحي بكم فاتحدت ... لو طلبت الفرق ما أمكنني
وعجيب أنكم أنتم أنا ... وبلقيا ساعة وقتي فني
هل رأيتم أو سمعتم قصة ... مثلها قط جرت في الألسن
أنا فرد في عذابي كما ... قصتي مفردة في زمني
شب وجدى حين شابت سلوتي ... واعتلى شوقي ودارت محني
وجفوني قرحت من أدمع ... مذ جرت قامت بحمل السفن
لا تلم فيما جرى من قلق ... لا تسل عما جرى من حزن
أي صبر عنكمُ يجمل بي ... وهواكم واجبي مع سننى
لم لا أنفق وقتي فيكم ... وأرى وجدي بكم من مننى
أنتم الغالون في العصر وما ... لسواكم معظم من ثمن
فلإن مدت حياتي زرتكم ... حافيا أحبو ولو ذا زمن

(١) ديوانه: الأوراق: ١٤، ١٥، و١٦.

تائها حيران سيان لدي وطء شوك أو فراش لين
وإذا مت فحقي عندكم وضعكم رسم الهوى في كفني
كيف لا يذهب عقلي فيكم وببعض الحب كل الفتن
كلما أرسلت طيفي نحوكم كلف طيفي طعنة تقلني
كلما أطلقت طرفي فيكم هزم الطرف بجيش الأعين
ومحيا تختشي شمس الضحى طمس نور من سناه الأبين
إن تبدى تحت لثم حسنه قالت المهجة هذا مدفني
وإذا مازال عنه برقع كان حشرا لقتيل الشجن
لا تلم يا عاذلي في حبه لو أردت العدل ما عنفتني
ما على صب ملام في امرئ قل في وصفه كثر المعتني
زين الخلق بخلق واحتسى كأس سر مثلها لم يكن
حين دبت فاض منه أبحر كل بحر غنية للمغتني
من علوم وفتوح بعضها كل عنه كل حبر السنن
وكشوف أنبأت عن آدم معها السر غدا كالعلن
منذ نشأ الروح مع عهد بلى ألف الحان ودير السكن
بينما الظئر تقاسي شأنه كانت المنة أولى من عنى
مهده المكتب صدر لوحه فيه طه خط علم الأدين
بث فيه كل حرف معجم ما لشهم فهمه في الأزمن
وعلوما لو تبدى بعضها رقص الكون لسمع الأذن
أمليك القلب حزتم كلما عجز الوصف لديه وفني
كلما رمت تفاصيل الذي قد حبيتم من علا لم يكن
قولي عي وثنائي قاصر فادعائي الملح إحدى هجني
واختصار القول أيضاً معجز فالقوى في شأنكم كالوهن
كان قصدي العي إلا أنه حرك الوجد ربوع الوطن
يا حبيبي فئة الضعف أتت بانكسار وبداء مزمن

ما لـهـا قـط سـواكـم فـي الـورى ركـن مـأوى يـحـتـمـي مـن حـصـن

نحـو حـي الجـود تسعى وهـي في ثـــوب وزر قـــذر مـــن درن

ويـراهـا مـنـكـم أنـتـم فـمـا غـيـركـم غـيـر سـراب هـيـن

وعـلـى أحـمـد مـلء الأرض مـن صـلـوات مـرسـلات لا تـنـي

وعـلـى الآل مـع الـصـحـب ومـن مـهـدوا الـديـن لـنـشـر الـسـنـن

وقال العلامة الأديب أبو محمد عبدالسلام الذُوَيّب الفاسي[1] رحمه الله:

وافـى الـزمـان بـنـيـل كـل أمـانـي والـسـعـد أقـبـل والـهـنـاء مـدان

والـبـشـر أفـصـح بـالـوصـال مـلـبـيـا نـحـو الـهـمـام الـمـرتـقـي الـربـانـي

شمس المعارف والعوارف والتقى بـحـر الـعـلـوم الـدافـق الـمـلآن

أس الـمـفـاخـر فـرد كـل جـلالـة عـيـن الـفـضـائـل مـنـبـع الإيـقـان

نـور الـهـدى تـاج الـنـهـى سـر الـبـهـا كـنـز الـوفـاء وبـرزخ الـبـحـران

قـطـب الـولايـة مـن غـدت أمـداده يسقي الوجود بها على الرجحان

محـي الـطـريـقـة شـيـخـنـا ومـلاذنـا لـبـن الـتـمـام مـحـمـد الـكـتـانـي

مـن شـرف الـمـولـى مـقـام جـنـابـه وأنـا لـه قـربـا وثـم مـعـانـي

وأضـاء فـي أفـق الـسـمـاء مـنـاره حـتـى رءاه الـكـل بـالأعـيـان

فـأقـره مـن قـد أراد بـه الإلـ ـه مـزيـد فـضـل مـع عـلـو مـكـان

والـلـد[2] هـم قـد أنـكـروه فـإنـهـم إن لـم يـتـوبـوا فـي هـوى الـنـيـران

مـن ذا يـبـارز ربـه ونـبـيـه يـوذيـه ذا عـجـب مـن الإنـسـان

يـا سـائـلـي عـن سـره صـدقـا فـدع بـالـلـه قـول مـفـنـد كـهـان

فـهـو الـذي حـاز الـمـفـاخـر كـلـهـا ومـراتـبـا تـعـلـو عـلـى كـيـوان

وبـه يـنـادى فـي الـوجـود بـأسـره وحـديـثـه قـد شـاع فـي الـبـلـدان

---

(١) كان ناثراً وشاعراً، وقد دفعه اهتمامه بالكتابة والطباعة إلى امتلاك مطبعة خاصة به، توفي سنة ١٣٦١هـ بالرباط، انظر تاريخ بوجندار، و«أعلام العدوتين» ٣٤٦/٢.

(٢) اللد: الخصم.

وله شمائل عدها لا يرتجى حدثْ وقل: ما إن له من ثان
وهو الأمان من المكايد والردى والمكر والخسران والخذلان
ما دام بين ظهورنا لم نخش من كيد ولا كدر ولا أحزان
وعلومه أربت على حب الحصا والرمل والحشرات والحيتان
يبدي العلوم بداهة فكأنما رقمت بحشو جنانه حرفان
لولا الملال من الأولى هم يسمعو ن لكان يملي سائر الأزمان
من غير إنصات ولا ملل ولا تعب ولا غلط ولا جولان
والعلم يكفي حجة بين الورى وبعلم آدم حجة الرحمن
لم لا ووفاه الإله سجية عجزت عليها أكابر العرفان
فتبارك المولى تعاظم قدره يكفيه كل معين شيطان
تالله ما ظفر الزمان بمثله أحرى الشبيه فدع كلام معان
ما إن له كفؤ يداني قدره فهو اليتيمة بين عقد جمان
يا ما له من عارف خضعت له أسد الوغى في قرعة الميدان
وله كرامات أزاح ضياؤها ليل الظلام وحل بالخفقان
بالله كرر ذكره فحديثه روح الفؤاد وراحة الأبدان
واعلق به فهو الذي من رامه أو أمه لم يخش في الداران
ناديته فأغاثني ودعوته فأجابني وأتيته فهداني
ورجوته فأمدني وطلبته فأودني ووفيته فشفاني
وكذاك سيدنا وغاية قصدنا كهف الملاذ ولقطة العجلان
العارف النقاد روح وجودنا سر الإله ومنتهى الأمان
قطب المفاخر كلها عبدالكبيـ ـر العارف العالي على الأكوان
فاقصد حماهم واطلبن رضاهم فهم السراة ومنبع الإحسان
شمس وبدر نورهم ملأ الورى فمحا ظلام الجهل والطغيان
وحموا حمى الدين المتين وأرشدوا ودعوا إلى الإسلام والإيمان
وتعاونوا في البر والتقوى على ذكر الإله الخالق الرحمن

يا سعد من لباهم طوعا لقد ورث العلا من جنة الرضوان
وأتى حماهم طالبا لنوالهم ولوردهم بالصدق دون توان

❋ ❋ ❋

حرف الضاد

وقال العلامة الجليل، الشاعر المجيد؛ أبو السرور عبدالرحيم بن الحسن الكتاني[1] رحمه الله:

شيخنا الكتاني شيخ مرتضى خصنا الله به حين قضى
شيخنا أكرم به من عارف كامل بدره للخلق أضا
فاض منه العلم كالبحر طما ويح شخص عن علوم أعرضا
جمع الله له الفضل كما فيضه عم فصيحات الفضا
أحرز المجد صبيا عندما كان يسمو لمناهيج الرضا
واقفا عند كتاب الله بل وإلى السنة طفلا نهضا
قائلا للحق لا تأخُذُهُ لومة في الله ممن عرضا

❋ ❋ ❋

حرف العين

وقال الفقيه الأديب أبو العباس أحمد بن المفضل الشرايبي الفاسي[2] - رحمه الله - من قصيدة:

أبو الفيض بدر ضاد[3] في أفق الدجى أبو الفيض غوث في العوالم جامع

---

(١) العلامة المشارك، له عدة مؤلفات، توفي سنة ١٣٧٤هـ، انظر «سل النصال» ١٥٧.

(٢) نزيل مدينة الجديدة، كان حيا سنة ١٣٤٩هـ، انظر «زهر الآس في بيوتات فاس»، لعبدالكبير بن هاشم الكتاني ١/٥٤٤.

(٣) ضاد: ضاء.

أبو الفيض بيت العلم والحلم والندى | أبو الفيض نجم بالمعارف يسطع
أبو الفيض في الدنيا إمام وحجة | وحامل أعباء الشريعة راكع
أبو الفيض بحر ليس تنزحه الدلا | أبو الفيض حبر سالم الصدر واسع
أبو الفيض حامي الحي في عسر عصره | مجدد هذا الدين ليث سميدع[1]
محمد الكتاني غاية | بمقتطف سرا ولله راجع
محمد الكتاني نائب جده | محمد الهادي الشفيع المشفع
فما هو إلا في المعالي يتيمة | وما هو إلا للمكارم جامع
وما هو إلا روضة الأنس والمنا | وما هو إلا جنة تتضوع
يواسي ذوي الحاجات سرا بنفسه | ولا يخشى إقلالا إلى الله ضارع
بمهجته أفدى الزمان من الردى | وحسبك من روح هي الكون أجمع
وليت فداه كان بالخلق كلهم | لأنه حصن للبرية مانع

❋ ❋ ❋

حرف القاف

وقال العالم أبو محمد عبدالقادر بن عبدالله الغنيمي السلاوي[2] رحمه الله:

نور الأزاهر في الحدائق مشرق | والغرب ضاع بنشرها والمشرق
قسما بمن خلق الجمال مقسما | وعلى الغواني والرياض يفرق
وقرابتي لك والعهود وما لنا | مما يفوق الحصر حين يحقق
لبلوغ أمنيتي من الدنيا اصطبا | حي واغتباقي نحو روض يورق
والطير يهتف والبلابل قد حكت | أوتار عيدان بمدحك تخفق

---

(١) سميدع: شجاع.
(٢) الأديب المشارك، الشاعر الناثر، توفي سنة ١٣٥٣هـ، «إتحاف المطالع» ٢/٤٧٠.

في روضة حكت الجنان خمائلا فهي الجنان حقيقة إذ تعبق
لولا الذي قد بان بعد وصاله حتى غدوت بدمع عيني أشرق
تالله ما شرقت لنا شمس السما إلا ووجهه في ذكاء أشرق
يا من دهاني بالنوى وكوى به قلبي فصرت بغيره لا أنطق
ما لذ لي في فاس أو في غيرها بسواكم قرب يلذ فيعشق

إلى أن قال:

أمخبري عما سمعت بدارة الأسـ واد عن قوم سموا أو حلقوا
هل هذه أنوار ناد أشرقت أم ذي بدور غياهب لا تمحق
أم تلك أبواب المفاخر فتحت فبدت معالي الكون جهرا تخرق
أم ذي حدائق ذات أدواح غدت أفنانها بأزاهر تترقرق
أم تلك أخبار الحبيب ورَبعه قد شنفت سمعي بخبر ينتق[1]
أم فاح مسك الأبرقين وبارق وبدا الحطيم ورامة والخندق[2]
أم أزهرت زهر النجوم بأفقها فبدت معالم كل صقع تشرق
أم قد بدا معنى الجمال وسره فغدا الصريع مجدلا يترهمق[3]
أم واعد المحبوب صبا مدنفا بوصاله فغدا المحب يؤرق
بل فاح بالأسرار من كلمت به رتب العلا والفحل فحل معرق
أبدى العجائب في المعارف جهرة فغدا مكرر صفوها يتروق
ختم الصحيح فأظهر الإعجاز من نور النبوءة فاستبان السبق
ماشئت من علم الحديث وسره وعجيب معنى الآي حيث ينسق
بجواهر في عقد ألفاظ غدت تسبي عقول مصاقع إذ تطلق
لم لا وتلك بقية من بعض فيـ ض علوم مولى علمه لا يلحق

(١) ينتق: من النتق وهو الزعزعة والهز والجذب والنفض.
(٢) أسماء أماكن أكثر من ذكرها شعراء الحجازيات والمدائح النبوية.
(٣) مجدلاً: صريعاً مطرحاً.

إلى أن قال:

يـامـن غـدا بـدرا لأفـق أجـلـة ... سلفوا فكان عظيمهم لو ينتقوا
بـا ابـن الـذي هـو وارث لأعـزة ... في قـومـهـم لـهـم الـفـخار الأصدق
أمحمد الكتاني يا خير الورى ... في وقته إني لفضلك شيق

* * *

حرف السين

وقال الشيخ أبو العباس أحمد بن الطيب الجاوزي - رحمه الله - من قصيدة:

غـرة الـدهـر كـحـيـل الـطـرف مـن ... أخـرس الـكـل بـسـر أنـفـس
فـلـك الأسـمـا وشـمـس الـفـلـك ... حـضـرة الـحـق وروح الأنـفـس
غـوث غـيـث الـكـون سـر قـد بـدا ... مـن بـطـون الـغـيـب كـنـز الـقـدس
قطب أقطاب المعالي المرتوي ... مـن غـيـوب جـلـيـت بـالـجـرس
ضـيـغـم الـعـرفـان حـبـر مـا لـه ... كـفـؤ فـي كـل مـرمـى إلا نـسـي
تـائـه فـي سـرسـر مـظـهـر ... لبحور السر مجلي العسعس(1)
غـاص فـي بـحـر غـيـوب قـلـب مـن ... هـو عـرش لـلـتـجـلـي الأقـدس
لـون شـمـسـي خـضـرات بـدرهـا ... مـتـرد ثـوب عـشـق مـكـتـس
أحـمـدي أحـدي لـبـه ... في غيوب الغيب فاني الأسس
عـيـن عـيـن الـعـيـن نـور مـا لـه ... مثل في الغرب أو في المقدس
سائق الخلق جميعا للهدى ... حـامـل سـر جـمـيـع الـقـبـس
سلف مجلي للإسم الأعظم ... ليث كنز السر مبلي الأرأس
خاتم حقا لفلك السر من ... فـيـضـه كـل بـه ذو قـبـس

(1) سرسر: مظهر، والعسعس: ظلام الليل كله.

قلد الحبر البخاري ختمة ثمل الكون بها من لعس
عجبا ختم لختم ختمه خاتم من به حقا يأتسى
بفنون ما لديها لاحظ لا ولا حافظ سطر الطرس
وقواميس فيوض بصرت كل من ضل بهذا المجلس
قمر الكون سمي المصطفى نجله الكتان مجلي السندس

❋ ❋ ❋

حرف الهاء

وقال شيخ الجماعة بمراكش، وصالح علماء الجنوب، أبو الفضل محمد الصالح بن المدني العمراني السرغيني[1] رحمه الله:

إذا الشمس أشرقت وهاج غرامها ومدت بأنوار فأين نجومها؟
فوارث سر السر قد حان حينه وخمرة أهل الله فهو نديمها
فيا لها من خمر تجلى شعاعها فيا ساقيا بادر فجل كرامها
سقيتهم كأسا شهيا شرابها ولكنها خمر دهاقا جهامها[2]
فمورد أهل الفضل هذا مقيلهم وجنة أهل الدين هذا نعيمها
وراثة آباء كريم أصولها فإنهم السادات غير خديمها
تعالى أكابر إلى نيل رتبة تقاصر عنها الكل أنت زعيمها
ملكت زمام الكل فضلا ورتبة وخرت لك الأعيان حقا عميمها
فحكمت في الأكوان مذ أنت يافع فحيت ولبت ثم صح سقيمها
وتهت دلالا في المواطن كلها فلا حضرة إلا وأنت كليمها
فدونك بحرا لا تكدره الدلا ودونك أركانا حصينا نظامها

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) دهاقا: ملأى، جهامها: من الجهمة وهي القدر الضخمة.

فيا علم الهدى فكل يدلني ... مفاخركم شتى وأنت خيامها
فيا عاذلا دعني وشوقي ولوعتي ... وتمزيق أحشاء تجلى جميعها
فما جنة إلا وحفت بمانع ... ولا شهوة إلا يشب ضرامها
فهذا عطاء الله جل جلاله ... طريقتك الغراء ساد كريمها
فأبدت لنا سرا مصونا حجابه ... بها خصك الرحمن أنت مقيمها
جمعت لنا الخيرات والفتح وارتقت ... مراقي فوز لا يقاس فخيمها
طريقتنا أغنت ولا يغني غيرها ... وصار بفضل الله سهلا رقيمها
طريقتنا المثلى تجلت لقاصد ... كتابا وسنة بديعا مقامها
طريقتنا الحسنى ترقى مريدها ... وزج بأفق الأفق غص لئيمها
طريقتنا العظمى تعاظم شأنها ... على غيرها أجل وحيد إمامها
طريقتنا شاعت وعم خصيبها ... جليلة أعلام عزيز مرامها
طريقتنا حلت بأعلى منصة ... تربت بأحمد صقيل جسامها
طريقتنا فضل تعاظم خطره ... وطارت لها الألباب يحيى رميمها
طريقتنا هاذي تعطر نشرها ... تضوع على الأوراد هب نسيمها
محجتنا البيضا لدى كل ماهر ... تجلت بأنوار يضيء وسيمها
وعمت بأفق الأرض في قل مدة ... تلقت بإقبال وطاب انسجامها
فيا أمة المختار يا خير أمة ... عليكم بأوراد زكي همامها

وقال العارف أبو عبدالله محمد بن المعطي العمراني رحمه الله:

ما ضل والله عبد أنت مرشده ... في كل سعي ولا زاغت مذاهبه
النور منك كشمس يستضاء به ... والكشف والسنة الغرا تصاحبه
لا غاب لا غاب ذاك النور عنا ولا ... عدمنا منه شهابا أنت واهبه



حرف الواو

وقال العلامة الكبير، القاضي الشهير؛ أبو عبدالله محمد بن الطالب[1] الفاسي الفهري، مادحا الشيخين أبا المكارم عبدالكبير وولده أبا الفيض قُدس سرهما:

أسواطع الملوين[2] حبكم استوى — والقلب من نار الغرام قد اكتوى
والوجد منه توقدت نيرانه — والبين أقلقه وأضناه الجوى
وهواكم فرض ومن لا يهتدي — لأدائه فلقد أضل به الهوى
ومن اهتدى لحماكم اتضحت له — طرق الهدى رشدا لديه وما غوى
ومن التجأ لجنابكم ينل المنى — ويروح ممتلئ الرحاب بما نوى
أحرزتم الشرفين إذ أضحيتمُ — كمنارة للدين واضحة الصوى[3]
منوا بعطفتكمُ فأنتم سادة — بندَاكمُ كل المريدين ارتوى
وعلاكم جنح الفخار لبابه — إذ كان فردا خالصا دون ارعوى
من ذا يطاول مدحكم أو يرتقي — مرقاكم كلا فعن ذاك انزوى
وإذا المكارم نالها أهل الصفا — فعلى المكارم قد ظهرت بمستوى
مولاي يا عبدالكبير ومن له — أسمى المراتب حيث لا فردٌ سوى
العالم العارف الشريف المرتضى — الجهبذ الراسي الولي بلا طوى[4]
خصصت بالتمكين والقرب الذي — ما شم دانيه المريد ولو طوى
وسموت في التحقيق حتى إنما — بدر الحقيقة في مظاهركم ثوى
ولفتح نجلك وارث السر الرضى — كنز المسرة وارث علم روى

---

(١) تولى قضاء الصويرة وطنجة، ورجع إلى فاس حيث لازم التدريس والإمامة، توفي سنة ١٣٤٥هـ، «سل النصال» : ٤٢.

(٢) الملوين: الليل والنهار.

(٣) الصوى: الأعلام المنصوبة المرتفعة.

(٤) بلا طوى: أي بلا كتمان.

علـم وحـلـم والـتـقـى وتـورع وعلى رفيع مكارم الخلق احتوى
أكـرم بـهـا مـن نـشـأة وولايـة قد أسست في موطن رحب سوى
وعـنـايـة كـبـرى تـوارث نـورهـا ورعاية قد خصصت بذوي الهوى
أبـقـاكـمـا الـمـولـى ومـن والاكـمـا لذوي الجهالة والضنى نعم الدوى
ومـديـحـكـم تـاج فـريـد رصـعـت أبـيـاتـه بـجـواهـر تـجـلـي الـغـوى
بشرى ربيع الخير قد رتعت به أشواقنا من بعد ما نزع الشوى[1]
هذي المواهب فاستعد إلى اللقا واستنشقن طيب الوصال بذي طوى
وارم الـعـوائـق واغـتـنـم ولـتـهـتـد لـمـوارد فـيـهـا الـلـذاذة والـروى
فـبـمـولـد الـمـخـتـار طه المصطفى زاد الـسـرور وأنـس الأنـس الـقـوى
وتـوالـت الأفـراح وانـتـشـرت لـنـا شمس الهداية واستفاض المرتوى
صـلـى الإلـه عـلـيـه مغ أصـحـابـه وعـلـى الـذيـن رداءه لـهـم حـوى
وعلى الذين لنهجهم سلكوا أو من بـمـحـبـة لـهـم اسـتـعـاذ مـن الـنـوى
وأخـص نـيـري الـمـجـادة مـنـهـم بـتـحـيـة كـالـمـسـك من حب هـوى

❊ ❊ ❊

حرف الياء

وقال العالم الأديب أبو عبدالله محمد بن الرشيد العلوي الرباطي - رحمه الله - من قصيدة :

سعدنا وعم السعد شمل جميعنا وفزنا بشيخ الوقت غصنا يمانيا
قـصـدت إمـام الـحـق نـور وجـودنـا نزلـت جوار الأمن في كل حاليا
أبا الفيض سر الحق في كل مظهر نـهـايـة أعـلام الـهـداة الـدواهـيـا
تـطـاول أقـوام لـشـق غـبـاركـم قصاراهم التسليم خوف المهاويا

(١) الشوى: اليدان والرجلان والرأس.

لك الفخر والإقبال والنور والبها | لك الفضل والإحسان خلقا جماليا
سألتك يا قطب الزمان وغوثه | ومن حل في أوج السعادة راقيا
تواصِلَ حبلي من حماك تكرما | فإنيَ عبد الرق بالباب ساعيا

ولنختم هذا الوصل بأبيات من ألفية العارف ابن الطيب الجاوزي؛ وهي أهم الأشعار التي مدح بها المترجم(١): قال رحمه الله:

«خلقه الباطني رضي الله عنه»

أخلاقه وسعت الأنام | كل الورى في ظله أنام
أدبه العبدية المحققة | صفة أحمد به محققه
خطابه ملون بحسب | قرب وبُعد ووفا وأدب
همته خرقت الأفلاك | أنواره أضاءت الأحلاك
وسره قد عم كل أفق | وسيره كل مقام يرقى
بسره تنفتح الأقفال | بسيره تنقلب الأحوال
نظرته تلين كل صلد | وتملأ القلب بكل وجد
ووجده يحرق كل غير | وصعقه يسرى بنا للوكر
وهيمانه به الأفلاك | دارت وترقص له الأملاك
ملجأ معضوض بناب الدهر | ومن تراه شاكيا بضير
يلتمس العذر لكل شخص | فلا ترى بحيه من نقص
فالعيب عنده له مخارج | صاحبه أرقى إلى معارج
وما يكون ظاهر الفساد | بفتحه يصير للسداد
عن ملتقيه لا ترى انحرافه | رفقا به حتى يرى انصرافه
ليست له الرغبة إلا في القرب | والدفع عن أمة أحمد الكرب
لجوده بمطر مناسبه | وله بالبحر ترى مصاحبه

(١) سبقت الإشارة إلى هذه «الألفية»، و الأبيات قورنت بالأصل.

كم له من مفاخر تزيد — على حصا الأرض ولا تبيد
تكل عن وصفه ألسن الورى — وفيضه يُرى أماما وورا

وصل

ليس له شغل سوى الشهود — في مركز الأسرار والسعود
والذكر والتأليف والتذكير — وشرح سر شرع ذي التنوير
ومد كل مقبل عليه — بكل طرفة ترى لديه
بحسب القوابل المختلفة — همته لحزبه منصرفه
فمن به اعتنى بهمة جذب — وسره لقلبه فورا ذهب
فنال منه القرب والعرفان — وانقلب الحال له إيقانا
وارتسمت بقلبه الأشواق — وارتفعت من فيضه الأذواق

وقال أيضاً تحت عنوان: «وسع فيوضاته ومعارفه»:

شيخ سريٌ قد سرى بالسر — في سر كل مستفيض البر
علومه أمواج بحر عرفت — منه جداول لغير غرفت
فعدها أخي ليس يحصر — وسرها في بابه ليقصر
قد بهرت علومه الأعيان — وأعجزت أسراره الأكوان
وخاض كل أبحر الدوائر — وانفتحت بسره السرائر
أبدى مفاخر للأنبياء — دقت عن الكشوف والآراء
وخوضه القرآن يقضي بالعجب — من سره أنيل أعظم الأرب
مفتح الأغلاق عن أسرار — فواتح السور بالإظهار
وكشف النقاب عن سر بدا — آيات تشبيه وغير ما اهتدى
وكم له من الفتوحات لدى — آية فتح غير ما قد عهدا
لدى الأكابر من الأفراد — ومن بختم غيره ينادي
وبان عن بيانه الشريف — رقائق جلت عن التكييف

وانفتحت بفتحه الأغلاق عن غيب أحمد به ينساق

أبدى مفاخر له لم تعهد وأبرز السر الذي لم يوجد

بما يدق عن ذوي العرفان وضاق عنه وُسع كل فان

وسنة خلقها كلا جمع ولفظها كلا بإسناد رفع

وحفظه يبهر كل عقل يمزج بحر سره بالنقل

ومن شريعة تراه يخرج حقيقة والشرع منها ينتج





الوصل العاشر
فيما أقرأه من الكتب

ولقد كان ميدان الدروس أهم ميدان صال فيه وجال، ونشر فيه العلم الصحيح والدعوة الإسلامية الجامعة، ورغما عن كونه كان لا يلتزم - في أغلب دروسه - كتابا بعينه، ولا فنا بخصوصه، وإنما كان ينتقي من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وأبواب العلم ما يسد به حاجيات المسلمين، ويعالج به أمراضهم المختلفة الأشكال والأنواع؛ فقد عثرت بين ثنايا الكتب التي عنيت به، وفي غيرها من كتب الإسناد والتاريخ، على جمهرة من الكتب التفسيرية، والحديثية والفقهية، والكلامية والنحوية والصوفية، حبب إلي إثبات بعضها هنا؛ فأقول:

منها: شمائل الترمذي رحمه الله تعالى، ابتدأ دراستها بالزاوية الكتانية الفاسية، ونظرا للإقبال الحاصل عليها من جمهور الشعب الفاسي - حتى ضاقت رحاب الزاوية بالحاضرين - انتقل إلى جامعة القرويين لمواصلة دروسه بها، وقد وقفت على عدة كراريس، احتوت على ملخص ما أملاه في دروسه الأولى.

ومنها: مقدمة ابن آجروم رحمه الله تعالى، كان يدرسها بالزاوية الكتانية زوال كل يوم، وقد تكلم في آخر درس منها على قول المصنف: «وخاتم حديد»؛ ابتدأ الإملاء في الساعة السادسة صباحا، وما فرغ إلا عند العاشرة، حضره أشياخه وجل علماء فاس، وكبار الشخصيات بها، وقد

وقفت على رسالة لوالده الشيخ عبدالكبير الكتاني كتبها لبعض أصدقائه بزرهون متحدثاً فيها عن بعض المؤلفات التي درسها المترجم؛ ومن جملة ما جاء فيها عن هاته الختمة أن: الكل انبهر منها وأنصف، ورأى ما أعجز فكره، وأن الإمام العلامة الجليل أبا العباس أحمد بن الخياط الزكاري الحسني[1] حصل له إعجاب كبير بها؛ حمله على طلب نسخة منها، وأن عالماً آخر وهو: الإمام العلامة أبو عبدالله محمد بن التهامي الوزاني[2] رحمه الله ـ قال للمترجم: «ألبست خاتم حديد المصنف من إكسيرك ما صيرها عسجدا[3]».

ومنها: «المرشد المعين» لابن عاشر رحمه الله، وجدت في رسالة والده المذكورة، أنه: استغرق في الخمسة أبيات الأولى منه ما يقرب من ثلاثة أشهر[4]، شرح فيها الستة أبيات الأولى منه، كما أنه درس بالقرويين توحيده بشرح الشيخ الطيب ابن كيران دراسة مستفيضة؛ ناقش فيها الشيخ الطيب، وأظهر براعة كبرى في علم الكلام، ولم يكن يحضرها إلا نجباء الطلبة وأهل الفضل والدين.

ومنها همزية البوصيري رحمه الله تعالى، وجدت في رسالة والده المذكورة أنه: استغرق في شرح البيتين الأولين منها، مدة أربعة أشهر، وكان يواصل دروسه بها بعد ذلك في شهر المولد النبوي بالخصوص[5].

ومنها: تفسير القرآن الكريم، وقفت في بعض مؤلفاته أنه: كان يشتغل بين الفينة والفينة بتفسير آيات بينات منه بالزاوية الكتانية بفاس». وقرأت في كتابه «إزاحة الاتراح، عما يختلج وهم المبسمل جهرا من إيهام خلاف

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) من تلامذة الشيخ أبي الفيض محمد الكتاني توفي سنة ألف وثلاثمائة ونيف وستين (طبقات الكتانيين طريقة) مخطوط في خزانة حفدة المؤلف.

(٣) العسجد: الذهب، وعندي نسخة منها بخطه مشتملة على سبعة كراريس. (المؤلف).

(٤) وعندي تسعة كراريس بخطه (المؤلف).

(٥) وعندي عدة كراريس اشتملت على بعض إملاءاته على الأبيات الأولى. (المؤلف).

النجاح»، أنه: بقي يفسر قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾. [آل عمران: ٨١]... الآيـــة، نيفاً وثلاثين يوماً كغيرها من الآي.

وحدثني العارف الصوفي أبو العباس أحمد بن عبد النبي ابن جلون الفاسي[1] رحمه الله تعالى: أن المترجم افتتح الإملاء بالزاوية الكتانية بفاس، في يوم من أيام رمضان، على آية كريمة بعد صلاة الصبح بمحضر والده وجماعة من علماء طريقته، وعدد عديد من أتباعه، وبقي يملي حتى حضرت الظهر، فقاموا وصلوا، ثم استأنف الإملاء حتى حضرت العصر، فقاموا وصلوا، ثم استأنف الإملاء حتى حضرت المغرب، فقاموا وصلوا؛ وحينئذ ذهبوا لدورهم، شاكرين الله تعالى، على أن أهلهم لسماع تلك العلوم والمعارف!!!.

وبعد أن رحل إلى الحجاز عام **١٣٢١** ودخل مكة المكرمة، افتتح التفسير بالبيضاوي[2] ابتداء من سورة آل عمران، وكان الذي يفتتح التلاوة بين يديه هو: تلميذه الشريف المجود أبو الفضل إدريس بن محمد الإدريسي المكناسي[3] رحمه الله تعالى، فكان يستغرق في الإملاء ساعتين إلا ربعاً. وكانت تحضر دروسه الهيئة العلمية بمكة، والوفود الوافدة من بلاد الله شرقاً وغرباً.

ويوتر عن عالم الهند وعارفه الشيخ محمد حسين بن تفضل حسين العمري[4] الفريدي، الإلهابادي الجستي طريقة، المتوفى سنة **١٣٢٢**هـ، أنه: كان يقول لبعض أولاده أثناء حضورهم لهاته الدروس التفسيرية: «اسمع يا بني هاته العلوم والمعارف التي لم يسبق لوالدك أن سمعها من أحد!».

---

(١) كان حيا سنة ١٣٥٠هـ «زهر الآس»: ٣٠٣/١.

(٢) «أنوار التنزيل، وأسرار التأويل» في التفسير، للقاضي الإمام العلامة ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر البيضاوي الشافعي المتوفى سنة ٦٩٢ هـ بتبريز، «كشف الظنون» ١٩٧/١.

(٣) توفي سنة ١٣٣٥هـ، «إتحاف المطالع» ٤١٧/٢.

(٤) انظر «أعلام الهند»، لعبدالحي بن فخر الدين الحسني ١٣٥٧/٣.

وبعد أن رجع من رحلته الحجازية، شرع في كتابة تفسير لكتاب الله تعالى بأساليب استقلالية، ولكنه لم يتمه، ولو تم لكان معجزة علمية. وكان يتمنى أن ينقطع إلى الله تعالى بمقصورة جامع الزيتونة بمكناس لأجل إتمامه، ولكن أعماله لصالح المغرب ومقابلته للوفود التي كانت تفد عليه من كل جهة، حالت بينه وبين هاته الأمنية . . .

نعم؛ له أجوبة عما أشكل في القرآن في جانب الحضرة الإلهية، وأجوبة عما أشكل في القرآن في جانب المقام المحمدي، وناهيكم برجل ثبت عنه أنه كان يقول بمراكش الحمراء: «أنا بستان القرآن؛ فمن أراد شيئاً منه فليأتني!».

ومنها: صحيح البخاري، فتحه بالزاوية الكتانية بفاس بين العشاءين وهو ابن إحدى وعشرين سنة، ولم يسعه أمام الإقبال الواقع عليه إلا الانتقال للقرويين، وقد قرأت في كتابه: «إزاحة الأتراح» أنه: مكث يشرح حديث بدء الوحي[1] نحوا من سنتين . . .

وقرأت في تقريظ الإمام العارف بالله تعالى أبي بكر بن محمد التطواني السلاوي - رحمه الله تعالى - على ختمة البخاري للمترجم ما نصه[2]:

«حضرت بعض مجالس درسه لصحيح البخاري، فصار يملي على حديث «بدء الوحي» ويذكر أسرارا ومناسبات، يعجز عنها أكابر الفحول. . .وقضيت العجب مما أبداه في ذلك، وكم خضت لجج بحر العلوم، وتعاطيت المنطوق منها والمفهوم، فلم أعثر في الدواوين الحديثية، والتفسيرية والأصولية وغيرها، على جملة واحدة مما سمعته منه، مع أني كنت ادعي أني ابن بَجْدَتِها!».

---

(١) الحديث رقم ٤٥٧٢ رواه البخاري في صحيحه (كتاب تفسير القرآن).

(٢) ذكر الحافظ الشيخ عبدالحي الكتاني في «المظاهر» عدة تقاريظ على هذه الختمة نثرا ونظما، المخطوط: الورقة ١٧٥ وما بعدها.

وجاء في رسالة للعالم الصالح أبي عبدالله محمد بن سعيد السلاوي[١] كتبها في شهر ذي القعدة عام **١٣٢٢** ما ملخصه: «اعلم أن من أعظم ما امتن الله به على العبد الضعيف الظلوم الجهول محمد بن سعيد السلاوي، ستر الله له جميع المساوي، وكذلك من حضر من الإخوان الفقراء: حضور درس صحيح البخاري بين العشاءين على شيخنا القدوة الصالح، ذي المناقب الشهيرة، حامل راية الولاية مولانا محمد بن مولانا عبدالكبير الكتاني، وذلك عند إملائه على حديث «بدء الوحي»، ولو حضرت ـ يا ولي ـ هذا المجلس، وكنت من أعظم المنكرين؛ لسلمت وأذعنت. أو كنت من أعظم الفاسقين؛ لتبت مما أنت فيه ورجعت، ولكن المعاصرة حجاب وحرمان. وقد استفدنا والحمد لله العجب العجاب». ولا أدري هل ختمه في هاته المرة أو لا؟.

ولما رحل لمراكش الحمراء سنة **١٣١٤**، فتحه مرة أخرى بـ: «فتح الباري»، وختمه؛ فما ذهب عن ذهنه شيء من «فتح الباري» بعد ذلك. كان يجلس للإملاء في الضحى، فما يفرغ إلا عند الزوال، وكان جمع كبير من علماء مراكش وصلحائها يلازم هذه الدروس بشغف زائد.

وبعد أن رجع لفاس؛ أملى ختمتين على البخاري، **أولاهما**: بالزاوية الكتانية سنة **١٣١٧** بقي يملي فيها من السادسة صباحاً إلى الساعة الحادية عشرة؛ أنشأ شعراء فاس في مدحها عدة قصائد. **وثانيتهما**: أملاها بجامعة القرويين سنة **١٣١٨** امتلأت الجامعة من أجلها امتلاء ما رؤئ مثله، حضرها أيمة العلم وشيوخه بفاس. بقي يملي فيها من الغلس إلى الزوال بدون تلعثم ولا تلكؤ. وعد جميع الحاضرين ذلك معجزة إلهية، تكلم فيها على آخر حديث من الصحيح من نيف وعشرين علماً.

وقد كتب جماعة من العلماء في الثناء عليها كتابات نفيسة، كما بلبلت ألسنة الشعراء بما لا يحصى من القصائد[٢]...

---

(١) توفي سنة ١٣٤٢هـ، «إتحاف المطالع» ٢/٤٣٦.

(٢) طبع ملخصها بعد ذلك فخرج في مجلد وسط. (المؤلف).

ومن شدة شغفه بالصحيح؛ شرع يكتب شرحا مستقلا عليه، ولكنه لم يتمه. نعم؛ له أجوبة عما أشكل في الصحيحين في جانب التوحيد، وفي حق المقام المحمدي وغير ذلك.

ومنها: جامع الترمذي، درسه بالزاوية الكتانية بفاس.

ومنها: سنن النسائي.

ومنها: «الترغيب والترهيب» للمنذري، درسه بالزاوية الكتانية بفاس.

ومنها: «الشفا» لعياض، درس شطرا منها في شهور ربيع النبوي بالقرويين.

ومنها: «الخصائص الكبرى» للسيوطي(١)، درس بعضا منها بالزاوية الكتانية بفاس، وكان يواصل دروسه فيها بدور الإخوان الكتانيين بفاس وغيرها من مدن المغرب التي زارها.

ومنها: «الفتوحات المكية» لابن عربي الحاتمي(٢)، كانت له عناية كبرى بدراسته وفك مشكلاته، وكان يجيب عن أسئلة الحكيم الترمذي الموضوعة فيه كل يوم الإثنين والخميس.

ومنها: «إحياء علوم الدين» للغزالي(٣).

ومنها: كتاب «قوت القلوب» لأبي طالب المكي(٤).

---

(١) «الخصائص والمعجزات النبوية» للسيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، «كشف الظنون» ٥٤٢/١.

(٢) «الفتوحات المكية في معرفة أسرار المالكية والملكية» لابن عربي المتوفى سنة ٦٣٨هـ، ويقع في مجلدات ـ «كشف الظنون» ٢٢٦/٢.

(٣) توفي الإمام الغزالي سنة ٥٠٥هـ، بطوس، وكتابه «الإحياء» من أجل كتب المواعظ وأعظمها؛ حتى قيل: «لو ذهبت كتب الإسلام وبقي «الإحياء» لأغنى عما ذهب». «كشف الظنون» ٨٣/١.

(٤) «قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد» لأبي طالب المكي المتوفى سنة ٣٨٦هـ ببغداد، ويقال بأنه: «لم يصنف مثله في دقائق الطريقة»، «كشف الظنون» ٣١٤/٢.

ومنها: حكم ابن عطاء الله.

ومنها: عهود الشعراني[1]...

كانت له عناية بدراسة هذه الكتب، وغيرها من كتب التصوف في مجالسه الإرشادية. وكان يتكلم على قواعد السلوك وعلل النفوس كل يوم جمعة بعد العصر، إلى غير ذلك من الكتب التي لم استحضرها الآن.

وقد وصف خليفته الشهير، العارف الكبير، بحر العلوم والمعارف أبو الحسن علي بن محمد العدلوني الحسني في كتابة «النواشئ الاختصاصية في شرح الصلاة الأنموذجية» دروسه؛ فقال[2]:

«ولو حضرت ـ يا أخا الهدى ـ مجالس إمام أهل الحضرات العليا والسفلى، شيخنا اللهم ارض عنه وعنا به، لأبهر عقلك في علم التفسير، حتى تخال أن لا مفسر سواه، ولو خلي وسبيله؛

أعيذه بالواحد من شر كل حاسد

لبقي يتكلم في الآية القرآنية إذا شرع في تفسيرها، حتى يخرج الإمام المهدي. ولو حضرت وقت أماليه في المجالس الخاصة، بل والعامة، لرأيت ما لا تتأسف معه على عدم إدراك جميع من تقدمه من أهل الله تعالى».

«ولو حضرت ذكره لأسرار الشريعة؛ لأبهجك، ثم أبهتك، ثم حيرك، ثم فتنك، ثم أذهلك، ثم أخرسك. ولقلت: إن عيني رأت العالم في وقت واحد!».

---

(١) وهي المسماة بـ: «البحر المورود في المواثيق والعقود» للشيخ عبدالوهاب الشعراني المتوفى سنة ٩٧٣هـ، «كشف الظنون» ٢/٣٧٧.

(٢) سبقت الإشارة إليه.

«ولو حضرت في وقت مزجه لعلم الأحكام، بعلم الأصول، بعلم الكلام، بعلم الحقائق؛ لقلت: إن إحدى لسنه ﷺ يتكلم.

قل ما تشاء فأنت فيه مصدق　　　الحب يقضى والمحاسن تشهد

«ولو حضرت أماليه على الدوام؛ لحصنته بوجه الله العظيم، وقلت: إنه الكتاب المسطور، والبحر المسجور، والبيت المعمور بأنواع العلوم والمعارف والأسرار المحمدية التي لم يبثها ﷺ لأحد سواه...».





الوصل الحادي عشر
في مؤلفاته

للمترجم مؤلفات كثيرة؛ لم يطبع منها سوى نيف وعشرين، وسأقتصر هنا على ذكر أسماء أمهاتها مرتبة على حروف المعجم، ومن أراد مزيد البيان؛ فليتطلب «التاج» و«الدائرة»:

حرف الألف

«إزاحة الأتراح، عما يختلج وهم المبسمل جهرا من إيهام خلاف النجاح، من الآي القرآنية والأحاديث الصحاح»[(١)].

أجوبة عما أشكل في القرءان في جانب التوحيد.

أجوبة عما أشكل في الصحيحين في حق المقام المحمدي.

«أدل الخيرات، في الصلاة على سيد الكائنات»[(٢)].

«أسرار الاستعاذة» : طبعت في أوائل «السر الحقي الامتناني» في شرح ورد المترجم[(٣)].

(١) مخطوط في خزانة حفدة المؤلف.
(٢) طبع بفاس ثم بمصر.
(٣) طبع سنة ١٣٢٥هـ بفاس.

«الأمالي في علم الأمهات»[1].

«الألفية في الكمالات المحمدية»[2].

الأجوبة التفسيرية.

الأجوبة الحديثية.

الأجوبة الصوفية.

الأجوبة الفقهية.

الأحزاب الكتانية السبعة[3].

الإجازة العامة الصوفية[4].

* * *

حرف الباء

«بيان الآفات، في حكم تضييع الأوقات، باللعبات المسماة بالكارطه والضامة، وما شاكلهما مما ينطبق عليه اسم الميسر»[5].

«البحر المسجور، في الرد على من أنكر فضل الله بالمأثور»[6].

---

(١) طبعت ضمن «النفائس الكتانية» من رسائل الإمام محمد بن عبدالكبير الكتاني في الآداب والسلوك. من ص ٢٨١ إلى ص ٣١٧. بتحقيق د. حمزة بن علي الكتاني.

(٢) توجد نسخة منه بخط يد المؤلف في خزانة جمعية الشرفاء الكتانيين للثقافة والتعاون.

(٣) طبع «الحزب المطلسم» طبعة عصرية سنة ١٤١٦هـ باعتناء الأستاذ حمزة بن علي الكتاني، أما الأحزاب الأخرى فقد طبعت على الحجر بفاس.

(٤) طبعت بمصر سنة ١٣٢٦هـ، وطبعت كذلك ضمن «النفائس الكتانية» (١ ـ ١١)، من ص ٢١١ إلى ص ٢٦٦.

(٥) مخطوط في خزانة حفدة المؤلف.

(٦) مخطوط في خزانة حفدة المؤلف.

«البحر المسجور، في شرح الصلاة الأنموذجية»[1].

«البحر الخيضم، في شروط الاجتماع بالنبي الأعظم»[2].

«البيان المسدد، لمن أنكر التعبير بأحمد بدل محمد»[3].

❋ ❋ ❋

حرف التاء

تفسير القرآن لم يكمل[4].

تفاسير خمسة للبسملة من علم الكلام، والفقه والتصوف، والحقائق والنحو[5].

«تشريح أسرار الشريعة في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾»[6].

تأليف «رفع اليدين في الصلاة»[7].

تأليف في «الخشوع في الصلاة»[8].

تآليف خمسة في الفرق بين طريقة الاجتباء وطريقة الإنابة[9].

---

(١) مخطوط في عدة نسخ، ويوجد في عدة مكتبات.

(٢) مخطوط عند حفدة المؤلف.

(٣) مخطوط عند حفدة المؤلف.

(٤) مخطوط عند حفدة المؤلف.

(٥) مخطوط عند حفدة المؤلف.

(٦) مخطوط عند حفدة المؤلف.

(٧) توجد نسخة مصورة بخط يد الشيخ محمد الكتاني في الخزانة العامة، انظر المصادر العربية لتاريخ المغرب.

(٨) مخطوط عند حفدة المؤلف.

(٩) مخطوط عند حفدة المؤلف.

«تحفة اللبيب الخائف، في جواز نقل الحديث بالمعنى للعارف»[1].

«التيسير والظفر، في التفضيل بين الملك والبشر»[2].

تعليق على فصوص الحاتمي[3].

تعليق على «عنقاء مغرب» للحاتمي[4].

تأليف في إيمان أبي طالب[5].

تعليق على ألفيته في الكمالات المحمدية[6].

❋ ❋ ❋

حرف الجيم

«الجوابات العظيمة عما أشكل في القرءان في حق المقام المحمدي».

❋ ❋ ❋

حرف الحاء

«حياة الأنبياء»[7].

---

(١) توجد منه نسخة مصورة في خزانة حفدة المؤلف.

(٢) يوجد مصورا في كراسة في خزانة حفدة المؤلف.

(٣) مخطوط عند حفدة المؤلف.

(٤) مخطوط عند حفدة المؤلف.

(٥) توجد نسخة مخطوطة بخط يد المؤلف في الخزانة العامة.

(٦) توجد نسخة منه بخط يد المؤلف في خزانة المرحوم الدكتور علي بن المنتصر الكتاني.

(٧) كتاب كتبه في الرد على السلطان عبدالحفيظ في مسألة حياة الأنبياء في قبورهم، وهو مفقود.

«حديقة الجنان، أجاب فيها عن أمور تنكر على الصوفية»[1].

«الحكم الإلهية والمحمدية»[2].

❋ ❋ ❋

حرف الخاء

«ختمة البخاري»[3].

«خبيئة الكون، في شرح الصلاة الأنموذجية»[4].

«ختمة الأجرومية»[5].

❋ ❋ ❋

حرف الدال

«الديوانة، في وقت ثبوت الفتح للذات المحمدية»[6].

«الدرة البيضاء، في معنى الصلاح الذي تطلبه الأنبياء في نحو قوله تعالى: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾»[7].

ديوان شعر[8].

---

(١) توجد نسخة من هذا المخطوط في خزانة المرحوم الدكتور علي الكتاني.

(٢) طبعت بفاس سنة ١٣٢٣هـ.

(٣) طبعت بفاس ١٣٢٤هـ.

(٤) طبعت بفاس سنة ١٣١٨هـ.

(٥) مخطوطة وتوجد نسخة منها في الخزانة العامة.

(٦) طبع بدار الكتب العلمية بلبنان ـ تحقيق د. إسماعيل الموسوي.

(٧) مخطوط.

(٨) طبع بعض هذا الديوان بالمطبعة الحجرية بفاس باعتناء وتصحيح ابن خال المترجم له العلامة الشيخ عبدالرحمن بن جعفر الكتاني المتوفى سنة ١٣٣٤هـ، وجمع الديوان كذلك من طرف المؤلف في جزء سماه: «الخرائد العرفانية بديوان الحضرة الكتانية»=

حرف الراء

رسالة في أن البسملة آية من كل سورة[1].

«روح الفصوص» في الفلسفة الإسلامية[2].

«روح القدس، في شرح الصلاة الأنموذجية»[3].

«رياض الأزهار، في شرح قول ابن الفارض:

قلبي يحدثني بأنك متلفي روحي فداك عرفت أم لم تعرف»

«الرقائق الغزلية، في شرح الصلاة الأنموذجية»[4].

«الرشحات الفيضية، بفك مبهمات قول ابن الفارض:[5]

عليك بها صرفا وإن شئت مزجها فعذلك عن ظلم الحبيب هو الظلم»

رسالة في أبوته ﷺ للمؤمنين، وكل رسول أب لأمته[6].

«الرسالة الملاخية»[7].

الرسائل الكتانية في الهداية والإرشاد. في عدة مجلدات[8].

= ضم حوالي ٢٥٠٠ بيتاً، وجمع أشعاره كذلك خليفته بمراكش العلامة أبو بكر المريني في ثمانمائة بيت. وقد تقدم أن شعر الشيخ محمد الكتاني كان موضوع أطروحة جامعية في كلية اللغة العربية بمراكش: جمع ودراسة وتحقيق أنجزها الدكتور إسماعيل الموسوي، وبلغ مجموع هذه الأشعار حوالي ٤٠٠٠ بيت.

(١) موجود بخزانة حفدة المؤلف.

(٢) مخطوط.

(٣) مخطوط.

(٤) مخطوط.

(٥) مخطوط.

(٦) مطبوع بفاس وطبع أخيراً بدار الكتب العلمية بلبنان من تحقيق د. إسماعيل الموسوي.

(٧) يوجد مخطوطا في خزانة حفدة المؤلف.

(٨) جمعها العارف الشيخ مصطفى الزاودي في أحد عشر مجلداً، توجد كاملة في مكتبة الشيخ محمد إبراهيم بن محمد بن عبدالكبير الكتاني، كما توجد صورة عنها في خزانة جمعية الشرفاء الكتانيين للثقافة والتعاون، بالرباط.

حرف الزاي

«زبدة المرام، في حكم دخول الحمام»، ويسمى أيضاً: «بلوغ المرام»[1].

❋ ❋ ❋

حرف الطاء

«الطلاسم في الكمالات المحمدية»[2].

«طوالع السعود، في حقيقة الحيرة»[3].

❋ ❋ ❋

حرف الكاف

«كشف اللثام، عن سر الصيام»[4].

«كشف البراقع بشرح: «توضأ بماء الغيب إن كنت ذا سر»[5].

«الكشف والتبيان، عما خفي عن الأعيان، في سر آية: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِى مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾»[6].

---

(١) مخطوط عند حفدة المؤلف.

(٢) مخطوط عند حفدة المؤلف.

(٣) مخطوط عند حفدة المؤلف.

(٤) مخطوط عند حفدة المؤلف.

(٥) مخطوط عند حفدة المؤلف.

(٦) طبع بفاس سنة ١٣٣٢هـ، باعتناء نجل المؤلف الشيخ محمد المهدي، وتعليق شقيق المؤلف الشيخ عبدالحي، وطبع أخيراً بدار الكتب العلمية بلبنان تحقيق د. إسماعيل الموسوي.

«الكمال المتلالي، والاستدلالات العوالي، في محاججة أهل التفريط والتغالي، وأن فيضان الربوبية والمحمدية لا ينقطع بل متتالي»[1].

«الكنز الثمين، في شرح خطبة المرشد المعين»[2].

❋ ❋ ❋

حرف اللام

«لسان الحجة البرهانية، في الذب عن شعائر الطريقة الأحمدية الكتانية»[3].

«لقطة عجلان، شرح الصلاة الأنموذجية»[4].

«الاستيذان في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾»[5].

«الاجتباء»[6].

«اللمحات القدسية، في متعلقات الروح بالكلية»[7].

«الاستباقات، إلى حضور موائد صلة الحق للموجودات»[8].

«اللؤلؤة الاستعطافية بالأعتاب المحمدية»[9].

❋ ❋ ❋

---

(١) طبع بفاس سنة ١٣١٨هـ، يرد فيه على محمد بن الطيب البوعزاوي شيخ الطريقة البوعزاوية.

(٢) مخطوطة في خزانة حفدة المؤلف.

(٣) طبعت بفاس ثم ببيروت سنة ١٣٢١هـ، رد فيه على الفقيه محمد بن محمد بن عبدالسلام كنون الملقب «كنيون».

(٤) طبع بفاس سنة ١٣١٤هـ.

(٥) طبع بفاس سنة ١٣٣٢هـ.

(٦) مخطوط في خزانة حفدة المؤلف.

(٧) مخطوط.

(٨) مخطوط عند حفدة المؤلف.

(٩) نشرت في نهاية ختمة البخاري سنة ١٣٢٤هـ.

حرف الميم

«مجمع البحرين في مشروعية البسملة جهرا في الصلاة الفرضية»[1].

«مدارج الإسعاد الروحاني» في السلوك[2].

مولد بلسان أهل الظاهر[3].

مقدمة للشمائل الترمذية[4].

«المواقف الإلهية، في التصورات المحمدية»[5].

❋ ❋ ❋

حرف النون

«نسخة من غاب عنه المطرب»[6].

«النهر المزبد، في شرح خطبة ميارة على المرشد»[7].

«النفثات التوحيدية»[8].

❋ ❋ ❋

(١) مخطوط. وقد ذكر المؤلف في كناشته بأنه جمع فيه أقوال أهل الظاهر وأقوال أهل الباطن.

(٢) كتاب مخطوط في خزانة حفدة المؤلف.

(٣) اسمه: «الغيث المدرار في مركز أهل الأنوار» طبع باعتناء الأستاذ زين العابدين الكتاني.

(٤) مخطوط.

(٥) لمجيزنا الإمام أبي عبدالله محمد بن أحمد العلوي - شيخ الجماعة بمكناس - شرح على هذه المواقف (المؤلف). وللعلامة أحمد بن الطيب الجاوزي اختصار ونظم لهذا الكتاب، ويوجد ضمن كناشته في خزانة خاصة بمدينة تطوان، ومنه صورة بخزانة الدكتور علي بن المنتصر الكتاني رحمه الله. (المحققة).

(٦) مطبوعة ضمن «النفائس الكتانية» (١ ـ ١١) من ص ٩٣ إلى ص ١٢٨.

(٧) وهو: «الكنز الثمين في شرح خطبة المرشد المعين».

(٨) مخطوط.

حرف الصاد

«الصلوات الكتانية، على الذات المحمدية» بلسان جامع[1].

❋ ❋ ❋

حرف العين

«العهود الكتانية»[2].

«العقيانية، في الاشتياق إلى والده ووطنه»[3].

❋ ❋ ❋

حرف الفاء

«الفص المختوم، في تفسير والضحى»[4].

«الفرق بين الواردات الرحمانية والملكية، والنفسانية والشيطانية»[5].

❋ ❋ ❋

---

(١) جمعها المؤلف في سفر سماه: «نهاية المعارف الإلهية في جمع صلوات مؤسس الطريقة الكتانية» وهو في ثلاثة كراريس.

(٢) المسماة بـ: «سفن النجاة وكهوف العباد»، انظر «النفائس الكتانية» (١ ـ ١١) من ص ٢٦٧ إلى ٢٧٩.

(٣) توجد ضمن ديوانه «الخرائد العرفانية» وهي التي مطلعها:

رماني زماني مذ علاني حبها بوقع سهام المعضلات رماني

وتقع في ١٢٩ بيتاً.

(٤) توجد منه عدة نسخ موزعة كما توجد نسخة في خزانة حفدة المؤلف.

(٥) طبعت ضمن «النفائس الكتانية» (١ ـ ١١) من ص ١٢٩ إلى ص ١٥٨.

حرف القاف

«القول الشافي، والبيان الكافي، في أن فاعل القبض في الفريضة غير جافي»[(١)].

«اقتباس العقائد الجملية من الصلاة الأنموذجية»[(٢)].

«القهرمان الأقدس»[(٣)].

❋ ❋ ❋

حرف السين

«سبقية النور المحمدي»[(٤)].

«سلم الارتقاء»[(٥)].

«سفينة المحبة»[(٦)].

«السانحات الأحمدية، والنفثات الروعية، في مولد خير البرية» بلسان أهل الباطن[(٧)].

«السر الصمداني، والفيض الحقاني، في أن العارف لا يزايله الخوف ولو بعد دخول الجنة»[(٨)].

❋ ❋ ❋

---

(١) توجد صورة عن نسخة بخط المترجم له في مكتبة حفدة المؤلف.

(٢) مخطوط.

(٣) مخطوط.

(٤) مخطوط.

(٥) طبع بفاس سنة ١٣٢١هـ...

(٦) توجد مطبوعة ضمن «النفائس الكتانية» (١ ـ ١١) من ص ٧١ إلى ص ٩٢.

(٧) طبع أخيراً بدار الكتب العلمية بلبنان بتحقيق د. إسماعيل الموسوي.

(٨) مخطوط.

حرف الشين

شرح حديث الخميصة المروي في الصحيح[1].

شرح أبيات من «الهمزية» البوصيرية[2].

شرح بعض أسئلة الحكيم الترمذي الشهيرة[3].

شرح «الصلاة المشيشية»[4].

شرح «نتائج حلقة الذكر»[5].

❋ ❋ ❋

حرف الواو

«الوصايا الكتانية»[6].

«الولاية الذاتية»[7].

❋ ❋ ❋

حرف الياء

«الياقوت والمرجان»، في العلم النبوي[8]...إلى غير ذلك مما ينيف على ثلاثمائة مؤلف، ويقدر بثلاثين مجلدا.

---

(١) يوجد الأصل في مجلد، وتوجد نسخة في مكتبة حفدة المؤلف لم تبلغ الكراسين.

(٢) توجد نسخة مصورة عن خط يد المترجم في خزانة حفدة المؤلف.

(٣) يوجد قسم منها ضمن كناشة الفقيه العارف الجاوزي في مكتبة خاصة، وتوجد نسخة مصورة عند حفدة المؤلف.

(٤) مخطوط.

(٥) توجد نسخة مخطوطة منه في خزانة حفدة المؤلف.

(٦) طبعت ضمن «النفائس الكتانية» (١ ـ ١١) من ص ٢١١ إلى ص ٢٦٦.

(٧) توجد ضمن كناشة العمراني، عند حفدة المؤلف.

(٨) توجد نسخة منه ضمن كناشة الجاوزي الكبرى، وهي عند حفدة المؤلف.



الوصل الثاني عشر
في تلامذته

تلامذة المترجم لا يحصون كثرة في المشرق والمغرب، وسأحاول في هذا الوصل أن أذكر أسماء جملة من مشاهيرهم، مرتبين على حروف المعجم، تاركا التحدث عن نوع الأخذ؛ هل هو دراية أو رواية، أو لطريقته الأحمدية الكتانية أو غيرها من الطرق والأذكار؟، روما للاختصار. ومن أراد مزيد البيان؛ فعليه بالرجوع لـ: «التاج»، و«الدائرة»، و«الطبقات».

❋ ❋ ❋

حرف الألف

أحمد بن جعفر الكتاني الإدريسي الحسني: أستاذ جامعة القرويين، وأحد أعلامها، العلامة الكبير، العارف بالله، ذو المؤلفات الكثيرة، والأشعار المتينة[(١)].

أحمد بن الطيب الجاوزي، الفلالي ثم الفاسي: أستاذ جامعة القرويين، العلامة الكبير، العارف بالله، أحد خلفاء المترجم الذين أدركوا على يديه مقاما كبيرا في الولاية، له عدة مؤلفات ورسائل وأشعار[(٢)].

(١) توفي سنة ١٣٤٠هـ، «النبذة اليسيرة» : ٣١٧، وفيها مصادر أخرى لترجمته.

(٢) توفي سنة ١٣٢٤ ، انظر «إتحاف المطالع» ١/ ٣٧٠.

أحمد بن محمد بن الحسن بناني: قاضي الرباط، وأحد مفاخر المغرب وأدبائه الممتازين، له آثار نفيسة تنبئ عن علو مقامه في العلم والأدب(١).

أحمد بن محمد الزعيمي الرباطي: قاضي الدار البيضاء، العلامة المشارك، الصوفي الجليل، الأديب الكبير(٢).

أحمد البستيوني المصري: شيخ الحنابلة بالديار المصرية، وأحد رجال السلف الصالح(٣).

أحمد بن جلون الفاسي: قاضي وزان، وأحد نماذج السلف الصالح الذين يعز نظيرهم في كل زمان، وهو أحد شيوخي بالقرويين(٤).

أحمد الحملاوي الشافعي المصري: مدرس العلوم الرياضية بالجامع الأزهر، وأحد العلماء المبرزين بالقاهرة(٥).

أحمد بن عمر السوسي: نائب قاضي طنجة، العلامة الصالح، المتبتل إلى الله، المتشبث بأذيال الحق(٦).

أحمد بن علي الحجازي الشافعي: أحد حاملي ألوية العلم بجدة(٧).

أحمد بن أبي القاسم الهذلي نسبا: الولي الصالح، المتبتل إلى الله بالمسجد النبوي(٨).

---

(١) توفي سنة ١٣٤٠هـ، انظر «رياض الجنة» ١١٦/١، «أعلام العدوتين» ٥١/١.
(٢) توفي سنة ١٣٢٤هـ، انظر «أعلام العدوتين» ١٤/٢.
(٣) كان حيا سنة ١٣٢٣هـ، «فهرس الفهارس» ٦٠٦/٢.
(٤) توفي سنة ١٣٧٧هـ، «إتحاف المطالع» ٥٦٤/٢.
(٥) توفي سنة ١٣٥١هـ، «الأعلام» للزركلي ٢٥١/١.
(٦) توفي في عهد المترجم، «المظاهر السامية» الورقة ٢٢٥.
(٧) لم أقف له على ترجمة.
(٨) لم أقف له على ترجمة.

أحمد ابن شيخ الجماعة بدمنات أبي عبدالله محمد كرداس الدمناتي: قاضي دمنات، العلامة الموثق الفرضي الحيسوبي[1].

أحمد بن الطاهر العلمي الصفصافي: الفقيه الصوفي، الأستاذ المقرئ[2].

أحمد بن محمد الشرادي: قاضي قبيلة الشراردة، العلامة الجليل، الحيسوبي الفرضي[3].

أحمد بن السعيد العلوي: السجلماسي ثم المراكشي، صهر السلطان أبي المحاسن يوسف العلوي، وقاضي محكمة المواسين بمراكش، وخطيب مسجده، وأستاذ الجامعة اليوسفية، العلامة الجليل، الكريم المائدة، أخذ عن المترجم بواسطة[4].

أحمد بن العباس الشرايبي المراكشي: العالم المدرس، المفتي المؤلف[5].

أحمد بن محمد الرشيدي المكناسي ثم الفاسي العالم الأديب، العارف بالله، له عدة قصائد في مدح النبي ﷺ ومدح المترجم[6].

أحمد بن عبدالكريم الحداد التطواني: رئيس الحكومة الخليفية ورئيس الطريقة الكتانية بالشمال، العلامة الصوفي الأخلاقي، كانت له مواقف مشرفة أثناء الأزمة المغربية الكبرى، أخذ عن المترجم بواسطة[7].

---

(١) هل هو المترجم في «الإعلام» لابن إبراهيم ٤٦٥/٢ والمتوفى سنة ١٣٢٩هـ؟

(٢) لم أقف له على ترجمة.

(٣) توفي سنة ١٣٥٣هـ انظر «سل النصال»: ٧٣ ـ «إتحاف المطالع» ٤٦٩/٢.

(٤) توفي سنة ١٣٨٥هـ، «المعسول» ١٥٨/١٦.

(٥) توفي سنة ألف وثلاثمائة ونيف وخمسين (طبقات الكتانيين طريقة) مخطوط في خزانة حفدة المؤلف.

(٦) توفي سنة ١٣٣٥، (طبقات الكتانيين طريقة) مخطوط.

(٧) توفي سنة ١٤٠٦هـ، انظر «على رأس الأربعين» لمحمد داود ١٥٧/١، تحقيق د. حسناء داود.

أحمد بن قاسم المسكيني: عميد الطريقة الكتانية بقبيلة بني مسكين، الرجل الصالح الداعية إلى الله[1].

أحمد بن عبد النبي بن جلون الفاسي؛ الملقب بالصوفي: العارف الأمي، نموذج السلف الصالح والداعية الصادق[2].

أحمد بن المبارك المراكشي: عميد الطريقة الكتانية بمراكش، الرجل الصالح البركة، الداعية الملهم[3].

أحمد بن الحاج عبدالله القباج الرباطي: الشهم الهمام، الذاكر العابد، المعتني بشعائر الله، والمنفق على بيوت الله، والمحب لآل البيت محبة عز نظيرها، كان منزله مجمع العلماء والشرفاء والفضلاء، وأوذي من طرف الفرنسيين فصبر[4].

أحمد برادة الفاسي، ثم السطاتي: العارف الأمي، الداعية الجليل، صاحب المشاهد والأحوال والأجوبة المسكتة[5].

أحمد بن عيسى الدمناتي: خليفة المترجم بدمنات ونواحيها، الفقيه الصالح، العارف بالله والداعية إلى الله، وقفت له على تائية في مدح المترجم[6].

أحمد بن أبي بكر بن المعطي العمراني السرغيني: الفقيه الصالح، الداعية الصادق، كان مغرما بحفظ صلوات المترجم على النبي ﷺ[7].

---

(١) توفي قبل سنة ١٣٨٣هـ (طبقات الكتانيين طريقة).
(٢) توفي سنة ألف وثلاثمائة ونيف وستين. (طبقات الكتانيين طريقة).
(٣) توفي قبل سنة ١٣٨٣هـ (طبقات الكتانيين طريقة).
(٤) توفي قبل سنة ١٣٨٢هـ (طبقات الكتانيين طريقة).
(٥) كان حيا سنة ١٣٥٠هـ، «زهر الآس» ١٢٢/١.
(٦) توفي سنة ١٣٣٧هـ «التاج» الورقة: ٢٠.
(٧) توفي قبل سنة ١٣٨٢هـ (طبقات الكتانيين طريقة)

أحمد بن إبراهيم الحسني الحيحي: خطيب المسجد الكبير بدمنات، والواعظ به، الفقيه الصالح الناسك[1].

أحمد بن محمد جلزيم السلاوي: الفقيه العدل، الناسك الأخلاقي[2].

أحمد ابن القاضي أبي إسحاق إبراهيم الجناوي الرباطي: ناظر أحباس الصويرة، الفقيه العدل الأخلاقي[3].

أحمد بناني المكناسي: الرجل الصالح، العارف بالله، أحد عمداء طريقة المترجم الملهَمين[4].

إدريس بن محمد بن طلحة الفاسي، ثم الزرهوني: العالم الأديب، العدل المبرز، المتخصص في علمي النحو والتاريخ[5].

إدريس بن عبدالرحمن الزرهوني الفاسي: العالم المشارك، المعتني بالتدريس[6].

إدريس العدلوني، الصفروي الفاسي، ثم البيضاوي: العالم الصوفي، مجمع النوادر واللطائف[7].

إدريس بن عبدالحفيظ الكتاني الإدريسي، الحسني الرباطي: الرجل الفاضل، الولي الصالح[8].

إدريس بن محمد بن العياشي المباركي البَجَّعْدي: الفقيه الداعية[9].

---

(١) توفي قبل سنة ١٣٨٢هـ (طبقات الكتانيين طريقة).

(٢) توفي سنة ١٣٤٨هـ، «إتحاف المطالع» ٢/٤٥٥.

(٣) توفي قبل سنة ١٣٨٢هـ (طبقات الكتانيين طريقة)

(٤) توفي سنة ١٣٤٠هـ، «الإتحاف» لابن زيدان ١/٤٦٣.

(٥) توفي سنة ١٣٦٦هـ (طبقات الكتانيين طريقة).

(٦) توفي سنة ١٣٤٨هـ، «إتحاف المطالع» ٢/٤٥٥.

(٧) توفي في العشرة الرابعة من القرن الرابع عشر، انظر «إتحاف المطالع» ٢/٤٣٢.

(٨) لم أقف له على ترجمة.

(٩) لم أقف له على ترجمة.

إسماعيل البقالي: الولي الصالح، الفقيه الجليل[1].

إسماعيل بن محمد بن عبدالسلام الأمغاري الإدريسي: العالم الصالح، صاحب الأحوال والإشارات[2].

إبراهيم سليطن الحسني: أستاذ الجامعة اليوسفية، ورئيس الطريقة الكتانية بمراكش، العلامة المشارك، المعتني بنشر العلم والدين منذ أربعين سنة، أخذ عن المترجم بواسطة[3].

أبو القاسم بن مسعود الدباغ الحسني الفاسي، ثم المدني هجرة: عميد الطريقة الكتانية بالمدينة المنورة، العالم السلفي، العارف بالله، الكثير الرحلات والأسفار، طلبت منه في إحدى زياراته إلى المغرب أن يجيزني بمثل ما أجازه به المترجَم؛ ففعل[4].

أبو بكر بن محمد التطواني السلاوي: خليفة المترجم بسلا، وصاعقة العلم والمعرفة، له عدة مؤلفات ورسائل، وكان له فضل في نشر العلم والتصوف الصحيحين بسلا وطنجة. اعتقل في سبيل إحياء سنتي القبض والرفع في الصلاة من طرف بعض القضاة الجامدين، وبمجرد دخوله للسجن اشتغل بنشر العلم والتصوف فيه، حتى صيره شبه مدرسة، أخذ عنه فيها جميع المعتقلين، ثم ورد الأمر من فاس بإطلاق سراحه؛ فخرج منتصرا[5].

أبو بكر بناصر حركات السلاوي: العلامة المشارك، المبرز في علمي الفرائض والحساب[6].

---

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) لم أقف له على ترجمة.

(٣) توفي سنة ١٣٨٢هـ، «إتحاف المطالع» ٥٧٨/٢.

(٤) توفي سنة ١٣٥٧هـ «إتحاف المطالع» ٢/ ٤٨٠.

(٥) توفي سنة ١٣٣٧هـ، انظر «أعلام العدوتين» ٢٦٧/٢، و«من أعلام المغرب العربي في القرن ١٤»، ص: ٧٨.

(٦) توفي بالدار البيضاء في العشرة الثالثة من القرن ١٤هـ، «الإتحاف الوجيز» : ١٥٩.

أبو بكر بن عبدالحق المريني السلاوي: نائب محتسب مراكش في عهد السلطان مولاي عبدالعزيز، الرجل الصالح الذاكر، الخاشع، المغرم بتعمير بيوت الله، ومحيي سنة الاعتكاف بالمسجد الأعظم بسلا[(١)].

أبو بكر الداغستاني: الشيخ الصوفي، العالم الرحال[(٢)].

أبو بكر بن مَحمد (فتحا) الجراري الرباطي: الفقيه العدل الفاضل[(٣)].

أبو شعيب البهلولي الشاوي: أستاذ الجامعة اليوسفية بمراكش، الداعية إلى الله، العلامة المتفنن، المتخصص في علم البيان، أخذ عنه كثيرون، وكتب له المترجم عدة رسائل، وانتشرت الطريقة الكتانية على يديه بقبيلة الشاوية انتشارا كبيرا[(٤)].

***

حرف الباء

بناصر بن محمد بن عبدالحفيظ الكتاني، الإدريسي الحسني: الولي الصالح، السريع الدمعة، كانت له عناية بذكر شمائل النبي ﷺ، والصلاة عليه إثر الآذان بالصيغ المذكورة في الوصل الرابع[(٥)].

بناصر بن عبدالقادر الزموري: الطالب الحمزوي، المستشهد في سبيل الله أثناء مقاومته للجيش الفرنسي المحتل.

---

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) من أهل المدينة المنورة، «فهرس الفهارس» ٤٠٢/١، يقول صاحب «المظاهر»: «وقفت على رسالة بخطه «للأستاذ» - أي: الشيخ محمد الكتاني - بتاريخ ١٣٢٤هـ»، المخطوط ٢٢٧.

(٣) توفي سنة ١٣٤٣هـ، «أعلام العدوتين» ٤٣٤/٢.

(٤) توفي سنة ١٣٧٧هـ (طبقات الكتانيين طريقة) مخطوط.

(٥) توفي سنة ١٣٧١هـ (طبقات الكتانيين طريقة).

بنعلي بن الجيلاني الزموري: الطالب القرآني، المستشهد في سبيل الله.

بنعيسى بن محمد الزموري: الطالب القرآني، المستشهد في سبيل الله.

بنعيسى بن الغازي الزموري: البطل المغوار، المستشهد في سبيل الله.

بنعيسى بن عبيد الزموري: البطل العظيم؛ قاد قبيلته إلى جهاد الفرنسيين بوادي بهت، وأبلى بلاء حسنا إلى أن استشهد[1].

ابن مومن بن العود الزموري: البطل الكبير، ولته قبيلته «آيت يدين» قيادة جيشها المحارب للفرنسيين، فأحسن القيادة، وثبت عنه أنه: قتل بيده عشرات الفرنسيين، وبقي يقاتل إلى أن استشهد بموضع يدعى «باري»، بجوار «ولجة السلطان»[2].

❋ ❋ ❋

حرف التاء

التهامي بن سعيد الزموري: الطالب القرآني، المستشهد في سبيل الله.

❋ ❋ ❋

حرف الجيم

جعفر الجاوي: من علماء جاوا.

الجيلاني ابن الباشا حمو المكناسي: العالم الناسك، المتفاني في محبة

---

(١) الراجح أن وفاته كانت عام دخول الفرنسيين فاس؛ عام: ١٣٣٠.

(٢) الراجح أن وفاته كانت عام دخول الفرنسيين فاس؛ عام: ١٣٣٠.

المترجم ونشر طريقته ومزاياه، كان يدرس علم المنطق بالزاوية الكتانية بفاس[1].

الجيلاني السوداني ثم الزموري: المستشهد في سبيل الله.

الجيلاني بن حق الزموري: المستشهد في سبيل الله.

الجيلاني بن أبي يعزى الزموري: البطل الكبير، المستشهد في سبيل الله.

الجيلاني بن المكي الزموري: المستشهد في سبيل الله.

الجيلاني بن الغازي الزموري: البطل الصنديد، المستشهد في سبيل الله.

الجيلاني بونهرويت الزموري: قائد قبيلة ءايت يدين، المستشهد في سبيل الله[2].

❋ ❋ ❋

حرف الحاء

حسين بن محمد حسين الحبشي، الباعلوي الشافعي المكي: الإمام الكبير، العارف الشهير، أحد أساطين علم الرواية والحديث في هذا القرن[3].

الحسن بن الشريف الإسماعيلي العلوي: خليفة المترجم بمكناس، العالم الصوفي الناسك، وقفت على عدة رسائل للمترجم، كتبها له موجها ومرشدا[4].

---

(١) توفي سنة ١٣٤١هـ، «الإتحاف» ١١٤/٢، لم يذكر ابن زيدان في «الإتحاف» أن من بين شيوخه الشيخ محمد الكتاني.

(٢) لم أقف له على ترجمة.

(٣) توفي سنة ١٣٣٠هـ، «فهرس الفهارس» ٣٢٠/١.

(٤) توفي سنة ١٣٣٣هـ، «رياض الجنة» ١٢/٢.

الحسن بن محمد المنوني الحسني: موقت المسجد الأعظم بمكناس، العالم الفلكي الحيسوبي، ذو الخط الجميل والأخلاق الفاضلة[1].

الحسن بن مَحمد (فتحا) الأدزري الحسني: العالم الداعية، العارف بالله، أحد الرجال الذين تفتخر الطريقة الكتانية بإنجابهم، صحب المترجم من «ادزر» إلى مراكش، وأقام معه بها إلى أن رجع لفاس[2].

الحسن بن فرج الزموري: المستشهد في سبيل الله، والمدفون بروضة سيدي عيسى بزيان[3].

الحسن بن قَدُّور الزموري: الطالب القرآني، المستشهد في سبيل الله[4].

حمادي بن حق الزموري: المجاهد في سبيل الله، أسره الفرنسيون بباري، ووجهوه إلى مركز قيادتهم بوادي بهت، حيث أعدموه رميا بالرصاص، ودفن بمقبرة «لال ركراكة» قرب وادي بهت[5].



حرف الخاء

خليل حماد: من علماء مصر[6].

خير الدين التونسي: العلامة الجليل، العارف بالله، ذو العزيمة الماضية والضمير الحي[7].

❋ ❋ ❋

---

(١) توفي سنة ١٣٧٥هـ، «إتحاف المطالع» ٢/٥٥١.

(٢) كان حيا سنة ١٣٨٣هـ، وهي السنة التي انتهى فيها الشيخ محمد الباقر الكتاني من تأليف موسوعته (طبقات الكتانيين طريقة).

(٣) الراجح أن وفاته كانت عام دخول الفرنسيين فاس؛ عام: ١٣٣٠.

(٤) الراجح أن وفاته كانت عام دخول الفرنسيين فاس؛ عام: ١٣٣٠.

(٥) الراجح أن وفاته كانت عام دخول الفرنسيين فاس؛ عام: ١٣٣٠.

(٦) توفي سنة ١٣٣٠هـ، «الأعلام» للزركلي ٢/٣١٧.

(٧) توفي سنة ١٣٠٨هـ، وهو من رجال الإصلاح الإسلامي، «الأعلام» للزركلي ٢/٣٢٧.

حرف الدال

دحد العلمي الزموري: رئيس قبيلة «آيت سيبر»، المجاهد الكبير، قاتل الفرنسيين على رأس قبيلته، ولما انهزم؛ هاجر بها إلى جبال الأطلس ناحية تافيلالت، ولما لحق بهم الفرنسيون، قاوموا مقاومة عنيفة، استشهد أثناءها خلق كثير، أما هو؛ فقد فقد ولده عبدالحق، فجد في البحث عنه منفردا، فظفر به الفرنسيون، فقتلوه رميا بالرصاص، وقبره مشهور متبرك به.

❊ ❊ ❊

حرف الراء

رشيد بن ملك المغرب أبي عبدالله محمد بن عبدالرحمن العلوي: الأمير الجليل، والخليفة السلطاني بتافيلالت، وأحد الدعاة إلى الله في الطريقة الكتانية، كان يعتني بشعائر الدين، وبنى زاوية كتانية ببلده[(١)].

❊ ❊ ❊

حرف الزاي

زيان بن إدريس الحسني المريني الفاسي: العارف الكبير، الولي الصالح، أحد الدعاة إلى الله المحدَّثين (بفتح الدال المشددة)، الذين كانوا يجتمعون بأرواح الأنبياء والمرسلين، والأولياء والصالحين، وقعت له مع المترجم عجائب وغرائب[(٢)].

زين الدين الجاوي: من علماء جاوا[(٣)].

---

(١) توفي سنة ١٣٣٠هـ، «المعسول» ١٦/٣٤٧.

(٢) توفي سنة ١٣٣٤هـ (طبقات الكتانيين طريقة).

(٣) عبدالحميد بن محمد الفردوسي؛ مفتي «ريو» من بلاد «جاوا» وقاضيها تحدث عنه وعن جلسة جمعته به في رحلته الحجازية الشيخ محمد بن جعفر الكتاني ـ (الرحلة السامية وهي قيد الطبع).

حرف الطاء

الطاهر بن الحاج عبدالسلام الشرايبي، الفاسي ثم البيضاوي: الفقيه الأجل، العارف بالله، وقفت له على آثار نفيسة، وضمنها أجوبة عن جملة من مشكلات الكتاب والسنة[1].

الطيب الإدريسي: عميد الطريقة الكتانية بزرهون، الفقيه العدل الصالح[2].

الطيب ابن كيران المراكشي: العالم المفتي الفاضل[3].

الطيب بن الحسن الزموري: الفقيه الجليل، المستشهد في سبيل الله[4].

❋ ❋ ❋

حرف الكاف

كبور الدكالي الزموري: الطالب القرآني، المستشهد في سبيل الله[5].

❋ ❋ ❋

حرف الميم

محمد حسين العمري الإله أبادي الجشتي طريقة: الشيخ الجليل

---

(١) كان حيا سنة ١٣٥٠هـ «زهر الآس» ١/٥٤١.

(٢) توفي قبل سنة ١٣٨٢هـ (طبقات الكتانيين طريقة).

(٣) توفي قبل سنة ١٣٥٠هـ، «زهر الآس» ٢/١٣١. انظر كذلك: مظاهر يقظة المغرب الحديث: ٢/ ٤٢.

(٤) الراجح أن وفاته كانت عام دخول الفرنسيين فاس؛ عام: ١٣٣٠.

(٥) الراجح أن وفاته كانت عام دخول الفرنسيين فاس؛ عام: ١٣٣٠.

الشان، العارف الكبير، المسند الشهير، تقدم ذكره في مشيخة المترجم، وأعدت ذكره؛ لأنه أخذ عنه ـ أيضاً ـ فتم بينهما التدبيح[١].

محمد بن عبدالواحد الشبيهي، الإدريسي الزرهوني: أحد علماء المغرب الأجلاء، ورجال السلف الصالح[٢].

محمد بن الطالب الفاسي الفهري: قاضي طنجة، وسليل المجد، وأحد الرجال القلائل الذين غلبت روحانيتهم على جسمانيتهم[٣].

محمد المكي بن محمد البطاوري: قاضي الرباط، وشيخ الجماعة به، وأحد مفاخر المغرب، والمكثرين من التأليف، وأحد شيوخي في الرواية[٤].

محمد الطاهر ابن الشيخ أبي محمد عبدالكبير الفاسي: العلامة الجليل المحدث، المسند، خطيب القرويين، وسليل خطباء القرويين[٥].

محمد حسنين العدوي المصري: العلامة الكبير، أحد مفاخر الشافعية بالقاهرة[٦].

محمد العمري المدني المالكي: العلامة الجليل، الأديب الممتاز[٧].

محمد الصالح بن المدني العمراني السرغيني المراكشي: شيخ الجماعة بمراكش، وأحد نماذج السلف الصالح، له قصائد في مدح المترجم[٨].

محمد بن أحمد العلوي: قاضي مكناس، وشيخ الجماعة به، وخليفة

---

(١) توفي سنة ١٣٢٢هـ، «إتحاف المطالع» ١/٣٦٩.
(٢) توفي سنة ١٣٢٤هـ، «إتحاف المطالع» ١/٣٦٩.
(٣) توفي سنة ١٣٤٥هـ، «إتحاف المطالع» ٢/٤٤٣.
(٤) توفي سنة ١٣٥٥هـ، «أعلام العدوتين» ٢/٢١٤.
(٥) توفي سنة ١٣٢٤هـ، «إتحاف المطالع» ١/٣٦٩.
(٦) هل هو المترجم له من معجم الشيوخ للفاسي والمتوفى سنة ١٣٥٥هـ المصدر: ١/٩٤ الأعلام للزركلي ٦/٩٦.
(٧) هل هو المترجم له في الأعلام الشرقية لزكي مجاهد، والمتوفى سنة ١٣٣٠هـ انظر المصدر ٢/٥٠٢.
(٨) توفي سنة ١٣٤٧هـ، «التاج» الورقة ٢٠.

المترجم بزرهون، الإمام العلامة المحدث، الأصولي الفقيه، بقية السلف الصالح، وأحد شيوخي في الرواية[1].

محمد الطاهر بن الحسن الكتاني: أستاذ جامعة القرويين، العلامة المشارك، المؤلف المكثر، الشاعر المجيد، العارف بالله[2].

محمد بن عبدالسلام الروندة، الأندلسي الرباطي: وزير العدلية، العلامة المشارك النوازلي الكبير[3].

محمد بن محمد بن المعطي العمراني: خليفة المترجم بمراكش، وأستاذ الجامعة اليوسفية، وأحد كبار العارفين بالمغرب. له مؤلفات ورسائل عديدة، وشعر كثير في مدح النبي ﷺ، ومدح المترجم وعائلته[4].

محمد بن أحمد بن محمد ابن الحاج السلمي المرداسي: أستاذ جامعة القرويين، وأحد كبار دعاة الطريقة الكتانية، له عدة مؤلفات في التفسير والحديث لم تخل من النقل عن المترجم، وهو أحد شيوخي بالقرويين[5].

محمد بن عبدالسلام الطاهري: عالم مكناس، وقاضيها، وأحد مفاخرها[6].

محمد الزمزمي بن الشيخ محمد بن جعفر الكتاني: العلامة المسند المؤرخ الرحال، له نحو ثلاثين مؤلفا[7].

محمد المهدي الكتاني: الابن الأكبر للمترجم، العلامة المحدث المؤرخ الجماع، له نحو ثلاثين مؤلفا[8].

---

(١) توفي سنة ١٣٦٧هـ، «إتحاف المطالع» ٥١٥/٢ - «علماء المغرب المعاصرين»: ١٤١.
(٢) توفي سنة ١٣٤٧هـ، «إتحاف المطالع» ٤٥٠/٢.
(٣) توفي سنة ١٣٦٥هـ، «أعلام العدوتين» ١٣٠/٢.
(٤) توفي سنة ١٣٢٩هـ، «الإعلام» لابن إبراهيم ١٧٧/٧.
(٥) توفي سنة ١٣٦٤هـ، «إتحاف المطالع» ٥٠١/٢.
(٦) توفي سنة ١٣٣٩هـ، «إتحاف المطالع» ٤٢٨/٢.
(٧) توفي سنة ١٣٧١هـ، انظر: «من أعلام المغرب العربي في ق ١٤» / ص ١٠٠.
(٨) توفي سنة ١٣٧٩هـ، «سل النصال» ١٧٦.

محمد ابن القاضي أبي محمد صالح البجعدي: العلامة الأمثل، القاضي الأجل، الواعظ المؤثر، الموقت البارع[1].

محمد بن التاودي السرغيني المراكشي: العالم الجليل، المدرس النفاع[2].

محمد بن عبدالرحمن العلوي المدغري: عالم تافلالت، الفقيه الصالح الناسك[3].

محمد بن هاشم العلوي الفاسي: أستاذ جامعة القرويين، وإمام مسجد الرصيف، والمدرس به بين العشاءين[4].

محمد بن سليمان العلوي الفاسي: أستاذ جامعة القرويين، وأحد شعرائها المجيدين[5].

محمد بن احساين النجار السلاوي: رئيس الطريقة الكتانية بسلا، ومدير المدرسة الكتانية بها، العلامة المشارك الصوفي الداعية، أحد المنتفع بهم في المغرب، ما ترك التدريس والدعوة إلى الله حضرا وسفرا، صحة ومرضا، كما أن مدرسته أسدت للسلاويين خيرا كثيرا، ولا زالوا يذكرون فضلها عليهم، له عدة رسائل صوفية[6].

محمد بن عبدالهادي القادري الحسني التطواني: خليفة المترجم بالشمال، العالم الأديب، الفكاهي المرح العارف بالله، له بضع مؤلفات وعدة قصائد[7].

(١) «فهرس الفهارس» ١/٣٥٢.
(٢) توفي سنة ١٣٢٩هـ، «إتحاف المطالع» ١/٣٨٨.
(٣) توفي سنة ١٣١٧هـ، «إتحاف المطالع» ١/٣٤٥.
(٤) توفي سنة ١٣٧١هـ، «إتحاف المطالع» ٢/٥٣٣.
(٥) توفي سنة ١٣٦٠هـ، «إتحاف المطالع» ٢/٤٨٨.
(٦) توفي سنة ١٣٧٥هـ، «أعلام العدوتين» ٢/٨٢، «إتحاف المطالع» ٢/٥٥٢.
(٧) توفي سنة ١٣٣٩هـ، «إتحاف المطالع» ٢/٤٢٩.

محمد بن يخلف الحشمي الضرير المراكشي: العالم المعمر الرحال، أحد نماذج السلف الصالح، كتب له المترجم إجازة صوفية نفيسة[1].

محمد القصري المكناسي: عالم مكناس، وأستاذ الزاوية الكتانية بها، والمبرز في علمي الفقه والنحو[2].

محمد البصري بن المعطي بن إبراهيم العمراني السرغيني: شيخ الجماعة بقبيلة السراغنة، العلامة الصالح الداعية، أخذ عن المترجم بواسطة، وأسس مدرسة حرة بقبيلته، تخرج عليه فيها عدد كثير من العلماء والأساتذة[3].

محمد بن محمد الحميدي المكناسي: صالح مكناس وشيخ علوم القراءات به، وأستاذ أمراء البيت العلوي المالك[4].

محمد بن الحسن العرائشي المكناسي: العلامة المفتي المطلع[5].

محمد بن علي اليوسي: الفقيه الجليل، الناسك الفاضل[6].

محمد ابن شيخ الجماعة بدمنات أبي عبدالله محمد كرداس: العلامة المطلع، قاضي دمنات[7].

محمد بن أحمد الزوائدي السلاوي: العلامة الداعية الصالح، كان

---

(١) توفي سنة ألف وثلاثمائة ونيف وأربعين (طبقات الكتانيين طريقة) مخطوط كما ترجم له ابن إبراهيم في «الإعلام» وقال بأنه من تلامذته الشيخ محمد الكتاني، المصدر: ٢٢٧/٧ لكنه لم يؤرخ لوفاته.

(٢) توفي سنة ١٣٢٧هـ، «الإعلام» لابن إبراهيم ١٥٣/٧.

(٣) توفي قبل سنة ١٣٨٣هـ (طبقات الكتانيين طريقة)، وانظر «من أعلام المغرب العربي في القرن ١٤» / -١٦٨.

(٤) كان حيا سنة ١٣٤٩هـ، «الإتحاف» لابن زيدان ٢٤٩/٤.

(٥) توفي سنة ١٣٥١هـ، «إتحاف المطالع» ٤٦٣/٢، وانظر مجلة «دعوة الحق»: (شيخ الجماعة بمكناس عدد ٩ و١٠ و١١).

(٦) لم أقف له على ترجمة.

(٧) توفي سنة ١٣٣١هـ، «الإعلام» لابن إبراهيم ١٨٧/٧.

معتنياً بالتدريس ونشر تعاليم الدين، يزور قريباته في حفلاتهن وأعراسهن ويحذرهن من البدع المخالفة للدين[١].

محمد بن العياشي المباركي البجعدي: خليفة المترجم بتادلا، العالم المعمر، الولي الصالح، الواسع الجاه[٢].

محمد بن أبي بكر بن المعطي العمراني السرغيني: العلامة النوازلي الخطيب[٣].

محمد الطيب البوشيخي البكري المكناسي: الولي الصالح، العارف بالله، البطل الضرغام، المستشهد في المحنة الكتانية الآتي ذكرها[٤].

مَحمد (فتحا) بن عبدالرحمن القندوسي: العالم الصالح المعمر، المتبتل إلى الله[٥].

محمد بن محمد (فتحا) القصباوي السجلماسي: العلامة الصالح، العارف بالله، الخطيب المؤثر[٦].

محمد بن الحاج محمد الماسي ثم المراكشي: العالم الصالح، العارف بالله، أحد الدعاة الملهمين[٧].

محمد الحكيم بن المكي بن سليمان الأندلسي الفاسي: أستاذ الزاوية

---

(١) توفي قبل منتصف القرن العشرين، «الإتحاف الوجيز» ١٦٥. أي قبل سنة ١٣٧٠هـ.
(٢) لم أقف له على ترجمة.
(٣) لم أقف على تاريخ وفاته.
(٤) حضر في المحنة الكتانية وامتحن فيها إلى أن لقي الله تعالى وذلك سنة ١٣٢٧هـ، ذكر المؤلف في كتابه: (طبقات الكتانيين طريقة) أن البوشيخي لما فاضت روحه خرج منه عمود نور ارتفع إلى عنان السماء ظاهراً بحيث شاهده كل من كان في السجن يتلألأ، وقبل وفاته بقليل قال: إني أشاهد روحي ترفرف في البرزخ. .عليه رحمات الله. . (المخطوط).
(٥) توفي سنة ١٣١٧هـ، «إتحاف المطالع» ٣٥٢/١.
(٦) لم أقف له على ترجمة.
(٧) توفي سنة ١٣٢٣هـ، «الإعلام» لابن إبراهيم ١٣٣/٧.

الكتانية بفاس وإمامها، العالم الصوفي المؤرخ، وقفت له على مؤلفين في المترجم وطريقته[1].

محمد المنوني الحسني المكناسي: الرجل الصالح، الشهم الهمام، أحد خواص تلامذة المترجم[2].

محمد بن أبي بكر المريني السلاوي: إمام المسجد الأعظم بسلا وواعظه، ومدير المدرسة المحمدية، أخذ عن المترجم بواسطة، وله مؤلفات مفيدة في المترجم وطريقته[3].

محمد بن حَدُّو المراكشي: خطيب مسجد المواسين بمراكش، وإمام الزاوية الكتانية، العالم الصالح الناسك[4].

محمد بن فضيل المراكشي: العالم الصالح الناسك[5].

محمد بن محمد بن فضيل: ولد الذي قبله، الفقيه العدل الصالح[6].

محمد بن سعيد السلاوي: العالم الصوفي الداعية، أحد ناشري الطريقة الكتانية بسلا وعمدائها الصالحين[7].

محمد المهدي العلوي: رئيس الطريقة الكتانية بصحراء تافلالت، وخطيب مسجد قبيلة «كيكو»، العلامة الكبير، والداهية الصالح، وصفه المترجم بـ: «داهية الدنيا» في رسالة بعث بها لوالده من الصحراء، وناهيك بها منه![8].

---

(١) توفي سنة ١٣٣١هـ، «التاج» الورقة ٢٠.
(٢) توفي سنة ١٣٧١هـ، «إتحاف المطالع» ٢/٥٣٤.
(٣) كان حيا سنة ١٩٦٠هـ، «التاج» الورقة ٢٠. وهو الموافق بالهجري: ١٣٨٠هـ.
(٤) توفي سنة ١٣٨٠هـ (طبقات الكتانيين طريقة).
(٥) لم أقف له على ترجمة.
(٦) توفي سنة ١٣٨٣هـ (طبقات الكتانيين طريقة) مخطوط.
(٧) توفي حوالي سنة ١٩٠٨هـ، «الإعلام» لابن إبراهيم ١٤٤/٧.
(٨) استشهد سنة ١٣٢٧هـ، «أسهل المقاصد» وهو ثبت للمؤلف في شيوخ وأسانيد والده الورقة ١٠٧.

محمد بن علال التهامي الوزاني السلاوي: الشهم الهمام، العارف بالله، ذو الجاه العريض، والمقام الرفيع[1].

محمد بن عبدالقادر الشيخي الصديقي: رئيس الطريقة الكتانية بالجنوب، الشهم الهمام، البطل الضرغام، العارف بالله، كان له فضل كبير في الدعوة إلى الله بالجنوب سفرا وحضرا، وهدى الله على يديه آلافا من الناس إلى الصراط المستقيم[2].

محمد ابن القاضي إبراهيم بن الجناوي الرباطي: الفقيه العدل الوجيه[3].

محمد بن العناية ابن الشيخ المكناسي: ناظر أحباس الصويرة، الفقيه الوجيه، ذو الصوت الرخيم[4].

محمد ابن العلامة أبي محمد العربي بن سعيد السلاوي: عميد الطريقة الكتانية بسلا، الفقيه العدل الذاكر، الخاشع الكريم المائدة، الدال على الله بحاله ومقاله، كان منزله مجمع العلماء والصلحاء[5].

محمد بن إسماعيل الصويري: خطيب المسجد الكبير بالصويرة، وعميد الطريقة الكتانية بها، العالم الصالح الناسك[6].

محمد بن كبور المراكشي: العلامة المحدث المطلع، أحد مفاخر المغرب[7].

محمد (فتحا) بن محمد جلزيم السلاوي: الفقيه العدل الموثق[8].

---

(١) لم أقف له على ترجمة.
(٢) توفي سنة ألف وثلاثمائة ونيف وسبعين (طبقات الكتانيين طريقة).
(٣) لم أقف له على ترجمة.
(٤) «الإتحاف» لابن زيدان ٢٦٢/٤.
(٥) توفي سنة ١٣٥٤هـ (طبقات الكتانيين طريقة).
(٦) توفي سنة ١٣٥٠هـ (طبقات الكتانيين طريقة).
(٧) توفي سنة ١٣٨١هـ (طبقات الكتانيين طريقة).
(٨) توفي سنة ١٣٥١هـ، «الإتحاف الوجيز» ١٥٧.

محمد بن الحاج محمد بن غزو المكناسي: الفقيه الناسك، المعتز بشعائر الدين[1].

محمد بن عبدالسلام الجبلي المراكشي: العالم المؤرخ الخطيب[2].

محمد بن أحمد ملين الأندلسي الرباطي: الكاتب برياسة الحكومة، وأستاذ المدرسة الراقية الكتانية، العالم المؤرخ الجماع، الشاعر[3].

محمد بن الطاهر الوفائي: الفقيه العدل، أحد نماذج السلف الصالح[4].

محمد بن عبدالحفيظ الكتاني الإدريسي الرباطي: الرجل الصالح، الرفيع القدر[5].

محمد (فتحا) الحسني المكناسي: رئيس الطريقة الكتانية بزمور، الولي الصالح، الداعية الناصح.

محمد بن محمد الخمال الحسني العمراني الطنجي: واعظ المسجد الكبير بطنجة، العالم الأديب الفكاهي، الحلو الحديث والشمائل، العدل المبرز، والعضو في المجلس التشريعي الدولي بطنجة سابقا[6].

محمد بن أبي شعيب التمسماني: قاضي ناحية طنجة، وعالم الزاوية الكتانية بها، وخطيب مسجد المصلى، العالم الصوفي، الداعية الصادق، أخذ عن المترجم بواسطة[7].

---

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) لم أقف له على ترجمة.

(٣) توفي سنة ١٣٧٦هـ، «أعلام العدوتين» ٤١٢/٢.

(٤) لم أقف له على ترجمة.

(٥) توفي سنة ١٣٣١هـ (من رسائل الشيخ عبدالرحمن بن جعفر الكتاني المتوفى سنة ١٣٣٣هـ إلى أخيه الإمام محمد بن جعفر) مخطوط في خزانة خاصة.

(٦) كان حيا سنة ١٣٦٣هـ (طبقات الكتانيين طريقة).

(٧) توفي سنة ١٣٦٣هـ (طبقات الكتانيين طريقة) مخطوط.

محمد فرحون بن عسو بن المبارك الصالحي الفرجاني الزعري: كبير مقدمي الطريقة الكتانية بزعير، الرجل الصالح، المجاهد في سبيل الله ضد الجيش الفرنسي الذي احتل زعير في طريقه إلى فاس سنة ١٣٣٠[١].

محمد بن شحيمة الزموري: البطل المغوار، استشهد في سبيل الله بعد أن أثخن جراحات في جميع بدنه من طرف الجيش الفرنسي.

محمد بن حق الزموري: قاتل الفرنسيين ببلده، ولما احتلوها؛ هاجر إلى جبال الأطلس، فلحقوا به وقتلوه رميا بالرصاص، وتركوه ملقى على قارعة الطريق إلى أن مر به بعض عارفيه فدفنه.

محمد بن رقية الزموري: قاتل الفرنسيين بآيت سيبر، ثم أسر وقتل رميا بالرصاص بالخميسات.

محمد بن الحاج محمد بن دحمان السلاوي: عميد الطريقة الكتانية بسلا، الرجل الصالح المعمر، الذي قضى عمره في العبادة وخدمة الزاوية الكتانية[٢].

محمود التركي: العلامة الصالح، مفتي جيش الخلافة العثمانية الشهيدة[٣].

المختار الجاوي المكي: عالم الجاويين بمكة، العلامة الجليل، المعتكف على نشر العلم بالمسجد الحرام والتبتل به[٤].

المهدي بنيس الفاسي: عميد الطريقة الكتانية بفاس، الولي الصالح، العارف بالله[٥].

---

(١) كان حيا سنة ١٣٨٢هـ (طبقات الكتانيين طريقة).
(٢) توفي سنة ١٣٧٠هـ (طبقات الكتانيين طريقة).
(٣) أخذ عن الشيخ سنة ١٣٢١هـ (طبقات الكتانيين طريقة).
(٤) أخذ عن المترجم سنة ١٣٢١هـ (طبقات الكتانيين طريقة).
(٥) توفي سنة ألف وثلاثمائة ونيف وأربعين (طبقات الكتانيين طريقة).

المعطي بن الصغير بن المعطي البزيوي: رئيس الزاوية الكتانية بـ: «ابزو»، العالم الناسك[1].

المعطي بن عبود المكناسي: واعظ المسجد الأعظم بمكناس، العالم الناسك[2].

المهدي بن محمد بن المعطي العمراني السرغيني: الفقيه العدل[3].

المصطفى بن عبدالسلام الزاودي الطنجي: العالم المؤرخ الجماع، الصوفي الطبيب، كانت له عناية كبرى بآثار المترجم العلمية والصوفية والسياسية، وخلف من ذلك ما يشكر عليه شكرا جما[4].

منصور بن حدو البزيوي: الفقيه العدل المعمر[5].

المأمون بن محمد بن المعطي العمراني: الفقيه العدل المدرس[6].

المبارك بن الحسن العلوي المدغري: من أهل القصر الداخلاني، الفقيه الصالح الذاكر[7].

المكي بن محمد الزموري الطالب الحمزوي: المستشهد في سبيل الله ضد الغزو الفرنسي[8].

❋ ❋ ❋

---

(١) توفي قبل سنة ١٣٨٢هـ (طبقات الكتانيين طريقة).
(٢) توفي سنة ١٣٣٠هـ، «إتحاف المطالع» ٣٩٢/١.
(٣) لم أقف له على ترجمة.
(٤) توفي سنة ١٣٥٦هـ. (طبقات الكتانيين طريقة) وانظر: «من أعلام المغرب العربي في القرن الرابع عشر» ص: ٦٨.
(٥) لم أقف له على ترجمة.
(٦) لم أقف له على ترجمة.
(٧) لم أقف له على ترجمة.
(٨) لم أقف له على ترجمة.

حرف الصاد

الصديق بن محمد الشدادي الرباطي: مدير المدرسة الراقية الكتانية، وخطيب مسجد مولاي سليمان والمدرس به، العلامة الخطيب المؤثر، العدل المبرز، أخذ عن المترجم بواسطة، وكان عميد الإخوان الكتانيين بالرباط، وتخرج من مدرسته عدد كثير من العلماء والطلبة(١).

الصاحب بن الفقيه أبي عبدالله محمد بن أحمد الفطواكي الدمناتي: العلامة الجليل، قاضي دمنات(٢).

صالح الجاوي: العالم المحترم، اجتمع بالمترجم بالحجاز(٣).

❋ ❋ ❋

حرف العين

عبدالرحمن بن الشيخ جعفر الكتاني الإدريسي: العلامة المحدث، الأديب الكبير، له مؤلفات نفيسة، وديوان شعر ممتاز(٤).

عبدالرحمن بن المدني العمراني السرغيني: مفتي مراكش(٥).

عبدالرحمن بن زيدان الإسماعيلي العلوي: نقيب الأشراف العلويين، ومؤرخ مكناس الشهير(٦).

عبدالرحمن العلوي العفيفي: عميد الطريقة الكتانية بـ: «آيت عفيفن»

---

(١) توفي سنة ١٣٧٩هـ، «إتحاف المطالع» ٢/٥٧٠

(٢) توفي سنة ١٣٣١هـ، إضافات في «المظاهر السامية».

(٣) أخذ عن المترجم سنة ١٣٢١هـ (طبقات الكتانيين طريقة).

(٤) توفي سنة ١٣٣٤هـ، «النبذة اليسيرة» ٣١٩.

(٥) توفي سنة ١٣٧٤هـ (طبقات الكتانيين طريقة).

(٦) توفي سنة ١٣٦٥هـ، «الأعلام» للزركلي ٢/٣٣٥.

بـ: «آنزكير»، الرجل الصالح، الداعية الصادق، كان له شرف صحبة المترجم إلى مراكش والإقامة معه بها[1].

عبدالرحمن بن المعطي العمراني: الفقيه العدل، الصالح الداعية[2].

عبدالرحيم بن الحسن الكتاني الإدريسي: العلامة المؤرخ المسند، الشاعر الناثر[3].

عبدالله بن عباس صديق المكي: مفتي الحنفية بمكة، العلامة المشارك، الأديب الممتاز[4].

عبدالله الهندي المكي: العالم الجليل[5].

عبدالله بن محمد بن سعيد السلاوي: باشا سلا، العالم السياسي المكافح، عارض الفرنسيين، فنفوه مرتين إلى وجدة والجديدة[6].

عبدالله زيني دحلان المكي، ابن أخي شيخ الإسلام أبي العباس أحمد دحلان الشهير: العالم الفاضل الناسك[7].

عبدالقادر بن محمد المدغري الموسوي: الفقيه الصوفي، له ألف المترجم كتابه الجليل: «الكشف والتبيان عن سر آية: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾»[8].

عبدالقادر بن قاسم الرجراجي: العلامة المؤرخ، الشاعر الناثر[9].

---

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) تولى العدالة سنة ١٣٢١هـ (طبقات الكتانيين طريقة).

(٣) توفي سنة ١٣٧٤هـ، «إتحاف المطالع» ٥٤٨/٢.

(٤) لم أقف له على ترجمة.

(٥) توفي سنة ١٣٤١هـ، «أعلام الهند» ١٢٩٨/٨.

(٦) توفي سنة ١٣٤٢هـ، «الإتحاف» ٤٣٦/٢.

(٧) توفي سنة ١٣٦٠هـ، «سير وتراجم بعض علمائنا في القرن ١٤» لعمر عبدالجبار ص ٢٠٨.

(٨) لم أقف له على ترجمة.

(٩) قاضي المنشية، توفي بمراكش، «التاج» الورقة ٢٠.

عبدالقادر شلبي الطرابلسي ثم المدني هجرة: العلامة الكبير، المحدث المسند المؤرخ[١].

عبدالقادر الشيخي الصديقي: الشهم الهمام، البطل المغوار، الولي الصالح.

عبدالقادر بن عبدالسلام بن العياشي العلمي الرباطي: الشهم الهمام، الولي الصالح، كان منزله مجمع العلماء والصلحاء، تشع منه أنوار الدين.

عبدالسلام بن محمد بن المعطي العمراني: مفتي مراكش وعضو مجلس الاستيناف الشرعي الأعلى بالرباط، العلامة الكبير، المؤرخ الداعية، الشاعر الناثر، وهو صاحب: «اللؤلؤة الفاشية في رحلة المترجم الحجازية»، وقد وقفت له على كنانيش مفيدة[٢].

عبدالسلام بن الفاضل العلوي المكناسي: العالم الصوفي الخطيب، أحد كتاب المترجم، ورئيس المجاهدين بجبال الأطلس (ناحية بني ملال)، قاد معركة المقاومة للجيوش الفرنسية سبعا وعشرين سنة، باسم الطريقة الكتانية، والصحف العربية والأجنبية مملوءة بالحديث عن ثورته الهامة، اضطر إلى الاستسلام أمام قصف المدافع الفرنسية المتواصل، فأقام بتادلا ثم بمكناس إلى أن مات تقيا نقيا[٣].

عبدالحفيظ بن محمد الطاهر الفاسي الفهري: قاضي الصويرة، العلامة المحدث، المسند المؤرخ الكبير، أحد الأفراد القلائل الذين دونوا تاريخ المغرب في هذا القرن[٤].

---

(١) توفي سنة ١٣٦٩هـ «الأعلام» للزركلي ٣٩/٤.

(٢) توفي سنة ألف وثلاثمائة ونيف وأربعين، حسب ما هو مثبت في عنوان رحلته المسماة «باللؤلؤة الفاشية».

(٣) توفي سنة ١٣٦٨هـ، «إتحاف المطالع» ٥٢٠/٢.

(٤) توفي سنة ١٣٨٥هـ، «إتحاف المطالع» ٥٨١/٢. «الأعلام» للزركلي ٢٧٩/٣ وهو صاحب «رياض الجنة».

عبدالسلام ابن شيخ الجماعة بدمنات أبي عبدالله محمد كرداس: الفقيه العدل[١].

عبدالستار بن عبدالوهاب الهندي ثم المكي: العلامة المسند المؤلف[٢].

عبدالعزيز العلوي الزموري: قاضي بني حسن، جاهد في سبيل الله ضد الفرنسيين إلى أن استشهد[٣].

عبدالكبير بن الماحي الصقلي، الحسيني الفاسي: أحد بقايا السلف الصالح في العصر الحاضر، العلامة المسند الصوفي، العارف بالله[٤].

عبدالحليم بن اسماية الجزائري: العالم المدرس النفاع[٥].

عبدالبر بن أحمد منة الله المصري الأزهري المالكي: العلامة المسند المعمر[٦].

عبدالمنان الجاوي: من أجلاء علماء جاوى[٧].

عبدالهادي بن الشريف المنوني الحسني المكناسي: عميد الطريقة الكتانية بمكناس، الفقيه العدل، الشاعر الناثر، الصالح البركة[٨].

عبدالرزاق بن علي النصيري المصري: عميد الطريقة الكتانية بمصر، الرجل الصالح، الداعية الصادق[٩].

---

(١) توفي سنة ١٣٥٤هـ، «سل النصال»: ٧٧.

(٢) يقول الفاسي في معجمه ١٠٦/٢: «إنه توفي بعد سنة ١٣٣٠هـ».

(٣) لم أقف له على ترجمة، وأميل إلى أن وفاته كانت عام ١٣٣٠.

(٤) توفي سنة ١٣٨٨هـ، «إتحاف المطالع» ٥٩٤/٢. واسمه في الأصل: إبراهيم، وكان يلقب بـ الكبير. ثم تحولت إلى: عبدالكبير، وبها عرف!.

(٥) لم أقف له على ترجمة.

(٦) لم أقف له على ترجمة.

(٧) أخذ عن المترجم سنة ١٣٢١هـ (طبقات الكتانيين طريقة).

(٨) توفي سنة ١٣٥٣هـ، «إتحاف المطالع» ٤٦٩/٢.

(٩) كان حيا سنة ١٣٣٥هـ (طبقات الكتانيين طريقة) مخطوط.

عبدالكبير التادلي الرباطي: عميد الطريقة الكتانية بالرباط، الشهم الهمام، الداعية الصادق[1].

عبدالله بن عبد الصادق الطنجي: أستاذ المعهد الديني، وإمام المسجد الكبير، ورئيس الطريقة الكتانية بطنجة، العلامة الجليل، المعتكف على نشر العلم منذ أزيد من ثلاثين سنة، أخذ عن المترجم بواسطة[2].

عمر أحمدان المحرسي التونسي ثم المدني: عالم الحرمين الشريفين ومحدثهما وفقيههما، أسند له المترجم النيابة عنه بالمدينة المنورة سنة **١٣٢١**، وقام - رحمه الله - بأعباء الدعوة إلى الله ونشر العلم أحسن قيام[3].

عمر باجنيد الحضرمي المكي: أمير الإفتاء بمكة، والمعتني بنشر العلم، وأحد رجال الصلاح القلائل[4].

عمر بن محمد بن المعطي السرغيني المراكشي: أستاذ الجامعة اليوسفية، وعميد الطريقة الكتانية بمراكش، العلامة المدرس، المفتي الوجيه، الأخلاقي[5].

عمر بن يزغة: عميد الطريقة الكتانية بمدشر الخوخات قرب آيت يوسي، العالم الخطيب[6].

عمر بن أبي شعيب الزموري: البطل المكافح، المستشهد في سبيل الله أثناء مقاومته للفرنسيين[7].

عمر ابن الشيخ أبي حفص عمر الإدريسي: الداعية الأكبر للطريقة

---

(١) توفي سنة ١٣٣٦هـ، «إتحاف المطالع» ٤٢١/٢.
(٢) لم أقف له على ترجمة.
(٣) توفي سنة ١٣٦٨هـ، «الدليل المشير» : ٣١٠.
(٤) توفي سنة ١٣٥٤هـ، «الدليل المشير» : ٢٩٦.
(٥) لم أقف على تاريخ وفاته، انظر «من أعلام المغرب العربي في القرن ١٤» - ١٦٩.
(٦) لم أقف له على ترجمة.
(٧) لم أقف له على ترجمة، والراجح أن وفاته عام ١٣٣٠.

الكتانية بزمور، والقائد الأعلى لقبيلته، دعا قبيلته إلى التجنيد الإجباري حينما بلغه خبر مرور الجيش الفرنسي على زمور في طريقه إلى فاس، فأجابته طوعا، وخاض بها غمار عدة معارك، وأبلى بلاء حسنا، ولما انهزم؛ هاجر بها إلى جبال الأطلس، ولما لحق بهم الفرنسيون أعادوا المقاومة إلى أن استشهد إثر ضربة بالسيف أصابت ما بين حاجبيه، وكان ذلك بجبل الحديد الذي يبعد عن «تِدَّاس» بنحو **٢٠** كلم، وحمل إلى روضة الشيخ أبي يعزى الشهير ـ رضي الله عنه ـ حيث دفن بها، ومن مناقبه: أنه كان أحد رؤساء الجيش الذي وجهه السلطان عبدالعزيز لقتال الثائر بوحمارة[١].

عثمان بن محمد الكتاني الإدريسي: الولي الصالح، العارف بالله، له كتابات تدل على معرفته وولايته[٢].

عثمان بن محمد الهيثمي الفاسي: عميد الطريقة الكتانية بفاس، الولي الصالح، العارف بالله[٣].

علي بن محمد بن عبدالقادر الحسني العدلوني الدمناتي، ثم المراكشي: خليفة المترجم بدمنات، الإمام العلامة، العارف بالله، المؤلف المجيد، الشاعر الناثر، ترك نحو الأربعين مؤلفا في العلم والأدب والتصوف، وكان له فضل كبير على الطريقة الكتانية، وقدم خدمات جليلة للمغرب في الميدان الوطني أثناء البيعة الحفيظية[٤].

علي الروداني المراكشي: العلامة المدرس، المنتفع به[٥].

علي ابن ملك المغرب مولاي الحسن ابن ملك المغرب سيدي

---

(١) سيأتي التعريف ببوحمارة في الصفحات الموالية.

(٢) توفي سنة **١٣٦٣**هـ، «تراجم الشرفاء الكتانيين» للدكتور علي بن المنتصر الكتاني ـ مخطوط في خزانة المؤلف.

(٣) توفي سنة **١٣٢٩**هـ (طبقات الكتانيين طريقة) وانظر «زهر الآس» **٢/٢٤٩**.

(٤) توفي سنة **١٣٦٦**هـ، «التاج» الورقة **١٩**.

(٥) توفي سنة **١٣٢٧**هـ، «الإعلام» لابن إبراهيم **٩/٢٦٩**.

محمد بن عبدالرحمن العلوي: العالم الجليل، المدرس النفاع[1].

علي بن مصطفى المدغري: عالم سجلماسة ومفتيها[2].

علي بن المعطي البزيوي: الفقيه الصالح، العدل المبرز[3].

علي الثغراوي السلاوي: قاضي سلا، وأستاذ المسجد الأعظم، العلامة المشارك، المدرس المفتي[4].

علي بن الجيلالي الزموري البوكريني: المستشهد في سبيل الله بمشرع بودري، أثناء الغزو الفرنسي للمغرب، وكانت والدته من الأخوات الكتانيات اللواتي أخلصن للدعوة الإسلامية[5].

علال بن أحمد الزموري البوكريني: البطل العظيم، الذي قاوم الغزو الفرنسي للمغرب مقاومة عنيفة إلى أن استشهد بضربة تلقاها من جندي فرنسي قسمت رأسه نصفين، ولما انتهت المعركة وجاء أفراد عائلته وقبيلته ليبحثوا عنه وعثروا عليه؛ ضحك حتى بدت نواجذه![6].

عباس بن إبراهيم المراكشي: مؤرخ مراكش، ورافع منارها، وقاضي المحكمة المنشية بها، العلامة الكبير، الفقيه الأديب[7].

عامر بن سعد التونسي: الفقيه الصالح، من قبيلة ابن عرفة[8].

العربي بن حق بن العربي الزموري السيبري: المستشهد بـ: «آيت

(١) توفي سنة ١٣٢٩هـ (رسائل العلامة عبدالرحمن بن جعفر الكتاني إلى أخيه الإمام محمد بن جعفر).
(٢) كان حيا سنة ١٣٣٧هـ، «المصادر العربية لتاريخ المغرب» ٢/٢٣٣.
(٣) لم أقف له على ترجمة.
(٤) توفي سنة ١٣٤٤هـ، «من أعلام العدوتين» ٢/٣٥٨.
(٥) لم أقف له على ترجمة. والراجح أن وفاته عام ١٣٣٠.
(٦) لم أقف له على ترجمة. والراجح أن وفاته عام ١٣٣٠.
(٧) توفي سنة ١٣٧٨هـ، «إتحاف المطالع» ٢/٥٦٩.
(٨) أخذ عن المترجم سنة ١٣٢١هـ (طبقات الكتانيين طريقة).

شخمان»[1] بـ: «زيان» أثناء هجرته إليها، بسبب طلقات المدافع الفرنسية التي كانت تتوالى على المجاهدين.

العربي بن دحد الزموري الخيدري: قاوم الفرنسيين بقبيلته، ثم هاجر لخنيفرة معها، ولما لحق بهم الفرنسيون؛ أعادوا المقاومة إلى أن استشهد[2].

❋ ❋ ❋

حرف الغين

الغالي بن المعطي السرغيني: شيخ القراء بالسراغنة، الأستاذ الصالح البركة[3].

❋ ❋ ❋

حرف الفاء

فتح الله بن الشيخ أبي بكر البناني الرباطي: شيخ الطريقة الفتحية، الإمام العلامة المؤرخ العارف بالله[4].

فَضُّول بن سالم الحمري: العالم الجليل، المدرس النفاع، وقفت على رسالة للمترجم أجابه فيها عن أسئلة صوفية وجهها إليه.

الفاطمي العمراني الفاسي: العالم الصوفي، الأديب الشاعر، وقفت له على عدة قصائد في مدح المترجم والانتصار لشعائر طريقته[5].

---

(١) لم أقف له على ترجمة.
(٢) لم أقف له على ترجمة.
(٣) لم أقف له على ترجمة.
(٤) توفي سنة ١٣٥٣هـ، «إتحاف المطالع» ٤٦٨/٢ ـ «سل النصال» : ٧٢.
(٥) توفي سنة ١٣٥٣هـ (طبقات الكتانيين طريقة).

الفاضل الحنفي العمراني: عميد الطريقة الكتانية بالسراغنة، العالم الصالح الداعية[1].

❋ ❋ ❋

حرف القاف

قصو بن باسو الزموري السيبري: قاوم الفرنسيين ببلده، ثم هاجر إلى خنيفرة وقاوم بها أيضاً إلى أن استشهد[2].

قاسم بن حمادي الزموري البنحمداني: البطل المستشهد في سبيل الله ضد الغزو الفرنسي[3].

❋ ❋ ❋

حرف السين

سليمان الجمل المصري أصلا المكي هجرة[4].

سليمان العلوي: نقيب الأشراف العلويين بالرباط، الشهم الهمام، القوي الإيمان[5].

سليمان الزموري اليديني: قائد «مسغرة»، قاوم الغزو الفرنسي إلى أن استشهد بمشرع «بودري»[6].

سالم بن عيدروس البار باعلوي المكي: الشيخ الجليل الشأن،

---

(١) توفي قبل سنة ١٣٨٢هـ (طبقات الكتانيين طريقة).
(٢) لم أقف له على ترجمة.
(٣) لم أقف له على ترجمة.
(٤) لم أقف له على ترجمة.
(٥) لم أقف له على ترجمة.
(٦) لم أقف له على ترجمة.

المستغرق في محبة الحضرة الإلهية[1].

سعيد بن علي الموجي: شيخ الطريقة الخلوتية بمصر، وأحد كبار علماء الشافعية[2].

السعيد بن المهدي المنوني الحسني: الفقيه العدل، المغرم بالوقوف على حقائق الأشياء.

السود بن دح الزموري السيبري: قاوم الغزو الفرنسي بباري - الكائن بتازطين - إلى أن استشهد ودفن بتفدايت.

❋ ❋ ❋

حرف الشين

الشيخ بن النعيمي الصديقي البكري: قائد ناحية مكناس، البطل الهمام، المؤمن الكامل الإيمان.

❋ ❋ ❋

حرف الهاء

هاشم بن الكبير العلوي الفاسي: الفقيه الناسك، الذاكر الخاشع[3].

الهاشمي بن أحمد بوعبولة المراكشي: إمام الخمس بالضريح العباسي[4]، العالم المدرس الصالح المتبرك به[5].

❋ ❋ ❋

---

(١) توفي سنة ١٣٤١هـ، «لوامع النور» ٢/ ٢١.

(٢) توفي سنة ١٣٢١هـ، إضافات في «المظاهر السامية». انظر «فهرس الفهارس» ١/ ٩٦ - ١٣٢.

(٣) توفي سنة ألف وثلاثمائة ونيف وأربعين (طبقات الكتانيين طريقة).

(٤) أي: ضريح الشيخ أبي العباس السبتي رضي الله عنه.

(٥) توفي سنة ١٣٢٥هـ، «الإعلام» لابن إبراهيم ١٠/ ١٨٣.

حرف الواو

الواحي بن إسماعيل الزموري البوكريني: قاوم الغزو الفرنسي إلى أن استشهد، ولم يثبت عنه أنه ترك الآذان في وقت من أوقات الصلاة، وكان يحدث أن المترجم بشره بالاستشهاد في سبيل الله[1].

❋ ❋ ❋

حرف الياء

يوسف بن إسماعيل النبهاني: عالم لبنان وسوريا، العلامة المشارك، المسند المؤرخ، الأديب الكبير، الشاعر المفلق، أحد مفاخر الإسلام في هذا القرن، والمتفانين في الإشادة بالإسلام، ونبيه عليه الصلاة والسلام[2].

يعقوب الحسني: نزيل ركراكة[3].

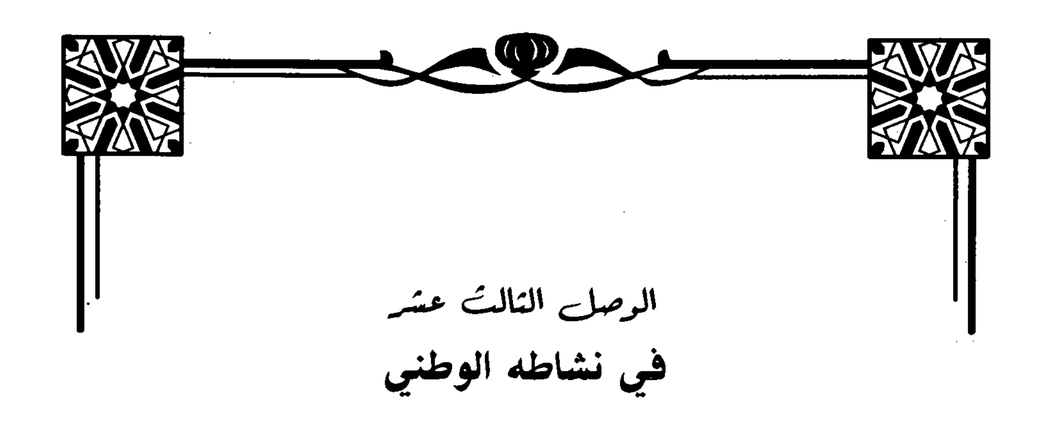


---

(١) لم أقف له على ترجمة. والراجح أن وفاته عام ١٣٣٠.

(٢) توفي سنة ١٣٥٠هـ، «رياض الجنة» ٢/١٦١.

(٣) لم أقف له على ترجمة.



الوصل الثالث عشر

في نشاطه الوطني

الإسلام دين سماوي، جمع الله فيه ما افترق في غيره من الأديان، وجعله صالحا لكل زمان ومكان، ولا يمكن أن يوجد نظام في العالم يأتي برأي سديد، أو عمل مفيد لم يأمر به الإسلام.

هذا رأي المترجم ورأي كل مؤمن صحيح العقيدة، عالم بالشريعة. وعليه؛ فالوطنية في نظر المترجم جزء من الدين، يجب على كل مومن أن يتصف بها، وأعني بالوطنية هنا: الوطنية الربانية، لا الوطنيات الضيقة الموروثة عن الأجانب، ومعلوم أن الإسلام يعد الوطني الصادق مجاهداً في سبيل الله كما يفيده مفهوم الجهاد العام.

وأتحدث في هذا الوصل باختصار، عن جملة من أعمال المترجم في الميدان الوطني، تاركاً التفصيل إلى المطولات.

كان المترجم يحارب أصحاب الامتيازات الأجنبية، والموالين للكفار، ويصرح لهم بأنهم نذر الشر على المغرب، ويقاطعهم، ويدعو الناس لمقاطعتهم، ويتجنب المرور على الأحياء التي يسكنوها، وقد سبق لي أن سجلت في الوصل الثالث جملة من الحملات الشعواء التي كان يشنها عليهم بين الفينة والفينة.

وبعد أن عاد إلى فاس من محنته الأولى بمراكش، كان مطمئناً ـ في الجملة ـ على مصير المغرب لما شاهده في الصدر الأعظم إذ ذاك، أبي

العباس أحمد بن موسى، من وطنية صادقة، وقبض على مقاليد الأمور بيد حديدية، وعدم تأثير الإغراءات الأجنبية عليه، مع انتقاده عليه - طبعا - سلوكه الإداري المشهور. ولكنه لم يكد يأتي اليوم السابع عشر من شهر محرم الحرام عام ثمانية عشر وثلاثمائة وألف حتى لحق الصدر الأعظم بربه إثر مرض أصابه، عالجه أثناءه طبيب فرنسي، وشاع - إذ ذاك - أن موته كان غير طبيعي. وبموته - كما في «إعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس للنقيب الزيداني»[1] رحمه الله - حدثت حوادث وفظائع يشيب لها الرضيع، ووقع الدخيل في الدولة، واختل النظام، وفسدت الأحوال، وتراكمت الأهوال، وتنمرت الذياب، وفَرْزَنَتْ[2] البيادق، واتسع الخرق على الراتق.

كما أن السلطان اضطر إلى نقل عاصمة ملكه من مراكش إلى فاس سنة **١٣١٩**، وخرج المترجم للقائه، فاجتمعا بالضريح الإدريسي بزرهون، فتعاهدا معا على التعاون على ما فيه خير الإسلام والمغرب، وأصبح المترجم من تلك الساعة مستشارا خاصا له، وقد أخبرت من طرف شخصيات رسمية أن جلسات الاستشارة كانت تستغرق ساعتين في أغلب الأحيان، وعادت بالنفع العميم على المغاربة.

ولما أوقدت فتنة الجيلاني الزرهوني؛ المدعو: «بوحمارة»، سنة **١٣٢٠**[3]، وادعى أنه هو: المولى محمد (فتحا) ابن السلطان مولاي الحسن، وأن الغاية من ثورته هي: طلب ملك والده، دعا المترجم أتباعه بزمور للمشاركة في حربه، فأجابوه لذلك، وكانت المحلة العزيزية التي ذهبت لمقاومته مشتملة على عدد كبير من أتباع الطريقة الكتانية وزعمائها، كما أنه أصدر مع جماعة من كبار علماء القرويين بيانا طويلا أعلنوا فيه موقف الإسلام من الفتان المذكور.

---

(١) «الإتحاف» في ثمانية أجزاء طبعت منه خمسة مجلدات سنة **١٣٥٢**هـ موافق **١٩٣٣**م.

(٢) الفرزان: من لعب الشطرنج جمع فرازين.

(٣) الجيلاني بن عبدالسلام اليوسفي الزرهوني، لقب بالروكي؛ أي: الفتان، وقد عرف عنه الذكاء والنباهة، وهو أحد كبار الثوار الذين دمروا استقلال المغرب، قتل غيلة سنة **١٣٢٧**هـ انظر المعسول ١٥/٢٠، و«الإتحاف» ٣٩٩/١.

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

الأخ الأحب الأرضى الفقيه الأعز الأحظى الأديب البليغ المرتضى السيد أحمد بن
محمد الأزموري أمنه الله ورعاه وسلام على سيادتكم ورحمة الله عن خير سيدنا المنصور بالله
وبعد فقد التقيت مع الشريف الأجل الأرضى الفقيه العلامة المرتضى الشيخ الأفضل
الرباني القدوة الأكمل سيدي محمد الكتاني بمكناسة فوجدته على صفاء المحبة والإخلاص
المودة لسيدنا ومولانا الإمام أدام الله عزه للأنام وقد طلب لسيادته الشريف بالله عادة
بتوجه النصر والفتح مع سيدنا دام علاه ومع جيوشه السعيدة حيثما توجه وقد احترق
قلبه رضي الله عنه من قضية أعداء الله وأعداء الدين أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر
وعليه فالأحب من سيادتكم أن تعتني بمكاتبه وأجوبته وأصحابه الواردين للحضرة العالية
بالله إعتناء خاصا بما يناسب الحال والمقام وتعجيل له بمقاصده المنبعثة مما عند سيدنا أعزه الله
ومن عند الوزير والعلاف والبحث حينا عن أجوبته بعض مكاتبه قد يقول لكم بأن أنهاها لنا قبل
وإذا مكث نجيبه وعلى المحبة والسلام في 11 صفر الخير عام 1326 المحسيب آمنه الله

رسالة تصور مدى تحرق المترجم لأوضاع المسلمين
وإخلاصه للسلطان

الحمد لله

محبنا الأعز الأرضى الشريف البركة سيدي محمد الكتاني أمنك

الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله [illegible]

وبعد فقد أمر لنا مولانا أيده الله أن نعلم لكم هذا [illegible]

يعزم مولانا على السفر إلى السلامة [illegible] عصر [illegible]

بقصد الحضور في هذه [illegible] وعلى المحبة والسلام في [illegible]

شعبان عام 1323 محمد المهدي [illegible]

رسالة من المولى عبدالعزيز للمترجم يدعوه فيها لحضور نزهة معه

[بيان علماء المغرب حول فتنة أبي حمارة]:

وفيما يلي ملخصه بعد الحمدلة والصلاة:

«أما بعد؛ فهذه تذكرة نافعة، ونصيحة جامعة، صادرة من الواضعين أسماءهم آخرها؛ علماء فاس، أمنها الله وأهلها وسائر المسلمين وبلادهم من كل مكروه وباس، امتثلوا بها قول الله تعالى في كتابه المبين: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾. [الذاريات: ٥٥]، وعملوا فيها بمقتضى قوله ﷺ: «**الدين النصيحة**، قلنا: لمن يا رسول الله؟. قال: **لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[1]، وحملهم عليها: الاهتمام بأمور المسلمين؛ لقوله ﷺ: «**من لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم**»[2].

«وقد ذكر العلماء أن من النصيحة لعامة المسلمين: تعليم جاهلهم، وتنبيه غافلهم، ووعظهم في سرهم ونجواهم، وإرشادهم إلى ما يصلح دنياهم وأخراهم، وأن الواجب على العلماء: أن يعلموا ويبينوا، وأن الواجب على العامة: أن يتعلموا ويمتثلوا ويذعنوا. قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. [الأنبياء: ٧]، وقال سبحانه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾. [النساء: ٥٩]، وقال عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾. [النحل: ٤٤]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾. [الحشر: ٧]».

«ولا يخفى أن العلماء خلفاء الرسول ﷺ، وقد انعقد الإجماع على أنه: لا يحل لامرئ أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه، فإذا تمهد هذا؛ نقول: إن طاعة الإمام الذي بيعته في أعناق الأنام قربة وعبادة، والاعتصام بحبلها سعادة، وهي واجبة بالكتاب والسنة...».

---

(١) الحديث رقم ٣١١١، رواه أحمد في مسند بني هاشم عن زيد بن الحباب.

(٢) حديث أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٤٣٣، وقال رواه الطبراني وفيه يزيد بن ربيعة الرحبي، وهو متروك.

وبعد أن أتى البيان ببعض الأدلة على الوجوب قال:

«وأما ما صدر في هذا الزمان، من الثائر الفتان، من الخروج عن الطاعة وفراق الجماعة، ومحاربة جيش السلطان، والتلبيس على الناس بالسفسطة والبهتان؛ فهو من الذنوب الكبائر، المذمومة عند الأوائل والأواخر، وقد ورد في ذلك وعيد وزجر شديد...».

وبعد أن أتى بنصوص في الموضوع من السنة وكلام العلماء؛ قال:

«فكيف يليق بالمسلم العاقل، أن يتبع هذا الفتان الجاهل، في الخروج عن طاعة أمير المؤمنين، والدخول في طاعة إخوان الشياطين، والوقوع في المحذور، والتورط في عظائم الأمور؛ فمنها: سفك دماء المسلمين، ومنها: ترويع المسلمين، ومنها: انتهاك الأعراض، ومنها: إضاعة المال ونهبه وأكله...».

وبعد أن أتى البيان بأدلة هذه العظائم؛ قال:

«وكيف يرضى ذو همة أن يتبع الفتان، مع ما اشتهر عنه من الكذب والبهتان؟؛ فمن ذلك: كذبه في نسبه، حيث زعم وادعى أنه الشريف مولاي محمد (بالفتح) ابن أمير المؤمنين مولانا الحسن، مع أن الشريف مولاي محمد المذكور هو الآن بفاس...»[(١)].

ثم تحدث البيان شيئاً ما عن الأمير محمد المذكور، وساق أحاديث في الترهيب من الكذب في النسب، وقال:

«ولو فرضنا أن الخارج هو مولاي محمد المذكور؛ لم يجز خروجه ولا الخروج معه!».

---

(١) محمد بن الحسن العلوي؛ هو: الأخ الأكبر للسلطان مولاي عبدالعزيز، وقد كان من المرشحين للإمارة عند وفاة والده المولى الحسن، لكن الوزير «احماد» ونظراً للنفوذ الذي كان يتمتع به اقتضت رغبته أن يختار المولى عبدالعزيز - توفي محمد بن الحسن سنة ١٣٦٥هـ بالرباط ودفن بضريح والده مولاي الحسن - «إتحاف المطالع» ٥٠٩/٢.

ثم زاد قائلاً:

«ومن ذلك: كذب ذلك الفتان في ادعائه إرادة الخير، إذ مريد الخير لا يخالف الشريعة، ولا يرتكب الفعلات الشنيعة. ومن ذلك: كذبه فيما يختلقه ويفتعله من الرسائل والأسئلة والأجوبة، مع أن من ينسبها إليهم براء منها، ومن أقواله وأفعاله وقبائحه، وأي مروءة لمن صرف همته للكذب الملعون صاحبه بنص القرآن؟. ولأجل اختلاقه وافتعاله؛ وضعنا خطوطنا عقب هذه الأوراق ليعلم ويتحقق من يقف عليها أنه كاذب فيما عسى أن ينسبه إلينا، ومن ذلك: رميه جنود السلطان وعساكره بالكفر - أعاذهم الله منه - وأنهم مسلمون وأبناء مسلمين من أهل القبلة المحمدية، وقد عد بعض العلماء رمي المسلم بالكفر من الكبائر. . .».

وقد عنى البيان بإيراد جملة من النصوص الواردة في الترهيب من هذه الكبائر؛ ثم قال:

«فقد اتضح الحق وبان، وتبين الرشد من الغي بالدليل والبرهان؛ فعلى الواقف على هذه الموعظة الحسنة، والتذكرة المستحسنة، من تلامذتنا وغيرهم من طلبة الجبال وغيرها؛ أن يقرؤوها لأقوامهم، ويتنزلوا معهم حتى تصل إلى أفهامهم؛ ليحيطوا بها علماً، ويعملوا بمقتضاها، ولا يعيروها آذاناً صماء، ليتوبوا ويرجعوا، وينيبوا ويقلعوا، ويتأملوا بعقولهم، ويتدبروا، ولا يضلوا ولا يغتروا، ومن أراد منهم التقرب إلى السلطان؛ فليسق إليه ذلك الفتان، وليعلموا أن أمير المؤمنين مولانا عبدالعزيز أيده الله، إمام حليم، وشريف حي كريم، لا يقابل التائبين إلا بالعفو والصفح والرفق واللين. . .».

وجاء في ختام البيان - بعد الإشادة بالناحية العبادية للسلطان مولاي عبدالعزيز رحمه الله:

«ونسأل الله سبحانه أن يؤيد مولانا الإمام، ويوفقه للخير ويعينه عليه، ويصلح به أمر الخاص والعام، ويعز به الإسلام، ويديم بعزه ووجوده هناء الأنام، بجاه جده الصادق الأمين».

أما كبار العلماء الذين أصدروا هذا البيان[1]؛ فهم السادة:

عبدالله بن خضراء؛ قاضي فاس الإدريسية[2]، وحميد بن محمد بناني[3]؛ قاضي فاس الإدريسية، ومحمد بن رشيد العراقي الحسيني؛ قاضي فاس العليا[4]، وقاضي الجماعة بمكناس وما إليها أحمد بن الطالب ابن سودة[5]، وإدريس بن عبدالهادي[6]، وجعفر بن إدريس الكتاني[7]، وخليل بن صالح الخالدي الحسني[8]، وأبو بكر بن العربي بناني[9]، وعبدالله الكامل الأمراني[10]، ومحمد بن عبدالكبير الكتاني[11]، وأحمد بن محمد ابن الخياط الحسني[12]، وأحمد بن الجيلالي الأمغاري[13]، وعبدالكبير بن محمد الكتاني[14]، وعلي ابن سودة[15]، وخطيب الحرم الإدريسي العابد بن أحمد ابن سودة[16]، وعبدالسلام بن محمد

---

(١) وهو مطبوع على الحجر بفاس في ١٦ صفحة وعندي نسخة منه. (المؤلف).
- عنوان البيان هو: «تذكرة نافعة ونصيحة جامعة»؛ مضمونها: أن الإمام الشرعي بالمغرب الأقصى هو السلطان الحالي (أي مولاي عبدالعزيز) والتحذير من الاغترار بأباطيل الثائر الخارج عليه «(يعني: أبو حمارة)». وقد وقع تحريره سنة ١٩٠٣م، ١٣٢١هـ، «دليل مؤرخ المغرب الأقصى»: ٩٤ (المحققة).

(٢) توفي سنة ١٣٢٤هـ، «إتحاف المطالع» ٣٦٨/١.

(٣) توفي سنة ١٣٢٧هـ، «إتحاف المطالع» ٣٨١/١.

(٤) توفي سنة ١٣٤٨هـ، «إتحاف المطالع» ٤٥٣/٢.

(٥) توفي سنة ١٣٢١هـ، «إتحاف المطالع» ٣٥٨/١.

(٦) إدريس بن عبدالهادي العلوي توفي سنة ١٣٣١هـ، «إتحاف المطالع» ٤٠٣/٢.

(٧) توفي سنة ١٣٢٥هـ، «إتحاف المطالع» ٣٦٥/١.

(٨) توفي سنة ١٣٢٦هـ، «إتحاف المطالع» ٣٧٨/١.

(٩) توفي سنة ١٣٣٠هـ، «إتحاف المطالع» ٣٩٢/١.

(١٠) توفي سنة ١٣٢١هـ، «إتحاف المطالع» ٣٥٨/١.

(١١) استشهد سنة ١٣٢٧هـ.

(١٢) توفي سنة ١٣٤٣هـ، «إتحاف المطالع» ٤٣٧/٢.

(١٣) توفي سنة ١٣٥٢هـ، «سل النصال»: ٧١.

(١٤) توفي سنة ١٣٣٣هـ.

(١٥) علي بن عبدالقادر بن سودة توفي سنة ١٣٣٣هـ، «إتحاف المطالع» ٤١٠/٢.

(١٦) توفي سنة ١٣٥٩هـ، «إتحاف المطالع» ٤٨٥/٢.

الهواري[١]، ومحمد بن محمد العلوي المدغري[٢]، ومحمد كنون[٣]، ومحمد بن قاسم القادري[٤]، والمهدي بن محمد الوزاني الحسني العمراني[٥]، ومحمد التهامي بن المدني كنون[٦]، والعباس بن أحمد التازي[٧].

كما أن المترجم بذل جهدا كبيرا في تنوير عقول الناس الذين كانوا يعتقدون أن بوحمارة مقدمة من مقدمات الإمام المهدي المنتظر. ومن الغريب؛ أن بعض علماء فاس كان يتزعم هاته الفكرة الخاطئة!.

ولم ينس المترجم التفكير في هاته الفتنة حتى أثناء حجة سنة **١٣٢١**. فقد وقفت على رسالة كتبها لوالده المقدس من الحجاز يتطلب فيها آخر الأنباء عن بوحمارة، لأنه كان يعلم أن الاستعمار الفرنسي هو الذي شجعه على القيام بثورته الباطلة، وأن القصد منها هو إحداث الفوضى في صفوف المسلمين واشتغالهم بالقضاء على بعضهم، وحمل وزراء السوء على استقراض الأموال من الفرنسيين بحجة إنفاقها في إخماد الفتن والأهوال، وبذلك يتدهور النظام الاقتصادي للبلاد وتصبح فريسة الاستعمار العسكري والسياسي، وكذلك كان.

ومعلوم أن هذه الثورة دامت إلى اليوم الخامس من شهر شعبان سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وألف، أي: في عهد الملك عبدالحفيظ، بعد أن قطع حكام الجزائر الفرنسيون إعانتهم عن الثائر المذكور، فأصبح نفوذه يقل، ومركزه يضعف، وبذلك سهل إلقاء القبض عليه، وحمل إلى فاس في قفص حديدي، ثم أعدم.

---

(١) توفي سنة ١٣٢٨هـ، «إتحاف المطالع» ٣٨٤/١.
(٢) توفي سنة ١٣٢٥هـ، «إتحاف المطالع» ٣٧٣/١.
(٣) محمد بن محمد كنون المتوفى سنة ١٣٢٦هـ، «إتحاف المطالع» ٣٧٨/١.
(٤) توفي سنة ١٣٣١هـ، «إتحاف المطالع» ٤٠٤/٢.
(٥) توفي سنة ١٣٤٢هـ، «إتحاف المطالع» ٤٣٥/٢.
(٦) توفي سنة ١٣٣٣هـ، «إتحاف المطالع» ٣٧٨/١.
(٧) توفي سنة ١٣٣٧هـ، «إتحاف المطالع» ٤٢٣/٢.

[إرجاع المترجم فلول الجيش الفار عن السلطان من وجه أبي حمارة]:

ومن أهم الأحداث التي تستحق الذكر: فرار المحلة السلطانية العتيدة التي كانت مرابطة بوادي فاس من السلطان مولاي عبدالعزيز، وكانت متركبة من أعيان قبيلتي زمور وكروان وكبرائهما، وحيث إن هاتين القبيلتين ـ كجل قبائل المغرب ـ تعتبر أن المترجم زعيمهما الجليل، وشيخهما المطاع، فقد استدعى السلطان المترجم إلى قصره الملكي، وطلب منه السفر إلى زمور وكروان لإرجاع المحلة الفارة إلى فاس، فما كان منه ـ قدس سره ـ إلا أن أجاب طلبه خدمة للإسلام والمغرب، وقد استطاع ـ بفضل الله تعالى ـ أن يرجع بعض فرقها من الطريق.

ولم يكد يصل إلى زمور، ويعلن عن رغبته، ويشرح لهم ما يجب عليهم نحو دينهم، وملكهم ووطنهم والظروف الحرجة التي يجتازها المغرب ـ والتي توجب التفاف المسلمين حول سلطانهم ـ حتى فاضت أعينهم من الدمع حزنا على فرارهم، وجعلوا نفوسهم رهن إشارته، فأمرهم بالرجوع إلى فاس، ومواصلة تأييدهم للسلطان، وامتثالهم لأوامره.

[وثائق حول أسباب فرار جيوش المحلة العزيزية من أبي حمارة]:

وهذه وثائق في الموضوع، تستفاد منها الأسباب الحاملة للمحلة على الفرار، وأهميتها في ميدان العمليات العسكرية، وبعض مجهودات المترجم في الميدان الوطني.

الحمد لله وحده

الله

محبنا الاعز ابا رضا الشريف العلامة الاجل السيد محمد الكتاني امنك

وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله وبعد

فما كنا نشاهدنا به في قضية البهاليل لتباشر امرهم

حتى يمتثلوا جوامع ما لهم ان زال ذلك وعليه فالنائب

المجموع في امرهم وواعدهم بكل ما يجمعه من ذلكم فانه

لا ينبغي الا امتثالهم لما امرهم به مولانا اعزه الله من

قبولهم تولية الباشا ولد ... عليهم ولا بد وعلى المحبة

والسلام في ٢٥ جمادى الاولى عام 1320

[illegible]

رسالة من وزير الحربية العربي المنبهي

يدعو فيها المترجم للتدخل بين الحكومة وبعض القبائل

الحمد لله وحده

محبنا الولي الأشهر والقطب الأنور البركة
العظمى مولاي محمد الكتاني على خير يعم حضرتكم
أزكى السلام عن خير مولانا الإمام وبعد فلينهى
لكريم علم سيادتكم وان فخذة البهاليل [illegible]
بادبا لنا هنا [illegible] وقال [illegible] السيادتكم
ما المطلوب من مجادتكم ان تكرمهم على بال [illegible]
[illegible] خيرا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
في 6 جمادى [illegible] عام 1325

عمر [illegible]

رسالة من الوزير عمر التازي للمترجم بخصوص قبيلة البهاليل

أولها: رسالة ملكية لقبيلة زمور هذا نصها بعد الحمد لله والصلاة والطابع الكبير[١]:

«خدامنا الأرضين الأنجاد بقبيلة زمور وقوادهم، وأعيانهم وكبرائهم وأمنائهم، وفقكم الله وأصلحكم، وسلام عليكم ورحمة الله...».

«وبعد؛ فقد علمتم أننا نعدكم من محلاتنا السعيدة، وأجنادنا المديدة، ولأجل ذلك انتخبنا قدوم حركتكم المباركة، واخترناها من أول الأمر، وجعلنا فيها النية، ووجهناها صحبة محلتنا السعيدة إلى عين مديونة[٢]، فظهر لنا منهم النصيحة والحزم والوقوف في تلك الواقعة، وزادوا عندنا بذلك حظوة ومعزة وصيرناهم من الأصدقاء عندنا، حتى وجهنا عليهم في هذه المرة الثانية بقصد التوجه ـ أيضاً ـ مع محلتنا السعيدة لكمال الذي بدأتموه، وقابلناهم بالبرور والتمييز والاعتبار، ونوينا لهم جزاء وقوفهم وثواب نصيحتهم كل خير وسرور وبركة عند قضاء الغرض».

«ولما سمعنا بحصول التنافر فيهم حتى فروا من خزانتهم، بحثنا عن السبب في ذلك، فوجدناهم لا لومة عليهم، وإنما اللومة على الذين كلفناهم بتفريق المؤونة عليها بوادي فاس، الذين كانوا يماطلونهم فيها، وعرفنا أن الحق مع إخوانكم وقبلنا عذرهم في ذلك، وليس في خاطرنا عليهم شيء. وقد كلفنا أمناء آخرين بمقابلتهم، وألزمناهم أن يكونوا يفرقون المئونة على حراك إخوانكم كل يوم بيومه دون تأخير ولا مماطلة، وعليه؛ فنأمركم برد حركتكم، وجمعها على الهيئة المعتبرة من أصحاب الخيل وأنجاد الرجال، وتوجيهها لشريف حضرتنا عاجلا في أمان الله ورسوله، وأماننا الشريف، صحبة الشريف الخير السيد محمد الكتاني».

«فقد وجهناه ليعرفكم بما اعتقدناه فيكم، وبما نويناه لكم من الخير والمجازاة، وما رضينا لإخوانكم أن يقروا بعد أن سمع الناس قدومهم،

---

(١) في ١٧ صفر عام ١٣٢١. (المؤلف)

(٢) لحرب (بوحمارة)، قال ابن زيدان في «الإتحاف» عن هذه المحلة: «إنها مزقت جموع بوحمارة كل ممزق». (المؤلف)

وعرفوا نصحهم وامتثالهم، وعلموا منا جعل النية فيهم، واختيارهم للإعانة على قضاء الغرض، ولا يناسب رجوعهم قبل تمامه، فلتأخذوا بالحزم والوقوف في رد حركتكم لكمال العمل».

«فها نحن في انتظار قدومهم مامونين، معززين مكرمين، ومتى يكمل الغرض بهم يتوجهوا من شريف حضرتنا مسرورين، مثابين فائزين بالخير والبركة، وغانمين لرضى الله ورسوله، ورضانا، أصلحكم الله ورضى عنكم وأعانكم والسلام[1]».

وثانيها: رسالة بعث بها الوزير الأول ـ إذ ذاك ـ للمترجم، هذا نصها بعد الحمدلة والصلاة:

«محبنا الأعز الأرضى، الخير البركة، الشريف الأجل؛ سيدي محمد الكتاني، أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله، عن خير مولانا نصره الله».

«وبعد؛ فقد كتب سيدنا ـ أيده الله ـ لقبيلة زمور، بما تقف عليه في كتابه الشريف لهم، الواصل إليك طيه، المتضمن لتعجيلهم برد حركتهم لشريف الأعتاب وقدومها معك في أمان الله ورسوله، وأمان مولانا الشريف، وتعريفهم بأن تعطيل المؤونة عنهم الذي كان سبباً لفرار حركتهم، لما تحقق به مولانا أيده الله، علم أن الحق في الأمناء المكلفين بتفريق المؤونة عليهم».

«وقد عين سيدنا ـ أعزه الله ـ بدلهم من الأمناء، ليقوموا بتفريق المؤونة على كل من ورد منهم كل يوم بيومه، دون مماطلة ولا تأخير، فيأمرك ـ أعزه الله ـ أن تبالغ في وعظهم، وبيان ثواب النصيحة لهم، ووجوب الامتثال عليهم، وصدق الطاعة التي هي مظهر الإسلام والإيمان، وتجتهد في انقيادهم وجمع حركتهم حتى يوجهوها معك عاجلاً في الأمان، وعند تمام الغرض الشريف يوجههم سيدنا ـ أعزه الله ـ مأمونين مسرورين

(١) في١٧ صفر الخير ١٣٢١هـ. (المؤلف).

فائزين بالخير والرضى، وها سيدنا ـ أيده الله ـ في انتظار ما يظهر من قبلهم، فقف في ذلك وقوف الأحباء، وباشره مباشرة من طب لمن حب، وعلى المحبة والسلام. محمد المفضل بن محمد غريط لطف الله به»[1].

وثالثها: رسالة كتبها وزير الحربية إلى المترجم ـ أيضاً ـ هذا لفظها بعد الحمدلة والصلاة[2]:

«محبنا الأعز الأرضى، الشريف الأجل، الفقيه العلامة البركة، سيدي محمد الكتاني أمنك الله، وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله، وبعد؛ فقد وصل كتابك، مخبراً بجدك في السير لتيسير الغرض المولوي الذي توجهت إليه، وأن الله تعالى أنجى بسبب سفرك نحو المائة رقبة، وبتسيير عدد من «زمور» قدمتهم أمامك مشيراً بالكتب لأهل نزائل طريق سايس بالكف عمن يمر معها من زمور، وإلزامهم تأمين الطرق. . .إلخ ما ذكرت وصار بالبال».

«أما جدك في السير؛ فمعدود من خالص نصيحتك وخدمتك الأعتاب الشريفة، وأما ما أشرت إليه من الكتب لأهل النزائل؛ فقد كتب بذلك، وأمروا بالكف عن مد يدهم في المارين مع الطريق كائناً من كان. كما أمر عمالهم بزجرهم وتوبيخهم على ما صدر منهم قبل، فلتزد على يدك فيما أنت بصدده من قضاء الغرض الشريف، الذي توجهت لأجله وفق ما أمرت به، كما هو المعتقد فيك والمعهود من حزمك في مثل ذلك، أعانك الله وقواك، وعلى المحبة والسلام. المهدي بن العربي المنبهي وفقه الله[3]».

---

(١) في ١٧ صفر الخير عام ١٣٢١هـ. (المؤلف).

(٢) في ٢٠ صفر الخير عام ١٣٢١هـ. (المؤلف).

(٣) المهدي بن العربي المنبهي؛ وزير الحربية في عهد السلطان المولى عبدالعزيز، خرج لمحاربة أبي حمارة بعد ما كانا صديقين في السجن، اكتسب أموالا بطرق غير مشروعة، وتوفي بطنجة سنة ١٣٥٨هـ، «أعلام المغرب العربي» لابن منصور ج ٣٠٥/١ وما بعدها.

[محاربة المترجم لأطماع فرنسا في المغرب]:

ومن أهم الأحداث أيضاً: محاولة الحكومة الفرنسية احتلال المغرب في صورة إدخال إصلاحات إليه، فقام المترجم وقعد، وقابل السلطان ووزراءه شارحا لهم حقائق الأشياء، ومبينا الأخطار المحدقة بالمغرب من جراء ذلك.

قالت جريدة «السعادة» لسان السفارة الفرنسية بطنجة[1]: «إن السيد محمد بن عبدالكبير الكتاني قابل جلالة السلطان، وخوفه محذرا إياه من إدخال الإصلاحات بالأيالة، وقيد عقل مولانا بالزهد القولي».

(١) في عددها المؤرخ بيوم الاثنين ٢٩ من ذي الحجة ١٣٢٢. (المؤلف).

الحمد لله وحده — وصلى الله على من لا نبي بعده

الى صفي محبنا الفقيه الأجل العالم العلامة البحر الفهامة [illegible]
[illegible] حامل راية [illegible] بلا نزاع وسنامهم
[illegible] المرتضى سيدي محمد بن الشيخ الأبر [illegible]
عبد الكبير الكتاني وفقك الله ورعاك وأسلمك والسلام
عليك ورحمة الله تعالى وبركاته [illegible] رسول الله
صلى الله عليه وسلم أما بعد [illegible] الشريف أسعدهم
[illegible] ملك أفغان أراد أن [illegible]
[illegible]
[illegible] عند [illegible] السلطان أعزه الله و[illegible]
[illegible] على المحبة والسلام و[illegible] من جمادى
الأولى عام [illegible]

رسالة من مندوب الملك الأفغاني يطلب فيها ملاقاة المترجم بفاس

[أ - الحدود الجزائرية المغربية]:

ومن أهم الأحداث أيضاً: احتلال الجيش الفرنسي لعدة جهات بالحدود المغربية الجزائرية؛ بحجة أنها معدودة تاريخيا من أرض الجزائر، وقد ثار المترجم لهذا الحادث الجلل، وعده فاتحة الشر على المغرب. وقابل السلطان مرات وشرح له الوضعية الحقيقية للحدود.

وعلى إثر ذلك؛ وجهت فرنسا بعض سفرائها للسلطان، حاملا معه لائحة اشتملت على حجج واهية بررت بها موقفها الشنيع، كما اشتملت على تأكيد رغبتها في تطور المغرب بمعونة جلالته، وقد أطلع الوزير الأول المترجم على تلك اللائحة بأمر من السلطان، وطلب منه تحرير جواب عنها، فحرره بأسلوب شرف المغرب والمغاربة، وأغضب فرنسا والفرنسيين، واحتوى على خريطة حقيقية لتلك الحدود.

وقد نشرت جريدة «السعادة»[1] كلمة طويلة تحت عنوان: «كل فن يرجع فيه إلى أربابه»، كان شطرها الأول تمهيدا للهجوم على المترجم، وشطرها الثانيَ هجوما عنيفا بشكل استعماري مكشوف، وقد حبب إلي إثبات الشطر الثاني بحروفه، ليعلم منه نوع من الحملات التي كان الاستعمار الفرنسي يشنها على المترجم: قالت «السعادة»:

---

(١) في عددها المؤرخ بيوم الاثنين ٢٧ محرم ١٣٢٣ موافق ١٣ أبريل ١٩٠٥.

من آخر السنة [illegible]

المخشوش كله للبحر فيها اذا تيسر للعلماء فانه يستفاد منه [illegible]
من العود لمثله

وأما القوارب والمشون والخزاين [illegible] فلا بأس بها [illegible] الكبير غير [illegible]
لا بأس [illegible] والمراكب الموجودة اليوم كلها [illegible]

وأما التلغراف في البحر الذي شكلات فلا يتيسر ايقافها
بهذه الأمة وفي وقت إذا تحيل السلك [illegible] الى [illegible]
من دخوله لا [illegible] للأجانب وإذا انتشر ببلدنا مسلم
لأنهم يحرسونه غالبة بالمراكب فلينبغ لأرباب بلدنا حتى
لا يكون مدخوله بغير [illegible] حتى لا يحملوا بالمراكب [illegible]
[illegible] دار [illegible] على مسافر [illegible] كما نعلم من بلاد [illegible]
في جميع [illegible] الإسلام وأنوار الإسلام
[illegible] فلا يتيسر [illegible]
والله جل اسمه ولعل السلك هذا [illegible]
لم يكن ينبغي ان يتيسر به دولة [illegible] من [illegible] الإيالة
من مثل هذه الأمور [illegible] الحسنة

صورة من مؤلَّف للمترجم حول الحدود بين المغرب والجزائر (بخط يده)

«وقد وصلت صورة الحال ببعضهم، من علماء المغرب الأقصى، المنتمين للتصوف، المتظاهرين بالذكاء والرجاحة بين أقوامهم، أن أشار على الملك عبدالعزيز ـ أيده الله ـ بمعاكسة حكومة فرنسا، ومعارضتها فيما تطلبه من إقامة الإصلاح الواجب جعله في الظروف الحاضرة حسبما هو شائع معلوم، وأخيرا بلغنا أنه بعث لجلالة السلطان بكراسة مفعمة بترهات همومه، وخرافات منمقة، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، موضوعها: الجواب للائحة التي أتى بها سفير ونائب دولة الجمهورية: المسيو طاربي طياندي، أبان فيه ـ بزعمه ـ الحدود العتيقة الواقعة بين الدولتين المتآخيتين، وإن شئت قلت: المخترعة من عندياته، والتي تلقاها عن بعض البسطاء السذج من تابعيه سكان تلك النواحي، الذين اتخذوا الإرجاف[1] والاختلاق صناعة يقتاتون بها. . .».

«وليس العجب من السيد محمد بن عبدالكبير الكتاني أن قال ذلك وأشار به على جانب الملك، إذ طالما سمعنا عنه من ألسن أبناء جلدته، حكايات هي أشنع وأفظع، بل العجب من تدخله في سائر القضايا والشؤون، سواء كانت علمية أو سياسية داخلية أو خارجية، فتراه يدعي الإحاطة في كل شيء، والإحاطة لله وحده. على أننا لو سلمنا له في المشيخة التي يدعيها لذاته الشخصية، لما أنكرنا أنها فوضى لا وازع لها، شأن أشياء كثيرة بالمغرب، فليس من سبيل إلى الإذعان والتسليم له في السياسة، وقد قام ينتحلها ظنا منه أن لا رجال لها يذودون عن حياضها، وقديما قيل: كل فن يرجع فيه إلى أربابه، فلو أن هذا الشيخ كان من أرباب الفن ـ الذي هو: فن السياسة ـ ومن رجال العلم الواقفين على أحوال العالم السياسي، الناظرين لاستدارة رحاه، وعاين من سلطانه ورجال حكومته ما ينافي المصلحة الوطنية في هذه القضية؛ لا ريب كان له الحق في خوضه عباب هذا القاموس المحيط، وما أبداه من الإرعاد والإبراق على رجال الحل والعقد، بمرأى ومسمع من زملائه الذين ساووه في الرتبة والشرف،

---

(١) الإرجاف: هو الخوض في الأخبار السيئة.

وسبقوه إلى العلم. لكن حيث لم يتروّ في النازلة ولم يقبل ما أشير به عليه من المطابقة بين ما سجله، والمعاهدات المبرمة بين الحكومتين وبقية الدول، سياسية أو تجارية، كنا أول المخطئين له، المصوبين نحوه سهام الانتقاد كما هو الواجب في حق كل صحافي صادق غيور».

«وأعجب مما قبله: رسمه «خريطة هوائية»[1]؛ حيث إنها مبنية على غير علم وأساس، قدمها لحضرة السلطان إظهارا للحدود التي أوحت إليه بها مخيلته الشريفة، أو علمها بطريق الكشف كما بلغنا كل ذلك حبا في الشهرة والصيت، وتطرقا للدار من غير بابها، فلتضحك السماء ولتبك الأرض، هذه عجالة كتبناها تمهيدا لما يأتي في المستقبل، وكل آت قريب».

[ب - مؤتمر الجزيرة الخضراء]:

ومنها: مؤتمر الجزيرة الخضراء، وكانت فكرة انعقاده من وحي الحكومة المغربية، ولما طرقت سمع المترجم؛ بادر إلى مقابلة السلطان وحكومته، ملحا في عقده بفاس بدلا من غيرها من بلاد أوربا للإشراف عليه، وتوجيه الأعضاء المغاربة الوجهة السديدة، ولما لم ينجح في هذا المسعى؛ اقترح أن يكون ممثلو المغرب من ذوي الغيرة على دينهم ووطنهم، والكفاءة في ميدان السياسة والمعرفة، وذكر أسماء شخصيات هامة؛ من بينها: تلميذه باشا سلا ـ إذ ذاك ـ أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد السلاوي رحمه الله، ولكن مساعيه ذهبت أدراج الرياح، ووقع الاختيار على أعضاء لم يكن راضيا عن جلهم...[2].

وتم عقد المؤتمر بالجزيرة الخضراء سنة **١٣٢٤** موافق **١٩٠٦**، وانتهى بتأكيد حق التدخل في شؤون المغرب للدول المجتمعة فيه.

---

(١) توجد هذه الخريطة بالمكتبة المهدية الكتانية بسلا، وتوجد بمكتبتي الباقرية نسخة فوتوغرافية منها. (المؤلف).

(٢) انظر أسماء الأعضاء الآخرين في مظاهر يقظة المغرب الحديث ٢/١٩٩- ٢٠٠.

وآخر مسعى قام به في هذا الباب حينما بلغته مقرراته: أن قابل الجناب العزيزي، طالبا منه عدم الموافقة عليها، وكان الوفد المغربي تُرك له حق الموافقة أو عدمها، ولولا دعاة الشر؛ لنجح في ذلك.

وقد توالت الأحداث المهمة في العهد العزيزي، وكان للمترجم مواقف مشهودة في كل حدث منها، ولولا معاكسة بعض الوزراء له في كل مواقفه الوطنية؛ لنجا المغرب من الاستعمار والاستغلال، ولبقي محافظا على استقلاله الكامل وتعاليمه الإسلامية السامية، ولما توالت عليه البلايا أثناء عهد الحماية المشئوم، ولما قتل منه الملايين في سبيل الدفاع عن العلم الفرنسي المثلث الألوان في الحرب العظمى، وفي الحرب العالمية، ولما وجدت اللادينية والإباحية والشيوعية والصهيونية منفذا تنفذ منه إليه... فإنا لله وإنا إليه راجعون.

على المرء أن يسعى ويعمل جهده وليس عليه أن تتم الرغائب[1]

[ج - بدء فرنسا في احتلال المغرب]:

غير أن آخر حدث أقامه وأقعده، وجعله يعمل ليل نهار في النضال والكفاح؛ هو: شروع الجيوش الفرنسية في احتلال المغرب من الدار البيضاء ووجدة، على إثر مقتل الطبيب: موشان، الفرنسي بمراكش، الذي رفع راية بلاده فوق منزله، فثار عليه جمع من المراكشيين فقتلوه، وعلى إثر قلب قطار حديدي بالشاوية كان يحمل الأنقاض اللازمة لبناء مرفأ مرسى الدار البيضاء من طرف شركة فرنسية، فمات من جراء ذلك عملة أجانب.

وقد تحدثت الصحف الغربية بالمغرب وغيره، وكذلك الأجنبية بعدة عواصم أوربية، على أعماله في هذا الباب بما لو جمع لخرج في مجلد.

---

(١) أورد المقري في «النفح» ٢/٦٥٩ بيتا شعريا في نفس هذا المعنى منسوبا إلى أبي ركوة المقتول سنة ٣٩٩هـ حيث يقول فيه:

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه وليس عليه أن يساعده الدهر

ويكفي أن أذكر هنا: نصاً واحداً من جريدة «السعادة»[1] تحت عنوان: «مجلس العلماء والأعيان والوزراء بدار المخزن». ونصه:

«عندما بلغت حوادث الدار البيضاء جناب المخزن السعيد بفاس، أمرت الحضرة الشريفة ـ أعزها الله ـ وزراءها أن تجتمع مع العلماء والأعيان ليشرح وزير الخارجية كيفية وقوع الحادثة، وسبب احتلال الدار البيضاء، فاجتمع الجمع الشريف بدار المخزن، وجاء علماء فاس يتقدمهم الجهبذ العلامة الفقيه السيد محمد بن عبدالكبير الكتاني؛ المشهور ببلاغته وفصاحته، والفقيه الأمثل ابن القرشي[2]، والفقيه القاضي الهواري[3]، والفقيه ابن الخياط، والفقيه الأمثل الشريف المهدي الوزاني[4]، والفقيه ماني الصنهاجي[5]، والفقيه العباس التازي[6]...وكلهم من الذين يشار إليهم بالبنان، يوم طوارئ الحدثان».

«فلما اكتمل الجمع وانتظم عقده، وقف الفقيه الأرضى الوزير السيد عبدالكريم ابن سليمان[7]؛ وزير الخارجية، وقرأ تقريراً مسهباً، بين فيه

(١) في عددها المؤرخ بيوم السبت ٨ رجب عام ١٣٢٥، موافق ١٧ أوت عام ١٩٠٧ (المؤلف).

(٢) العلامة الإمام المشارك الحافظ عبدالرحمن بن القرشي تول القضاء مرتين بفاس، ثم أصبح رئيسا للاستيناف الشرعي بالرباط، اعتكف على العبادة أواخر عمره إلى أن لقي ربه سنة ١٣٥٨هـ.

(٣) العلامة المشارك المدرس القاضي محمد بن عبدالسلام الهواري توفي سنة ١٣٥٦هـ، «إتحاف المطالع» ٤٧٨/٢.

(٤) المهدي الوزاني: الفقيه العلامة المشارك المطلع له عدة مؤلفات، توفي سنة ١٣٤٢هـ، «إتحاف المطالع» ٤٣٥/٢.

(٥) محمد بن محمد المفضل الصنهاجي؛ المدعو: ماني. العلامة المشارك النوازلي، ألف عدة مؤلفات، وتوفي سنة ١٣٣٣هـ، «إتحاف المطالع» ٤١٠/٢.

(٦) العباس بن أحمد التازي: الحافظ الحجة المفتي المدرس، توفي سنة ١٣٣٧هـ، «إتحاف المطالع» ٤٢٣/٢.

(٧) عبدالكريم بن محمد بن سليمان، المشارك المطلع، توفي سنة ١٣٢٦هـ، «إتحاف المطالع» ٣٧٨/١.

الأسباب التي دعت الدولة الفرنساوية لاحتلال وجدة، وأن ذلك الاحتلال هو ضمانة للحصول على حقوق متأخرة للدولة المشار إليها في جانب المخزن، ويرتفع عند الوصول إلى تلك الحقوق. ثم تطرق إلى حادثة الدار البيضاء؛ فشرح الهمجية التي بادر العرب بها العملة الفرنسيس، والكيفية الفظيعة التي قتلوهم بها، وكيف أن أولئك القبائل أغاروا على الدار البيضاء ونهبوها، وقتلوا من قتلوا وفعلوا المنكر حتى تغلبوا على قوات المخزن، وباتت الأجانب في خطر منهم، وصادف وجود مركب الفرنسيس؛ فاقتضى نظر مولاي الأمين وقنصل دولة فرنسا إنزال الجنود لحماية الأجانب، ونزلت الجنود وتوالت الحوادث، ووقع الاحتلال. وكان وزير الخارجية يفصل ذلك للجمع تفصيلا مسهبا، غير تارك من البيان شيئا، إلى أن قال: «وهذا الاحتلال هو عبارة عن قوة عند الضعف، لردع العرب عن خراب المدينة، ولأجل المساعدة على تشكيل البوليس، وقد اقتضى نظر الحضرة الشريفة أن نبلغكم ذلك لتطلعوا الأمة عليه، وتطمئنوا الأفكار إليه»».

«ولا غرو أن القارئ اللبيب، بعد اطلاعه على هذه الديباجة، يتبادر لذهنه أن العلماء الذين كانوا في ذلك الجمع، قد أخذتهم الغيرة الوطنية على مقابلة تصريح الوزير بالحكمة والنصائح العاقلة، ولكن؛ يا للأسف قد كان جواب بعضهم - خصوصا سيادة الشيخ الكتاني - لا يوافق مصلحة البلاد، ولو كان غير الكتاني المتكلم لعذر على غلطه، لأن الشيخ من الذين لا يعذرون على هفوة سياسية بعد أن جمع في صدره شتات المعارف، وجاب الآفاق، ودرس أحوال الأمم، وتبينت لديه قوتها، ووقف على شروط المعاهدات الدولية، فكيف يصح له أن يطلب أن تسمح الدول للمغرب الأقصى بأجل خمسة عشر عاما حتى يتمكن بها من الاستعداد لقبول الإصلاح[1] مع أن المغرب الأقصى هو الذي طلب المؤتمر، أيصح لدى الشيخ أن تبقى الرعية على هذا الحال خمسة عشر عاما؟».

---

(١) صوابه، حتى يتمكن من القيام بالإصلاح المنشود، وذلك بمعونة الدول الإسلامية المستقلة، كما في شروط البيعة الحفيظية. (المؤلف).

«ولولا مراعاة كرامة سيادة الشيخ؛ لذكرنا من مقاله فقرات، يندهش لها العاقل، وإن يكن الفقيه الصنهاجي قد وافق عليها، أما باقي العلماء فلم يندفعوا في الخطاب، ولم يجاوزوا حد السكوت!».

«ومما اتصل بنا من فاس: أن الجلسة قد رفعت ولم تحصل منها فائدة، غير ما عزمت الوزارة على فعله مما نجهله حتى الآن».

[دعوة المترجم أتباعه للجهاد ضد فرنسا]:

ولما رأى أن الحكومة المغربية لم تجند الجنود، ولم تخض المعركة الكبرى للدفاع عن المغرب؛ كتب لتلامذته وإخوانه بقبيلة الشاوية يدعوهم إلى الجهاد، ويذكر لهم ما ورد في فضل الشهداء في سبيل الله، فأجابوه إلى ذلك، وشنوها حربا شعواء على الجيش الفرنسي المحتل، استرسلت خمسة أعوام، كان أثناءها يواصل الكتابة إليهم ملهبا جذوة النشاط في صدورهم، وموقدا فيهم حمية الغيرة على دينهم ووطنهم.

وفيما يلي فقرات من رسالة له في الموضوع، مشتملة على أربع صفحات، لتهنئة قبائل الشاوية في مقابلتها العدو بما أعده الله سبحانه لها، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، من رباطها في مقابلة العدو ومحاصرتها له خوف أن ينتشر في أرض المغرب، ودفاعها عن أوطانها وحرمها ومالها وأولادها.

وجاء فيها أيضاً: «ولو لم يكن في فعلكم إلا أنكم أحييتم فريضة الرباط في سبيل الله؛ لكان لكم الثناء الحسن والذكر الجميل، والمحمدة والعز ولسان صدق في الآخرين، فكيف وقد أحييتم فريضة الجهاد الذي لا يقوم الدين إلا به، وما صلح أمر أول الأمة إلا به، ولا يصلح آخرها إلا به؟!».

الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

أدام الله سعادة السيد الشريف الأجل البركة الأمثل الشيخ المرابط سيدي
محمد بن الشيخ البركة سيدي عبد الكبير الكتاني وسلام على أخوتكم الخالصة ومحبتكم
الصادقة والرحمة والبركة عن خير خلق الله المجاهد في سبيل الله وبعد
وصل كتابك العزيز الجامع لشأن محصول التنبيه والإرشاد والنصح
للعباد وبمضمونه أنك بعد التأمل وفق إشارتك بجوزيتي خيرا ونورك
لك ومنك وبلا شك شعرنا في [illegible] محبتك وحسن سياستك وتدبيرك
تبارك الله فلقد رضيت الله ورسوله عليه السلام و[illegible] من الشرور
[illegible] وخصت ما علمه الله [illegible] تأخرت به من تكالب العدو على المسلمين
وتسويد وضعف جميع إخواننا وتشتتهم وفاضت الدموع من أعيننا و[illegible]
الحدود جرت والأرض اشتعلت ونحن بفضل الله سبحانه أن يؤيد عباده
المؤمنين بنصره فإنه أقوى القائلين وكان حقا علينا نصر المؤمنين
وأما الحروب المشار لها التي من قبل العدو في الحدود الجزائرية وغيرها
فقد أقلقنا أمرها [illegible] بما هنالك [illegible] جميع
الإشارات مع الجلالة الكريمة [illegible] الخليفة [illegible]
والسلالة الزكية المصطفوية الهاشمية [illegible]
[illegible] بعد [illegible] في ذلك [illegible] الأحوال [illegible]
[illegible] من كل جهة [illegible]
الأقطار الشرقية [illegible] على ما ورد [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

رسالة من إدريس العراقي للمترجم بخصوص الأوضاع العسكرية بالبلاد

وقد علمنا ما أتى به من أفعال من يتشبهون بملوك [illegible] لم يكن إلا أن نكل بالجناح لبعضنا [illegible] ولا يغيب هذا التطاول

العجيب من ضررهم لأهل البلاد [illegible] لبعض المذنبين [illegible] الله [illegible] وتعففنا عن [illegible]

ليس إلا حتى عفونا وأمهلنا ولما علموا أنهم ليسوا على شيء وأنهم من الذين حاربوا الله ورسوله [illegible] وسيلة في إجراء [illegible]

والعفو عنهم بعد اعترافهم بجرمهم [illegible] العلماء وأمنوا [illegible] ومكنا [illegible]

فصار [illegible] العفو [illegible] الأشرار حتى [illegible]

التنكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله [illegible] وجعلنا [illegible]

والنصيحة [illegible]

[illegible] جميع الأحوال [illegible]

[illegible] والله [illegible]

[illegible] في [illegible] ٢٥ [illegible] ١٢٩٤

[illegible]

وجاء فيها أيضاً: «وقد تعجب الخلائق من صبركم، وثباتكم، وقالوا: إنما كان هذا الصبر على عهد الصحابة الكرام، وتحقق الناس زيادة المدد المحمدي وفيوضه، وعنايته ببيضة أمته، وحفظه لهم ورعايته لهم، على ما كانوا عليه من عمل وإن أساءوا وفرطوا وعصوا، ووقع لهم الفتور في الأوامر والنواهي، ولكن ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦]».

وجاء فيها أيضاً: «فاجتهدوا في الأذان ولو مائة مؤذن في جيش المسلمين، وقراءة أحزاب القرءان، ويترتب أقوام يذكرون اللطيف الكبير كل يوم، وآخرون يذكرونه كل ليلة، والحسبلة يترتب لها أقوام آخرون يذكرونها على عدد اللطيف الكبير. ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣ ـ ١٧٥]».

«وحافظوا على الصلوات الخمس في أوقاتها مع الجماعة، ولو في حالة القتال. وتعلموا صلاة الخوف المشار إليها بقول الله العظيم: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢]، وقال سبحانه: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]، وإذا هجمتم؛ فلتصيحوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، حسبنا الله ونعم الوكيل، ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾. [محمد: ٣٥]».

❋ ❋ ❋

الحمد لله

سعادة الصدر الكريم العزيز الخطير السري الأجل الماجد

الأنبل سيدي المدني المزواري أسعدك الله سعادة الأبد وأبقاك

في نفع العباد آمين عن خير كمال التعظيم أما بعد فإن مولانا

الوالد لم يقبل عذر [illegible] قبيلة البهاليل و[illegible] على سعادة

تلك الأيام عقب [illegible] وقوع الكدرة [illegible] الكاتب

لكن لا يعجل وقد أرسل لنا بالأمس يطلب أن نعلمه لمن [illegible]

أسماء [illegible] دارنا [illegible] يكونوا [illegible] أو جابر الجديد

أو يكونوا [illegible] [illegible] كما نحب من أخذهم

[illegible] ضرب دارنا ليكون سببا لصلحنا فقد

[illegible] الحاجة [illegible] الله [illegible] وعد النصيحة

والسلام [illegible] محمد الكتاني

رسالة من المترجم (بخط يده) إلى الوزير المدني الجلاوي المزواري في شأن الصلح مع قبائل البهاليل المحترمين بالزاوية الكتانية

رسالة من القائد عبدالله ابن سعيد السلوي للمترجم بخصوص نوايا فرنسا تجاه المغرب واقتراحه حلولاً تجاهها

عمالته واوامره اذ ذاك يقع على المسلمين مداومة ولكن [illegible] عبرنا مكرها من قبل المسلمين [illegible] منهم
لا يمتنع احد وكذلك انكم سمعتم بالاتفاق الذي وقع بين الانجليز والفرنسيس فيما يتعلق باخبار المغرب و
مصر وهو ان الانجليز [illegible] للفرنسيس [illegible] المغرب [illegible] هذا وان استعمل على الاستيلاء [illegible]
كالتي [illegible] في المطالب للسلطان [illegible] لان الانجليز [illegible] يطلب من المخزن ما يقابله على مقتضى
الشرط [illegible] واما الاصبنيول فانه لم يسلم للفرنسيس في حقوقه في المغرب المبنية على المعاهدات [illegible]
[illegible] بجانب المغرب [illegible] الاحتيار على ذلك وان الحال الان ما معنا الفرنسيس
والاصبنيول على احترام استقلال مملكة المغرب وعدم [illegible] والعلو جميعا بوجه رسمي
ليس فيه شك بل انما هذا اتفقا على [illegible] الالتزام الكلي باحترام مملكة المغرب واحترام السلطنة الفلانية
به واذا حصل امر مما على [illegible] فللفرنسيس ان يطلب ما يقابله [illegible] ما ذكر [illegible] ومن
الافراد الالتزام بالعهود وعدم استعماله بوجه [illegible] ولم يبق بين الفرنسيس الا استعمال [illegible]
والحيل والمكر [illegible] يعمل على الاستيلاء [illegible]
عندنا ثم انه والايام [illegible] يعظم امرها ويصعب [illegible] لما وقع في ذلك في تونس ومصر حتى الان
[illegible] على المسلمين [illegible] ما ذكر وذلك نكتة [illegible] الخديعة والمكر [illegible]
ماذا نعرف على جنابه بعض [illegible] ان هذا الحال [illegible] من شبكات الخديعة
والمكر [illegible] انهم لا يعرفون الله [illegible] اللهم [illegible] للفرنسيس
[illegible] راجعة بالكتاب والسنة والعقل ولذلك نطلب الله [illegible]
بجمع العلائق [illegible] عليه مطالب الفرنسيس كتابة بعد النظر فيها [illegible] بخصوص
منه [illegible] مصلحة المسلمين [illegible] بالتي هي احسن [illegible]
[illegible] الفرنسيس [illegible] جميع مطالبه [illegible] ولا يقبل [illegible] ابدا ابدا ابدا
[illegible] كتابة [illegible] الاحتراز [illegible] من الخوض مع نائب
الفرنسيس فيما يتعلق به مع الانجليز او مع الاصبنيول بل انما [illegible] نائب الفرنسيس مع المخزن في هذا
الموضوع وذكر الاتفاق الذي وقع بينه وبين الجنسين المذكورين [illegible] بهذه الكلمات بعينها على اللسان
[illegible] اعلام [illegible] الدولة الفرنسوية [illegible] الانجليز
او مع الاصبنيول [illegible] المخزن ان يدخل في هذا الاتفاق [illegible] كما طلبت
منه [illegible] الموافقة عليه لهذا الاتفاق [illegible] المغرم [illegible]
وعليه فالمخزن لا ينظر اليه ولا يقبله ولا يعترف [illegible] وانما الذي يلزم المخزن [illegible]
[illegible] عليه [illegible] هذا الاتفاق [illegible] للشرع [illegible]
[illegible] واجب [illegible]
[illegible]

تتمة رسالة القائد ابن سعيد للمترجم بخصوص نوايا فرنسا تجاه المغرب

بسم الله الرحمن الرحيم والسلام على الرؤوف الرحيم وعلى آله وصحبه

الى سيدنا ومولاي الوالد [illegible] من أمر الله سبحانه به النسبة النبوية وأهل العلم
وأهل [illegible] وأهل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] السلام عليكم [illegible] والبركات [illegible]
وعن الله سبحانه [illegible] قبيلة زمور [illegible]
على [illegible] كثيرا [illegible]
[illegible] كثيرا [illegible] والنفس [illegible]
البادية [illegible] القبائل [illegible]
[illegible] الناس [illegible]
[illegible]
[illegible] والحمد لله [illegible] عليه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] العرب [illegible]
هذا [illegible] وحسبنا الله ونعم الوكيل [illegible]
سبحانه [illegible]
والسلام [illegible]

رسالة بخط المترجم إلى والده الشيخ أبي المكارم في شأن إخماده لفتنة كبرى كادت تقع بين قبائل (زمّور)

لا تشعرون بالعناء

ومقصودها انه بعث

من يتكلم بما شئتم ليس من الناس

لا بل قبلكم دون يتكلم ويتوقاه

كلام ليس

فضيعة انه لا يكفيه به شرح

عن القضية ومدارس وشاملة فيها من الاسرار

شئون لا انه هاجنا ومثله كالحسنى ومن بعد العاشر

والحسن والجديد احمد [illegible] نبان وتم الخلاف

[illegible] الذكر حسب الحال احمد [illegible] وكذا ابتدا

ولعل [illegible] انشاء التوصل مع زملائي بمكة سنة الزيتون

نلح الى [illegible] ومن وصيت مكانتي من [illegible] لجنابكم الكريم ونحن اهل [illegible]

[illegible] منه [illegible] ويترتب عليه القضية للملك مع [illegible] الثلاثة

[illegible] وصعوا [illegible] عن [illegible] احوجنا ان نعمل بعده الحامل ابقاه ويعيد

السلام على الوالي ولعل الدارس وسلم بيد الحس واهل الزاوية

والسلام

محمد الكتاني حمد التيجاني [illegible]

وتقبلوا الاحترام

والسلام عليكم عبدكم [illegible]

الحمد لله وحده — وصلى الله على مولانا محمد وآله

سيدنا ومحبنا وأعز الناس عندي بعد الوالدين والمعلم الفقيه الموقر الأجل
عبد الله سيدنا الشيخ ابن ولد سيدي محمد الركناني رعاك الله وأدام نعمه
عباد الله الصمد ديلاي وسلام على سلطة المجاهد ورحمة الله عز وجل يا سيدي ومولاي أعزك
وبعد فقد ورد إلي كتابك الأول والثاني وفهمت ما في مضمنهما وأما فعلهم
ونعمت والحمد لله على ... ما ذكرته ... وكل من له رغبة
أن فيها ... من فضل الله ... بالحزم والعزم والشدة
والتيقظ من المعسكر ... غير أنه ... جميع
في عمارة الملك والأمن ... فلم يجمع الله لهم كلمة وكل
... وأحضر الأعمال ... بعضهم وكلهم
... كل من ... منهم ... والطلوع من السماء
... والخيل ... والفرسان ... ولجميعهم سبيل
... على بعض الكرام على ...
... والسلام في ٢٤ جمادى
عام ...

[signature] ... الله

رسالة من القائد بنعيس ابن حم في شأن جيوش الأعداء وأحواهم

ولم يغفل - قدس سره - عن توجيه نداء إلى عموم المسلمين يعيب عليهم فيه عدم إعانة إخوانهم مجاهدي الشاوية، ويدعوهم إلى الائتلاف والاتحاد، والقيام بفريضة الجهاد؛ قال فيه بعد البسملة والصلاة:

«من محمد بن الشيخ عبدالكبير الكتاني إلى كافة إخواننا في دين الله وشريعة مولانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله. سلام الله تعالى عليكم ورحمته وبركاته وتحياته ومغفرته...».

«أما بعد؛ فيا معشر المسلمين، كيف بكم سمعتم منذ مدة أن العدو فاجأ الدار البيضاء، وحاصره المسلمون حقاً وصدقاً، الأبطال الموحدون الشجعان، الناصرون لله تعالى ولرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله، المرابطون في نصرة الدين، القائمون بأنفسهم وأموالهم ورجلهم وخيلهم لقتال أعداء الله تعالى وأعداء رسوله، ومدافعتهم عن بلاد المسلمين؛ فلم تعينوهم ولم تأتوهم ولم تفرضوا لهم فرضاً من عندكم؟!!، مع أنكم - أيضاً - شجعان، وفرسان موحدون أهل مال وقوة ونجدة وإقدام، وغيرة على الدين، وعلى جاه مولانا رسول الله ﷺ وعلى آله أن لا يزيلوه...».

«فلم يكن إلا كلمح البصر أو أقرب حتى أغار - أيضاً - على «بني زناتن»، و«عوينة سيدي ملوك»، و«مديونة»...مع فجئه - قبل - مدينة وجدة، وجاء من خدعكم بالدنيا الفانية، التي أفسدت الدين والملك والمروءة والشرف والرياسة، وأورثت بلاد المسلمين للكافرين، فذهبت أحزاب منكم إليه، وما كنا نظن إلا أنكم عقدتم الأخوة الدينية، وتطاعمتم، وصرتم كالذات الواحدة مع جيرانكم المسلمين، كأهل زمور والشراردة، وأهل الغرب واشراكة وأولاد جامع، واتفقتم على كلمة واحدة، لا رجوع فيها ولا نقض ولا تبديل ولا تغيير، حتى تموتوا عليها؛ وهي: أنكم مسلمون، مؤمنون بالله تعالى، موحدون، كما أن آباءكم وأجدادكم كذلك، وأنكم لا تميلون مع الكفر، ولا مع من يحب الكفر ولا تعينونهم، ولا تجتمعون معهم، ولا تساكنونهم، ولا تطاعمونهم، ولا تزوجونهم، ولا تتزوجون منهم، ولا تمشون معهم في الأسفار، ولا تغرنكم الدنيا بزخارفها؛ فإن الدنيا إن لم تتركوها لغيركم يأخذها ويتمتع بها؛ تنقض هي وتترككم».

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

رسالة من الأمير عبدالمالك بن عبدالقادر الجزائري للشيخ عبدالحي الكتاني

تصور أوضاع البلاد في بدايات البيعة الحفيظية

«فتمسكوا بدينكم، واعلموا أنه لا حمى إلا لله تعالى ولرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، وانسبوا أنفسكم للرباط في سبيل الله تعالى، فبذلك يغفر لكم ما قدمتم وما أخرتم من الذنوب، وما أسررتم وما أعلنتم، وما بينكم وبين ربكم وما بينكم وبين عبيده».

«وقد ورد في فضل الرباط في سبيل الله تعالى، وتحصين الثغور وإعانة المجاهدين والذب عن بلاد المسلمين والمدافعة عنهم، وتكثير سوادهم وحماية بيضة الإسلام ونصرة أهله وإعزازهم وكسر شوكة الكافرين وإهانتهم وإذلالهم؛ أحاديث كثيرة وأخبار شهيرة...».

وبعد أن ساق جملة منها؛ قال: «فعليكم إخواني بحراسة إخوانكم المسلمين، وحماية المستضعفين من المؤمنين، والمدافعة عن بلادهم، وإعانة جماعة المجاهدين ومواساتهم؛ تسعدوا سعادة أبدية، وتحوزوا سيادة سرمدية، وتفوزوا بخير الدنيا والآخرة. وفقكم الله وأعانكم، ولخير الدارين أنالكم، بفضله وكرمه، إنه سميع مجيب...آمين».

وهناك أحداث أخرى هامة كانت له فيها مواقف مشهورة، تعلم من الشطر الثاني في هذا الوصل.

[دعوة المترجم للإصلاح العسكري]:

أما آراؤه الإصلاحية وأفكاره النيرة التي كان يبديها للسلطان مولاي عبدالعزيز وأعضاء وزارته؛ فيحتاج بسطها إلى عدة كراريس. وناهيك منها بفكرة إحداث جيش مغربي عتيد، على الشكل الموجود بدول أوربا إذ ذاك، وجلب خبراء عسكريين من البلاد الإسلامية المستقلة؛ كآل عثمان، لتدريبه وتنظيمه وتزويده بأجود الآلات الحديثة.

وزاد؛ فطلب فرض التجنيد الإجباري على كل مسلم بالغرب، وعرض طريقته الكتانية ـ وهو على رأسها ـ للانخراط في سلكه، محييا بذلك عهود الأنبياء والمرسلين، والخلفاء الراشدين، والأيمة المصلحين، والزعماء المجددين؛ بل شرع يهيئ مريديه بالمدن المغربية لهاته الغاية السامية،

ويخرج بهم إلى البساتين قصد تعليمهم الرماية كما نشرت ذلك الصحف العربية. وأعلن عن استعداد الأمة المغربية للتبرع بالمال الكافي لذلك إذا خلصت النيات وتوحدت الجهود، وشرعت الحكومة في العمل... ولكن بعض وزراء السوء كان يقف دائما حجر عثرة في سبيل الإصلاح والمصلحين، ممهدا السبيل لنصب الحماية على المغرب.

وسأفصل في غير هذا الكتاب، ما أجملته هنا روما للاختصار. وأثبت جملة أخرى من الوثائق والمستندات التي ترفع رأس المغرب عاليا، وتضعه في صف المكافحين والمناضلين. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

❋ ❋ ❋

[الدعوة الحفيظية]

هذه نظرة إجمالية عن نشاطه الوطني في العهد العزيزي. أما نشاطه الوطني في العهد الحفيظي؛ فيحتاج بسطه إلى مجلد، غير أني سأحاول أن ألقي عليه نظرة إجمالية - أيضاً - خدمة للحقيقة والتاريخ.

اندهش المسلمون كلهم حينما رأوا حكومة السلطان مولاي عبدالعزيز أحجمت كل الإحجام عن الدفاع عن وجدة والبيضاء، وتركت الجيش الفرنسي يواصل عمليات الاحتلال بقبيلة الشاوية. وقد استغل هذا الاندهاش المولى عبدالحفيظ - خليفة مولاي عبدالعزيز بمراكش الحمراء - استغلالا كبيرا؛ فأعلن لأهل مراكش ونواحيها عن استعداده للدفاع عن البلاد، وإنقاذها من وهدة الاستعمار والاستعباد.

نسخة من رسالة المولى عبدالحفيظ للمترجم يدعوه فيها لبيعته

[رسالة من المولى عبدالحفيظ يخطب فيها ود الشيخ أبي الفيض]:

فبادروا إلى خلع أخيه مولاي عبدالعزيز وتوليته مكانه[1]، وبمجرد ما تم ذلك؛ كتب الملك الجديد إلى المترجم الرسالة الآتية، بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير، داخله: عبدالحفيظ بن الحسن بن محمد؛ الله وليه ومولاه:

«الشيخ الأجل العارف بالله تعالى، الولي الكامل الشريف البركة الخير السيد محمد بن الشيخ عبدالكبير الكتاني، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته...».

«وبعد؛ فغير خفي ما حدث بوجدة من مفاجأة العدو لها، وأخذها على غرة، فاتخذ أمرها هزؤا ولعبا وتهتكا وتهكما وسخرية، ولم يجد أهلها ناصرا ولا معينا، ثم لم يكن إلا كلمح البصر، حتى عمد - أيضاً - إلى الدار البيضاء - التي هي أعظم الثغور بأرض المغرب، ومركز البلاد ووسطها - وأخرج أهلها منها، واستولى عليها، ووجه عددا من الفلاكيط[2] إلى جميع المراسي بقصد الهجوم عليها كذلك...».

«وذلك حيث علم العدو عجز من يقوم بأمر المسلمين وركونه إلى الدعة، وترك ما طوقه من الدفاع عن المسلمين وثغورهم، وشاع وذاع أنه بصدد الحلول بفاس ومراكش.. لا قدر الله ذلك».

«وحيث كان هذا الأمر الهائل الذي تبكي عليه العيون دما، وازدادت به النفوس مرضا وألما، وعلم جميع المسلمين ما يصير الله أمر أنفسهم[3] وأموالهم وبلادهم؛ جالت أفكارهم، وخاضت عقولهم وأبصارهم، فيمن يقدمون لهذا المنصب الأعظم، ويسلك به فيهم السبيل الأقوم، بعد إجماع علماء هذه الحاضرة المراكشية على خلع ربقة بيعة الأول من أعناق هذه

---

(١) وذلك يوم الجمعة ٦ رجب سنة ١٣٢٥هـ (المؤلف).

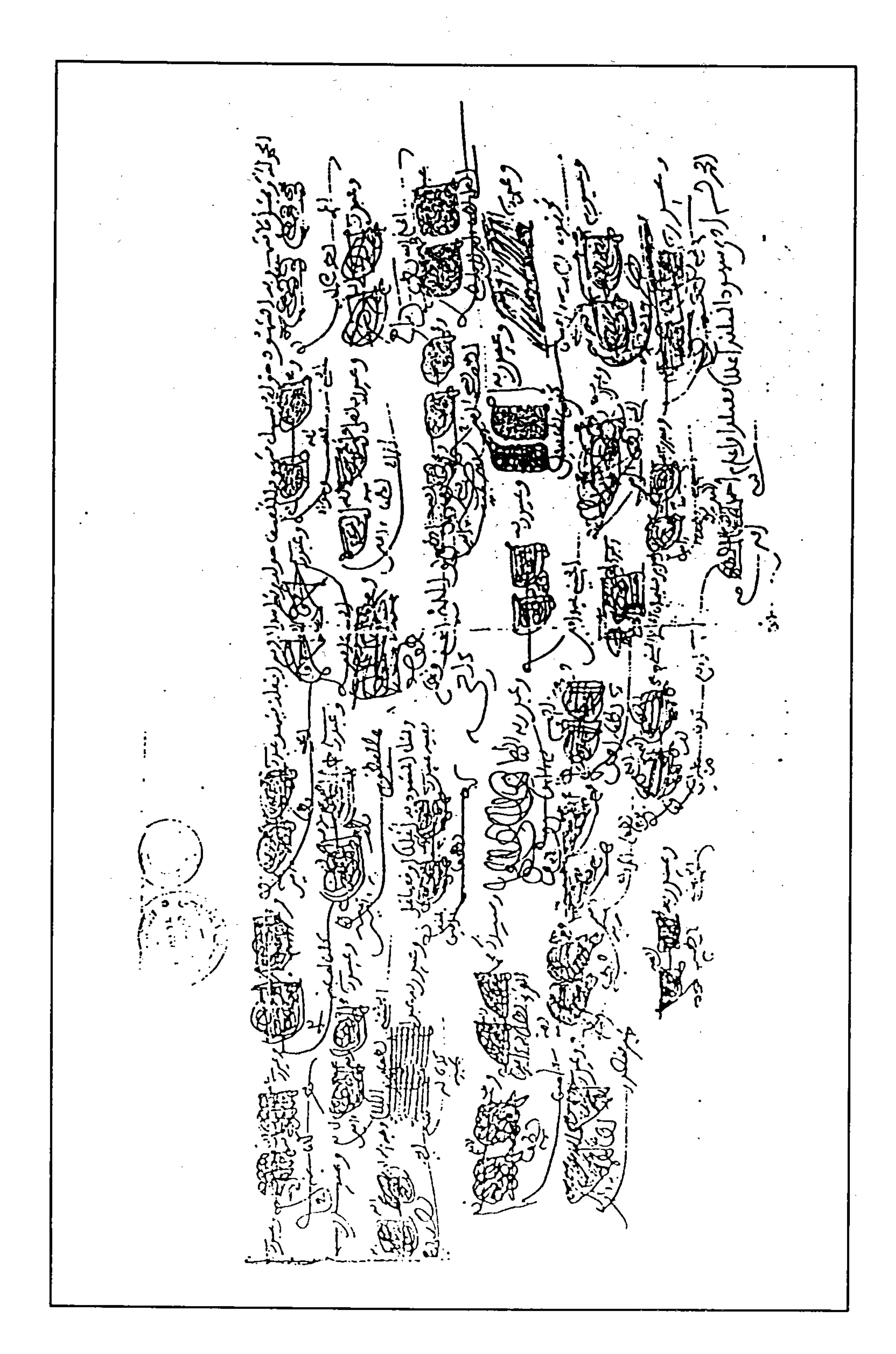
(٢) الفلاكيط: تحريف من الفرقطة والمراد بها الفرقة البحرية.

(٣) كذا في الأصل.

الأمة المحمدية، فهداهم الله للتوفيق والتسديد، والرأي الصالح السديد، فانعقد الإجماع من هذه الحاضرة المراكشية وما حولها من البقاع، على تقديمنا وأمانتنا، والدخول تحت طاعتنا، للنظر في مصالح المسلمين، والدفاع عنهم، وإخراج العدو من ثغور المسلمين».

مصورة عرائض فاس ضد سياسة السلطان العزيز
من كتاب «مظاهر يقظة المغرب الحديث»

29 - صورة فتوى علماء فاس في النازلة العزيزية.





«فلم نجد بداً من مساعدتهم على ذلك؛ لما ورد في ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة النبوية، وبايعونا بيعة انعقد على ألوية النصر عقدها، وطلع في أفق الهناء سعدها، حضرها الصدور والأعيان، وأهل الوجاهة في هذا الزمان، وذوو الحل والعقد، ومن إليهم القبول والرد، من علماء أعلام، وأصحاب الفتاوى والأحكام، وعظماء أشراف كرام، ورماة كبراء، وولاة أمراء، ورؤساء أجناد، والمتقدمين في كل ناد؛ من عرب البدو والحضر، وجيوش العبيد والبربر، فانعقدت بحمد الله مؤسسة على التقوى، واشتد بها عقد الإسلام وتقوى، بيعة تامة محكمة الشروط، وفية العهود دقيقة الربوط، جارية على سَنن السنة والجماعة، سالمة من كل كلفة ومشقة وتباعة، رضي الكل بها وارتضاها، والتزم حكمها بالسمع والطاعة وأمضاها؛ فأجبنا داعيهم لذلك، ودخلوا تحت طاعتنا، ونصروا رايتنا، وأعلنوا بالنصر المؤزر لجنابنا الشريف، سائلاً منه سبحانه أن يعيننا على ما كلفنا، ويوفقنا لما به طوقنا، إنه ولي ذلك، وحسبنا الله ونعم الوكيل. وأعلمناك بهذا لتأخذ حظك من الفرح، وتوجه بيعتك لشريف حضرتنا، سائلين منكم صالح الأدعية بإعزاز هذا الدين الشريف وتأييده، وإعانة جنابنا على القيام بأمور المسلمين، والله يوفقكم لما فيه رضاه. . .والسلام»[1].

وبما أن بطانة السوء كانت تقيم سداً من فولاذ بين السلطان مولاي عبدالعزيز وبين زعماء شعبه المصلحين، فكانت لا تألوا جهدا في حمله على إهمال برامجهم الإصلاحية الهامة.

وبما أن الجيش الفرنسي كان يواصل عمليات الاحتلال بصورة مهولة، والمغرب محتاج لمن يسارع لإنقاذه من وهدة الاستعمار والاستغلال.

وبما أن الشعب المغربي كان يقف على الهامش في مختلف الأحداث، لا يسمع له صوت ولا يطلب منه رأي، وإنما تشرح له الأحداث على حسب ما يريده وزير الخارجية، ولا يراد من ممثليه أن يقتنعوا بحسن

(١) في رجب الفرد عام ١٣٢٥ (المؤلف).

تصرفات الوزير فحسب، بل يطلب منهم أن يباركوها ويبشروا بها في مختلف أوساط الشعب؛ ليشاركوا الوزير في خيانته الكبرى!.

وبما أن المغرب كان متوقفا منذ قرون عديدة على تغيير جذري أساسي يمكنه من إقامة نظام خلافة إسلامية صحيحة تجعل المغرب يعيش عيشة دستورية سليمة، تضمن الحريات العامة وتحدد المسؤوليات، وتوزع الاختصاصات، وتقضي على الرذائل والانحلال والإفلاس والرشوة والإقطاعية والانتفاعية.

وبما أن الأمير عبدالحفيظ ـ الخليفة السلطاني بمراكش الحمراء ـ كان أعلم أبناء السلطان المصلح مولاي الحسن عليه رحمات الله، وبذل جهودا كثيرة في سبيل إقرار السلام ببلاد الجنوب، ونجح في استمالة زعمائه نجاحا باهرا.

وبما أنه كان يقدس المترجم تقديسا عظيما، ويخاطبه في رسائله بوالدنا ونحوها، وألف في الدفاع عن آرائه الصوفية تأليفا سماه «سم الأفاعي»؛ رد به على الفقيه السباعي[١].

وبما أنه بعث إلى المترجم بهذه الرسالة الملكية الدالة على احتراق كبد صاحبها على الإسلام والمغرب...

فقد رأى المترجم بعد مضي أربعة أشهر على استلامه لهاته الرسالة، قضاها في التروي والتأمل واستشارة كبار علماء فاس، أن يعرض عن التقدير الجم الذي كان يناله من السلطان مولاي عبدالعزيز، ويقدم مصلحة المغرب على مصلحته، ويعمل غاية جهده في نجاح هذا الانقلاب الحكومي، ويجعله فاتحة عهد جديد للإسلام والمغرب، وذلك بتطويق الملك الجديد بشروط والتزامات لا تصح بيعته إلا بتنفيذها والوفاء بتعهداتها.

---

(١) قام الفقيه المحدث الأصولي اللغوي محمد بن إبراهيم السباعي المتوفى سنة ١٣٣٢هـ بانتقاد الصلاة الأنموذجية للشيخ محمد الكتاني، فرد عليه السلطان عبدالحفيظ بتأليف سماه: «سم الأفاعي في جوف فلان السباعي». انظر «رياض الجنة» ٥٥/١. (المحققة).

وكان سفر مولاي عبدالعزيز من فاس قاصدا مراكش للقضاء على حركة أخيه فرصة سانحة لنجاح الانقلاب بفاس. فأعلن المترجم في مؤتمر عقده بمسجد الفاتح الثاني الإمام أبي العلاء مولانا إدريس الأزهر - رضي الله عنه - ضم نواب مختلف طبقات أهل فاس وغيرها من جهات المغرب، خلع الجناب العزيزي، ونصرة الجناب الحفيظي، على شروط أقرها ورضي بها الجميع، وتم ذلك يوم الجمعة **٢٣** ذي القعدة سنة **١٣٢٥**.

[نص السؤال الموجه من كبراء فاس لعلمائها بخصوص المولى عبدالعزيز]:

وفي ما يلي نص السؤال الذي وجهه ممثلوا سكان فاس لكبار العلماء في شأن السلطان مولاي عبدالعزيز:

«الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، وعلى آله الأبرار، وصحابته المنتخبين الأخيار».

«سادتنا علماء فاس كافة. سلام عليكم ورحمة الله»

«وبعد؛ فلا يخفاكم ما حل بهذا القطر المغربي من احتلال بعض الأجانب جل نواحيه، كتوات وفجيج وعيون بني مطهر، ومدينة وجدة، وثغر الدار البيضاء، موضعا بعد آخر، احتلالا نشأ عن اختلال الأحكام وتقاعد الولاة عن الاستعداد، وموالاتهم لبعض أجناس الأجانب، حتى عقدوا معهم شروطا تؤدي إلى إدخال المسلمين تحت حكمهم، وبسط يد التصرف لهم في سائر القرى والأمصار، بما تسبب عنه من إسقاط الأحكام الشرعية؛ كإبدال الزكاة بالترتيب في سائر الأيالة، وإحداث البنك المؤدي إلى إدخال الربا في سائر المعاملات... وغير ذلك مما هو معلوم، لدى الخصوص والعموم، كاستلاف الأموال العظيمة من الأجانب وصرفها في غير مصالحها، زيادة على خلاء بيت مال المسلمين بعد عمارته، وإنزال البوليس

ببعض المراسي الذي من أعظم دواهيه سلب السلاح من يد كل مسلم، وغير ذلك من الأمور التي يعلمها كل واحد من أبناء الأيالة المغربية؛ كتجهيز جيش وتوجيهه لمقاتلة الغزاة أهل قبيلة الشاوية، إعانة لجيش احتلال الدار البيضاء، وانتصارا له حتى تحققت الرعية بعجز أميرها القائم بأمورها عجزا كليا، ففرت منه القلوب، وبقي الناس بسبب ذلك في سائر المدن والبوادي فوضى يأكل بعضهم بعضا...».

«فما هو جوابكم عن هذا الداء العضال، وما كيفية التخلص منه مع تحقق الاضمحلال، وكيف إن دام الحال على ذلك، وبقي الأمير منهمكا فيما هنالك، وهل يجوز خلعه مع تحقيق هذا كله أم لا؟. أجيبوا بما يخلص ربقتنا وربقتكم، من أيدي بعض أجناس الأجانب. مأجورين والسلام[1]».

وقد أمضى هذا السؤال خمسة وعشرون شخصا، من كبار أهل حومات الأندلس والعدوة، واللمطيين، حذفت أسماءهم اختصارا، وحضر في نفس التاريخ المذكور جل أهل الحومات المذكورة، واعترفوا أنهم انتخبوا الأشخاص الممضين على السؤال لينوبوا عنهم في البحث عن حكم الإسلام في السلطان المذكور كما في وثيقة مثبتة بأسفل السؤال.

[وثيقة تشهد بالأخطاء التي ارتكبها المولى عبدالعزيز وأسباب خلعه]:

وثانيها: وثيقة تشهد بالأخطاء التي ارتكبها السلطان؛ ونصها:

«الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه...».

«شهوده الموضوعة أسماءهم عقب تاريخه، وكلهم من أعيان فاس وشرفائها ورماتها ورؤسائها، وتجارها...وغيرهم، يشهدون بأن الأمير - حينه - مولاي عبدالعزيز؛ صدرت منه أمور منكرة شرعا وطبعا، من موالاته وميله لبعض أجناس الأجانب آناء الليل وأطراف النهار، وتبذير بيت مال

---

(١) في ثامن وعشرين ذي القعدة الحرام عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف. (المؤلف).

المسلمين فيما لا يرضي رب العالمين، وتبديل الزكاة والأعشار بإحداث الترتيب، والبنك الموجب للربا الذي هو أعظم الذنوب، والاشتغال بما لا يرضي حتى انحلت بسبب ذلك عرى الدين، وتفرقت جموع المسلمين، وأدى الحال إلى تمكين بعض الأجانب من بلادهم إلى أن استولى على توات ونواحيها وفجيج وعيون بني مطهر ووجدة والدار البيضاء، وكاد يستأصل بلادات المسلمين، وأعظم من ذلك كله: البوليس الذي فيه تحكم النصارى على رقاب المسلمين، ونزع سلاحهم من أيديهم حتى كادت تضعف شوكة الإسلام، وتصير إلى الانعدام، وقد جهز جيوشا للمجاهدين بالشاوية يقاتلهم حين قاتلوا جنس الفرنسيس لمجيئه للدار البيضاء، بإقراره في الظهائر المقروءة على المنابر، وفرت عنه جل رعيته، وبقوا فوضى. . .كل ذلك في علمهم بالمعاينة لما يعاين، والسماع الفاشي المستفيض، على ألسنة أهل العدل وغيرهم، وبمضمنه قيدت شهادتهم مسؤولة منهم لسائلها في غد التاريخ أعلاه. . .».

وقد أمضاه أكثر من مائة شخص.

[جواب علماء فاس بوجوب خلع المولى عبدالعزيز]:

وثالثها: جواب العلماء، ويتضمن وجوب الخلع؛ وهذا نصه:

«الحمد لله مبدل العسر باليسر، وناشر ألوية العز والنصر، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد محرز كل فضل وفخر، وعلى آله تيجان المجادة، وصحابته بدور السعادة».

«أما بعد حمد الله مستحق الحمد وملهمه، ومنشئ الخلق ومعدمه؛ فقد طالعنا سؤالكم حوله، وفهمنا ما احتوى عليه وحرزنا لفظه وقوله، فقولكم فيه: إن مولى عبدالعزيز ـ أميركم ـ كان قد اشتغل بما يخالف السنة والقرآن، وعجز عن دفاع بعض الأجانب عن ثغور المسلمين، بل صدر منه ما أدى إلى تمكنهم بالفعل، حسبما ذلك مثبت بالموجب أسفل محوله ومتضح مبين، إلى غير ذلك من الأمور المنكرة، التي هي في صدور الكل مسطرة، هل هذه الأمور موجبة لعزله، وعدم نفوذ حكمه وقوله؟».

«فالجواب والله الموفق للصواب: حيث ثبت ما ذكر؛ فيجب عزله، وتولية غيره ممن يقوم بأمور المسلمين، ينفذ قوله وفعله، لكون إمامته لم تجر على القواعد الشرعية، بل ولا على الضوابط المرعية؛ لكون الإمام يعتبر فيه ما إن تقاعد عنه خُلع، وعن الإمامة العظمى دفع، قال ابن سلمون[1]: «الإمامة عبارة عن خلافة شخص للرسول عليه الصلاة والسلام في إقامة قوانين الشرع وحفظ الملة، على وجه يجب اتباعه على كافة الأمة، وشروطها المتفق عليها ستة»...إلى آخر كلامه. وهذا المسئول عن خلعه خارج عن الضابط المذكور، إذ لم يجر على قواعد الشرع في جميع الأمور».

«وقال البكى[2]: «وبالجملة؛ السبب المتفق عليه: كل ما يختل معه مقصود الإمامة». قال رأس العارفين في حواشيه على البكي: «يدخل فيه العجز عن القيام بالمصالح، وينبغي اعتباره من حيث كونه نسبة وإضافة، بحيث يوجد أقدر منه فيولى». وفي «المواقف»[3] وشرحها: «وللأمة خلع الإمام وعزله، لسبب يوجبه، مثل: أن يوجد منه ما يوجب اختلال أحوال المسلمين، وانتكاس أمور الدين»...الخ، ونقله الأيمة وسلموه؛ فيجب على المسلمين أن يبالغوا مجهودهم في دفع الضرر عن المسلمين، ولا يخفى أنه لا أعظم من استيلاء بعض الأجناس الأورباويين، كما يجب عليهم الانتقام ممن يركن إليهم ويواليهم، ويتحبب إليهم ويواتيهم. قال الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾. [المائدة:

---

(١) أبو القاسم بن سلمون: من أهل غرناطة، كان قاضيا، عارفا بالشروط «وسابق حلبته إلى الرواية والمشاركة»، ألف في الوثائق المرتبطة بالأحكام، كما أن له برنامج روايته، ولد سنة ٦٨٥هـ ولم يذكر ابن الخطيب تاريخ وفاته، انظر «الإحاطة» لابن الخطيب ٣٠٩/٤.

(٢) كذا في الأصل..، ولعل المؤلف يقصد محمد بن أبي الحسن البكري صاحب كتاب «تأييد المنة بتأييد أهل السنة» المتوفى سنة ٩٥٢هـ انظر «كشف الظنون» ٢٧٦/٢.

(٣) «المواقف في علم الكلام»، للعلامة القاضي عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الأيجي المتوفى سنة ٧٥٦هـ، وقد وضعت عليه شروح كثيرة؛ من أشهرها: شرح الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦هـ وأظن أنه هو المقصود هنا - انظر «كشف الظنون» ٧١٢/٢.

51]. . .الآية. قال بعض المفسرين: «كالنصرة لهم، والاستنصار بهم». . .».

«وذلك المتولي والأهم، وقاربهم، وأظهر العجز، وما تحرك للدفاع عن المسلمين ولو بغمز، بل سكت عن استيلاء بعض الأجانب على بلاد المسلمين؛ كالأماكن المذكورة في السؤال، ولا يخفى أنه لا تجوز شهادته إذا استولى على بلادات المسلمين ـ حسبما ذكره الشيخ الزرقاني[1] لدى قول الشيخ خليل: «وللإمام المهادنة. . .إلى أن قال: إن خلا عن كشرط بقاء مسلم» ـ قال الزرقاني: «أو بقاء حرية المسلمين خالية لهم». والله سبحانه يلهمنا للصواب والقول الفصل، ويوفقنا لما يرضاه من القول والفعل. . .».

«محمد بن رشيد العراقي[2]كان الله له آمين، ومحمد بن عبدالكبير الكتاني كان سبحانه له آمين، وأحمد ابن المواز لطف الله به[3]، ومحمد الحفيد بن محمد الشامي[4]، وعبدالسلام بن محمد الهواري[5] لطف الله به، وعبدالسلام الحسني العمراني[6]، وعبد ربه أحمد بن محمد ابن الخياط كان الله له آمين، وعبد ربه أحمد بن الجلالي الأمغاري لطف الله به، وعبد ربه أحمد بن المهدي بن العباس البوعزاوي[7] لطف الله به آمين، ومحمد

(1) الزرقاني: عبدالباقي بن يوسف، فقيه مالكي ولد ومات بمصر سنة ١٠٩٩هـ شرح مختصر خليل في أربعة أجزاء. «الأعلام» للزركلي ٣/٢٧٢.

(2) العلامة المشارك المطلع له عدة مؤلفات، توفي سنة ١٣٤٨هـ «إتحاف المطالع» ٢/٤٥٣.

(3) العلامة الشاعر والوزير له عدة تآليف، توفي سنة ١٣٤١هـ «إتحاف المطالع» ٢/٤٣٣.

(4) العلامة المشارك المطلع المفتي، توفي سنة ١٣٤٧هـ «إتحاف المطالع» ٢/٤٥٢.

(5) العلامة المطلع القاضي، له عدة مؤلفات، وتوفي سنة ١٣٢٨هـ «إتحاف المطالع» ١/٣٨٤.

(6) العلامة المشارك له عدة مؤلفات، توفي سنة ١٣٣٢هـ، «دليل» : ٩٨.

(7) العلامة المطلع المدرس، له عدة تآليف، توفي سنة ١٣٣٧هـ، «إتحاف المطالع» ٢/٤٢٣.

التهامي كنون[1] كان الله له، ومحمد بن أحمد الزريولي[2] لطف الله به، وعبدالله بن إدريس العلوي[3] أمنه الله، وعبدالرحمن ابن القرشي الإمامي لطف الله به، ومحمد بن حفيد الشامي[4] وفقه الله، وعبد ربه وأسير ذنبه، الطاهر بن محمد اليازغي[5] أمنه الله، وعبد ربه أحمد الشامي[6] وفقه الله، وعبدالسلام غازي[7] لطف الله به، وعبد ربه أحمد بن عبدالعزيز الزريعي[8] لطف الله به آمين. . .».

[وثيقة خلع المولى عبدالعزيز]:

ورابعها: وثيقة الخلع؛ لفظها:

«الحمد لله؛ بعدما وقع سؤال من ذكر أعلاه من أهل فاس، المقيدة أسماؤهم عقب السؤال أعلى الملتزم أعلاه، النائبين فيه عنهم وعن بقية أهل فاس، للسادات العلماء بذي الحضرة الإدريسية، المقيدة أسماءهم عقب الجواب؛ صدر محوله عن حكم الله تعالى في خلع الإمام أعلاه، وأجابوهم بما أجابوهم به حيث أشير استنادا منهم لما جلبوه من نصوص الأيمة رضوان الله عليهم، حسبما بالجواب المشار له، أشهد حينئذ السائلون المشار لهم، ومن لا يعد كثرة من أهل فاس الإدريسية، من فقهاء وشرفاء، وتجار وأعيان وغيرهم، أنهم خلعوا بيعة الإمام المشار له

---

(١) العلامة المدرس، له عدة تآليف، توفي سنة ١٣٣٣هـ «إتحاف المطالع» ٤١/١.

(٢) أظن أنه هو الذي وردت الإشارة إليه في «زهر الآس» المصدر ٤٦٧/١. وأنه توفي قبل سنة ١٣٥٠هـ وهي السنة التي توفي فيها مؤلف زهر الآس.

(٣) المقصود هنا هو العلامة القاضي مولاي عبدالله الفضيلي المتوفى سنة ١٣٦٣هـ ابن صاحب «الدرر البهية» انظر ترجمته بتفصيل في «إسعاف الإخوان الراغبين» لابن الحاج السلمي ص: ٣٩٠.

(٤) الفقيه المشارك الموثق، توفي سنة ١٣٥١هـ «سل النصال» : ٦٩.

(٥) لم أقف له على ترجمة.

(٦) العلامة الفقيه المدرس، توفي سنة ١٣٦٤هـ «سل النصال» : ١١١.

(٧) العلامة المشارك المطلع، توفي سنة ١٣٥٢هـ . «إتحاف المطالع» ٤٦٥/٢.

(٨) توفي قبل سنة ١٣٤٩هـ انظر «زهر الآس» ٣٨٧/٢.

من أعناقهم، وأعلنوا بذلك لينظروا لأنفسهم من يقوم بأمورهم ويجتهد في مصالحهم، إشهادا وإعلانا تامين عارفين قدره وبأكمله، وعرف جلهم بالباقي، وفي متم الشهر أعلاه ألحق، وأعلنوا بذلك أقحم به[1]، صح عبدالسلام غازي، وأحمد بن العربي البلغيثي الحسني[2]، بشكلهما ودعائهما».

[بيعة المولى عبدالحفيظ]:

أما وثيقة البيعة الحفيظة؛ فقد تكفل بتحريرها العلامة الكبير الكاتب البارع أبو العباس أحمد بن عبدالواحد ابن المواز[3]، رحمه الله، فأنجزها على شكل جامد، لم يراع فيها التطور العظيم الذي كانت الأمة تنشده من وراء هذا الانقلاب...

فقام المترجم خطيباً بين الناس، وأعلن أنه لا فائدة ترجى من هذا الانقلاب، إذا لم تكن بيعة أمير المؤمنين الجديد، مقيدة بشروط، تحقق للأمة أهدافها ومقاصدها، ثم تلا عليهم نص الشروط التي كان قد حضرها من قبل؛ فوافق الجميع عليها. حينئذ سلمت لابن المواز ليضيفها إلى نص البيعة، فأضيفت إليه حينا ووقعها الجميع.

ورغما من كون ابن المواز حاول أن يزيل عنها صبغة الشروط، مراعاة للأدب اللائق بمقام الملك في نظره، فقد بقيت مهيمنة عليها[4].

وفي ما يلي أهم هذه الشروط:

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) العلامة المطلع الناظم الناثر، توفي سنة ١٣٠٧هـ «إتحاف المطالع» ٣٠٦/١.

(٣) توفي سنة ١٣٤٢هـ انظر «إتحاف المطالع» ٤٣٣/٢.

(٤) انظر نصها الكامل في: «تاريخ مكناس» للعلامة الأديب أبو زيد عبدالرحمن بن زيدان العلوي، مؤرخ الدولة العلوية مع التنصيص على أنها من إنشاء ابن المواز، غير أنه فاته التنبيه على هذه الحقيقة... وهي مؤرخة بفاتح ذي الحجة الحرام عام ١٣٢٥. «المصدر»: ٤٤٩/١ (المؤلف).

١ - الحكم بالعدل.

٢ - اتباع سياسة الحلم والفضل.

٣ - رفع ما أضر بالأمة من الشروط الحادثة في الخزيرات (الجزيرة الخضراء)؛ حيث لم توافق الأمة عليها، ولا سلمتها، ولا رضيت بأمانة من كان يباشرها، ولا علم لها بتسليم شيء منها.

٤ - إرجاع الجهات المأخوذة من الحدود المغربية.

٥ - إخراج الجيش المحتل من المدينتين اللتين احتل بهما.

٦ - تطهير المغرب من دنس الحمايات.

٧ - عدم استشارة الأجانب في أمور الأمة.

٨ - إذا دعت الضرورة إلى اتحاد أو تعاضد؛ فليكن مع إخواننا كآل عثمان وأمثالهم من بقية الممالك الإسلامية المستقلة.

٩ - إذا عرض ما يوجب مفاوضة مع الأجانب في أمور سلمية أو تجارية؛ فلا يبرم أمرا منها إلا بعد الصدع به للأمة، حتى يقع الرضى منها بما لا يقدح في دينها ولا في عوائدها ولا في استقلال سلطانها.

١٠ - اتخاذ وسائل الاستعداد للمدافعة عن البلاد والعباد، لأنها أهم ما تصرف فيه الذخائر والجبايات، وأوجب ما يقدم في البدايات والنهايات.

١١ - رفع ضرر المكوس.

١٢ - الذب عن حرمات رعاياه ودمائهم، وأموالهم وأعراضهم، وصيانة دينهم وحياطة حقوقهم.

١٣ - تجديد معالم الإسلام وشعائره، بزيادة نشر العلم، وتقويم الوظائف والمساجد، وإجراء الأحباس على عملها القديم، وانتخاب أهل الصلاح والمروءة والورع للمناصب الدينية.

١٤ ـ كف العمال عن الدخول في الخطط الشرعية، وترك ما أحدث من الجمع المستلزم لاستبداد الرؤساء بتنفيذ مراداتهم في القضايا والأغراض.

١٥ ـ جميل الصنع بشريف القرابة وتقريب الصالحين، واعتبار مقادير الأشراف وأهل العلم والدين، وإقرار ذوي الحرمة على ما عهد لهم من المبرات والاحترام، وظهائر الملوك الكرام.

١٦ ـ إبعاد الطالحين وإخساء المفترين والواشين.

وكون المترجم هو واضع هذه الشروط؛ معروف عند كل المؤرخين، ولا ينكره أحد من رجالات العهد الحفيظي، وفيما يلي جملة من نصوص المؤرخين في الموضوع:

قال الإمام محمد بن جعفر الكتاني في «النبذة» ما لفظه: «ثم إنه وقع ما وقع مما هو مشهور من بيعته للجناب الحفيظي، بفاس بعد خلع أخيه المولى عبدالعزيز، واشتراطه عليه في أصل البيعة شروطا وافقه عليها الكل؛ فيقال: إنه حنق عليه بسببها»[١].

وقال القاضي عبدالحفيظ الفاسي في «المدهش المطرب» : «ولما عزموا على عقد البيعة؛ أملى المترجم شروطا كان في بعضها مصيبا كتقييد السلطان بالشورى، فوقع عليها الكافة؛ بعضهم موافقة واستحسانا، وبعضهم خوفا من العامة ونفاقا. إلا أنه لما رفعت البيعة للسلطان؛ لم ترق تلك الشروط في عينه، ورآها تحجيرا عليه، وحطا من قدره، فكانت هي الحلقة الأولى من سلسلة سوء التفاهم بينهما»[٢].

---

(١) المصدر: ٢٢٨ ـ ٢٢٩.

(٢) قف على قوله: «كان في بعضها مصيبا»، فهو يعترف بأن المترجم أخطأ في أكثرها، ولا أدري من أين يتطرق الخطأ إلى شرط واحد منها فأحرى إلى أكثرها؟. وسأعود إلى الموضوع في غير هذا الكتاب إن شاء الله. (المؤلف). وانظر المصدر ٤٨/١.



صورة نادرة للشيخ أحمد ابن المواز

رسالة خطية من أحمد ابن المواز للمترجم وفيها أن المترجم هو واضع شروط البيعة الحفيظية «البيعة المباركة الصادرة عن حضرتك»

وقال السيد محمد بن الحسن الحجوي في «الحق المبين»[1] ـ وهو الذي رد به على ابن المواز في شأن القيام عند سماع المولد ـ ما لفظه: «فالشريف سيدي محمد بن عبدالكبير الكتاني رحمه الله، لا يشك أحد أنه ممن لهم اليد المحركة للثورة الفاسية الحفيظية الواقعة في ١١ قعدة عام ١٣٢٥ ضد مولاي عبدالعزيز، ولكن بعدما تم خلع المذكور وتولية أخيه مولاي عبدالحفيظ؛ وجهت إلى الشريف الكتاني تهمة أنه يريد الملك لنفسه، وشاع عنه ذلك لأسباب أوغرت صدر مولاي عبدالحفيظ وكثرت الوشاية به؛ كاشتراطه في عقد البيعة إلغاء مؤتمر الجزيرة الخضراء الشهير في تاريخ المغرب مع أنه باتفاق دول أوروبا»[2].

وهناك نصوص أخرى في الصحف العربية والفرنسية، تركتها الآن اختصارا. وقد وقفت في جريدة «السعادة» وحدها على عدة نصوص، وذلك في العدد الصادر يوم الخميس ١٨ ذي الحجة ١٣٢٥ م: ٢٣ دجنبر ١٩٠٧ وسمتها فيه «بالشروط الكتانية». وفي العدد الصادر يوم السبت ٢٤ صفر ١٣٢٦ م: ٢٨ مارس ١٩٠٨. وفي العدد الصادر يوم الجمعة ٥ جمادى الأولى ١٣٢٦ م: ٥ جوان ١٩٠٨، وفي العدد الصادر يوم الثلاثاء ٨ ربيع الأول ١٣٤٧هـ: ٣٠ مارس ١٩٠٩ وغير ذلك[3].

---

(١) طبع الكتاب بتونس سنة ١٣٣٩هـ، (المؤلف).

(٢) قف على قوله: «مع أنه كان باتفاق دول أوربا»؛ فهو يجعل اتفاقهم تشريعا يجب تطبيقه ولو كان على حساب دولته وأمته!! ولي عودة إلى الرد عليه في غير هذا الكتاب. (المؤلف.).

(٣) قال الأستاذ الكبير محمد بن الحسن الوزاني، الأمين العام لحزب الدستور الديموقراطي في مقالة افتتاحية كتبها في العدد الأول من جريدة الدفاع بتاريخ ٢٣ جمادى الثانية ١٣٥٦هـ غشت ١٩٣٧، تحت عنوان «المغرب بين الماضي والحاضر» ما لفظه: «ولما بايعت الأمة السلطان عبدالحفيظ، كانت هذه البيعة قائمة على شروط، تتلخص في تحرير الأمة مما لم تسلمه من مضمون المعاهدات، وفي صيانة حدود المغرب باسترجاع ما أخذ من الثغور بالاحتلال، والعمل في سبيل إبطال الامتيازات الأجنبية التي تخرج الرعايا المغاربة من حوزة السلطة القومية وقوانين الدولة العامة، وقد قيدت تلك البيعة السلطان الجديد في سياسته الخارجية قائلة: إذا عرض ما=

[إمساك الشيخ أبي الفيض بزمام الأمور بفاس]:

وقد قبض المترجم بيد حديدية على مقاليد الحكم بفاس أثناء الانقلاب، وسهر على راحة السكان سهراً كبيراً، وتفانى في الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله تحت إشراف أمير المؤمنين الجديد، سواء في الجموع التي كان يعقدها بالقرويين أو في غيرها، وقد عابت عليه جريدة «السعادة» دعوته للجهاد؛ فقالت في مقال افتتاحي تحت عنوان: «اتقوا الله في الأعناق والأرزاق»[1]:

«الكتاني لم يتعود أن يحجم أمام كبار الأفعال، فجمع جمعه في القرويين وعددهم ما يقارب الخمسة آلاف، وخطب فيهم قائلاً: «يجب أن نرسل ما هو

= يوجب مفاوضة مع الأجانب في أمور سلمية وتجارية، فلا يبرم أمراً منها إلا بعد الصدع به للأمة، حتى يقع الرضى منها بما لا يقدح في دينها ولا في استقلال سلطانها، وقد كانت هذه البيعة بيعة أمة شاعرة بحقوقها عارفة بواجباتها، راغبة في صيانة سيادتها، ساعية في صيانة أحوالها».

وقال عنها - أيضاً - في مقال افتتاحي نشرته جريدة «الرأي العام» : «إنها ـ أي: الشروط - تستحق أن تكتب بماء الذهب، وتستحق أن توضع في صف الوثائق العالمية، ويحق للمغرب أن يفاخر بها عظماء أوربا. . .» الخ. (المؤلف).

وقال الأستاذ علال الفاسي رئيس «حزب الاستقلال» في المحاضرة التي ألقاها بمكتب المغرب العربي بالقاهرة بمناسبة مرور ٣٦ سنة على فرض الحماية على مراكش تحت عنوان «الحماية في مراكش من الواجهة التاريخية والقانونية» ما لفظه: «قد وضعت هذه البيعة دستورا جديداً لسياسة البلاد؛ ففيما يخص الماضي: الإلغاء المطلق لكل ما وقع من التزامات أو تعهدات أو إجراءات تتنافى وسيادة الدولة ومصالح البلاد، وفيما يخص المستقبل: وضع أساس الدبلوماسية العلنية، وتقييد الملك بضرورة التصريح للأمة بمشروع المعاهدات والاتفاقات حتى تعلن قبول ما تريد منها أو رفضه، وعليه؛ فلم يعد بمقتضى هذه البيعة من حق الملك أن يوقع معاهدة ما دون أن يرجع للشعب ويتأكد من قبوله أو رفضه، وكل معاهدة يمضيها السلطان دون أن يكون رجع فيها للشعب تعتبر ملغاة ولا قيمة لها. وهكذا؛ نرى أن هذه الثورة الوطنية كانت ترمي لتحقيق غاية عليا هي إشراف الشعب بنفسه على مصالحه السياسية القومية والمالية». (المؤلف).

(١) مؤرخ بيوم الأحد ١٤ محرم ١٣٢٦م: ١٦ يبراير ١٩٠٧. (المؤلف).

مجموع في فاس باسم الجهاد إلى مولاي الحفيد[1]، وأن أحمله معكم إليه، غير أنه من الواجب علينا اتخاذ الاحتياطات قبل السفر، حتى لا ينقلب علينا الحال، فالحالة تقضي أن نقبض على الجزائريين[2] والحمايات الأجنبية، ونودعهم السجن، حتى ينجلي الفرنسيون عن وجدة، وأن نجبر اليهود على دفع ما عندهم من مال ليستعين الإمام به على صوائر القتال، حيث إنهم كانوا وما زالوا السبب في إدخال الأجانب إلينا في كل زمن وحال...»، فأمن القوم كلهم لكلام الشيخ الخطيب، وخرج الكتاني وأتباعه يعربد في الأسواق، ويهدد ويتوعد، فانزوت اليهود في الملاح وشدت أبوابه...الخ». كما وجه رسائل عديدة إلى جميع جهات المغرب داعيا لذلك.

[طمأنة البعثات والسفارات الخارجية بخصوص الوضع بالبلاد]:

ووجه رسائل أخرى بإمضائه وإمضاء كبار العلماء إلى ممثلي الدول الأجنبية بطنجة، يخبرهم فيها بما وقع، ويطلب من دولهم أن تقف موقف الحياد من حوادث المغرب، ولا تتدخل في سياسته الداخلية، وأن تحمل فرنسا على سحب جيوشها من البلاد المغربية، ذاكراً أن الأعمال التي قامت بها في المغرب تعد إخلالاً بالمعاهدات والحقوق الدولية، وتحت يدي عدة وثائق في الموضوع. وسأقتصر هنا على ذكر رسالتين؛ **أولاهما**: من النوع الأول، و**ثانيهما**: من النوع الثاني. ونص الأولى:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم»

«الشريف الأفضل، القاضي الأكمل؛ سيدي التهامي أفيلال[3]، والقائد الأنجد السيد عبدالكريم اللبادي[4]، وسائر علماء وشرفاء ورماة وتجار وكافة أهل تطوان المحروسة بالله».

---

(١) هكذا كانت «السعادة» تعبر عن الملك الجديد قبل أن تظهر بوادر التقارب بينه وبين موجهي سياستها. (المؤلف).

(٢) يعني: خوارج الجزائريين الذين كانوا يخدمون مصلحة فرنسا بالمغرب. (المؤلف).

(٣) العلامة المفتي القاضي، توفي سنة ١٣٣٩. «إتحاف المطالع» ٤٢٧/٢.

(٤) الفقيه الجليل كان كاتباً في إحدى الإدارات العليا عند الإسبانيين. (على رأس الأربعين لمحمد داود ص١٥٤).

«سلام عليكم ورحمة الله، عن خير سيدنا نصره الله»

«وبعد؛ فغير خفي عن اطلاع كافة إخواننا، ما حل بإقليمنا المغربي من انحلال الأحكام الشرعية والقواعد الدينية، بسبب انتماء مولاي عبدالعزيز للنصارى وموالاتهم، حتى تسبب احتلال فرنسا لمدينتي وجدة والدار البيضاء، ودخولها للحدود من كل الجهات، وبسبب هذا؛ انعقد الإجماع من أهل فاس كافة بعد استفتاء العلماء على خلعه، ونقض بيعته، ومبايعة صنوه مولانا أمير المؤمنين، سلطان العلماء، وعالم السلاطين، من يتقاول الناس باسمه، ويقوم ـ إن شاء الله ـ بحفظ الدين ورسمه؛ مولانا عبدالحفيظ أعزه الله وأيده. وأخبرناكم بهذا لتأخذوا حظكم من الفرح، وتوجهوا بيعتكم لأعتابه الشريفة، وتعلموا بذلك من جاوركم من القبائل؛ لتجتمع كلمة الإسلام والمسلمين، ويكونوا يدا واحدة على من خالفهم، وهذا ما كتبه العلماء يصلكم طيه لتتمسكوا به، وقد كتب لكم بهذا الخليفة الشريف مولاي عبدالسلام الأمراني[(١)]، وأعدناه تعضيدا وتأكيدا. . .والسلام[(٢)]. محمد ابن الشيخ عبدالكبير الكتاني عفا عنه سبحانه. . .آمين»[(٣)].

ونص الثانية:

«من قضاة فاس وعلمائها وأشرافها، والمتوظفين بها وأعيانها ومن والاها؛ إلى جانب حضرة سفير دولة أمريكا لدى الأمة المغربية بطنجة ـ هداه الله ـ السلام على من اتبع الهدى. . .».

---

(١) العالم المطلع السياسي المحنك توفي سنة ١٣٢٧هـ، «إتحاف المطالع» ٣٨٢/١.

(٢) في ٤ ذي الحجة الحرام عام ١٣٢٥.

(٣) استفدت هذه الرسالة من «تاريخ تطوان» لرفيقي في الدراسة العلامة المطلع الأستاذ محمد داود حفظه الله. قدمها بما لفظه: «وقد وقفت على كتاب أرسله الشيخ سيدي محمد الكتاني، شيخ الطريقة الكتانية، إلى أهل تطوان يدعوهم فيه لعزل المولى عبدالعزيز، وبيعة أخيه المولى عبدالحفيظ، وأرسل صحبة ذلك الكتاب نسخة أصلية من نص الاستفتاء الذي رفع لعلماء فاس، ومعه شهادة عدد كبير من أهل فاس بما كانوا ينكرونه على السلطان عبدالعزيز مع جواب العلماء وإفتائهم بخلع السلطان المذكور وتولية أخيه المولى عبدالحفيظ. . .وهذا نص رسالة الشيخ الكتاني رحمه الله، ثم ساقها. . .» (المؤلف).

«أما بعد؛ فلا يخفاكم ما حل بهذا المغرب من الارتباكات والاشتباكات، واضطراب الأحوال والهيجان الزائد، الذي هو تيار سيل جارف، وكاد أن لا يقف على طرف؛ لسوء إدارة مولاي عبدالعزيز ووزرائه، الذي كانت الأمة سمته ملكا عليها من قبل، فقد ارتبك بعد نفاد الأموال في المصالح الذاتية والشخصية في اقتراض الملايين من الخارج، وصرفها في غير مصارفها، واختلال الإدارة في الأمور العدلية، وعدم تنفيذ الأحكام السماوية، واختلال إدارة الجنود العسكرية، وعدم تدبيرها على ما ينبغي، وعدم ضبطه على المكلفين أعمالهم التي وقع فيها الخلل، وعدم مناقشتهم على إهمال الوسائل المفضية لتحسين الأحوال وإصلاحها، بما لا يمس استقلال البلاد وعوائدها وديانتها وأحكامها الشرعية؛ وأهمها: الاستبداد التام العام في جميع الإصدار والإيراد، حتى صار المغرب على أخطار عاقبتها وخيمة، لعدم المشي على خط مستقيم، وارتباك العزومات والمشي على الجادة والطريق الأقوم، إلى غير هذا مما أوجب نفور قلوب الرعية وعدم رضاهم بهذه السياسات والتدابير والسبل، ومعاكسة الرأي العام له من الأمة المغربية».

«كما لا يخفى على رياستكم أن العاصمة للبلاد المغربية ومقر سلطتها ومحل تخت رياستها، ومقار ملوكها؛ هي: حاضرة فاس المحروسة بالله سبحانه؛ وبناء على ما تقرر لديكم؛ فقد أجمع الرأي العام بالعاصمة المذكورة من قضاتها وأشرافها وعلمائها، وأعيانها وسائر الموظفين لها، وكبرائها وسوادها... على خلعه شرعا، حسبما أفتى به أهل الحل والعقد من العلماء، ونصب أخيه مولاي عبدالحفيظ ـ نصره الله نصرا سماويا آمين ـ ملكا على الأمة المغربية جمعاء، كما تقدم لأهل مراكش ـ العاصمة الثانية للمملكة المغربية ـ مثل ذلك؛ لما هو عليه من النجدة وحسن التدبير، والاعتدال في مسالك السياسة والأهلية، والكفاءة لهذا المنصب السامي...».

«وعلى ذلك أجمع الرأي العام المذكور، بانتخاب عام، عن تمام

الاختيار والطواعية، والانقياد والحرية التامة، بحيث لم يتأخر عنه أحد، وكذلك هو الرأي العام في القبائل. والباعث على رقم هذا إليكم: إعلامكم بالواقع لتكونوا منه على بال، وتبلغوه لدولتكم المتحابة تبليغا رسميا بلسان عموم كافة أهل فاس التي عليها الحل والعقد، وإليها المرجع في تسمية الملوك ونصبهم، وإننا محافظون على الروابط الودية والتجارية، والمناسبات الجوارية، ونطلب منكم بلسان الأمة المغربية المحافظة على تلك الروابط التي من مقتضاها البقاء على الحياد التام فيما بين سلطاننا مولاي عبدالحفيظ وأخيه، وعدم التدخل في سياستنا الداخلية، وأن لا يحصل من أحد الدول ميل لإعانة السلطان المخلوع وإقراضه أو بيع الأسلحة إليه، أو ما ينافي قاعدة الحياد التي توجبها المودة والروابط المحترمة والعلائق المرعية، وأن تكونوا خير برزخ وواسطة في كف الدولة الفرنسية عن إعانته، وعن التقدم في الحدود أو في شيء من الأراضي والنقط المغربية، حسبما يقتضيه حسن الجوار والعلاقات التي بيننا، ريثما تسكن الفتنة، ويستقر النظام».

«لأن بقاء الدولة الفرنسية على تقدمها في الحدود، وإقراض المال لمن ذكر ونجدته، تعده الأمة المغربية فتحا لأرضها، وإخلالا بالمعاهدات الدولية، وقطعا لفتح أبواب التجارة بالمغرب، وزيادة للثورات والهجومات، والترامي من الطرفين. وربما لا يقف ذلك على حد. فوجب علينا أن نعرفكم بهذا الأمر الذي أجمع عليه رأي الأمة المغربية؛ وهو: أن الأمة المغربية تعد اقتراض مولاي عبدالعزيز اقتراضا شخصيا، لا تطالب الأمة به بوجه، وتعد التقدم في الحدود إظهارا للعداء وإخلالا بالمعاهدات والحقوق الدولية. . .».

«فالأمل من حضرتكم: تبليغ هذا المكتوب لحضرة دولتكم المتحابة، والوقوف في حسن الوساطة المذكورة حسب معتقدنا فيكم، ولكم مزية الثناء والتشكر. والتمام في متم قعدة الحرام **١٣٢٥** . عبد ربه عبدالكبير بن محمد الكتاني، كان الله تعالى له آمين، وعبد ربه عبدالقادر بن عبدالسلام

الوزاني[1]، لطف الله به، وإدريس بن محمد القادري[2]، وعبد ربه عبدالجليل بن أحمد الوزاني[3]، وعبد ربه محمد بن المكي الوزاني[4] لطف الله به، وعبدالسلام بن محمد الهواري لطف الله به، ومحمد العمراني[5] كان الله له آمين، ومحمد الكتاني، والمكي بن محمد الحسني الوزاني[6] لطف الله به، وعبدالرحمن ابن القرشي الإمامي، لطف الله به. وعبدالسلام الأمراني؛ خليفة أمير المؤمنين وفقه الله. ومحمد التهامي كنون[7]. . .».

[مطالب الحركة الوطنية الأولى بالمغرب]:

وقد أجابت بقية البلاد المغربية نداءه، وبايعت الجناب الحفيظي عن طواعية واختيار، ورجت في كل وقت وحين أن يحفظها الله من نير الأجنبي، ويعصمها من الشرور والآفات، كما أن جريدة «لسان المغرب» الصادرة بطنجة إذ ذاك، والتي كانت لسان الحركة الوطنية بالمغرب ـ وكان المترجم يوجهها الوجهة الصالحة، ويحرر فيها مقالات إصلاحية هامة ـ حملت على كاهلها لواء الدعوة للجناب الحفيظي، وتفاءلت بحركته

---

(١) العلامة الفقيه المتصوف توفي سنة ١٣٧٩هـ «سل النصال» : ١٧٨.

(٢) لم أقف له على ترجمة.

(٣) لم أقف له على ترجمة.

(٤) العالم المشارك المطلع توفي سنة ١٣١٦هـ «إتحاف المطالع» ٣٣٩/١.

(٥) لم أقف له على ترجمة.

(٦) العلامة المدرس المطلع توفي سنة ١٣٤٠هـ، «سل النصال» : ٢٦.

(٧) أثبت هذه الرسالة - أيضاً - الأستاذ داود في «تاريخ تطوان»، وقد سبق لي منذ أكثر من عشرة أعوام أن وقفت عليها مع رسالتين أخريين كتبتا لسفيرين أجنبيين أيضاً بطنجة في أحد كنانيش العالم الصوفي الجماع، الطبيب أبي محمد المصطفى بن عبدالسلام الزاودي الطانجي أحد أعضاء البعثة المغربية لأوربا في عهد السلطان مولاي عبدالعزيز، مع التنصيص على أن الرسائل الثلاثة من إنشاء المترجم، وهذا الكناش كغيره من تراث الأستاذ الزاودي رحمه الله محفوظ بخزانة شقيقي العلامة أبي زين العابدين إبراهيم الكتاني حفظه الله. ولا أحتاج للتعليق على هذه الرسالة كغيرها من رسائل المترجم. (المؤلف).

الجديدة، ورجت منها خيرا كثيرا للبلاد والعباد، وفي ما يلي بعض مقالاتها في هذا الموضوع نقلا من صحافة حزب «الوحدة والاستقلال» :

«بما أن الوقت قد دعا إلى الإصلاح، والشبيبة العصرية قد هللت قلوبها وانشرحت صدورها، وجلالة سلطاننا الجديد عبدالحفيظ يعرف لزومه؛ فنحن لم نأل جهدا في المناداة بطلب الإصلاح على صفحات الجرائد من جلالته، وهو يعلم أننا ما قلدناه بيعتنا واخترناه لأمانتنا، وخطبنا وده رغبة منا وطوعا من غير أن يجلب علينا بخيل ولا رجال، إلا أملا في أن ينقذنا من وهدة السقوط التي أوصلنا إليها الجهل والاستبداد، فعلى جلالته أن يحقق رجاءنا، وأن يبرهن للكل على أهليته ومقدرته على ترقية شعبه، وعلى رغبته في الإصلاح، وجدارته بإدارة ما قلدته أمته».

«والذي نرجو منه أولا وقبل كل شيء: هو فتح المدارس، ونشر المعارف، وأن يكون التعليم الابتدائي إجباريا، وأن يولي ذوي الكفاءة والاستحقاق والأهلية، ويقرب إليه ذوي العقول الراجحة، والأفكار الحرة الراقية، وليحترز من الوشاة والجواسيس الذين يشوهون له رعاياه، ويحولون بينهم وبينه... وفي بلاطه الشريف من هذه المكروبات القتالة جيش كبير، فإن لم يحترز منها ويقاومها؛ نقلت إليه جراثيم موبئة معدية، وبما أن يدا واحدة لا تقدر على إنهاض شعب من وهدة سقوطه، ولا على إصلاح إدارة متخلفة، كإدارة حكومتنا؛ فيجب أن تكون الأيدي المتصرفة، والعقول المفكرة، والأفكار المدبرة، كثيرة متكاثفة على العمل».

«وعليه؛ فلا مناص ولا محيد لجلالته من أن يمنح أمته نعمة الدستور، ومجلس النواب، ويعطيها حرية العمل والفكر؛ لتقوم بإصلاح بلادها، اقتداء بدول الدنيا المتحضرة، المسلمة والمسيحية، والدول المتحضرة يوم كانت مستبدة وسلطتها مطلقة لم تكن لها كلمة مسموعة، ولا ما يدل على أنها دول قديرة، وحيث خلص الله تلك الأرواح من شبكة الاستبداد والرق، نهضت تلك الدول من وهدة سقوطها، وتنقلت في أطوار الكمالات حتى وصلت اليوم إلى ما وصلت إليه...».

«وكفى حجة على هذا: أمة اليابان؛ تلك الشمس المشرقة في آفاق آسيا التي كانت في مؤخرة الدول قبل أربعين سنة، ثم أصبحت في مصاف الدول العظيمة، وانتصرت ذلك الانتصار العجيب، على أعظم دول العالم «روسيا»، وغير بعيد عنا الانقلاب العجيب الذي حصل في دولة تركيا العلية، إثر منح جلالة أمير المؤمنين لشعبه الدستور، وأمره بجمع مجلس الأمة، فعسى أن نقتدي بهم، ونقوم بخدمة بلادنا، ونسعى جهدنا في إصلاح حالتنا».

[مقاومة الجناب العزيزي للانقلاب وبداية النزغ بين المترجم والجناب الحفيظي]:

وما كادت أنباء البيعة الحفيظة تصل إلى علم الجناب العزيزي؛ حتى بادر بإرسال جيش متطوع يحبط مساعي أخيه، ويرهب مناوئيه، فحط رحله بين بني حسن وقصبة علي وُعَدّي، وكانت وسائل الإغراء التي اتخذها رؤساؤه قاربت التأثير على قبيلتي زمور وزعير، وغيرهما من قبائل البربر فيخلعوا بيعة الجناب الحفيظي، ويرجعوا لبيعة الجناب العزيزي، فخرج المترجم من فاس بإجماع أهل الحل والعقد، قاصدا مكناسة الزيتون ليعمل كل ما في وسعه لتثبيت البربر، ويضمن نجاح الانقلاب.

ولما وصل إليها؛ بلغه أن جماعة من المارقين والمشعوذين ودعاة الشر والاستعمار يلعبون أدوارا شيطانية بينه وبين الجناب الحفيظي، الذي كان إذ ذاك بمشرع الشعير، ليفرقوا بينهما، ويقدموا المغرب لقمة سائغة لمن يريد افتراسه، فبادر إلى الكتابة إليه في هذا الموضوع، فأجابه بالرسالة الملكية الآتية:

قال بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير:

«محبنا المخلص الأرضى، العلامة الشيخ محمد بن عبدالكبير الكتاني، سددك الله، وسلام عليك ورحمة الله وبركاته...».

«وبعد؛ فقد وصل كتابك الرائق بنصحه في أسلوبه، الآتي غرة في

جبين وجه الإشارات متعينه ومندوبه، وعلمنا ما بك من زائد الاهتمام بالمصالح الناجحة للوطن والإسلام، حتى حملك ذلك على الرغبة في هجر المألوفات الضرورية، وقوى عزمك عن مبارحة حيكم للخروج لتثبيت القبائل وإرشادهم للحق والإصابة، وبث دواعي صلاح أحوالهم في أفئدتهم التي يدينون الله تعالى بها وتحمد فيها منهم البدء والإنابة، وأنك بعدما كاتبت القبائل في ذلك مرضاة لله، وخدمة للدين، ومحبة في جنابنا الأسمى؛ قام في وجه قصدك من العوارض الصادة ما صرفك عن العمل بما عقدت عليه عزما، وعرفنا ما أبديته في ذلك دلالة على مواطأة اعتقادك لحالك، وصار الكل بالبال، وكل ما أفصحت عنه محبة ونصحاً نظمناه لك في عقد النزاهة وحسن الوفاء، والاستبراء للدين والإخلاص في الدين، وحاشيناك من نسبة كل ما يشين وجه النسبة الربانية، أو يغاير سننك الجاري على مناهج أهل التوفيق المرشدين لإكبارك في عين جنابنا الشريف، وملاحظتنا لك بمزيد الاعتناء والتخصيص بما حصل عليه اليقين في شأنك من احتراق الفؤاد، في الغيرة على الدين والبلاد».

«ولك عندنا من المراعاة والإعظام؛ ما تبقى به صحيفة عهودك نقية تقية لا تلحق بسوء ولا اهتضام، ولا يتطرق في جانبك شيء من تشكيكات الأوهام، لقيام القطع من بواعث أنفسنا على جلالة دينك، وصدق دعواك في الدلالة على الله سبحانه، ورسوخك في كل حال ومقام؛ فأنت المحب المبرأ، أعانك الله وسددك، وبمزيد اليقين والإخلاص أمدك وعضدك، ومثلك من تتوفر فيه الغيرة، وتقوى قرائحه في السعي في ائتلاف القلوب، وإخاء كلمة الأمة في الاجتماع على ما تنمو به اعتقاداتها، وتحسن به عزائمها ونياتها، في العض بنواجذ القلوب على الثبات على الإيمان، احتياطا لسلامتها، وتحصيلا لسعادتها».

«ولا بأس أن تخرج من فاس بسلامة، قاصداً قبائل الجيران؛ كزمور وأضرابهم، لتذكيرهم في هذا الموضوع، وتعريفهم بالصدد الذي تقتضيه فطرتهم الإسلامية، وتقضي لهم أو عليهم به غيرتهم الإيمانية، ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾. [الذاريات: ٥٥]، و: «**لأن يهدي الله بك رجلاً**

واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس»[1]. وأحوال العامة لا يجهلها أولوا البصائر أمثالك، المفتوح عليهم في الإرشاد والدلالة، ولك فضل في ذلك وقربة وحظوة عند الله، وعند جنابنا السامي بالله. ولا يخفاك أن ذرة من أعمال القلوب خير من أمثال الجبال من أعمال الجوارح».

«ثم بعد نجاح المقاصد في تلك القبائل؛ طير الأعلام لجنابنا العالي بالله، وألم ببيان الأحوال بياناً شافياً، لا يبقى معه لبس ولا خفاء في شيء، ولا يتشوق بعده للاستطلاع على حقيقة، لنعلمك حينئذ بما يكون إليه مصيرك مما تقتضيه الأحوال الوقتية، من قدومك لحضرتنا الشريفة، أو غير ذلك، وقوفاً مع وقائع الحال، وقياما بما ينبغي الأخذ به في سبيل المصالح العامة. ونحن على وثوق كامل وبصيرة نافذة بحسن مباشرتك، ونافع إشارتك، أصاب الله بك، ونفع بك وبما آتاك من العلم والعمل».

«وها نحن لا زلنا آخذين في معالجة فصال المهمة الاحتلالية في مجال الكلام، بما يكون فيه خير وراحة عامة للبلاد والعباد، ويبقى حرم الإسلام خاصاً بأهله، سالما فيه الحد لمحدوده بحول الله. كمل الله بخير، وركبنا الشريف في الأثر إن شاء الله، وأعلمناك لتكون على بال، ولا تغيب عنا مكاتيبك، أخلص الله أملك، وأحسن عملك. والسلام، في فاتح صفر الخير عام ١٣٢٦هـ».

[مؤتمر الإصلاح البربري]:

وقد أقام المترجم بمكناس عدة شهور، أشرف فيها على توجيه السياسة المغربية وجهة رشيدة، وأسدى لدينه وبلاده خدمات جليلة، يحتاج تدوينها لعدة كراريس. من أهمها: المؤتمر البربري الذي حضره أعيان كل قبيلة من مكناس إلى مكناسه، ومنه إلى تادلا، وإلى الصحراء، وكذلك رجال الحل والعقد بمكناس؛ في طليعتهم قائدها إذ ذاك: الحاج بنعيسى

(١) الحديث رقم ٢٧٨٧، صحيح البخاري، كتاب «الجهاد والسير».

الدراوي، وكان يوما مشهودا قل أن رأت مكناس مثله، وقد اتفق فيه المؤتمرون على ما يأتي:

١ ـ عقد صلح بين القبائل البربرية.

٢ ـ إلغاء عادة المطالبة بالدم التي كانت تحول دون الصلح.

٣ ـ التفاني خلف الائتلاف والاتحاد.

٤ ـ الاعتصام بحبل الله المتين.

٥ ـ التشبث بالدعوة الحفيظية[1].

وبعد أن عاهدوا المترجم على تنفيذ هاته المقررات؛ قصدوا قبائلهم مبشرين ومنذرين، وداعين إلى إعلاء كلمة الله، وإنقاذ أمة مولانا رسول الله. وإلى هذا المؤتمر يرجع الفضل في توطيد دعائم الأمن والسلام بالمغرب إذ ذاك، ونشر بنود الدعوة الحفيظية في جميع أرجائه، وبعث روح المقاومة التي لقيتها الجيوش الفرنسية بعد ذلك في مختلف القبائل البربرية.

(١) «المظاهر» : المخطوط الورقة ١٠٣ (المحققة)، ولا زال جمع من الذين حضروه إلى الآن (المؤلف).

ملحق 66

رسالة الشيخ الكتاني ، في وصف
وقائع المؤتمر العربي الأمازيغي بمكناس

الحمدلله وحده ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم .

من محمد بن الشيخ عبد الكبير الكتاني .

إلى الأخ في الله ، المحبوب من أجله ، إبن عمتنا ،
الفقيه الحسيب ، العلامة العدل الرضي الخطيب :
سيدي عبد الحفيظ الفاسي ، وفقك الله ورعاك .
وسلام عليك ورحمة الله ، عن خير مولانا نصره الله

وبعد : فغير خاف عنك أن موجب نهضتنا من طرفكم السعيد الميمون ، إلى حضرة مكناسة الزيتون : هو ما ثبت لدينا من إضطراب وتفاقم قبائل حوزها ، حيث تشوفت أطماعهم ، ومالت أهواؤهم ، إلى ما استخذلهم به أهل الغي من الأموال . واستنفروهم به مما عقدته يد العناية الربانية لإستقامة الأحوال . وأزعجنا الأمر إلى تدارك استصلاحه ، إنتهازاً للفرصة في نجاحه .

فلما حللنا ــ والحمد لله ــ بالمدينة المشار إليها حلول يمن وأمان : استدعينا من بالقبائل المذكورة من الوجوه والأعيان ، لنقدهم من حبائل الغرور ، وردعهم عما أريد بسببهم من . وتنبيههم من سنة الغفلة ، وحضهم ــ في الدين ــ على كمال الوصلة .

فأتوا يطوون ــ بالليل والنهار ــ سبلاً فجاجاً ، بقلوب مملوة حبوراً وابتهاجاً . ولم يتخلف منهم أحد ولله حمدي وثنائي وشكري . لا عربي ولا مجاطي ولا مطيري ولا جرواني ولا زموري ولا زعري .

فاتخذنا بهم الجمع ــ يوم التاريخ ــ مع باشا البلد في مسجد المخزن المعروف بجامع القصبة ، لما أنه أوسع مساجد الوطن لاكتساب هذه القربة . ويقظناهم

(١) عن كتاب «مظاهر يقظة المغرب الحديث» .

من نومهم ، واسترجعناهم عن قصدهم . وآخينا بينهم أخوة لا تنحل ـ بحول الله ـ عراها في يسرهم وعسرهم . بعدما حذرناهم من سوء عاقبة انقلاب أمرهم .

كما آخينا بينهم ـ أيضاً ـ وبين الباشا المذكور . بما تم به للجمع الفرج والسرور .

وأخذنا عليهم ـ إذ ذاك ـ العهود والمواثيق . أن لا يعود أحد منهم لذلك الفريق . وإن عاد إليه ولو به أخ شقيق . فمحله ومتاعه أولى بالحريق .

وتمكنت منهم الغيرة الإيمانية . وتكاملت فيهم الأخوة الإسلامية . وصاروا ـ من الحين ـ إخواناً ، وعلى نصرة الدين أعواناً . وانعقدت عزائمهم على ذلك . وحمدوا الله ـ تعالى ـ الذي استخلصهم من الوقوع في شبكة المالك . وراحوا ـ بعد الفاتحة ـ على أنه إن لم يعقد صلح ـ من العدو ـ مع مولانا المنصور بالله . فهم أول قائم ـ بخيلهم ورجلهم ، وأولادهم ونسائهم . وأموالهم ومتمولهم ـ لإعلاء كلمة الله ، فعند ذلك حصلت بهم الأمنية . وصلحت فيهم النية .

والله ـ تبارك وتعالى ـ يكفينا وإياهم هم الأعداء . وبقينا ـ جميعاً ـ من كل المكاره والأسواء ، ويسكن روعة الإسلام ، ويتمم النعمة بعموم بيعة مولانا الإمام ، بجاه خير الأنام ، عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى السلام ، آمين .

وأما قبيلة بني حسن والشراردة وغيرهما . فقد بلغنا بعد الكتب إليهم بمثل المكتوب به لغيرهم : أنهم عازمون على التوجه لهناك ـ يوم السبت الفارط ـ بالبيعة السعيدة ، وعقد الكلمة على وفق ما عقدناه ، فنسأل الله ـ تعالى ـ أن يكونوا قد وصلوا ، وبحبل ناحيتكم ـ المبروكة ـ اتصلوا ، وأدوا ما عليهم ، إغتناماً لمزيد رضي الله ورسوله ، اللهم آمين ...

12 صفر الخير عام 1326 .

من مجموعة إجازات ومراسلات القاضي عبد الحفيظ الفاسي .

والرسالة بسخط وإنشاء العالم المكناسي أبي علي الحسن بن اليزيد العلوي المحمدي .

[تطبيق الشيخ أبي الفيض مبدأ الشورى]:

ومن مزايا المترجم العديدة: أنه كان يطبق مبدأ الشورى في الإسلام، الذي كان يدعو إليه في كتبه ورسائله ودروسه. فكان يتصل ببعض كبار علماء فاس أثناء مقامه بمكناس بواسطة والده العظيم، ويأخذ رأيهم فيما يعرض له من المشاكل العويصة.

وفيما يلي رسالة لشيخنا الإمام أبي العباس أحمد بن الخياط الزكاري الحسني كتبها للمترجم أثناء مقامه بمكناس، أردت إثباتها هنا كبرهان على ما أقول.

قال رحمه الله بعد الحمدلة والصلاة:

«إلى أخينا في الله، المحب في الله، والمجاهد في سبيل الله، العارف بالله، الشريف الأصيل الفقيه المحقق، الشيخ المربي الجليل، سيدي محمد الكتاني الإدريسي الحسني».

«سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته»

«وبعد؛ فإن سيدنا الوالد مولانا عبدالكبير ذاكرني بما كتبت به مما يقتضي استعظام هذه الأهوال، والتحير في مقتضى هذه الأحوال، التي حسبنا فيها وفي غيرها الكبير المتعال، وفاوضني فيما يكون عليه المعول من رجوعكم لهذه الحضرة السعيدة، أو توجهكم مع من طلب ذلك منكم، أو إقامتكم في محل إقامتكم، فاقتضى نظر أخيكم إقامتكم إرهابا للعدو، ومراقبة للجهات، وتأنيسا لمن يليكم من المؤمنين، وقربا من فاس بحيث لا يتعذر خير ولا يتعسر».

«أما رجوعكم الآن إلى فاس؛ ففيه صورة وهن، وأما تقدمكم إلى الأمام؛ ففيه إعراض عن هذه الجهات التي تخشى، وما دمتم ثمة والائتلاف الذي باشرتم أمره، تقبل الله منكم مرجو الدوام بحول الله وقوته، ولا سيما مع تجديدكم النصائح بالملاقاة والمكاتبات، فالله تعالى يديم حياتكم وعزكم، وإعزاز الدين بكم وبمولانا أمير المؤمنين، ويحيي به الدين، وعلى كل حال؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد. ونسأل الله العظيم، بجاه نبيه الكريم، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم؛ أن يكفينا شر الأعداء وينصرنا عليهم. . .آمين. والحمد لله رب العالمين. في ١٨ صفر الخير عام ١٣٢٦ عبد ربه أحمد بن محمد بن الخياط كان الله له آمين».

وقد بقي الملك عبدالحفيظ بـ: «مشرع الشعير» الذي كان مخيما فيه أثناء مقام المترجم بمكناس، إلى أن وفد عليه وفد من أعيان الطريقة الكتانية وزعمائها؛ أعرف منه: الإمام أبا عبدالله محمد بن أحمد العلوي الزرهوني(١)؛ خليفة المترجم بزرهون، والعلامة أبا العلاء إدريس ابن طلحة(٢)، والداعية أبو عبدالله محمد بن محمد الحسني الكيري الحودراني(٣)؛ كبير مقدمي الطائفة الكتانية بقبيلة زمور، والزعيم بنعيسى بن أحمد(٤)؛ مقدم الطائفة الكتانية بآيت بوكرين، والزعيم بناصر بن موسى(٥)؛ من آيت ابن حمدان، والزعيم الهاشمي بن محمد(٦)؛ من آيت بوكرين، والزعيم الشرقي بن الشرقي(٧)؛ من آيت بوزيان، والزعيم إدريس بن جعفر(٨)؛ من آيت ابن حمدان، والبطل يوسف؛ من آيت قصو، والبطل الجيلاني بن علي؛ من آيت بوكرين، والزعيم الحارثي بن علي بن عيسى(٩)؛ من آيت قصو، والبطل محمد بن حدو المسغري(١٠)، والرئيس عبدالسلام الإدريسي(١١)؛ من حود الران، والزعيم البشير من بني زوليت(١٢) من قبيلة بني حكم.

وبفضل هذا الوفد الكتاني الذي كان يرأسه أكبر إخوة المترجم [الشيخ عبدالحي الكتاني]؛ زادت الدعوة الحفيظية تعزيزا، وأمكن للملك عبدالحفيظ أن يواصل سفره إلى مكناس بدون أن يلقى معارضة في الطريق من أنصار أخيه الملك عبدالعزيز.

---

(١) توفي سنة ١٣٦٧هـ انظر «إتحاف المطالع» ٢/٥١٥.
(٢) توفي سنة ١٣٤٨هـ انظر «إتحاف المطالع» ٢/٤٥٥.
(٣) لم أقف له على ترجمة.
(٤) لم أقف له على ترجمة.
(٥) لم أقف له على ترجمة.
(٦) لم أقف له على ترجمة.
(٧) لم أقف له على ترجمة.
(٨) لم أقف له على ترجمة.
(٩) لم أقف له على ترجمة.
(١٠) لم أقف له على ترجمة.
(١١) لم أقف له على ترجمة.
(١٢) لم أقف له على ترجمة.

[رسالة من المولى عبدالحفيظ للشيخ أبي الفيض]:

وقبل أن يبارح «مشرع الشعير»؛ كتب إلى المترجم رسالة مؤرخة بـ**١٧** ربيع الأزهر عام **١٣٢٦**، قال فيها بعد الحمد لله، والصلاة، والطابع الكبير:

«محبنا الأرضى، الفقيه العلامة الشيخ سيدي محمد بن عبدالكبير الكتاني؛ سددك الله، وسلام عليك ورحمة الله بركاته».

«وبعد؛ فمازالت الأيام تعرف جاهل فضلك، وآيات محبتك في جنابنا الشريف، يتلوها إخلاصك في موافقة قولك لفعلك. وقد وصلنا كتابك المبارك، واستقرينا فصوله، وعرفنا مضمنه ومحصوله، مما نحن منه على يقين، وصار بالبال، وكل فصول الكتاب يضيق القرطاس عن الوفاء بجوابها، إلا عند المشافهة بحول الله؛ لأهمية مواد كل ذلك، وسعة المجال فيه».

«نعم؛ العزم الذي أنت عليه في الورود لحضرتنا السامية بالله مصحوبا بحركات القبائل كزمور وزعير، فنأذنك في تنفيذه والعمل على مقتضاه، لتجعل بالقدوم بقصد ملاقاة ركابنا العالي بالله بقبيلة زعير. مع اجتهادك في تنفيذ حركات معتبرة من أولئك القبائل، وإعمال بالك هنا مع طي المسافات الزمانية والمكانية. فإن ركابنا الأحمى هو اليوم بوادي النجاة على أربعة مراحل من وادي أم الربيع، فها نحن في انتظارك الدار بعد الدار، سددك الله وأعانك، وأمدك بالتيسير وأرشد بك...».الخ.

ولما استلم المترجم هاته الرسالة؛ خرج إلى «زَمُّور» شارحا لأعيان قبائلها الظروف الحرجة التي كان يجتازها المغرب إذ ذاك، وداعيا إلى إنقاذه من هوة الاستعمار التي بدأ يسقط فيها، ومرددا ماورد في فضل الجهاد في سبيل الله من الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح، فلم يسعهم إلا أن أعلنوا عن استعدادهم لكل ما يأمرهم به، فدعا لهم بخير، وبارك شجاعتهم النادرة، ثم انتخب منهم جيشا عظيما قصد به مخيم السلطان الجديد، ليتعاون الكل على طرد الأجنبي من البلاد التي احتلها.

[التقاء الشيخ أبي الفيض بالمولى عبدالحفيظ وبداية النفرة بينهما]:

وبعد يوم أو يومين؛ التقى الرجلان لأول مرة في تاريخهما على طرف زيان وبني مكيلد، وكان شياطين الإنس وأنصار الاستعمار قاموا بتمثيل أدوار عديدة بين يدي السلطان، للتفرقة بينه وبين المترجم، والحيلولة دون تنفيذ برامجه الإصلاحية؛ فنجحوا...

وقد لاحظ المترجم ذلك في أحاديث السلطان معه في الجلسة الأولى، كما لاحظ بمزيد التأثر أن أفكاره تبدلت بمشرع الشعير، وأصبح يعلق تنفيذ البرنامج الإصلاحي الذي بايعته الأمة من أجله على اعتراف الدول الأجنبية به ملكا على المغرب.

وقد بذل المترجم الجائز والمستحيل في إقناعه بعدم ضرورة ذلك في أول الأمر، ولكنه لم ينجح، كما تأكد له أنه يوثر حل المشاكل بطرق سلمية، وزاد السلطان فطلب من المترجم أن يذهب على رأس الجيش الذي أتى به لقتال جيش أخيه السلطان السابق مولاي عبدالعزيز، فأفهمه بأن هذا الجيش لم يأت به لقتال المسلمين، وإنما أتى به لإخراج الأجانب من البلاد، وهنا حصل غضب للسلطان حمله على أن قال له: «إذن أنت سلطان المغرب لا أنا؟!!!». فأجابه المترجم بأنه ليس سلطانا، وإنما هو معين السلطان وناصر الإسلام...ثم بارح مجلسه، وهو يقول لأصحابه: «خاب ظننا في الجناب الحفيظي!».

وقصدا معا مدينة مكناس، وبعد أن وصلا إليها؛ بادر السلطان إلى إلقاء القبض على أنصار أخيه مولاي عبدالعزيز والاستيلاء على أموالهم، فكان هذا العمل مخالفا لمبدأ المترجم والعهود المبرمة بينهما، ورغما عن كونه قابله عدة مرات متشفعا في المقبوض عليهم، وذاكرا أن المصلحة المغربية العليا تقتضي غض الطرف عنهم، وأن تعاليم الإسلام مخالفة للتدابير التي اتخذها ضدهم، ولكن تدخله لم يفد شيئا، فكان المكناسيون يتعجبون من مواقف السلطان الجديد واشتغاله بسفاسف الأشياء، وكان

المترجم يجيبهم بعدة آيات قرآنية، من جملتها قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ﴾. [الأنفال: ٦٢].

والشيء الوحيد الذي أقام المترجم وأقعده، وجعله يعتقد أن أمل المغاربة قد ضاع، وأن سعيهم خاب؛ هو: الموقف الجلي الواضح الذي وقفه الجناب الحفيظي بمكناس، من الشروط التي احتوت عليها بيعته.

[توبيخ المولى عبدالحفيظ علماء فاس على شروط بيعته، وتنازلهم عنها]:

ذلك أن وفداً من كبار علماء فاس، قصد مدينة مكناس لتهنئة السلطان الجديد بالملك، فامتنع من مقابلته وضيافته في الأيام الأولى، وبعد أن قابله؛ انطلق كالسيل الجارف يؤنب أفراده، ويوبخهم على الشروط المحتوية عليها بيعته، ويصرح بأنها تحجير عليه وحط من قدره، وهنا بلغ الخوف الذي كان أصابهم من جراء امتناعه مقابلتهم أشده، وقطعوا وحدة المغرب إرباً إرباً، ورموها في هوة سحيقة؛ حيث أعلنوا أنهم يبايعونه على المنشط والمكره، وتبرءوا من الشروط، وحملوا حملة شعواء على المترجم[1]، وأكدوا أنه واضع الشروط، وأنه هو الذي امتنع من خلع أخيه وبيعته هو إلا على أساسها قائلاً: «لا معنى لهذا الانقلاب إلا إذا كانت الغاية منه تنفيذها!».

ولو أن أولئك العلماء أظهروا صلابة في موقفهم وأخبروه أن مسؤولية الشروط تتحملها الأمة كلها، وأن وحدتهم لا تتجزأ وموقفهم لا يتغير؛ لما استطاع بعد ذلك أن يمد يده في المترجم، ويقضي على الحركة الوطنية.

وقد اتضح من هذا:

أن الحلقة الأولى من سلسلة سوء التفاهم بينهما: هي الشروط.

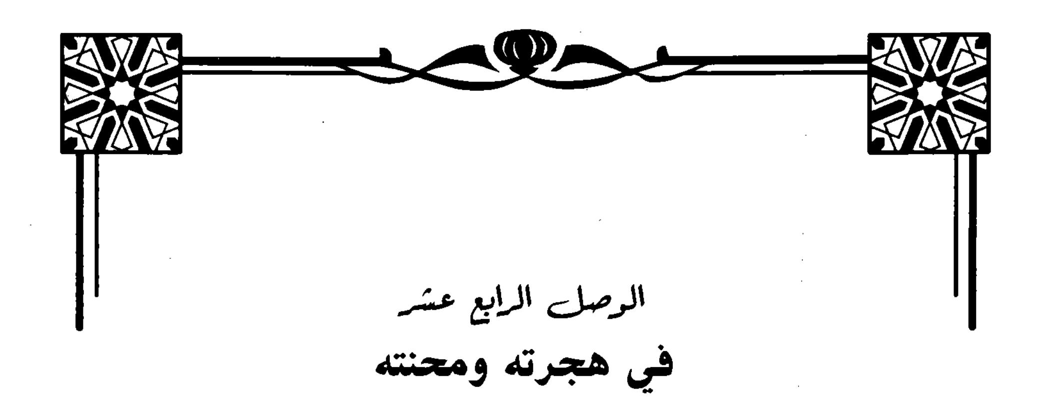
---

(١) «المظاهر» : المخطوط الورقة ١٠٧ (المحققة)، والصحف العربية الصادرة إذ ذاك. (المؤلف).

وأن الثانية: هي امتناع المترجم من قتال جيش مولاي عبدالعزيز رحمه الله.

وأن الثالثة: هي إلقاء الجناب الحفيظي القبض على أنصار الجناب العزيزي بمكناس، واستصفاء أموالهم. وسيأتي ذكر حلقات أخرى في الفصل الآتي إن شاء الله.





الوصل الرابع عشر
في هجرته ومحنته

بعدما طوى الجناب الحفيظي بمكناس سجلا حافلا بالأحداث، مليئا بالمفاجآت التي جعلت المكناسيين ينتقدونه انتقادات مرة؛ قصد فاسا حيث فتح سجلات أخرى احتوت على مخالفات عديدة لرغبات الأمة، ومعاكسات لبرنامجها الإصلاحي. ونظرة خاطفة على صحف ذلك العهد، تجعل القارئ الكريم أمام الحقيقة وجها لوجه.

وحيث أن المترجم من أولئك الأفراد القلائل في هذه الأمة المحمدية الذين لا يخافون في الله لومة لائم؛ فقد قابله عدة مرات طالبا منه العدول عن إشباع رغباته، وتنفيذ الشروط التي اشترطتها عليه الأمة في عقد بيعته، ومقدما له نصائح جديرة بالقبول، وحرية بالإجابة.

ولكنه لم يكن يحظى إلا بالوعود المعسولة والتطمينات الفارغة، فلم يسعه إلا أن يجهر بالحق في مجالسه الخاصة والعامة، ويعلن للأمة أنها أوشكت على الانهيار والسقوط في هوة الاستعمار، إن لم تفكر في مصيرها، وتتخذ الاحتياطات اللازمة لضمان استقلالها، فكانت هاته الأفكار السديدة، هي الحلقة الرابعة.

[مواصلة الشيخ أبي الفيض دعوة القبائل المغربية للجهاد]:

أما الحلقة الخامسة: فهي أن المترجم بقي يواصل الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله ومقاومة الجيش الفرنسي الذي كان يتقدم في البلاد.

وهذا نموذج من ذلك: قال بعد البسملة والصلاة:

«من محمد بن الشيخ عبدالكبير الكتاني إلى كافة المسلمين إخواننا في الله والدين: قبيلة زعير «المزارعة» و«كفيان»؛ خصوصا أهل النفوس الكبار، السادات الأحرار، أعيان القبيلة وشرفاءها، الذين لا يرضون ببيع ذرة من إسلامهم بملء الأرض ذهبا...».

«سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته بوجود ظل الله»

«أما بعد؛ فقد بلغني أن الفرانسيس أرسل لقبيلتكم أناسا يذكرون لكم أنه يريد المرور بالقبيلة، وليس له غرض بكم، ويوصيكم أن لا تنهبوه ولا تضروه، بل تتركونه يمر كيف شاء. وهذا الأمر أمر هائل، وخديعة بينة واضحة في التولية على القبيلة ونهب زرعها وضرعها، ونزوله بالمحل الذي يرضاه منها. وفي ليلة واحدة يبني أبراجا تحار العقول فيها، ويملأها مدافع وبارودا، حتى تصير نارا محضة، فالواجب على المؤمن - كامل الإسلام - قتل أولئك الناس الذين جاءوا بهذه الخديعة التي فيها سلب السلاح والمال لهذه القبيلة، من حيث لا تشعر، وهو جهاد أكبر، ولا يراعي الإسلام فيهم مزارك ولا عار، إذ لا حرمة لهم؛ فدمهم هدر، ومالهم حلال؛ لأنهم يسعون في تبديل نعم الله كفرا، لا سيما النعمة الكبرى التي هي: الدين!».

«وكيف تؤمن غوائل العدو الكافر، ومولانا يقول: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾. [آل عمران: ٧٣]، وقال جل من قائل: ﴿وَقَـٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾. [التوبة: ٣٦]. وقال جلا وعلا: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُواْ﴾. [البقرة: ٢١٧]. وقال سبحانه: ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً﴾. [النساء: ١٠٢]».

«كيف نؤمن بعهدهم معنا ولا نقاتلهم ونتركهم يمرون علينا لإخواننا المسلمين؟!، فمن رضي بذلك؛ فقد سعى في سرعة غضب الله ورسوله عليه وعلى ذريته، وفي خراب خيمته وقبيلته. وإن مات؛ مات ذليلا، وإن

عاش؛ عاش حقيرا، و«**المرء مع من أحب**»[1] نسأل الله العافية...».

«والمؤكد عليكم به ولا بد؛ أن تذهب جماعة من كبراء القبيلة، كل فرقة من القبيلة تعطي من ينوب إلى جماعة «لحلاليف»، وتعقدون معهم الأخوة في الإسلام، وعدم التعدي على السادات الأبطال السعداء الأحباء، المرضيين؛ أولياء الله تعالى: «لمذاكرة» و«أولاد محمد»».

«فإن امتنعوا؛ فلا بد من نهي المنكر فيهم، وفي من يعينهم على ذلك من تراخ، ويكون ذلك شرفا لكم دنيا وأخرى، ولا يقدر الكافر إذا سمع ذلك أن يتعدى عليكم، قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾. [الحج: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾. [محمد: ٧]».

«والسلامة لكم ولذريتكم في الدنيا والآخرة: تقديم أمرنا ونصيحتنا ـ إذ هما بأمر الله ونصيحته ـ على ما يقول لكم غيرنا من أهل الخداع والمكر، في صور النصح وقوالب الطمع».

«وفي الصدر الأول من الإسلام، كان الناس يعذبون بالإحراق بالنار ليرجعوا عن دينهم؛ فلم يتركوه. ورضى الله تعالى عن السادات الأبرار «لمذاكره» و«أولاد محمد»؛ فهم كهؤلاء، ولا غرابة؛ فقد قال مولانا: ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ۝١٤﴾. [الواقعة: ١٣ ـ ١٤]».

«ومما نوصي به ولد قلبنا المحب الفاني، البركة الملقب بسيدي حماني: أن يطوف بهذه الرسالة على جميع من له الكلمة المسموعة بقبيلة «زعير» حتى لا يجلس أحد، ولا يتأخر عن الجهاد في العدو الكافر إذا عزم على الخروج من طرفكم».

«أعانكم الله وقواكم، وأعطاكم شجاعة الصحابة الأبطال، وأخرج الله ـ سبحانه ـ الدنيا من قلوبكم، وجعل همكم الآخرة وما يحبه الله والرسول صلوات الله عليه، وجمعنا معكم في قريب على حالة ترضي الله ورسوله

---

(١) الحديث رقم ٥٧٠٢ ـ صحيح البخاري كتاب «الأدب».

والمؤمنين. . . آمين. ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ .-[البقرة: ١٩١]»[١].

[محاربة المولى عبدالحفيظ للطرقية وانحرافه]:

أما الحلقة السادسة؛ فهي: أن الجانب الحفيظي صار يعقد دروساً حديثية بالقصر الملكي بفاس، في شهور رجب وشعبان ورمضان، على عادة ملوك الدولة العلوية الشريفة. وكان يحضرها كبار علماء فاس؛ في طليعتهم المترجم، فكان السلطان الجديد يغتنم هذه الفرصة، فيقرر أفكاراً وآراء في الدين لا يقرها كتاب الله وسنة رسوله، وجمهور المسلمين. فكان المترجم يناقشه مناقشة حادة في كل ذلك، ويبين له الصواب.

وهذه بعض المسائل التي وقع الخلاف فيها بين الرجلين:

فمن ذلك: مسألة الزيادة على الأربع في التزوج، ومذهب الظاهرية وغيرهم فيها معروف، وقد أعلن الجناب الحفيظي عن تمذهبه بمذهبهم في هذه المسألة؛ مستدلاً بكلام الشوكاني في بعض كتبه، وحمل حملة شعواء على المخالفين، فما كان من المترجم إلا أن قام قومة هاشمية، وقال: «إن الإجماع على خلاف ما ذهبتم إليه»، وانطلق كالسيل الجارف، يعدد ما ورد في الموضوع من الكتاب والسنة، وكلام أئمة المذاهب، ويؤكد نصوص العلماء القائلين بالإجماع، وينتقد أقوال الظاهرية في هاته المسألة، ويكشف القناع عن وجوه أخطائهم العديدة، ويعلن رجوع الشوكاني عن رأيه الأول، كما يفيده «نيل الأوطار»، ورجوع غيره من الأكابر أيضاً.

وبعد مناظرة طويلة في الموضوع بين الرجلين؛ انفض المجلس بدون أن يرجع السلطان عن رأيه، وقد انضم إلى الأخير بعض القضاة المغاربة، وألف في نصرة الظاهرية تقييداً اشتمل على كراسين، والحق يعلو ولا يعلى عليه.

---

(١) أصول الوثائق المذكورة في هذا الوصل والذي قبله، يوجد شطرها بمكتبي، ومكتبة شقيقي الأكبر، والشطر الثاني بالمكتبة الكتانية، وهو مثبت في «المظاهر السامية». (المؤلف).

ومن ذلك: مسألة حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كان السلطان ينكرها في دروسه المذكورة، وكان المترجم يبدئ ويعيد في الانتصار لحياتهم عليهم الصلاة والسلام. ويدحض حججه الواهية. وقد ألف في الرد عليه تأليفا عظيما؛ سماه: «حياة الأنبياء» في عشرين كراسة[1]، يعد برهانا قاطعا على جلالة مؤلفه واطلاعه الواسع، وعلمه الغزير، ومعرفته الواسعة بأساليب المناظرة، وهو آخر مؤلفاته.

ومن ذلك: الطعن في التصوف والصوفية، وإنكار الذكر والرقص عند كل الطرق، فقال له الشيخ الإمام يوما في جملة ما قال له: «لا يجب أن تنكر الرقص وحده، بل الواجب أن نقوم الآن فنبدأ بمجانات[2] الذهب وظروف النشوى المذهبة، ومجادل الحرير؛ فنزيلها ـ وكان بيد السلطان حك نشوى من الذهب، وعليه مجانة ذهبية وحمالة حرير ـ ثم نخرج فلا نمر بطريقنا على محل من محال البغي ولا مخمرة إلا سددناها، ثم لا نمر على صاحب دكان لا يعرف كيف يبيع ويشتري إلا أقمناه. فإذا وصلنا للزوايا؛ بحثنا في بدعهم ومناكرهم كذلك. وأما إغضاء الطرف، وإحداث التوجيهات لكل محرم ومكروه إلا التصوف والصوفية؛ فتفرقة من غير مفرق، وتخصيص بدون مخصص!». فقام السلطان غاضبا، ونزل الشيخ الإمام ساخطا[3].

هذا من جهة، ومن جهة أخرى؛ كان خدمة الاستعمار بفاس يسعون للتفرقة بينهما بكل ما أوتوا من حول وطول، وكان للحملة المنظمة التي شنتها الصحافة الاستعمارية على المترجم وطريقته، أثر فعال في نجاح الخونة المارقين.



(١) لم نقف عليه.
(٢) ج: مجانة؛ وهي: ساعة اليد.
(٣) «المظاهر»: المخطوط الورقة ١٠٨.

[هجرة الشيخ أبي الفيض رضي الله عنه من فاس ومحنته واستشهاده]

وبما أن الأجانب كانوا يواصلون أعمالهم في الميدان العسكري بالشاوية، كما كانوا يواصلون نشاطهم في الميدان السياسي بفاس، سعياً وراء نصب الحماية على المغرب.

وبما أن السلطان الجديد عجز عن القيام بأعباء الملك، وأبدى معارضة شديدة للبرنامج الإصلاحي الذي عرضه عليه نواب الأمة، وأهمل فريضة الجهاد التي هي الشرط الأساسي لشرعية بيعته.

وبما أن الجو اكفهر بين الرجلين اكفهراراً شديداً، ولم يبق أمل في تسوية الخلاف القائم بينهما، نظرا لاختلاف وجهات النظر اختلافاً بيناً.

فقد أبدى المترجم لوالده وعائلته، ونفر قليل من تلامذته، رغبته الأكيدة في هجرة فاس، والسكنى بدار متواضعة، كائنة بقبيلة آيت يوسي من جبال الأطلس، لأجل امتثال أوامره جل جلاله، واجتناب نواهيه عظم كماله، والقيام بواجب الدعوة إلى الله وإحياء سنن رسول الله؛ فوافقوه على ذلك، وأعلنوا استعدادهم لمصاحبته.

وهنا ينبغي أن نقف وقفة نتحدث فيها عن رأي الناس في هذا السفر؛ فنقول:

الناس في ذلك على قسمين:

١ - قسم يرى أن المترجم لما يئس من إصلاح الحالة بالمغرب، قرر الانعزال عن الخلق بالبادية، والاشتغال بعبادة الله بعيداً عن جو المدن إلى أن يلقى الله، عملاً بالأحاديث الداعية إلى الانعزال فيما «**إذا رأى الإنسان شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه**»[(١)].

(١) الحديث رقم ٢٩٨٤، رواه الترمذي في سننه كتاب «تفسير القرآن».

٢ ـ وقسم يرى أن الغاية الحقيقية، هي: عزم المترجم على القيام بانقلاب جديد، يحقق للمغرب مطامحه، ويطرد الأجانب منه، وكانت الصحف الأجنبية تؤكد هذا الرأي.

وأخبرني الشاعر المطبوع أبو محمد عبدالله القباج[1] الكاتب بالقصر الملكي إذ ذاك: أن قنصل فرنسا بفاس «كايار» كان يومن بهذا الرأي، وكان له جواسيس يراقبون الشاذة والفاذة من أحوال المترجم، وأنه صعد في نفس الصباح الذي بارح فيه المترجم فاسا للقصر الملكي، مطالبا بمقابلة مستعجلة للجناب الحفيظي. وبعد أن تمت؛ أخبره بسفر المترجم، وحذره من العواقب السيئة التي تنتج عنه، لا على فرنسا التي تريد رفع مستوى الحياة بالمغرب في نظره، بل وعلى الملك نفسه. ثم طالب بتوجيه فرقة من الجيش لإلقاء القبض عليه؛ فنفذ طلبه!.

ولا يمكنني الآن أن أرجح أحد الرأيين؛ لأني لازلت لم أعثر على المستندات الكافية في الموضوع، ولكني أقول: إذا فرضنا أن الرأي الثاني هو الراجح؛ فكل عقلاء المغرب يؤيدون المترجم فيه، لأن جميع مظاهر الحياة في المغرب كانت تحتم على كل مخلص أن يعمل لإنقاذ بلاده من الاستعمار والاستغلال والظلم والجهل والانحطاط والتأخر، سيما وأن البلاد أصيبت بأعظم خيبة في حياتها، إذ إن الشخصية التي رأتها صالحة لإنقاذها من وهدة الاستعمار؛ كانت هي التي ساعدت عليه، وأعطته صفة قانونية، حسبما سيأتي بيانه في معاهدة الحماية المشئومة.

نعم؛ بارحوا فاسا في صبيحة يوم الخميس **٢٤** صفر عام **١٣٢٧**، ولكنه ما كاد يمر يوم أو يومان حتى أنزل الله مطراً غزيراً بعد العهد بمثله، منعهم من مواصلة السير، وجعل أملهم في إدراك بغيتهم ضئيلا.

---

(١) نزيل سلا، كانت له مساجلات مع شعراء وقته، كما أن له دواوين شعرية. توفي سنة ١٣٦٤هـ «إتحاف المطالع» ٢/٥٠٢.

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه



رسالة من السلطان عبدالحفيظ للوزير المدني الكلاوي المزواري

بخصوص خروج المترجم من فاس

وبينما هم بقبيلة بني مطير ينتظرون انحباسه؛ إذا بمحلة حفيظية تلتحق بهم، طالبة منهم الرجوع لفاس، فأجابوا إلى ذلك خوفاً من إراقة الدماء. ولما خرجوا من تراب البربر ووصلوا إلى «رأس الماء»؛ عوملوا بما اندهش له العالم العربي والإسلامي عموماً، والشمال الإفريقي خصوصاً...

ذلك أن قادة المحلة الحفيظية ألزموهم بالركوب على بغال بحلاسات فقط، وجعلوا لهم القيود الحديدية في أرجلهم، وأحاطوا بهم من كل جهة، ووضعوا السلاسل في أعناق الإخوان الكتانيين الذين كانوا في رفقتهم، وبقي النساء في مؤخر الركب تحت حراسة شديدة.

وعندما وصلوا لفاس؛ وجدوا جماهير غفيرة ممن لا خلاق لهم تنتظر قدومهم، وفي طليعتهم: قناصل الدول وأفراد الجاليات الأجنبية بفاس، وكانت عشية يوم الثلاثاء متم صفر هي التي سجلت في ساعاتها بداية أعظم مأساة في تاريخ الإسلام منذ مأساة أب الشهداء سيدنا الحسين عليه السلام، وكان سيدنا المترجم ينشد طيلتها قول الصحابي الشهيد سيدنا خبيب بن عُدي ـ رضي الله عنه ـ حينما أراد كفار قريش قتله:

ولست أبالي حين أُقْتَلْ مسلما ... على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشا ... يبارك على أوصال الشلو الممزع[1]

(١) من رسالة لوالده المقدس بعث بها للإخوان الكتانيين بالقاهرة. (المؤلف).

ورد البيتان في «الاستيعاب» لابن عبدالبر ٢/٤٤٠، وقد سبق التعريف بهذا الصحابي الجليل.

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه



خدامنا الارضين [illegible] جروان كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد فان الكتاني الافرق [illegible] منذ نشأ ونشوء نشبه في بحار التكفير والتهورات وخوض في لجج التنطعات وفي كل ذلك والابصار عنه مغضية والمسامع الى ما يتحدث من اخبار اضطرابات متصغية ولما ابت سريرته الا ان تلفظ ما انطوت عليه وخبايا ما الا ان تبرز ما لديه فخرج من الحضرة على حين غفلة من اهلها وفر في بني مجيلد صحبة اخيه وابيه واهله وعدد من اتباعه اهل ضلالته ونحوهم ممن انطوت عليهم حبالة فبادرنا في الحين مزاد بني مكيل بقبضه ووجهنا بأثره عددا من الخيل مع كبراء اهلها للاستقرار اثره وشرعنا في تبعيته محلة معتبرة لمتابعته وجعلنا كبيرها وصيفنا القائد مبارك بوخبزة وعزمنا في ذلك اليوم على النهوض بورود الخبر بوقوع القبض عليه بيد مزاد بني مكيل والخيل الموجهة في اوائل بلاد بني مكيلد حيث سار عدوا الى اللحاق به فحمله الى دار مزوار في قبيلتهم سيما حيث علموا بتغير الجملة لبلاد من بني شانه وقبضوه مع اخوانه وابيه واهله وجميع اتباعه المذكورين واتوا بالجميع مصفدين بالاغلال على اسوا حال فلا وعدوا الانجلاء بعد العقاب والنكال جزاء لهم على ما اجترؤوا اليه من السعي في فتنة المسلمين والخروج جملة الامر عاقبته والتكلمات بمعونة الله تلك الشرارة وفي بيته تلك المرارة ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين واعلمناكم لتكونوا من حقيقة الواقع على بال وتعلموا ان الله سبحانه يعزو عباده على ما يسرهم الخاطر والبال فله مزيد الحمد والشكر على كل حال ونامركم ان تكونوا على بال من عسى ان يكونوا او يذكروا بقبيلتكم من اتباعهم المذكورين حتى تتجلى غياهب الخروج وينكشف ظلامهم من تلك الارض والسلام في 4 ربيع الاول النبوي عام 1327

رسالة من السلطان عبدالحفيظ

لقواد بعض القبائل بخصوص اعتقال المترجم وأتباعه

20 تهنئة باشدور الانجليز ب 19 [illegible] على الكتاني

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

19

خديمنا الارضى الكاتب الطالب محمد بن محمد الغباص وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله

وبعد فمعروض كتابك بأن باشدور الانجليز وترجمانه بعده ثم ورد بنفسه لدار

النيابة السعيدة بقصد واجب التهنئة نيابة عن نفسه وعن دولته بما وقع

من الظفر [illegible] نار الفتنة فأجبته بما يقتضيه الوداد [illegible]

فقد احسنت في ذلك وصلحك الله والسلام في 4 ربيع النبوي الانور عام 1327

رسالة تتضمن مباركة باشدور (سفير) بريطانيا
للملك المغربي بخصوص اعتقال المترجم

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وزيرنا الشريف الطالب المدني بن محمد المزواري وفقك الله وسلام عليك
ورحمة الله وبعد فبما أن المتعلق الشريف محمد الكتاني لما أراد الله تعالى
محنته وانكشاف حقيقته للعالم بأسره ولم يعد بجانبنا الشريف
قابلية لتمهيداته ونواميسه الظاهرة أفضى به الحال إلى الفرار أمس
ما رجع مع عائلته وأولاده ولحقه عبد العزيز و[illegible] ولما وصلنا الخبر
أعلمنا المتعين في ذلك ومن جملته أمرنا بغلق الزوايا المنسوبة له
منا وعنه بها وقد أصدرنا أمرنا الشريف لخديمنا العلامة الخليفة
بغلق الزوايا التي لديكم الشرع والطبع عليها عاجلا من غير تراخ وكذا
أفعال فبادر بالوقوف في ذلك والكون على بال أيضا والسلام
26 صفر عام 1327

رسالة من السلطان عبدالحفيظ للوزير المدني الكلاوي المزواري
يأمره بإغلاق الزوايا الكتانية بمراكش

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

خديمنا الأرضى الطالب محمد الجباص وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله

وبعد فإن الزاوية الكتانية التي بطنجة نأمرك بسدها وتعمل لها أيضا بقفلها

وأن تطبع عليها على الوجه كما نأمرك بالبحث والتفتيش عن المتعصبين للكتاني

وأن تقبض عليهم من غير تراخ في ذلك ولا زيادة والسلام 26 صفر عام 1327

رسالة من السلطان عبدالحفيظ لمحمد الجباص يأمره بإغلاق الزاوية الكتانية بطنجة واعتقال اتباع المترجم

وبعد مقابلة بينه وبين عبدالحفيظ، حضرتها شخصيات بارزة من علماء القرويين، ذكرت أسماءها جريدة «السعادة»[1]، ودامت المحاورة فيها بين الرجلين نصف ساعة؛ صدر الأمر باعتقاله واعتقال والده[2]، وشقيقه[3]، وابنه[4] في بيت بقصر أبي الخصيصات، بجوار البيت الذي كانٍ معتقلا فيه إذ ذاك الأمير مولاي مَحمد (فتحا) بن السلطان مولاي الحسن رحمهما الله، واعتقال النساء في دار السكة، وتجريدهن من الحلي الذي كان معهن، واعتقال الإخوان الكتانيين الذين كانوا مرافقين للمترجم بسجن الدكاكن، ومصادرة العبيد والإماء والكتب والخيل والدواب، وإغلاق الزوايا الكتانية بجميع جهات المغرب الخاضعة لنفوذه.

فنفذت أوامره بذلك، وألقى القبض على مسيري فروع الطريقة الكتانية، وعلى من يتظاهر بشعائرها.

أما الدور الكتانية؛ فقد كانت فتحت قبل ذلك بيومين، ووقع الاستيلاء على جميع ما فيها، طبق أوامره الجائرة.

وكان الجميع معتدا بالصبر والأناة، متحصنا بالثبات وقوة العزيمة، رغما عن كونهم قضوا يومين بدون فراش ولا غطاء ولا أكل ولا شرب.

قال في «المظاهر»[5]: «ومن نوابغ كلام المترجم: ما شافهني به بعد اعتقالنا؛ بأن قال لي: لو لم يكن من الحكمة والتدبير الإلهي في هذه القضية الهائلة إلا ما أذكره لكان كافيا؛ وهو: أن الناس بالغوا في الاعتقاد في، ولست إلا كبقية الخلق من أولياء وغيرهم، ولا نقدر على ضر ولا نفع

---

(١) هذه الشخصيات هي: أحمد بن الخياط الزكاري، وإدريس بن عبدالهادي العلوي، وعبدالسلام الأمراني. كما ذكرها المؤلف نفسه في رسالته: «بيان حقيقة حول استشهاد الشيخ الكتاني».

(٢) الشيخ عبد الكبير الكتاني قدس سره. (المؤلف).

(٣) السيد محمد عبدالحي الكتاني. (المؤلف).

(٤) السيد محمد المهدي الكتاني رحمه الله. (المؤلف).

(٥) المخطوط الورقة ١٢٥.

ولا جلبهما ولا دفعهما، الكل بيد الله، فأرجعتنا هذه المحنة إلى عبوديتنا وأفرد الله بالكمال المطلق، والجلب والدفع المحقق...».

ولا يفوتني هنا التنبيه على أن شخصيات بارزة من علماء فاس، لم تقف موقفا مشرفا في محنة المترجم هاته....تظهر فيه للسلطان تضامن أعضاء جبهة العلماء وصمودهم أمام المحن والشدائد. بل وقفت مواقف تدل على الجبن والخوف، بل تدل على التنكر لمبادئ الإسلام وأهدافه...والأمر لله.

ولا ننسى المواقف الشريفة التي وقفها جمهور علماء المغرب من محنة المترجم. والشجاع والجبان موجودان في كل زمان ومكان، وفي جميع أصناف الناس.

وقد عددنا تلك الجماعة التي ابتليت بعد ذلك بالتعاون مع الاستعمار نادرة، والنادر لا حكم له، وكان الأولى بالعلماء ـ لو توفرت لديهم الشجاعة الكافية ـ أن يعلنوا عجز عبدالحفيظ عن القيام بأعباء الملك، وخيبة ظن المغاربة فيه، ويصرحوا غير هيابين ولا وجلين أن شروط الخلافة العظمى التي رأوها نسبيا متوفرة فيه يوم بيعته قد انعدم أكثرها!.

ومن أجل ذلك؛ يجب أن ينحى عنها، ويقدم لها شخص آخر من زعماء العائلة العلوية الكريمة، وإن لقوا في سبيل ذلك ضروبا من العسف والإرهاق، وحتى القتل؛ فلا بأس ما داموا مأمورين من الله ورسوله بالجهر بالحق، ومعتقدين أن الآجال محدودة، ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ﴾. [المنافقون: ١١].

وأعظم مفخرة حصل عليها المترجم في حياته؛ هي: جهره بالحق في دروسه ومجالسه، كما نص على ذلك الإمام في «النبذة»[1]، بل مواجهة

(١) يقول صاحب «النبذة»: «... فإن صاحب الترجمة (أي: الشيخ محمد بن عبدالكبير) أطلق لسانه في مجالسه بالإنكار عليه في أشياء كانت تبلغه عنه، وكان ذلك يبلغ الجناب المذكور (أي: السلطان الحفيظ) فزاد حنقا بسببه». المصدر ٢٢٩.

عبدالحفيظ به في عدة اجتماعات آخرها الاجتماع الذي تم بينهما قبيل اعتقاله بأبي الخصيصات، وتصريحه له بأنه: فعل أفعالا استوجب بها الخلع شرعا، وأن بيعته مقيدة بشروط لم يوف للأمة بها، ومن أجل ذلك بقيت معلقة لم تستقر على أساس.

[وضع الشيخ أبي الفيض رضي الله عنه في السجن]:

وإثر دخولهم للسجن؛ استأنفوا نشاطهم العلمي الذي ألفوه من قبل، فدرسوا عدة كتب في التفسير والحديث والتصوف.. .تارة كان يتصدر للإملاء عليها والد المترجم، وأحيانا المترجم نفسه، وهذه أسماء الكتب التي وقفت عليها بخط شقيقي الأكبر الذي كان أحد المعتقلين:

- تفسير القرآن الكريم بالجلالين؛ درسوا فيه نحو الثمن.
- كتاب «الفرج بعد الشدة» لابن أبي الدنيا.
- كتاب ابن الجزري في ترجمة سيدنا علي.
- طبقات الشعراني.

قال صاحب «المظاهر» عن المترجم في رسالة كتبها في المحنة الكتانية[1]: «إني عاشرت الأستاذ الإمام في معتقله ما يقرب من شهر، فكنت أراه خلالها وأثناء سوائعها، يتكلم ويخرج المعارف والرقائق من الصخر والحجر الصلد، ويستحضر من القرآن وأسراره بكلامه المعهود، ما يعجز أهل الاقتدار. والله أعلم حيث يجعل رسالاته. وقد سمعنا من لفظه إذ ذاك وبقراءتي ـ أيضاً ـ نحو ثمن الجلالين»[2].

[تعذيب الشيخ أبي الفيض واستشهاده رضي الله عنه]:

وفي عشية يوم السبت سابع عشر ربيع الأول، أمر عبدالحفيظ بجلد

(١) المخطوط الورقة ١٢١.
(٢) المخطوط الورقة ١٢١.

المترجم ألفي جلدة في ساحة قصر أبي الخصيصات، قريبا من والده وولده وشقيقه. فنفذ أمره في ربع العدد المذكور، وكان ـ رضي الله تعالى عنه ـ يقول أثناء الضرب: «اللهم إن كان هذا في رضاك فزدني منه!».

وقد نشرت الصحف العربية هذا النبأ المهول، ومن بينها «لسان المغرب» الوطنية، مبدية ألما شديدا، بينما أبدت «السعادة» الاستعمارية تشفيا ما عليه من مزيد.

والسبب الظاهري الذي حمل عبدالحفيظ على هذا العمل الجنوني؛ هو: حصار زعماء قبيلة بني مطير فاس، مطالبين بوفائه بالعهود التي قطعها على نفسه نحوهم، إن هم ساعدوه على إلقاء القبض على المترجم، وكان قد وعدهم بأموال ومناصب. أما السبب الباطني؛ فمعروف.

وبعد الضرب؛ فرق بينه وبين والده وشقيقه وابنه، وجعل في بيت بجانب الأول حيث قضى فيه أكثر من نصف شهر، غريبا عن أهله وذويه، تحت حراسة شديدة، يعاني آلاما شديدة من أثر الضرب.

وفي صبيحة يوم الثلاثاء ١٣ ربيع الثاني؛ التحق بالرفيق الأعلى إثر نطقه بالاسم المفرد بصوت ملأ الفضاء، وحرك من قصر أبي الخصيصات كل ساكن. وكان موته من أثر الضرب كما أجمع عليه المؤرخون؛ ومنهم: صاحب «النبذة»[١].

فأمر عبدالحفيظ بإخفاء هذا الحادث الجلل حتى لا يفاجأ بثورة الشعب، مع أن الشعب كان قد تلقى من المترجم قبل إلقاء القبض عليه أوامر بملازمة الهدوء والسكينة، وعدم القيام بأي شيء يعكر صفو الأمن والنظام، نظرا للظروف الحرجة التي كان المغرب يجتازها إذ ذاك.

وبعد إجراء الشعائر الدينية؛ وقع دفنه بباب الساكمة، بتكتم شديد ما

(١) يقول صاحب «النبذة»: «... فضربه ضربا عظيما، كان موته منه بعد نحو من سبعة عشر يوما من الضرب»، المصدر ص: **٢٢٩**.

عليه من مزيد، ثم طمس قبره حتى لا يثير أحزان الناس في كل وقت ويدعوهم للانتقام منه.

وهكذا لفظ المترجم نفسه الأخير في ميدان الجهاد والكفاح بعد أن:

- عمل كل ما في وسعه لإنقاذ المغرب من هوة الاستعمار، وجعله في مصاف الدول الراقية.
- وبعد أن وضع له أول دستور عرفه في تاريخه الحديث.
- وبعد أن ترك أتباعه بالشاوية يقاومون الجيوش الأجنبية مقاومة عنيفة، ويستشهد منهم كل يوم عدد كثير في ميدان القتال.
- وبعد أن أوصى أتباعه في كل جهات المغرب بأن ينهجوا نهج إخوانهم بالشاوية.
- وبعد أن ترك كل بقعة في أرض المغرب تنطق بما له من جلائل الأعمال وسني الخصال:

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار[1]

بهذه الأعمال الخالدة والمآثر العظيمة؛ ملك محمد بن عبدالكبير الكتاني قلوب المسلمين في جميع بقاع العالم، وسيظل مالكا لها إلى يوم النفخ في الصور.

وكان المصاب بفقده جسيما، والخطب أليما، وما ظنكم برزء كدر صفو العالم، وانصدعت لهوله قلوب بني آدم، وترك الناس الأكل والشراب من أجله أياما، وإيقاد السرج في منازلهم شهورا؟.

وقع هذا والشعب المغربي لم يبلغه النبأ العظيم في يومه وبصيغة القطع، وإنما تحقق به بعد أسابيع وشهور، وفي أوقات مختلفة وظروف

---

(١) ورد هذا البيت بدون نسبة في كتاب: «السحر الحلال في غرائب المقال» في فقه الشافعي لشهاب الدين محمود بن أحمد الزنجاني المتوفى سنة ٦٥٦هـ. المصدر ١/٦٧.

متباينة، وكان كل من تحقق به؛ يعتقد أن نصب الحماية على المغرب أصبح وشيك الوقوع؛ لأن مجدد الإسلام الأوحد، وزعيم المغرب الأكبر، قد استشهد في سبيل رفعة الإسلام ومجد البلاد.

قال العلامة المؤرخ القاضي أبو محمد عبدالقادر بن قاسم الرجراجي الدكالي المراكشي في كناشة له: «وبموته ـ أي: المترجم ـ انفتحت أبواب الهموم والغموم على المغرب، واستولت اليد العادية على مدنه».

ومن سوء حظ المغرب ـ أيضاً ـ أن فقد في السنة الموالية زعيمه الشهير وإمامه الخالد، الشيخ محمد مصطفى ماء العينين الشنجيطي الحسني ـ قدس الله سره ـ وبذلك كثرت المحن والمصائب، وتوالت الكروب والنوائب.

وأراني في غنى عن ذكر ما وقع للأنبياء والمرسلين، والصحابة والتابعين، ورجال الأمم الدينية من التعذيب في سبيل الله، والقتل على أبشع صوره؛ فقد مات رسول الله ﷺ مسموماً، وأبو بكر كذلك، وعمر مقتولاً، وعثمان مذبوحاً، وعلي مقتولاً، والحسن ابنه مسموماً، وأخوه الحسين مقتولاً. وكتب التاريخ مملوءة بما لقيه الطالبيون من ضروب الأذى وأنواع القتل، وكتاب «مقاتل الطالبيين»[1] أوضح برهان على ما أقول.

وكم قاسى الإمام مالك مع جعفر بن سليمان، والإمام الشافعي مع أهل العراق ومصر، والإمام أحمد بن حنبل من الضرب والسجن، والإمام أبو حنيفة مع الخلفاء، والإمام البخاري حين أخرجوه من «بخارى» إلى «خزنتك»، والشيخ أبو مدين حين رموه بالزندقة وأخرجوه من بجاية إلى تلمسان، والشيخ أبو الحسن الشاذلي حين أخرجوه من المغرب بجماعته، ثم كاتبوا نائب الإسكندرية بأنه: «سيقدم عليكم من المغرب زنديق»،

(١) كتاب «مقاتل الطالبيين» لأبي الفرج الأصفهاني المتوفى سنة ٣٥٦هـ، وطبع عدة مرات. انظر «الأعلام» للزركلي ٢٧٨/٤.

والشيخ التاج السبكي حين رموه بالكفر وأتوا به مغلولا مقيدا من الشام إلى مصر... وغيرهم.

قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾. [آل عمران: ١٤٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ﴾. [النساء: ١٠٠].

[صلاة الغائب على الشيخ أبي الفيض بمكة المكرمة]:

ولما بلغ خبر استشهاد المترجم إلى الحجاز؛ اجتمع بالحرم المكي المقدس جمهور غفير من المسلمين على اختلاف ألسنتهم ومذاهبهم، وختموا القرءان الكريم عدة مرات، وأهدوا ثوابها لروحانيته الطاهرة. كما أن شيخ الإسلام بمكة: السيد حسين الحبشي الباعلوي الشافعي(١)، والعلامة المسند السيد سالم بن عيدروس البار(٢) وغيرهما من أهل العلم والصلاح بمكة، أعلموا الناس للاجتماع يوم الجمعة حادي عشر شعبان الأبرك بالمسجد الحرام، وصلوا على روحه الطاهرة صلاة الغائب، بإمامة شيخ الإسلام المذكور، وأبنته منارات الحرم على عادة أهل الحجاز في موت العظماء، ووردت رسائل التعازي من كثير من الجهات.

● ولنرجع إلى الحديث باختصار كثير عن بقية أنباء المحنة الكتانية فنقول:

[إطلاق سراح من تبقى من الكتانيين]:

أطلق عبدالحفيظ سراح نساء الأسرة الكتانية ليلة عيد المولد النبوي - بعد أن صادر نحو العشرين من إمائهن - وسراح والد المترجم، الشيخ

---

(١) توفي سنة ١٣٣٠هـ، انظر «لوامع النور» ١/ ٢٧٢.

(٢) لم أقف له على ترجمة..

عبدالكبير في يوم الجمعة متم ربيع الثاني[1]، وسراح شقيقه وولده يوم

---

(١) الشيخ عبدالكبير الكتاني: هو جبل السنة والدين، والداعية الإسلامي العظيم الذي أفنى عمره في الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله؛ سواء في دروسه اليومية ومجالسه الخاصة والعامة، أو في رحلاته إلى المشرق والمغرب، وعلّم الناس كيف يحسنون النية، فيكونون مجاهدين في حوانيتهم ومكاتبهم ومصانعهم ومعاملهم، كما يعلم ذلك بمراجعة مؤلفاته التي تقارب الخمسين، ورسائله الإرشادية التي تناهز خمسة آلاف.

وحينما هوجمت البلاد من طرف الجيوش الفرنسية ودقت ساعة التحرير الكبرى؛ قام بأدوار هامة لصالح البلاد والعباد وصار يغذي الثورة الوطنية الكبرى التي قام بها ولده الشهيد بمختلف أنواع التغذية، وناهيك منها بدروسه القيمة ورسائله العديدة إلى مختلف المدن والقرى والمداشر، وإخباره عن سير الحركات التحريرية القائمة بالبلاد، تلك الأخبار التي كانت تنعش الآمال وتعيد الاطمئنان إلى النفوس المستضعفة، ويتلقاها مراسلو الصحف العربية والأجنبية بمزيد العناية والاهتمام، وتثير بعد نشرها دهشة كبرى في الأوساط الرسمية بفرنسا، وتعرقل المساعي الاستعمارية، وتقلل الثقة التي كان يضعها الدبلوماسيون الفرنسيون في وزراء السوء في الحكومة المغربية، وهذا ما يقوم به وزراء الدعاية في العصر الحاضر. وقد أبدت جريدة السعادة رغبتها الملحة في تخلي الشيخ عبدالكبير الكتاني عن ترويج تلك الإشاعات التي كانت تعدها خطيرة جداً على مصالح فرنسا بالمغرب، وذلك في عددها المؤرخ بيوم الجمعة ٨ جمادى الأولى ١٣٠٧هـ موافق ٢٨ مايو ١٩٠٩م.

ومن يراجع تأليفه في أسباب رضى الله عن العبد - الذي يعد من الوثائق الهامة في تاريخه الوطني- يرى مقدار حنقه على أولئك الذين ناداهم منادي التحرير فلم يجيبوا، ونوع الحملات التي شنها عليهم والعواقب الوخيمة التي يمكن أن تنشأ عن سكوتهم، وكيف دعا إلى عقد مؤتمر مغربي، يحضره ممثلون عن جميع عناصر الأمة، يقع الاتفاق فيه على تكسير الأغلال والقيود التي تعرقل سير الأمة في مدارج الرقي والسعادة، وتدرس طرق الخلاص من وهدة الاستعمار التي سقطت فيها مدينتنا البيضاء ووجدة، وأصبح المغرب كله وشيك الوقوع فيها، وقد وضع هذا الكتاب أسس ما يجب أن يتفق عليه المؤتمرون؛ كاتخاذ مجلس للشورى، وبذل الجائز والمستحيل للظفر بالأعتدة الحربية الجديدة، ودعوة المسلمين لبيع جميع ما في دورهم من الكماليات التي أنتجتها معامل الكفار، ودفع قيمتها في شراء الآلات الحربية التي يتوقف عليها سير الحركة التحريرية، وأخيرا: مقاطعة البضائع الأجنبية. ذاكراً أنها أول عمل يجب على المغاربة أن يقوموا به إذا أرادوا ضمان سيادتهم واستقلالهم، ومبشراً لهم بنصر الله وتأييده إن هم أجمعوا على ذلك وأخرجوه من حيز القول إلى حيز العمل، ومنذرا لهم بسخطه وعقابه إن هم حادوا عنه وسلكوا غير السبيل السوي الذي خطه لهم.

=

الأحد ٢٠ رجب من السنة المذكورة، وتم ذلك بشفاعة الشيخ محمد بن جعفر الكتاني والشيخ أحمد الهبة(١) الذي وجهه والده الشيخ ماء العينين خصيصا لهذا الغرض؛ لعجزه هو عن السفر ـ رحم الله الجميع.

أما الإخوان الكتانيون؛ فقد عفى عنهم بكيفية تدريجية، بعد أن أمر بجلدهم جلدا تقشعر من هوله الجلود، وتشريط أيديهم بالموسى وجعلها في الكافور، ثم تغليفها بالجلد؛ على العادة المعروفة عند الدولة إذ ذاك. فنفذت أوامره بدون منازع؛ لأن المغرب كان يعيش في ظل نظام الحكم الفردي المطلق.

وقد كان بطل الإخوان الكتانيين الزعيم الجليل الفقيه السيد الطيب البوشيخي الصديقي ـ رضي الله عنه ـ موضع تدابير خاصة أدت إلى استشهاده في سبيل الإسلام والمغرب.

= وهكذا كان هذا الإمام المصلح يعرج بأمته في مدارج الرقي والتقدم، ويبني سداً من فولاذ بينها وبين مواطن الخراب والدمار. ولكن قادة الاستعمار كانوا يعملون على تحطيم ما يعترض طريقهم من سدود، سائرين بالمغرب نحو الكارثة العظمى، والداهية الكبرى بخطى سريعة، إلى أن ألقي عليه القبض وعلى عائلته ورجال فدائيين من الطريقة الكتانية، وهم في طريقهم إلى جبال الأطلس...

وبعد الإفراج عنه؛ واصل عمله لصالح دينه ووطنه غير هياب ولا وجل، رغماً عن استشهاد ولده الإمام محمد، فكان من الذين شملهم قوله سبحانه: ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، [آل عمران: ١٤٦]. وقد حاول بعد استرجاعه بعض قوته التي أنهكها السجن أن يخرج إلى جبال الأطلس ليتزعم حركة المقاومة، ولكن جيش الرقابة العتيد الذي كان محاطا به، حال بينه وبين ذلك؛ فاقتصر على توجيه شخصيات بارزة للقيام بهذا الواجب المقدس، كتلميذه وتلميذ المترجم العالم الجليل الشريف عبدالسلام بن الفاضل العلوي المتقدم ذكره في وصل التلاميذ. (المؤلف).

(١) عرف الشيخ أحمد الهبة بنخوته وهيبته، كما عرف عنه الخير والصلاح، وكانت له بالإضافة إلى هذا مواقف شجاعة في سبيل استقلال المغرب، وأسس دولة في منطقة سوس حارب عن طريقها هو وخليفته من بعده الإمام مربيه ربه ماء العينين حوالي عشرين سنة توفي سنة ١٣٣٧هـ، ودفن بتزنيت. المعسول ٢/١٠٥ «إتحاف المطالع» ٢/٤٢٢.

قالت جريدة «السعادة» في عددها المؤرخ بيوم الثلاثاء ١٥ ربيع الأول ١٣٢٧ موافق ٦ أبريل ١٩٠٦ ما لفظه: «أمر جلالة السلطان بتوقيف الضرب بالسياط عن أصحاب الكتاني، بعد أن ضربوا ثلاثة أيام، وزج بهم في سجن الدكاكن، أما الطيب البوشيخي؛ فقد مات منذ يومين بعد جلده ألفين لم ينبس خلالها ببنت شفة، ولم يتفوه بكلمة!».

«وبلغنا أن أصحابه ـ يعني: المترجم ـ من أهل فاس، أقروا أثناء الجلد بأن الشيخ كان أخبرهم قبل سفره من فاس أنه سيدعو إلى الجهاد!».

نعم؛ استشهد الزعيم الصديقي من أثر الضرب، وأمر عبدالحفيظ بإخفاء موته أيضا، ودفنه بروضة سيدي مجبر، وطمس قبره. فكان الأمر كذلك.

[القضاء على الحركة الوطنية الأولى]:

وبهذا أمكن لعبدالحفيظ أن يقضي على الحركة الوطنية، ويغلق مراكزها العديدة، كما قضى على جريدة «لسان المغرب»، التي كانت تصدر بطنجة، حاملة لواء الدعوة إلى الإصلاح، والمنادية بوجوب المحافظة على الاستقلال.

قالت «السعادة»[1]: «انتهت قضية «لسان المغرب»، بأمر مولوي يقضي بشراء المطبعة من صاحبي الجريدة، وتعطيل اللسان تعطيلا نهائيا».

وقالت أيضاً[2]: «ودعنا مشيعين على طريق السلامة، صاحبي جريدة «لسان المغرب»: فرج الله بك نمور، وشقيقه أرنور، ووجهتهما سوريا. وقد حاز المخزن مطبعة جريدة «اللسان»، بعد أن اشتراها بمبلغ خمسة عشر ألف فرنك، وأمر بتوجيهها إلى مراكش الحمراء».

وقد تسنى له ـ بفضل الحركات التطهيرية التي قام بها ـ أن يترك الجيش الأجنبي يتقدم في البلاد بخطى سريعة، ويجعل حركة المقاومة تسير بدون رائد يلهب حماسها ويهديها سواء السبيل.

---

(١) في عددها الصادر يوم الجمعة ٢٨ جمادى الأولى ١٣٢٧، ١٨ جوان ١٩٠٩. (المؤلف).

(٢) في عددها المؤرخ بـ ٥ جمادى الثانية ١٣٢٧م: ٢٥ جوان ١٩٠٩. (المؤلف).

وفي هذا الوقت؛ بدأت القبائل البربرية، توالي هجومها على فاس قصد إنزاله عن العرش وتوليه شخص آخر من رجالات الأسرة العلوية الشريفة مكانه. وكان ذلك من أجل الإهانات المتوالية التي كان يلحقها بهم، في كل شهر، والضرائب الباهظة التي كان يفرضها عليهم بين الفينة والفينة.

وقد تحدثت الصحف العربية وغيرها، عن تلك الهجومات وأبرزت العوامل الحقيقية التي دفعت رجالات القبائل إليها، وأثبتت المحادثات التي كانت تروج بين ممثلي الفريقين، الأمر الذي يجعل القارئ المنصف يحمل مسؤولية كل ما وقع له ولبطانته، لأنه كان لا ينفذ بنود الاتفاقيات الشفاهية المبرمة بينه وبينهم.

[دخول الاستعمار المغرب وتوقيع عقد الحماية]:

وقد اغتنم آخر هجوم على فاس، فاستدعى الجيش الفرنسي الموجود إذ ذاك بالدار البيضاء، بدعوى إنقاذه من الخطر، وتهدئة خواطر الفاسيين الذين كانوا على وشك الانقضاض عليه أيضا، نظرا لموقفه السلبي من قضية استقلال البلاد. وما هي إلا مدة وجيزة، حتى دخل إلى فاس جيش الجنرال موني في **٢١** ماي سنة **١٩١١**، بعدما لقي مقاومة عنيفة من طرف الكتانيين وغيرهم من رجالات المغرب الأباسل، استشهد أثناءها آلاف من الناس؛ فكان هذا الاستدعاء الضربة القاضية على المغرب، والهوة التي التقمته ولا قعر لها ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾. [الروم: ٤].[١]

(١) من رسائل الشيخ عبدالرحمن بن جعفر لشقيقه محمد بن جعفر: «الجناب الحفيظي في هول عظيم، والآن عرف ما زلت به فيه قدمه وحاق به ندمه، فلم ينفعه الندم شيئاً، وقد كتب إليه من طنجة أن المقري قادم لفاس صحبة أحد كبراء دولة فرنسا لأخذ خط يده بتسليم المغرب وسدل حماية فرنسا عليه كتونس، وهو الآن يقول: إني لانفعل ولو وقع ما وقع، ولو آل الأمر إلى تخليه عن الملك فإنه يفعل ولا يعطي خط يده بذلك، ورجا أنه إذا تخلى عن الملك قامت الأمة المغربية تجادل عن وطنها. وهذا ما لا يظن وقوعه!»... (الرسائل مخطوطة في خزانة خاصة).

ولو أنه تنازل عن العرش، وترك نواب الأمة يجلسون عليه من يستطيع الاضطلاع بمهامه الثقيلة؛ لكان المغرب على غير ما هو عليه الآن، ولكنه آثر مصلحته الشخصية على مصلحة المسلمين العامة.

وقد وصل الجيش الفرنسي لفاس، و«رينو» سفير فرنسا يلح على عبدالحفيظ في إعطاء الاحتلال الفرنسي للمغرب صفة قانونية، وذلك بإمضاء «معاهدة الحماية»، وأصبحت وكالات الأنباء العالمية ـ ومن بينها: «هافاس» ـ تذيع أن المخابرات الجارية بين سفير فرنسا بفاس وملك المغرب، تدل دلالة واضحة على أن هذا الأخير مصمم النية على قبول الحماية الفرنسية على المغرب، وتعهدها بكل إخلاص وصفاء.

وقد سبق توقيع الحماية احتفال كبير، أقامه عبدالحفيظ للسفير الفرنسي وأعضاء سفاراته، وقد تحدثت عنه الصحف العربية والأجنبية. وفيما يلي كلمة موجزة عنه تحت عنوان «على مائدة السلطان»[1]: «أولمت الحضرة الشريفة أمس مساء، وليمة ملوكية للسفير الفرنساوي وأعضاء سفاراته، وكانت المائدة تحت رعاية جلالة الحضرة نصرها الله، وحضرها أيضاً الجنرال «بيلور مونيه»، والصدر الأعظم وجميع الوزراء، وكانت لوائح المسرة والبشر تلوح على جلالة الحضرة الشريفة، وجميع الحضور، وخطب سعادة المسيو «رينو» ـ السفير الفرنساوي ـ على المائدة السلطانية خطابا أبان فيه مزيد ارتياحه إلى الخطة القويمة التي تتمشى عليها المخابرات بينه وبين جلالة الحضرة. وأبدى شكره العظيم لها على النوايا الولائية الخالصة التي تبديها نحو دولته، وامتن امتنانا جليلا لجميع رجال المخزن، وأهل فاس الذين ما زالوا يظهرون من المجاملة والحفاوة به وبمن معه، مما يدل على تمكن العلائق الودية بين الدولتين. فأجاب جلالة السلطان على خطاب السفير بكلام كله صفاء ووفاء، شاكرا له الخطة التي يتمشى عليها معه في المخابرات، وبين جلالته سروره من العلائق الودية التي أوجدت بين

---

(١) مؤرخة بـ ٣٠ مارس، نشرتها «السعادة» في عددها الصادر يوم السبت ١٨ ربيع الثاني عام ١٣٣٠ موافق ٦ أبريل ١٩١٢ (المؤلف).

الدولتين، واتفاق آرائهما على ما فيه مصلحة هذه البلاد، وخصوصا الثقة التي رآها المخزن في السفير الفرنساوي، والتي لم تترك مجالا للريب في نوايا دولته؛ وقال في الختام: «إني مسرور جدا من نتيجة المخابرات الجارية بينه وبين السفير المذكور، وأكد للمسيو رينو صداقته الخالصة له ولدولته، وطلب منه أن يعرب لدولته عن حسن استعداده ومحبته وثقته بها، ولا غرو أن تصريحات جلالة الحضرة تسمح لنا أن نثق ونؤكد بأن الاتفاق على الحماية بين السفير الفرنساوي وجلالة السلطان، أصبح أمرا متوقعا، والمتوقع كالواقع».

ولم يكد يصل اليوم الحادي عشر من ربيع الأول سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف، حتى أعلن عن الطامة الكبرى، والمصيبة العظمى؛ وهي: التوقيع على معاهدة الحماية، وفيما يلي نصها:

معاهدة منعقدة بين فرنسا والمغرب لتنظيم الحماية الفرنسية في المملكة الشريفة:

«بناء على اهتمام حكومة الجمهورية الفرنسية، وحكومة الجلالة الشريفة بتأسيس حكم منظم في المغرب، قائم على السكينة الداخلية والأمن العام، ومساعد على إدخال الإصلاحات، وضمان نمو البلاد الاقتصادي؛ اتفقت الحكومتان على المواد الآتية:

«**الفصل الأول**: اتفقت حكومة الجمهورية الفرنسية مع جلالة السلطان على إنشاء نظام جديد في المغرب، يسمح بالإصلاحات الإدارية والقضائية، والدراسية والاقتصادية، والمالية والعسكرية، التي ترى الحكومة الفرنسية فائدة في إدخالها للتراب المغربي».

«وهذا النظام «الجديد» سيحفظ الوضعية الدينية، وحرمة السلطان ومكانته المعتادة، وتطبيق الدين الإسلامي، وسيصون المؤسسات الإسلامية؛ خصوصا: مؤسسات الأحباس. كما أنه سيتضمن تنظيم مخزن شريف على أساس إصلاحي».

«وحكومة الجمهورية ستتفاوض مع الحكومة الإسبانية في موضوع المصالح التي لها «بالمغرب» من أجل موقعها الجغرافي، وممتلكاتها الأرضية على الشاطئ المغربي».

«كما أن مدينة طنجة ستحتفظ بالطابع الخاص، الذي اعترف لها به، والذي سيحدد نظامها البلدي».

«**الفصل الثاني**: يقبل جلالة السلطان منذ الآن، أن تشرع الحكومة الفرنسية بعد إعلام المخزن، في الاحتلالات العسكرية التي تراها ضرورية لاستتباب السكينة، وتأمين المعاملات التجارية في التراب المغربي، كما أنه يقبل أن تزاول الحكومة الفرنسية كل عمل من أعمال الحراسة برا وبحرا في المياه المغربية».

«**الفصل الثالث**: تتعهد حكومة الجمهورية، أن تبذل لجلالته الشريفة تأييدا دائما ضد كل خطر سيهدد شخصه أو عرشه، أو سيقلق راحة أيالته، وسيقدم من «جانبها» نفس التأييد لوارث العرش ولتابعيه من بعده».

«**الفصل الرابع**: سيصدر الأمر من جلالته الشريفة، أو من السلطات التي ينيبها جلالته، بالتدابير التي يقتضيها نظام الحماية الجديد، طبقا لاقتراح الحكومة الفرنسية، وكذلك سيجري الأمر في الضوابط الجديدة، وتنقيحات الضوابط الموجودة من قبل».

«**الفصل الخامس**: ستمثل الحكومة الفرنسية عند جلالة السلطان، بواسطة مندوب مقيم عام، حامل لكل تفويضات الجمهورية في المغرب، وساهر على تنفيذ هذا الاتفاق الحاضر».

«وسيكون المندوب المقيم العام، هو الوسيط الوحيد بين السلطان والنواب الأجانب، وبينهم وبين الحكومة المغربية في العلاقات التي لهم معها، وسيكلف ـ خصوصا ـ بالقضايا التي تهم الأجانب في المملكة الشريفة».

«وباسم الحكومة الفرنسية سيصادق على كل الأوامر الصادرة عن جلالته الشريفة ويأذن بنشرها».

«**الفصل السادس**: سيكلف نواب فرنسا الدبلوماسيون والقنصليون بتمثيل «المغرب» وحماية الرعايا المغاربة والمصالح المغربية في الخارج».

«ويتعهد جلالة السلطان بأن لا يعقد أي عقد ذي صبغة دولية، دون رضى سابق من حكومة الجمهورية الفرنسية».

«**الفصل السابع**: حكومة الجمهورية الفرنسية وحكومة جلالته الشريفة، سيحددان ـ باتفاق مشترك أصول تنظيم مالي، يسمح بضمان التزامات الخزينة الشريفة، وجباية مداخيل المملكة بانتظام، مع رعاية الحقول المخولة لحامل سندات الديون العمومية المغربية».

«**الفصل الثامن**: يمتنع جلالته الشريفة من أن يعقد في المستقبل، رأسا أو بواسطة، أي سلف عمومي أو خصوصي، أو يمنح أي امتياز على أي شكل كان دون ترخيص من الحكومة الفرنسية».

«**الفصل التاسع**: سيقدم هذا الاتفاق الحاضر، لمصادقة حكومة الجمهورية الفرنسية، ووثيقة هذه المصادقة سترفع إلى جلالة السلطان في أقصر أجل ممكن».

«وإقرارا بما هو أعلاه؛ حرر الموقعان الاتفاق الحاضر وختماه بطابعيهما. وضع بفاس في **٣٠** مارس **١٩١٢** (موافق **١١** ربيع الثاني **١٣٣٠**)».

توقيع (١)	توقيع (٢)
رينو	عبدالحفيظ
سفير فرنسا	سلطان المغرب

[موقف الحركة الوطنية من معاهدة الحماية]:

ولقادة الحركة الوطنية بالمغرب كتابات عديدة وتعليقات مفيدة على

هذه المعاهدة البغيضة[1]. وسأقتصر هنا على مقال نشرته جريدة «الوحدة المغربية» المجاهدة، في افتتاحيتها بقلم مؤسس «حركة الوحدة المغربية» ورئيسها الأستاذ الكبير الشيخ محمد المكي الناصري[2]: قال تحت عنوان:

قبح الله الحماية!!؛ فهي جناية ما فوقها جناية...

«يضحكني ـ والله ـ ما يقوله المستعمرون المنافقون من مهاترة وسفسطة لا حد لهما، عندما يأخذون في شرح فوائد الحماية ومنافع الوصاية.. وما جلبه هذا الاختراع العجيب للإنسانية من سعادة ورفاهية وتقدم منقطع النظير.. لا سيما بالنسبة إلى هذا المغرب البائس المنكوب».

«وإني لأولي وجهي شطر الحقيقة، باحثا منقبا هنا وهناك عن محاسن الحماية ومزايا الاستعمار، فلا أرى في الحماية إلا جناية ما فوقها جناية، ولا أرى في الاستعمار إلا جريمة لا تعدلها جريمة على وجه الأرض».

«هذه بلادنا المغربية كانت موحدة التراب، موحدة السلالة، موحدة اللغة، موحدة الدين، موحدة الاقتصاد، موحدة السياسة، موحدة العدالة، موحدة الحكم، وبالإجمال: بكل معاني التوحيد؛ لا فرقة فيها ولا تشريد، فجاءت الحماية ـ حماية الغرب المراوغ، المنافق المخادع الختال ـ فمزقت بلادنا شر ممزق، وقطعت وطننا وأمتنا إربا إربا من كل النواحي ومن جميع الاعتبارات، وقضت على جميع مقوماتنا الجوهرية كدولة وأمة ذات كيان قومي وتاريخي خاص، ووقفت حجر عثرة في سبيل تطورنا الطبيعي ونهضتنا المتسلسلة، وحالت بيننا وبين كل ما يفيد شعبنا وأمتنا، أو يدفع بهما إلى ساحل النجاة والخلاص...

ولم تكتف «الحماية الدخيلة» بهذا كله، بل خلقت لنا مشاكل جديدة،

---

(١) العدد ٤٤ السنة ٤ بتاريخ: يوم الجمعة ٢١ جمادى الأولى ١٣٥٩هـ، ٢٨ يونيو ١٩٤٠م. (المؤلف).

(٢) العلامة المكافح، والوطني الغيور، والشاعر الفذ، كان مديراً لجريدة الشعب كما تقلد عدة مناصب وزارية ولد سنة ١٣٢٤هـ، وتوفي سنة ١٤١٤هـ بالرباط.

واستحدثت لنا متاعب عديدة، لتقف في طريقنا، وتحول بيننا وبين الوصول إلى أهدافنا، وضربت الشعب المغربي أجمع، بسوط «الزلط»[1] والقحط إلى أن صرعته، أو كادت، ولم يرضها شيء «إلا أن يموت هذا الشعب موتة لا يحيى بعدها أبداً». . ».

قبح الله الحماية؛ فهي جناية ما فوقها جناية!!

«وإن من علينا بها الحماة زمناً طويلاً، وتلوا فضائلها ومزاياها ترتيلاً، وإننا لأحق منهم بالمن عليهم؛ فعلى قفانا عاشوا، ومن دمائنا اغتنوا، ولولانا لكانوا دائما وأبدا ثانويين في الحياة الدولية والسياسة العالمية».

««الحماية» - حماكم الله منها أيها المواطنون - جاءت إلى بلادنا العزيزة بجيش من الصعاليك والمفاليك، ليس لهم من الكفاءة ولا من الاستعداد ولا من الرجولة، ما يخولهم أن يحتلوا ولو مركزاً بسيطاً في حياة شعوبهم، وداخل بلادهم، جهلاء بكل معاني الجهل، شرهين جشعين بكل معاني الشراهة والجشع، قصارى النظر في كثير مما يفكرون وما يعلمون، بعيدين كل البعد عن معرفة النفسية المغربية، وعن فهم العقلية المغربية، وعن الإحساس بالأماني المغربية. ومع هذا وكلت إليهم قوة الحديد والنار مصير شعب حر بأسره، ومستقبل أمة عزيزة بأكملها. . فماذا يفعل هؤلاء الصعاليك والمفاليك وهم أعجز من العجز، وأبلد من البلادة، وكل ما يعرفون: أنهم أقوياء؛ فيجب أن يحكموا المغرب، وأنهم سادة؛ فيجب أن يكون المغاربة لهم عبيداً. . ».

قبح الله الحماية؛ فهي جناية ما فوقها جناية!!

««الحماية» - حماكم الله منها أيها المواطنون - هي التي قسمت المغرب إلى أجزاء ثلاثة، قسمة ضيزى[2] ما أنزل الله بها من سلطان، ثم قسمت الجزء الواحد إلى نواحي ومناطق، ثم قسمت الناحية الواحدة

---

(١) الزلط: الفقر.

(٢) أي: جائرة.

والمنطقة البسيطة إلى عشرات الأجزاء والوحدات، فشتتت شمل المغرب، وشردت المغاربة، وفرقت ما جمع الله طبيعياً ودينياً واجتماعياً واقتصادياً، فكانت الطامة الكبرى على المغرب والمغاربة، وأصبح الجزء الواحد من وطننا ميتاً مشلولاً، والعضو الواحد من بلدنا مقطوعاً مبتوراً، الماء بجانبنا ونحن إليه عطاش، لكننا لا نكرعه، والخبز عن يميننا ونحن إليه جياع، لكننا لا نطعمه، والسهل أمامنا ونحن إليه محتاجون، لكننا لا نزرعه، والأخ الشقيق بجوارنا ونحن إليه مشتاقون، لكننا لا نستطيع لزيارته سبيلاً . .».

قبح الله الحماية؛ فهي جناية ما فوقها جناية!!

««الحماية» ـ حماكم الله منها أيها المواطنون ـ هي التي خلقت أول مشكلة دينية وسلالية وقضائية منذ عرف المغرب التاريخ. فقد كان المغاربة قبل الإسلام موحدين في عقيدتهم وسلالتهم، وأحكامهم، لا يستطيع أحد أن يفرقهم ولا أن يمزق وحدتهم، ثم جاء الإسلام الطاهر فقوى الوحدة المغربية، وأعطاها غذاء روحياً جديداً، ووضع لها أساساً أقوى من كل الأسس السابقة، فلم يعرف المغاربة المسلمون خلال ثلاثة عشر قرناً سوى شيء واحد؛ هو: أنهم «مغاربة» متحدون ديناً وجنساً وقضاء، تجمعهم جميعا كلمة الإسلام، وتظللهم جميعاً راية المغرب».

«حتى جاء الاستعمار، وأعلنت الحماية؛ فظهر على المسرح شيء جديد لم يعرفه التاريخ ولم تؤيده الحقيقة، ولم يرض به الشعب المغربي في قليل ولا كثير، ذلك أن هناك مغربياً أصيلاً ومغربياً دخيلاً . . مغربياً مسلماً أو في حكم المسلم ـ ومغربياً مسيحياً، أو في حكم المسيحي ـ مغربياً يرضى بالتحاكم إلى الشريعة المحمدية، ومغربياً يرفضها ولا يرضى إلا بالعادات الوثنية والجاهلية . .».

قبح الله الحماية؛ فهي جناية ما فوقها جناية!!

««الحماية» ـ حماكم الله منها أيها المواطنون ـ هي التي محت شخصية المغرب بين الدول، وحطمت كيان المغاربة بين الأمم، وفرضت نفسها مسيطرة وحاكمة، مشرعة ومنفذة، يدير أبناؤها الصغير والكبير، والجليل

والحقير، ويحاسبوننا على النقير والقطمير، فهم الحكام ونحن المحكومون، وهم أصحاب البلد الأقربون، ونحن الغرباء المنبوذون، وهم الأوائل في الحقوق كلها، ونحن الأوائل في التكاليف كلها، لهم الأمر، وعلينا الطاعة، لهم الحياة وعلينا الموت، لهم الغنم وعلينا الغرم، لهم النصر وعلينا الهزيمة، لهم العيش الغض وعلينا العمل الشاق، لهم النفوذ والكرامة، وعلينا الخضوع وتوطيء الهامة..».

قبح الله الحماية؛ فهي جناية ما فوقها جناية!!

««الحماية» - حماكم الله منها أيها المواطنون - هي التي أذلت أعزاءنا، وأعزت أذلاءنا، وحمت الإجرام والمجرمين فينا، وسلطت علينا أنذالنا وجواسيسنا ولصوصنا، وقطاع الطريق في بلادنا، فجعلتهم لأول مرة في التاريخ - وهم عبيد العصا - رؤساء على الأحرار، وألقت عليهم من عدوانها وكبرائها أفخر حلة وأعظم ستار، ومكنت لهم من رقاب أبناء الأمة الأبرار، يفعلون بهم ما لا يفعله الملوك المتسلطون، ولا الطغاة الغالبون، كل شيء عليه الرقابة إلا عليهم، وكل شخص مشكوك فيه إلا فيهم، وكل إنسان مسؤول عن عمله إلا هم؛ فلا مسؤولية عليهم أمام أحد..».

قبح الله الحماية؛ فهي جناية ما فوقها جناية!!

««الحماية» - حماكم الله منها أيها المواطنون - هي التي مسختنا فجعلتنا كالقرود، و«شوهتنا» فجعلتنا كحديقة الحيوانات الجامعة لعجائب المخلوقات، فقد اختارت - في أغلب الأحيان وأكثر الظروف - أقوى عناصرنا تفاهة وعياء، وأكثرها بلادة وجموداً، وأشدها خمولاً وبرودة، وأظهرها جبناً وعجزاً، وأضعفها شخصية وإرادة، وأقلها مجداً وشرفاً، وأسودها ماضياً وتاريخياً، وبالإجمال؛ اختارت العنصر الذي يضرب به المثل في النقص الإنساني والسلالي ببلادنا، فجعلته العنصر السائد البارز الذي يظهر في المجتمعات، وتزين به الصالونات ويتحرك كالدمى والآلات.. ويحكم دون أن يكون حاكماً، ويأمر دون أن يكون آمراً،

ويُضرب له السلام وهو في حقيقة الأمر والواقع شبح من الأشباح، ووهم من الأوهام!..».

قبح الله الحماية؛ فهي جناية ما فوقها جناية!!

««الحماية» ـ حماكم الله منها أيها المواطنون ـ هي التي نشرت التجسس، وحمت الخيانة وخلقت البطالة وبثت الدعارة، وأقامت دعائم الإباحية بسكرها وقمارها، وزناها السري والعلني، وروجت في السوق المغربي بضاعة النفاق والتملق والطمع، وشجعت كل خسيس من الأخلاق، ورذيل من العادات، ونظمت المهازل والمفاسد والخرافات، وخلقت كثيرا من مجاهل «السادات» الذين يعد الفضل في اختلاقهم وظهورهم والبناء عليهم إلى عبقرية «المراقبات»..».

قبح الله الحماية؛ فهي جناية ما فوقها جناية!!

«الحماية» ـ حماكم الله منها أيها المواطنون ـ هي التي أقامت صروح الجهل والرذيلة، على أنقاض العلم والفضيلة في بلادنا، فحاربت التعليم والتهذيب حربا عوانا، وطاردت أنصار المعرفة والنور أساتذة وطلابا، شيبا وشبانا، وهي التي جعلت الفوضى قانونا، والظلم شريعة، والاستبداد دستورا؛ فلا حق لأحد مصون، ولا حرية لفرد مضمونة، وإنما هو التعسف والإرهاب، والضغط والإرهاق، والسيف مسلط على الرؤوس، والسجن الطويل، والعمل الشاق ينتظر كل بائس «منحوس»..».

قبح الله الحماية؛ فهي جناية ما فوقها جناية!!

««الحماية» ـ حماكم الله منها أيها المواطنون ـ جاءت بدعوى ترفيهنا؛ فضايقتنا حتى في الماء والخبز، وأصبحنا لا نجدهما إلا لماما، وجاءت بدعوى تحضيرنا؛ فنقلت إلينا أقبح ما عندها من سفاسف ومفاسد وأخلاق، وحاربت خير ما عندنا من عادات وتقاليد ونظم. وجاءت بدعوى تمريننا على الاقتصاد والحيلولة بيننا وبين الإسراف؛ فأغرقتنا في بحر من الديون والقروض، وبعدما وجدتنا مدينين ببعض ملايين من الفرنكات والبسيطات، أصبحنا اليوم مدينين بمئات من المليارات، وجاءت بدعوى أنها ستنقذنا من

عوز وتغنينا من فقر؛ فكانت هي الدائنة والمدينة، وهي صاحبة القرض والانتفاع في القرض، أي: إنها الغنية والفقيرة، والحامية والمحمية، بحيث لم تترك للمغاربة المساكين من تلك الملايير والملايين، إلا فتائت الموائد وعرق الجبين..».

قبح الله الحماية؛ فهي جناية ما فوقها جناية!!

«الحماية» - حماكم الله منها أيها المواطنون الأعزاء - جاءت بدعوى أنها ستخدمنا وتهذبنا، وتعدنا لحكم أنفسنا بأنفسنا، وتجعل منا - في وقت قريب - أمة حديثة، قادرة على السير وحدها في معركة الحياة الجديدة المعقدة، ودولة عصرية كاملة الأجهزة، تامة الأدوات، مستعدة لاحتلال مركزها بين الدول المتحضرة المنظمة في أول فرصة دون اعتراض ولا جدل، فبدلا من أن تهتم بتنظيم بلادنا من أجلنا ومستقبلنا؛ اهتمت بتنظيمها من أجل نفسها ومستقبلها، فدفاعنا هو دفاع عن الإمبراطورية، وجيشنا هو جيش الإمبراطورية، ومواصلاتنا هي مواصلات الإمبراطورية، وإنتاجنا موديل لاقتصاد الإمبراطورية، وتعليمنا هو تعليم في صالح الإمبراطورية، وإدارتنا هي إدارات ملحقة بالإمبراطورية، ووظائفها هي احتكار مقصور على شباب الإمبراطورية، وكلنا بدمائنا وأموالنا وأملاكنا - مع ما في أصلاب رجالنا، وأرحام نسائنا، حتى أحفادنا وأحفاد أحفادنا - ملك خالص لساداتنا وحماتنا أبناء السلالة الغريبة الرفيعة.. فالمغرب لهم ولأبناء أبناءهم كما يهتف اليوم أطفالهم، ويعلن رجالهم، وللمغاربة المساكين: العصا والحجر!..».

قبح الله الحماية؛ فهي جناية ما فوقها جناية!!

«أيها المواطنون الأعزاء؛ لقد ضقنا ذرعا بهذه «الحماية» البغيضة، التي هي أكبر مسؤول عن كل ما أصابنا، لقد مللنا هذه الحياة الثقيلة الوضيعة التي نعامل فيها كالعبيد والوحوش، من قوم غرباء دخلاء ليسوا منا، ولسنا منهم في شيء. إن الدم ليحترق في قلوبنا، وإن حرارة أنفاسنا بلغت أعلى درجة في الارتفاع، فلم نعد قادرين على السير والرضى بهذه الحماية المفروضة الباطلة من يومها الأول، وإن الشعب المغربي - من أقصاه إلى

أقصاه - ليتبرم سخطاً وحنقاً على حماته المنافقين، وأبنائه العاقين، وكأني أراه يستعد ليلاً ونهاراً لكسر جميع القيود والأغلال، حتى يحطم صرح الحماية ويعلن الاستقلال»...»[1].

---

(١) نعم؛ أعلن عن استقلال المغرب في بيان أصدره صاحب الجلالة أمير المؤمنين، ومفخرة العرب والمسلمين، سيدي محمد الخامس أيده الله، ووزير خارجية فرنسا «أنطوان بيني» إثر اجتماع تم بينهما في قصر «لاسين سانكلو» بباريز يوم ٦ نوفمبر سنة ١٩٥٦، بعد كفاح طويل وشاق دام نصف قرن، كان شطره الأول بالسيف وشطره الثاني باللسان والقلم.

وقد أبلى البلاء الحسن في شطره الأول، أتباع الطريقتين الكتانية والعينية، والقائد المجاهد السيد محمد وحمو الزياني، وغيره من أبطال المغرب المغاوير، وكانت الثورة الكبرى التي شنها بطل المغرب الأكبر وغازيه الأشهر العلامة الجليل السيد محمد بن عبد الكريم الخطابي أهم عمل قام به المغاربة في هذا الميدان، لأنه نظمها تنظيماً عصرياً أدهش به العالم، وأقض مضاجع فرنسا وإسبانيا وحلفائهما، ورفع رأس المغرب عالياً.

كما أبلت البلاء الحسن في شطره الثاني، الأحزاب الوطنية وزعمائها ورؤساء الطرق الصوفية المخلصون، ومريدوهم الصادقون، وعلماء الجامعات والمعاهد الدينية الأحرار، وطلبتها الأبرار.

وكان ختام الجميع: الحركة الفدائية القوية وجيش التحرير العتيد وحركة العلماء الهامة، والاتحاد المغربي للشغل، وتم الشطر الثاني بفضل الله سبحانه وتعالى تحت قيادة وتوجيه وتشجيع الملك العظيم أبي الحسن مولانا محمد الخامس الذي حباه الله كثيراً من المزايا والفضائل، ووفقه لخوض معركة الكفاح ضد المستعمرين الغاصبين، ومحو عار الحماية المشؤومة، عن هذه الأمة الأبية، حتى حمله ذلك على التضحية بعرشه وكل عزيز عليه في سبيل إنقاذ أمته من الاستعمار والاستغلال، والجهل والتأخر والانحطاط، وأثر النفي والإبعاد على السيادة الزائفة، والجاه الكاذب فجزاه الله على ذلك بإرجاعه إلى عرشه مزوداً بوثيقة الاستقلال، ومحتلاً مكانة سامية في قلب كل مسلم. وها هو يبني الاستقلال بعزيمة ماضية، وإيمان كامل، وقد وعد أمته بتحقيق مطلبها الأسمى «الدستور» الذي كان المترجم أول من نادى به وعمل له، وأحد الأسباب التي استشهد من أجلها.

ولا ننسى هنا تأييد الجامعة العربية، والكتلة الإفريقية الآسيوية، ودول العالم الحر.. فكل مغربي يعترف بذلك، ويرجو الله أن يجازي جميع العاملين خيراً، ويوفق قادة المغرب إلى السير به في طريق كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والفقه الإسلامي الحر، لأننا قوم أعزنا الله بالإسلام فإذا ابتغينا العزة بغيره ذللنا. (المؤلف).

هذا حال المغرب قبل الاستقلال بثلاث وعشرين سنة، ولا تسأل عن حاله بعد ذلك؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

[إرغام المولى عبدالحفيظ للتنازل عن العرش لصالح أخيه مولاي يُوسُف]:

وغير خفي أن الفرنسيين أزالوا لعبدالحفيظ كل نفوذ، بعد توقيعه على معاهدة الحماية، وأرغموه على نقل عاصمة ملكه من فاس إلى الرباط[1]، وفيه اضطروه إلى التنازل عن العرش نهائيا وبصفة رسمية[2]ولم يمهلوه إلا أربعة أشهر وسبعة عشر يوما؛ لأن عادة الاستعمار الغدر والخيانة.

وبعد فقده لملكه؛ استوطن طنجة، ومنها قصد الحجاز، فحج وزار ودخل بعض البلاد العربية، وأفضى بتصريحات للصحافة، لم تكن في صالح وطنه. ثم رجع لطنجة، فأقام بها عدة سنوات، ثم انتقل إلى إسبانيا ثم إلى باريز، فأقام بها إلى أن توفي بها[3]، ثم نقل إلى المغرب حيث دفن بفاس، بضريح جده مولاي عبدالله؛ وعند الله تجتمع الخصوم!!...

ولا أختم هذا الوصل حتى أصرح بأن ضمير عبدالحفيظ كان يؤنبه طيلة المدة التي عاشها بالمغرب وإسبانيا وفرنسا بعد فقده لملكه على قتله للمترجم، وتوقيعه على معاهدة الحماية. وكان أثناء وجوده ببلاد الشرق العربي يتلقى كلمات العتاب واللوم من كبار الشخصيات التي يجتمع بها، وتوجه إليه أسئلة عن الأسباب الحقيقية التي دفعته لذلك؛ فلم يكن يجد جوابا مقنعا.

وقرأت في ترجمة الإمام محمد بن جعفر الكتاني لولده الشيخ محمد الزمزمي رحمهما الله[4]، أن عبدالحفيظ تردد مرارا على شيخه ابن جعفر أيام

---

(١) بتاريخ ٢٠ جمادى الثانية سنة ١٣٣٠ الموافق ٦ يونيو ١٩١٢. (المؤلف).

(٢) بتاريخ يوم الإثنين ٢٨ شعبان سنة ١٣٣٠ موافق ١١ غشت سنة ١٩١٢. (المؤلف).

(٣) زوال يوم الأحد ٢٢ محرم سنة ١٣٥٦هـ الموافق ١٤ أبريل ١٩٧٣. (المؤلف).

(٤) توجد نسخة منها بخط يد مؤلفها بخزانة نجله خالي العلامة محمد المنتصر الكتاني، وقد ضمها إلى مذكراته ورحلتيه الهنديتين الأولى والثانية ورسائله الخاصة حفيده الدكتور علي الكتاني في مؤلف كبير سماه: «حياتي»، أو: «عقد الزمرد والزبرجد في سيرة الابن والولد والجد» في ثلاثة أجزاء كبار، وهي مطبوعة على الحاسوب.

هجرته بالمدينة المنورة، فامتنع من استقباله، وأخيرا اشترط عليه تجديد إيمانه وإعلانه التوبة أمام القبر النبوي، ففعل(١).

وكانت رسائله الكثيرة التي كان يبعث بها للإمام المذكور بعد ذلك، مصرحة بالتوبة ومعلنة عن التعلق الكامل، والتلمذة النادرة. وقد وقفت عليها، ولولا خوف الطول؛ لأثبتها هنا(٢).

وحدثني الشيخ الإمام أبو عبدالله محمد بن الصديق الغماري الحسني(٣) رضي الله عنه، أنه: رأى المترجم في المنام، فقال له: «أين أنت؟»، فأجابه بقوله: «إني ساجد تحت العرش شكرا لله تعالى على ما خولني من رتبة الشهادة».

وحدثني ـ أيضاً ـ أنه: رآه مرة أخرى حاملا محفظته، فسأله عن محتواها، فقال له: «احتوت على عفوي على عبدالحفيظ!». والله أعلم.

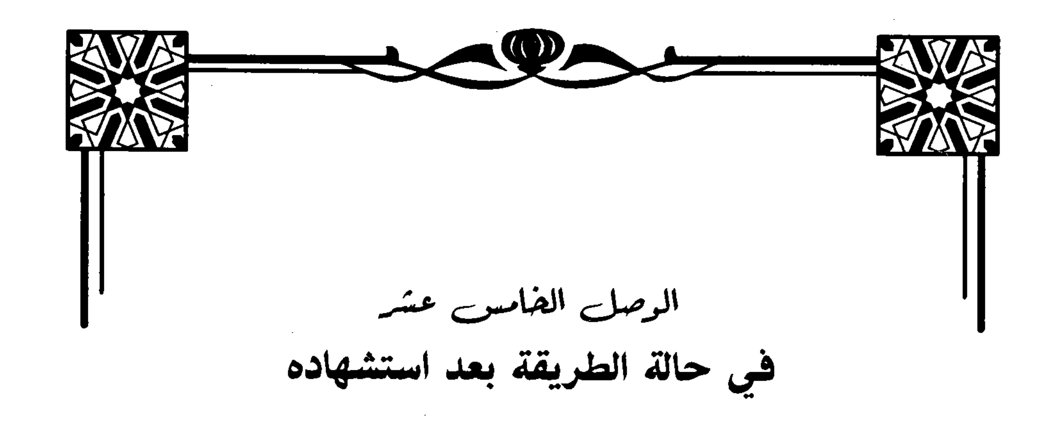


---

(١) قال الشيخ محمد الزمزمي الكتاني في مذكراته: «وكان الوالد قوالا بالحق، شديد النصيحة لعباد الله؛ فجابهه بقوله: إن هذه الحضرة (يعني: المدينة المنورة) يأتي الناس إليها للإيمان والإسلام، فإن أردت أني أقبلك؛ فاذهب لسيدنا محمد ﷺ وتب إلى الله من جميع ما صار منك بأعتابه الشريفة، ثم انو أداء جميع الحقوق ورد جميع المظالم، ثم جدد إيمانك وإسلامك!. فأجابه المولى عبدالحفيظ بالإذعان والقبول». (حياتي: ١٣٠٥- ١٣٧١هـ) ص: ٢٣٦.

(٢) وقد نشر نبذة عن هذه الرسائل عم والدتنا الدكتور إدريس الكتاني في مقدمة كتاب «النصيحة» لوالده الإمام محمد بن جعفر الكتاني.

(٣) من أساطين العلم والصلاح في وقته، وشيخ الطريقة الصديقية، توفي سنة ١٣٥٤هـ، انظر في ترجمته «التصور والتصديق في ترجمته ابن الصديق»، لنجله الحافظ أحمد ابن الصديق ـ «إتحاف المطالع» ٢/٤٧٢ وغيرهما.



الوصل الخامس عشر

في حالة الطريقة بعد استشهاده

[تحريض الشيخ أبي المكارم المغاربة للجهاد ضد فرنسا]:

أصبحت الطريقة الكتانية تعمل في الخفاء بعد إغلاق زواياها، تحت قيادة والد المترجم الشيخ عبدالكبير قدس سره. فلقد حدثني العالم الصوفي الداعية الشريف، مولاي عبدالسلام بن الفاضل العلوي رحمه الله[1]، أن الشيخ عبدالكبير استدعاه يوما لمحل سكناه، وطلب منه أن يسافر إلى جبال الأطلس بناحية بني ملال، ليتزعم حركة المقاومة هناك بالسيف ضد الفرنسيين. فلبى أمره، وكان لهذه المقاومة - التي دامت أكثر من ربع قرن - دوي كبير في مختلف الأوساط السياسية بالمغرب وفرنسا، وحافظت على استقلال جزء هام من المغرب مدة طويلة، ولم يستسلم المجاهد الكتاني، إلا بعد أن عملت القنابل المدمرة التي كانت تتوالى من الطائرات الفرنسية عملها في تحطيم دور المجاهدين وقتل أهلهم وأبنائهم.

ولم يغفل الشيخ أبو المكارم عن نشاطه الديني؛ فكان يعقد اجتماعات الإخوان بمنزله كل جمعة، ويقيم الذكريات الدينية كذلك. وقد نشط في ميدان الكتابة نشاطا كبيرا، فوجه طيلة السنوات الخمس التي عاشها بعد

---

(١) من أكابر تلامذة المترجم، قاد معركة المقاومة للجيوش الفرنسية سبعا وعشرين سنة باسم الطريقة الكتانية، توفي بمدينة مكناس سنة ١٣٦٨هـ، انظر «إتحاف المطالع» ٢/٥٢٠.

المترجم أكثر من ألف رسالة في الوعظ والإرشاد، يفتخر بها تاريخ المغرب العلمي والديني، ولم تخل العشرات منها من الحديث عن أسرار امتحان الأكابر، ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على ما يصيب الدعاة من أذى.

[رد المولى يوسف الاعتبار للكتانيين]:

ولما انقضى عهد عبدالحفيظ وأقبل عهد أخيه السلطان الجليل، الماجد الأثيل؛ أبي المحاسن مولانا يوسف العلوي رحمات الله عليه؛ افتتح عهده بإصدار ظهائر لحكام مدن المغرب، يأمرهم فيها بفتح الزوايا الكتانية بمختلف بلاد المغرب، فكانت حسنة من حسناته لا ينساها له التاريخ.

وفيما يلي نص واحد من تلك الظهائر: قال بعد الحمدلة والصلاة، والطابع الصغير داخله: يوسف ابن الحسن وفقه الله:

«خديمنا الأرضى؛ القائد فلان، وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله:

وبعد؛ فقد أذنا للفقراء الكتانيين في فتح زاويتهم هناك، التي كانت مقفولة، وأبحنا لهم تعميرها كما كانوا بالصلاة والذكر والقرآن من غير تحجير في ذلك، مع رعاية الحرمة الواجبة في ذلك، وأعلمناك لتكون على بال، ونرد كتابنا الشريف هذا لمقدم الزاوية يبقى بيده تذكرة... والسلام[(١)]».

[رسائل مباركة من أعلام المغرب بخصوص فتح الزوايا الكتانية]:

وتواردت التهاني على والد المترجم وشقيقه وابنه الأكبر؛ نثرا ونظما، سأكتفي هنا بإيراد بعض منها؛ فأقول:

جاء في رسالة شيخ الجماعة بالرباط وقاضيه إذ ذاك، أبي عبدالله محمد المكي البطاوري رحمه الله[(٢)]؛ خطابا لشقيق المترجم [الشيخ

---

(١) في ١٩ شوال ١٣٣٠. (المؤلف).

(٢) مؤرخة بمتم شوال سنة ١٣٣٠ (المؤلف).

عبدالحي الكتاني]: «إنني - يا سيدي - في تمام الانشراح مما أبرزته يد الأقدار، من حيث كونه أجلى برهان على شفوف الطريقة وكمالها وفضلها، طبق ما وعد به سيدنا الشيخ أبو الفيض رضي الله عنه. فلم يخامر الباطن سوى ما كان متعينا من السجود عند الصدمة، ولا شيء بفضل الله وبركة مولانا رسول الله ﷺ، فلم تزد الأنوار إلا تشعشعا، والمحبون إلا إخلاصا ويقينا. ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾. [الأحزاب: ٢٢، ٢٣]، فالربوع الطاهرة عامرة، وأنوار الحق فيها متلألئة ظاهرة، ونحن على محبتكم...».

وجاء في رسالة لنائب السلطان بطنجة أبي عبدالله محمد بن محمد الجباص رحمه الله[1]، جوابا على رسالة بعث بها إليه شقيق المترجم: «وأما ما أخبركم به مقدمكم من سرورنا وفرحنا؛ فصحيح، تمم الله فرح جميع الأمة بهنائها وصلاحها، وبارك لنا ولها في طلعة مولانا الإمام، وأسعد بخلافته البلاد والإسلام».

«وأما ما أملتم من الوقوف في إتمام فتح الزاوية، وتمكين الفقراء منها؛ فقد قمنا بالواجب وما قصرنا، وكذا جناب الفقيه القاضي رعاه الله، وتيسر فتحها ليلة العيد السعيد على الوجه المطلوب والأمل المحبوب، وهي الآن عامرة بذكر الله، مشرقة بنور الله».

«أمد الله المريدين بمعونته، وكلأهم برعايته، وأعاد عليهم وعلى المسلمين من بركة سيد الوجود أسماها، ومن أنواره المحمدية أزكاها...».

---

(١) مؤرخة بـ: ٥ شوال عام ١٣٣٠هـ (المؤلف).

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره وأطلع في سماء المعالي شمسه المنيرة
وبدوره أننا بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنته أذنا للشريف المنصوب الشيخ
محمد عبد الحي الكتاني وإخوته في فتح زواياهم أينما كانت بالحواضر والبوادي وسوغنا
لهم إجراء العمل فيها على ما كانت عليه في المبادئ من قبل ما أنه من جملة ما يذكر
فيها من الأذكار الدينية على وفق ما كانت عليه في القديم والجري فيها على
المنهج المستقيم من غير زيادة فيها ولا نقص منها نأمر الواقف عليه من خدامنا
وولاة أمرنا أن يعلمه ويعمل بمقتضاه ولا يتعداه صدر به أمرنا المعتز بالله في 13 رمضان
المعظم عام 1335 هـ

رسالة من المولى يوسف يأمر بإعادة فتح الزوايا الكتانية

ووقفت على رسالة كتبها الشيخ المكي بن عزوز التونسي، شيخ الإسلام بالأستانة، إلى الإمام محمد بن جعفر الكتاني إبان هجرته بالمدينة، وهذا بعض ما جاء فيها[١]: «نحمد الله الذي لا إله إلا هو على فضله ورحمته، ونبشركم أن جميع زوايا السادة الكتانية فتحت في الحواضر والبوادي بالظهير السلطاني اليوسفي؛ فالزاوية الكبرى التي بفاس فتحت يوم الإثنين **١٣** رمضان، وفتحت زاوية طنجة يوم الأربعاء **٢٩** رمضان، وعم السرور جميع البوادي والبلدان، حيث فتحت جميع المعابد الكتانية لإقامة ذكر الله والصلوات المفروضة والصلوات النبوية، وخرج سيدي الشيخ عبدالكبير رضي الله عنه من داره للضريح الإدريسي، ومنه للزاوية الكتانية، وهذا دلنا أن هذا السلطان مولاي يوسف بن مولاي الحسن أصلح وأيمن من أخيه السالف، ولله الأمر من قبل ومن بعد...».

وقال الأستاذ الأديب أبو عبدالله محمد بن الغالي العراقي الحسيني الفاسي رحمه الله[٢]؛ من قصيدة مخاطبا والد المترجم:

سررنا بفتح للزوايا بأسرها ... فنرجو به فتحا ننال به ذوقا
فقد عمت البشرى به كل بقعة ... وجدد أفراحا وقد عطر الأفق

وقال - أيضاً - من قصيدة أخرى:

أسيدنا عبدالكبير أبا الندى ... ويا قطب أهل الخير يا غوث ذي العصر
ويا من به عنا الكروب تباعدت ... وكم شدة بالفتح حفت وبالنصر
فهذي زوايا الغرب زال حجابها ... وقد عمرت بالذكر والحمد والشكر
كذا نرتجي فتحا بجاهك عاجلا ... وأنجالك الأعلام والأنجم الزهر
بمن كان فرد الوقت في الفتح والهدى ... ومن علمه أربى على البحر والقطر
إمام بدا كالشمس في حسن مطلع ... وقد غاب في أفق الجنان على فور

---

(١) مؤرخة بشوال عام ١٣٣٠هـ. (المؤلف).

(٢) الشريف العالم الأديب العدل الوجيه توفي سنة ١٣٨٢هـ.

عوضت به أجرا جزيلا ومنة من الله إذ قابلت فقده بالصبر

وقال العلامة المؤرخ، الشاعر الناثر؛ أبو السرور عبدالرحيم بن الحسن الكتاني ـ رحمه الله ـ من قصيدة:

قد قيل لي: فتحت زوايا الختم في كل البقاع؛ حمدت ذا الإفضال
وشكرت مولى بالجميل يثيبنا ويمن بالفتح الكبير العال
من بعد ما كانت فناء خاليا صارت محل الذكر والإقبال
بشراك يا أم الزوايا بنفحة حقية وردت من المتعالي
شيدت قباب الذكر فيك كمثل ما قد كنت مأوى البر في الأحوال
لا غرو أن القطب ختم ولاية قد شاد أركانا لها برجال
ذاك الولي العارف البحر الذي يلقى المريد به صنوف لآل
هو برزخ العرفان غوث أكابر تاح المفاخر كعبة الآمال
شيخ المشايخ قدوة الأعلام من جمع العلوم وحاز كل كمال
بحر خضم فاضت الأسرار من جدواه فيض السحب بالتهطال
شيخي أبو الفيض الإمام محمد علم الهداة مهذب الأعمال

وقال العلامة الأديب مؤرخ فاس، أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالقادر السليماني الحسني المعسكري ثم الفاسي[1]؛ المعروف بابن الأعرج ـ رحمه الله:

أشموس عرفان بدت في أفقها أم راية تسطو على عذالها؟
أم غادة هيفاء يخجل حسنها نور الغزالة غب نيل وصالها
أم تلك أسباب النجاح تهيأت وتعطفت من بعد طول مطالها
بل تلك زاوية الرشاد تفتحت الخ ....

---

(١) العلامة المطلع الشاعر، صاحب التآليف العديدة، توفي سنة ١٣٤٤هـ، «إتحاف المطالع» ٤٤١/٢.

ومنها :

وعدا الزمان على الرئيس المنتقى فرع النبوءة من بيوت عوالها
لهفي على شهم همام يافع شيخ الطريقة بل زعيم رجالها
العالم الحبر المجيد أخي العلا الواصل المفضال سر جمالها
من سامه الدهر الخئون بمسة شنعاء ضد بني البتول وآلها
فالدهر حرب للمهذب في الورى وكذا البدور تعاق دون كمالها
حقا رمته الحادثات وحاربت بيت الهدى بسيوفها ونبالها
بشراك يا عبدالكبير لقد جز يت سعادة مغبوطة بمنالها
أو ما فجعت ظلامة بمحمد لما رمته المرجفات بقالها
أنت الحلاحل[1] صفوة الوقت الذي شهد الخطوب وما ارعوى بفعالها

وقال شاعر طنجة: العالم الأديب؛ أبو محمد عبدالله بن محمد بن الهاشمي الوزاني الطنجي ـ رحمه الله:

هنيئا لها عادت إلى العز والمجد زوايا ذوي الأفعال والخير والسعد
أبى الله إلا أن تعود لحالها على رغم أنف ذي الشماتة والحقد
فأعظم بها من نعمة عز قدرها يقابلها الإنسان بالشكر والحمد
بشائرها عم البرية كلها ولا سيما أهل السيادة والمجد
شموس العلا عبدالكبير ونجله ومولى موالينا محمد المهدي
أولئك قوم عظم الله قدرهم وزادهم عزا وفضلا بلا حد
أولئك أهل العز دار ولاية مجادتهم تعلو على كل ذي مجد
أولئك أهل السر لست أحيد عن طريقتهم حتى أغيَّب في لحدي
بطنجة جسمي صار والقلب عندهم ببلدة فاس قد أقام على الود
رفعت لهم حسن الهناء بنيل ما يسر من الأفراح كل ذوي الود

---

(١) الحلاحل: السيد في عشيرته، الشجاع الركين في مجلسه.

وقد شفع جلالة السلطان مولاي يوسف ـ رحمه الله ـ العمل الجليل، بإصدار أمره السامي بفتح المكتبة السلطانية الكائنة بالقصر الملكي بفاس مرتين، لتخرج منها الكتب الكتانية المصادرة في المحنة.

وفعلا؛ أخرج ما عثر عليه منها، حشره الله في زمرة المنعم عليهم من النبيئين والصديقين، والشهداء والصالحين، وخلد ذكره ورفع قدره. . .آمين.

[رحلة الوداع ووفاة الشيخ أبي المكارم]:

وآخر عمل قام به والد المترجم؛ هو: الرحلة الإرشادية التي كانت نهايتها مدينة الصويرة، وتسمى عند الإخوان بـ: «رحلة الوداع»؛ لأنه كان يودعهم فيها، وكان لها فضل كبير على الحركة الإسلامية بالمغرب، لأنه حارب فيها اليأس الذي أصاب الناس من الاحتلال الأجنبي، وأوقد فيهم جذوة النشاط، ودعا إلى مواصلة الكفاح والعض بالنواجذ على تعاليم الإسلام، بحيث أصبح يعد مجدد الإسلام بالمغرب، لا مجدد الطريقة الكتانية فحسب!!!.

ومن مميزات هذه الرحلة؛ أنه: كان يدعو الناس فيها للنطق بكلمة الشهادة، بنية الدخول في الإسلام، فكان جهلة الناس ينتقدون عليه ذلك، فكان ـ رضي الله عنه ـ يجيب بأن: «كل من رضي بحكم الكفار؛ يعد كافرا في نظر الإسلام!»، ومن أجل ذلك يجب تجديد الإيمان وخوض معركة الكفاح، بهذا حدثني جمع من الإخوان، وفيهم من لا يزال حيا إلى الآن.

وبعد رجوعه من رحلته بنحو ستة أشهر؛ التحق بالرفيق الأعلى صبيحة يوم الخميس **٢٦** ربيع الأول سنة **١٣٣٣**هـ؛ فانهد بموته صرح من صروح الإسلام لم يشيد إلى الآن، كما فتح موته على الطريقة الكتانية باب المحن والأهوال.

[محنة الطريقة الكتانية مع الاستعمار الفرنسي وموقف مولاي يوسف من ذلك]:

فقد كان حاكم فاس الفرنسي يوجه استدعاء في كل شهر لرئيس جبهة المعارضة [شقيقنا الشيخ محمد المهدي]، وكان يصله قبل الموعد المقرر للمقابلة بأيام، ليتركه يفكر في القصد منه، وحينما تتم المقابلة ـ بعد انتظار

قد يطول الساعة والساعتين - يفاجئه بالتهديد والوعيد، فإذا سأله عن السبب؛ ذكر له أنه: كتب رسالة للإخوان بالقبيلة الفلانية يدعوهم فيها للمقاومة. وكانت الأسباب تتعدد بتعدد الاستدعاءات، وكان الرئيس ينكر صدق تلك الأسباب، ويصرح بأن مراسلاته لا تتجاوز نطاق الوعظ والإرشاد.

ولما تكرر ذلك؛ قصد عاصمة الرباط لمقابلة جلالة السلطان أبي المحاسن مولاي يوسف - رحمه الله - لتقديم شكوى إليه بحاكم فاس. وقد بذل السلطان كل ما في وسعه لتخفيف الآلام عنه، واتخذ عدة تدابير من أجل ذلك.

وأخيراً رغب منه أن يقيم بالرباط؛ ليكون على مرأى منه ومسمع. فأجاب رغبته، وأقام بها ثلاث سنوات كان يوجه الإخوان منها توجيهاً رشيداً، ثم بدا له أن ينقل العائلة من فاس إلى الرباط، فتم ذلك سنة **١٣٣٩**، وفي الرباط دعاني لتسيير شؤون الطريق بجانبه؛ فكنت أعقد حلقات الدروس للوفود، وأوجه الرسائل الإرشادية للإخوان، وأسافر بطريقة سرية لعدة جهات بالبادية؛ لأن أبناء المترجم كانوا ممنوعين من السفر للبوادي طيلة عهد الحماية، خشية أن يلتف الناس حولهم، ويقوموا بعمل معارض للسياسة الاستعمارية.

وما ترك السلطان «أبو المحاسن» استدعاءنا لحفلة من الحفلات الرسمية، وصرح لنا مرة بقوله: «ثقوا بأنه لا يصيبكم - إن شاء الله - أذى ما دمت جالساً على أريكة العرش المغربي، وسأبذل كل ما في وسعي لأرد لكم حقوقكم...».

ولكن المنية فاجأته بفاس سنة **١٣٤٦**هـ فالتحق بربه، وقد حضرنا جنازته وبيعة ولده أمير المؤمنين سيدي محمد الخامس أيده الله، فضاعفنا اتصالاتنا بجلالته، ودعونا الناس إلى الالتفاف حوله وخدمة الأهداف السياسية التي تبناها.

[نبذة من جهاد الطريقة الكتانية بعد الاستعمار]:

وقد بدأنا عملنا في هذا الباب بمعارضة الظهير البربري، واتصلنا

بالإخوان ليبدوا معارضتهم له، وجدد شقيقي أبو يوسف إبراهيم، دعوة المترجم لمقاطعة السكر، فصادفت قبولا حسنا في قبيلة زعير، حتى أضر ذلك بشركة السكر الفرنسية، ولولا وسائل التهديد التي اتخذها حكام زعير - فرنسيين ومغاربة - لاسترسل ذلك إلى الآن.

ولما انتقلنا للسكنى بسلا في أواخر سنة **١٣٤٩هـ**، واصلنا عملنا في الدعوة إلى الله ونشر العلم، وإيصال النفع إلى الناس على حسب المستطاع، وعارضنا استيلاء اليهود الصهاينة على فلسطين المقدسة، واستنكرنا التخريب والتدمير الواقعين بها، وطالبنا باستقلال المغرب في عدة وثائق سنة **١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م**، وقابلنا جلالة السلطان في الموضوع عدة مرات، مصرحين له بأننا بجانبه في السراء والضراء، وكان ترددنا على القصر الملكي يزيد في سخط الفرنسيين عنا، ويعرضنا لأنواع من العسف والإرهاق كنا نتحملها راضين.

وكان - جلالته - يعلم ذلك؛ فأعطانا ظهير التعظيم والتوقير، اعترافا منه بإخلاصنا وتسهيلا لمأموريتنا، وإبعادا لأذى الفرنسيين وأعوانهم عنا، وهذا نصه بعد الحمدلة والصلاة، والطابع الكبير داخله: محمد بن يوسف بن الحسن الله وليه ومولاه، وبجوانبه: فالله خير حفظنا وهو أرحم الراحمين:

«كتابنا هذا - أعلى الله مقداره، وأعز أوامره وأبد فخاره - يستقر بيد حملته، المتمسكين بالله ثم به، المعتصمين بحبله وسببه، الشرفاء الفقهاء السيد محمد المهدي والسيد محمد الباقر والسيد إبراهيم، أبناء الشريف المرحوم بكرم الله، الفقيه العلامة الشيخ سيدي محمد الكتاني، ويتعرف من جواهر معانيه، ورسوخ أسسه وشموخ مبانيه، أننا بحول من لم تزل أياديه متوالية، وتفضلاته رائحة وغادية، أسدلنا عليهم أردية التوقير والاحترام، والإجلال والإعظام، والحمل على كاهل الحظوة وجميل الإنعام، والمبرة والإكرام، والرعي الجميل المستدام، مشمولين بجلابيب العناية والوقار، محوطين بسرادق الرعاية والتمييز والاعتبار...».

«فنأمر الواقف على هذا الظهير الكريم، والأمر المحتم الصميم، من خدامنا وولاة شريف أمرنا؛ أن يعلمه ويعمل بمقتضاه، ولا يحيد عن كريم

مذهبه ولا يتعداه. . . والسلام. صدر به أمرنا الشريف المعتز بالله تعالى في رابع وعشرين صفر الخير عام ١٣٦٢، يسجل هذا الظهير الشريف في الوزارة الكبرى بتاريخ ٢٨ صفر عامه، الموافق ٥ مارس سنة ١٩٤٣ محمد المقري وفقه الله».

وحينما عرضت القضية المغربية على أنظار هيئة الأمم المتحدة لأول مرة بباريز سنة ١٣٧١هـ/ سنة ١٩٥١م، وجهنا برقيتين؛ الأولى: للأمين العام للأمم المتحدة، والثانية: للأمين العام للجامعة العربية مطالبين بالاستقلال، وشاكرين موقف الجامعة العربية من القضية المغربية.

ولما حاول الفرنسيون خلع السلطان سيدي محمد الخامس للمرة الأولى سنة ١٣٧٢هـ/ سنة ١٩٥١م؛ وجهنا برقيتين لرئيس حكومة فرنسا، ووزير خارجيتها؛ محتجين على هذا العمل الإجرامي، ومطالبين ببقائه على عرش المغرب، ومنددين بخصومه، وقد قال لنا جلالته إثر ذلك: «كانت برقيتكم أول برقية قرأتها في الصحف، وكنت أعلم ـ سلفا ـ أنكم ستبادرون إلى تأييدي ونصرتي، لما تحقق عندي من إخلاصكم للدين والوطن».

وقد أحبط الله أعمالهم في هذه المحاولة الأولى، ولما أعادوا الكرة سنة ١٣٧٣هـ/ سنة ١٩٥٣م باسم ما كان يسمى بحركة المعارضة والإصلاح؛ أعدنا التأييد، ولكن هذه المحاولة الثانية نجحت، فأبعد جلالة الملك عن عرشه وكان للعم ـ الذي كان أتباع الطريقة الكتانية قد تم ابتعادهم عنه وانضموا إلينا، فأصبحت القيادة الحقيقية بيدنا بينما لم يبق له إلا الاسم ـ ضلع كبير في نجاح هذه المؤامرة. أما نحن؛ فقد نجونا من الأشراك التي وقع فيها غيرنا، وتشبثنا بموقفنا من القضية المغربية، وبالوفاء لجلالة الملك المنفي، وقمنا أثناء النفي بمقاومة اليأس من النفوس والتبشير بقرب إرجاعه إلى عرشه كما يجب.

بل أبرقنا لرئيس حكومة فرنسا مطالبين بإرجاعه، وبالمفاوضة مع الممثلين الحقيقيين للمغرب، وعارضنا في تمثيل العم للطرق الصوفية، وخصوصا الطريقة الكتانية أثناء محادثات إيكس ليبان، ببرقية وجهناها للرئيس «إدجارفور»، نشرتها صحافة الشمال الإفريقي وفرنسا، وكان لها أثر كبير في إحباط مساعي المتعاونين والمتآمرين. وقدمنا للرئيس «منديس

فرانس» احتجاجا على إلقاء القبض على علماء فاس المطالبين بالاستقلال وإرجاع جلالة السلطان إلى عرشه. . .إلى غير ذلك مما يطول ذكره.

وسأقتصر هنا على إثبات وثيقتين؛ أولاهما: رسالة لمقيم فرنسا العام بالمغرب، متعلقة بمذبحة قامت بالبيضاء أثناء نفي جلالة الملك، والثانية: برقية موجهة إلى جلالة الملك يوم اعتراف فرنسا بالاستقلال.

نص الأولى:

«جناب السفير المقيم العام:

«باسم عائلة الأشراف الكتانيين، والطريقة الكتانية في عموم البلاد المغربية حواضر وبوادي، نعلن لكم استنكارنا الشديد لتمزيق الراية المغربية التي أهينت فيها الأمة المغربية حكومة وشعبا، كما نستنكر الكلمات الداعرة التي كان يصرخ بها ضد المغاربة عموما، والتي تدل على مقدار ما يضمره أصحابها الأوروبيون من حقد وبغضاء بالغين، كما نستفظع إزهاق أرواح الأبرياء ظلما وعدوانا، والكرامات التي ديست بالضرب واللطم والنهش، وأعمال اللصوصية من سلب ونهب وتحطيم وإحراق. ونطالب بإلحاح بإنزال صارم العقاب لهؤلاء السفاكين الجناة من الأوروبيين، كما نطالب بالإسراع بإرجاع جلالة محمد الخامس إلى عرشه، والمفاوضة مع الممثلين الحقيقيين للشعب المغربي لحل قضيته العادلة، تلافيا للصداقة المغربية الفرنسية التي توشك أن تلفظ نفسها الأخير إن لم تفعلوا. . .».

«وأخيرا؛ تقبلوا احترامنا وتقديرنا، مع أملنا وثقتنا في سياستكم الرشيدة. سلا ٩ من ذي القعدة ١٣٧٤هـ/ ٢٠ يوليوز ١٩٥٥م. . .».

الإمضاء:

محمد الباقر الكتاني

وقد تحدثت عنها جريدة «السعادة»[1].

---

(١) بتاريخ: فاتح ذي الحجة ١٣٧٤هـ الموافق ٢٢ يوليوز ١٩٥٥م في صفحتها الأولى. (المؤلف).

ونص الثانية:

«حضرة صاحب الجلالة سيدي محمد الخامس:

«إن شعبكم المسلم ليعترف أمام العالم أجمع، بالمنن الكبرى التي طوقتم جِيده بها طيلة كفاحكم المتواصل لصالح الإسلام والمغرب، ويحمد الله الذي لا إله إلا هو حيث توج هذا الكفاح بتاج النصر والظفر، فألغيت معاهدة الحماية المشؤومة، واعترف للمغرب باستقلاله، ووحدة ترابه، وحقه في تأسيس جيش ودبلوماسية».

«وإن الطريقة الكتانية ـ التي تعدكم رمز البطولات والأمجاد، وأمل المسلمين في دنيا الشرق والغرب، والتي قاوم مؤسسها الشيخ محمد بن عبدالكبير الكتاني فكرة الحماية طيلة حياته، وأمر مريديه بمقاومتها بالسيف حتى استشهد مئات منهم فيما بين سنة **١٣٢٥** وسنة **١٣٥٢** ـ ليشرفها اليوم أن ترفع إلى جلالتكم تهانيها، وتجدد ولاءها، راجية من الله تعالى أن تستلم حكومة جلالتكم المحترمة زمام السلطات عما قريب، وتسفر المفاوضات المقبلة عن النتائج المنتظرة، ويشرق على المغرب اليوم الذي يبارح فيه آخر جندي أجنبي ترابه، رحم الله شهداءنا الأبرار، وجازى خيرا كل مكافح مخلص صدق ما عاهد الله عليه. . .سلا **٢٩** ذو قعدة **١٣٧٤**، موافق **٢٠** يوليوز **١٩٥٥**».

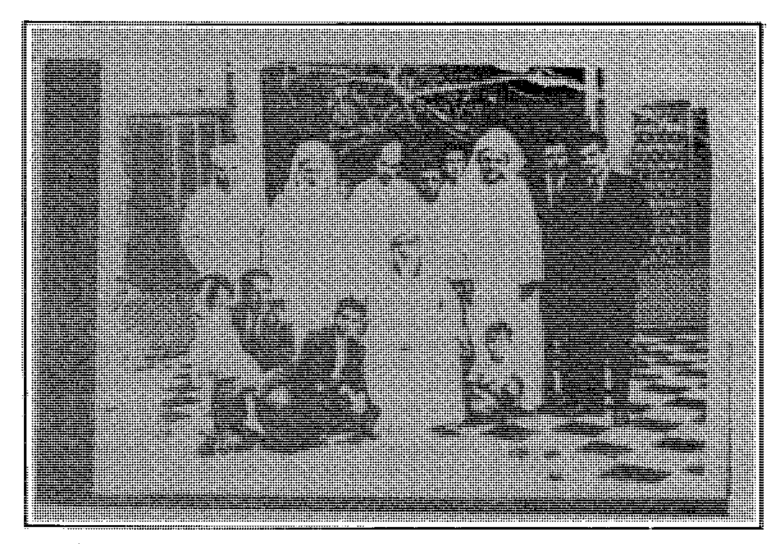
الامضاءات

محمد المهدي الكتاني   محمد الباقر الكتاني   إبراهيم الكتاني[١]   علي الرضى الكتاني[٢]

---

(١) شقيق المؤلف، وشيخ الطريقة الكتانية بعد وفاة المؤلف، العلامة المشارك والوطني المكافح، توفي سنة ١٤٠١هـ بمدينة سلا، انظر ترجمته في كتاب خاص جمعه **الأستاذ** أبو بكر المريني وذلك سنة ١٩٨١م.

(٢) أخ للمؤلف كذلك، العلامة الجليل، والصوفي النبيل، والوطني المكافح تتلمذ على أشهر علماء فاس في وقته، وتوفي سنة **١٣٩٢**هـ بمدينة فاس. انظر ترجمته في كتاب: «من أعلام المغرب العربي في القرن الرابع عشر» ص: **٢٥٣**.



صورة تضم مجموعة من أبناء المترجم وأحفاده يظهر فيها (واقفاً)
إبراهيم (الثالث) ومحمد الباقر (الثامن) وعبدالرحمن بن محمد الباقر (التاسع)
كما يظهر جالساً محمد المهدي الكتاني



علي الرضا بن محمد بن عبدالكبير الكتاني

وقد نشرتها جريدة «السعادة» في نفس الأسبوع، بعد أن حذف منها مديرها الفرنسي فقرات، وخصوصا الفقرة المتعلقة بجلاء الجيش الأجنبي عن البلاد.

وهي أعمال ـ كما ترى ـ قمنا بها باسم الطريقة الكتانية، زيادة على نشاطنا العلمي والديني، وأعمال أخرى قمنا بها باسم علماء المغرب، وعلماء سلا، وعلماء جمعية الإرشاد والإصلاح، ومؤتمر علماء المغرب المنعقد أخيرا بنزل «باليما» بالرباط.

وقد طالبنا أثناء المؤتمر بتأسيس رابطة لعلماء المغرب تضم جميع الجمعيات الحالية، ونرجو أن تقوم هذه الرابطة ـ إن شاء الله ـ بأعمال بناءة لصالح الإسلام والمغرب. . . آمين[1].

وقد قامت الطريقة الكتانية بأعمال أخرى لصالح القضايا العربية والإسلامية يطول الحديث عنها.

ولشباب عائلتنا وطريقتنا مواقف لا تنسى في الدفاع عن المغرب وملك المغرب؛ تشيد بها الحركات الوطنية والتحريرية بهذه البلاد.

[لقاء المؤلف بالملك محمد الخامس ومطالبه بعد الاستقلال]:

ولما رجع صاحب الجلالة من منفاه، وقابلناه لأول مرة، استقبلنا

---

(١) عقد الجمع التحضيري لرابطة علماء المغرب بمنزل المؤلف بمدينة سلا، ثم عقد أول مؤتمر لها بنزل باليما بالرباط سنة ١٣٨٠هـ وقد تبنت الرابطة مواقف مشرفة في قضايا المغرب، مثل الدعوة إلى التعريب وإصلاح التعليم والحكم بما أنزل الله، ونبذ القانون الوضعي، والدفاع عن وحدة المغرب واستقلاله وسيادته، وكانت للرابطة فروع في مختلف أنحاء المغرب، على رأس كل فرع رئيس يعمل على التنسيق مع الأمين العام للرابطة. وقد ظل العلامة سيدي عبدالله كنون يشغل هذا المنصب حتى توفي بطنجة في غشت سنة ١٩٨٩م. كما للرابطة جريدة أسبوعية ناطقة باسمها هي جريدة الميثاق. انظر: «من أعلام المغرب في القرن الرابع عشر وجهود العلماء من أجل الصحوة الإسلامية بالمغرب»، لنجل المؤلف العلامة عبدالرحمن الكتاني، وكتابا حول ملفات ووثائق رابطة علماء المغرب، جمع وتنسيق الأستاذ الحاج أحمد بن شقرون.

بحفاوة بالغة، وقد ألقيت بين يدي جلالته خطابا هذا نصه: «مولاي صاحب الجلالة:

«كم يسعد الشرفاء الكتانيين، وممثلي الطريقة الأحمدية الكتانية - وهم المعروفون بإخلاصهم لجلالتكم ولجلالة سيدنا والدكم المرحوم، وللقضية المغربية المقدسة، منذ عشرات السنين - أن يتشرفوا بالمثول بين يدي سدتكم المولوية في هاته الساعة التاريخية الخالدة، ليعربوا لحضرتكم الشريفة عن كامل ولائهم وإخلاصهم، وعظيم سرورهم بانتصاركم في ميدان الكفاح والتضحية، ورجوعكم لعرشكم العلوي الماجد، مظفرين منصورين، حاملين مشعل الحرية والاستقلال، رافعين بنود النهضة الإسلامية الجديدة التي يتمناها كل صالح مصلح بهاته البلاد...».

«ولقد ضربتم - يا مولاي - أروع الأمثال في البطولة، وعلمتم الملوك كيف يجب أن تكون التضحية، وشيدتم للإسلام والعروبة بالمغرب صروحا من المجد والفخار لا تبيد، وأبنتم للعالم أجمع أن الإيمان القوي والثبات على المبدأ لا بد أن يتغلبا على القوة، مرددين قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون:٨]، وسيكتب تاريخهم المجيد بمزيد من التقدير والإعجاب، وسيبقى دائما رمز التضحية، وعنوان الكفاح، ونبراسا يهتدى به في الليالي المدلهمة».

«وإن ثقتكم العظمى في الله جل جلاله - وطالما أعربتم عنها في خطب عيد العرش، وفي المقابلات العديدة التي كنتم تشرفونا بها - كانت برهانا قاطعا على أن الله تعالى سيؤيدكم بروح منه، وينصركم على أعدائكم نصرا مؤزرا، ويرجعكم إلى عرشكم العتيد كما تأملون وتريدون، وكذلك كان؛ فالحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه».

«وإن الطرق الدينية المخلصة، المؤسسة على الكتاب والسنة والإجماع والقياس المستجمع للشرائط، والمكافحة في سبيل انتصار الحق على الباطل؛ لتريد هي - أيضاً - أن تحظى بتأييد من جلالتكم، كما حظيت به من أسلافكم المقدسين، كي يفسح لها المجال لنشر دعوتها الإسلامية النقية

الطاهرة، لأنها ـ يا مولاي ـ الرابطة الوحيدة بين كثير من المتدينين اليوم، والعاضة بالنواجذ على أغلب مظاهر الإسلام، وبرجالها تعمر أكثر المساجد، وهم حفظة القرءان وحجاج بيت الله الحرام».

«والله أسأل، وبنبيه أتوسل، أن يطيل عمركم للإسلام والمسلمين، ويحقق ـ عما قريب ـ كل الآمال التي يعلقها عليكم شعبكم الوفي وجميع الشعوب الإسلامية التي عاهدت الله على مساندته في مختلف مراحل كفاحه ووفت بهذا العهد».

«كما أسأله ـ سبحانه ـ أن يخرج المغرب من هذه الفترة الحاسمة من تاريخه الحديث، وهو مجموع الشمل، موفور الكرامة، مندفع بقوة نحو بناء مستقبل زاهر يتناسب وتاريخه المجيد، كي يأخذ مقامه في مصاف الدول الراقية، تحت ظل جلالتكم المحروسة بعين الله التي لا تنام، والسلام على أمير المؤمنين وأشباله الأمراء الكرام المكافحين ورحمة الله وبركاته»[١].

وقد أجاب جلالته شاكرا مواقفنا منه، ومن القضية المغربية، ومخبرا بأنه كان يتتبعها بمزيد الاهتمام وهو بمدغشقر، وأنها كانت له سلوى في أوقات الشدة، وأن المخلصين يظهرون في أوقات الشدة أكثر من غيرها... إلخ[٢].

ولا زلنا ننتظر منه أن يمد يد المساعدة للطرق الصوفية، كما مدها للأحزاب الوطنية والمنظمات النقابية والجمعيات الرياضية؛ لأنه راعي المغاربة أجمعين على اختلاف طبقاتهم وتباين مشاربهم.

وقد كنت اقترحت عليه قبل منفاه بشهرين؛ أن ينظم الطرق الصوفية

---

(١) مجموع خطبي بين يدي جلالة الملك ورسائلي إليه، يخرج في أكثر من خمسة كراريس، وقد أذيع هذا الخطاب بإذاعة المملكة المغربية في حينه. وتاريخ هذه الخطبة هو: يوم الأربعاء ٦ جمادى الأولى ١٣٧٥ موافق ٢٢ دجنبر ١٩٥٥. (المؤلف).

(٢) أذيعت تصريحات جلالة الملك لنا بإذاعة المملكة المغربية، والإذاعة الدولية بطنجة، ونشرتها وكالة «فرانس بريس»، ونقلتها عنها صحف المغرب وفرنسا، انظر نصها الكامل في جريدة «السعادة». (المؤلف).

تنظيما يمكنها من أداء رسالتها الإسلامية، طبق مقتضيات العصر الحديث، وضربت له المثل بعناية حكومة مصر بمشيخة الطرق الصوفية؛ فأجابني بقوله: «غفلنا عن القيام بعدة مشاريع هامة في ميدان الإصلاح الديني، فتوالت أحداث لم تكن بالحسبان، غير أنها نبهتنا إليها ودعتنا للتعجيل بإنجازها. وإني أعدكم بتنفيذ رغباتكم عما قريب إن شاء الله...».
حقق الله آمال المسلمين وأصلح أحوالهم آمين.





الخاتمة
في عاقبة مؤذي أولياء الله

سوف لا أطيل على القارئ الكريم في هذا الموضوع، وإنما أقتصر على حديث واحد أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - وهو: قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: «**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب!**»[1]. وهو بعض حديث.

ومعنى: «**آذنته بالحرب**»: أعلمته بأني محارب له. قال تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ﴾. [فصلت: ٤٧]؛ أي: أعلمناك. وقال الشاعر:

آذنتنا ببينها أسماء ... ليت شعري متى يكون اللقاء[2]

قال الإمام ابن حجر الهيتمي في شرحه للأربعين النووية[3]: «ومن

---

(١) الحديث رقم ٦٠٢١، رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق.

(٢) مطلع معلقة الحارث بن حلزة اليشكري؛ وهو: شاعر جاهلي من أهل بادية العراق، توفي نحو سنة ٥٠ ق. هـ، ارتجل معلقته بين يدي عمرو بن هند ملك الحيرة، والمعلقة تضم ٨٤ بيتا. وورد شطر البيت برواية مغايرة:
آذنتنا ببينها أسماء ... رب ثاو يمل منه الثواء
انظر «شرح المعلقات السبع» للزوزني ص: ٢٦٣.

(٣) أحمد بن محمد بن علي بن حجر، الهيتمي السعدي، الأنصاري، شيخ الإسلام المتوفى سنة ٩٧٤هـ بمصر، له عدة مؤلفات انظر عنه خلاصة الأثر للمحبي ١٦٦/٢.

حاربه الله ـ أي: عامله معاملة المحارب؛ من التجلي عليه بمظاهر القهر والجلال، والعدل والانتقام ـ لا يفلح أبدا، وهذا من التهديد في الغاية القصوى؛ إذ غاية تلك المحارب: الإهلاك، فهي من المجاز البليغ، وكان المعنى عليه ما اشتملت عليه تلك المعاداة من المعاندة لله بكراهة محبوبة، ومن ثم؛ لما وقع ذلك لإبليس حين أبى السجود المأمور به لآدم؛ أهلكه الله هلاكا لا سعادة بعده أبدا، وفي ذلك إنذار إلى كل من عادى وليا الله بأنه محاربه، فإذا أخذه على غرة؛ كان ذلك بعد الإعذار بتقديم الإنذار، وفي رواية بدل هذا: «**فقد استحل محارمي**»، وفي أخرى: «**فقد استحل محاربتي**»[1]، وفي أخرى: «**فقد بارزني بالمحاربة**»[2]، وفي أخرى: «**فقد أذى الله؛ ومن آذى الله يوشك أن يأخذه!**»[3]...».

«والكلام فيمن عادى وليا لأجل ولايته وقربه من الله تعالى، لا مطلقا؛ فلا تدخل منازعته في محاكمة، أو خصومة راجعة لاستخراج حق، أو كشف غامض، لجريان نوع ما من الخصومة بين أبي بكر وعمر وعلي والعباس، وكثير من الصحابة رضوان الله عليهم، مع أن الكل أولياء الله، ومعنى: معاداته من أجل ولايته؛ إيذاء من ظهرت عليه أمارات الولاية من قيامه بحقوق الله، وحقوق عباده، إما بإنكارها عنادا أو حسدا، أو بعدم الجري على ما ينبغي له من التأدب معه بما ينبغي، أو بنحو سبه وشتمه...ونحو ذلك من أنواع الإيذاء التي لا مسوغ لها شرعا مع علم متعاطيها بذلك. وإذا علم ما في معاداة الولي من عظيم الوعيد والتهديد؛ علم ما في موالاته من جسيم الثواب وباهر التوفيق والقرب والتأييد»[4].

أما كلام رجال التصوف في هذا الموضوع؛ فكثير...

ومن يطالع تاريخ أعداء المترجم، ويطلع على أنواع الإيذاء التي تلقاها

---

(١) الحديث رقم ٢٤٩٩٧، رواه أحمد في باقي مسند الأنصار.

(٢) الحديث رقم ٣٩٧٩، رواه ابن ماجه في الفتن.

(٣) الحديث رقم ٣٧٩٧، رواه الترمذي في المناقب.

(٤) المصدر ص: ٥٦.

منهم، ويعلم أنواع العقوبات التي تعرضوا لها من الله سبحانه وتعالى، ومن عبيده؛ ير مقدار عناية الله بالمترجم وشفوف رتبته عنده. وعندي في هذا الباب الشيء الكثير الذي يحتاج إلى التدوين.

والآن، وبعد أن أتيت بهذه النبذة الموجزة من ترجمة شخصية مغربية بارزة، قدمت خدمات جليلة للإسلام والمسلمين، والمغرب والمغاربة، والعلم والعلماء، والمعرفة والعارفين؛ أرجو أن أكون قد وفقت في كشف الستار عن حلقات هامة من تاريخ المغرب في أواخر عهد الاستقلال، وتعريف أبناء هذا الجيل بعظيم من عظمائهم، ليهتدوا بهديه، ويؤدوا بعض ما عليهم من حقه، لأن الأمة التي لا تربط حاضرها بمستقبلها وتنسى أو تتناسى رجالها الذين صنعوا تاريخها، أو شاركوا في صنعه؛ لا يمكن أن تتبوأ مقاعد العزة والكرامة في مصاف الدول الراقية، وتواصل السير في طريق النهوض والتقدم بجانب الشعوب الحية.

ومن أراد مزيد التوسع في كل باب من هذه الأبواب؛ فليتطلب الكتب المدونة في تاريخ المترجم، وبالأخص «التاج» و«الدائرة».

وفي نية ولدي الأستاذ عبدالرحمن الكتاني[1] ـ سدد الله خطاه، وكان له بما كان به لخاصة أصفيائه... آمين ـ أن يصدر كتابا عن المترجم يتحدث فيه عن جملة من مظاهر كفاحه، وكفاح طريقته الأحمدية الكتانية بعد استشهاده، مع العناية بذكر جملة من أسماء رجالها الذين قاوموا جيش الاحتلال الفرنسي والإسباني في عدة جهات بالمغرب، وسقطوا شهداء في سبيل الله، والعناية ـ أيضاً ـ بذكر جملة من الوثائق والمستندات عن الكفاح الوطني الذي قام به أبناء المترجم، سعيا في حرية المغرب واستقلاله بجانب الحركة الوطنية المخلصة، باسم طريقتهم الكتانية.

---

(١) العلامة العامل، والصوفي المجاهد، سيدي عبدالرحمن الكتاني، له عدة مؤلفات، توفي سنة ١٤٠١هـ، الموافق ١٩٨٠م، انظر في ترجمته: المقدمة التي كتبها محقق كتابه «من أعلام المغرب في القرن ١٤»، الدكتور محمد حمزة بن علي الكتاني، و«رجال عرفتهم» للأستاذ أبو بكر القادري وغيرهما.

والله الهادي إلى سواء السبيل، وهو حسبي ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

وكان الفراغ من تأليفه هذا الكتاب في أواخر شهر محرم الحرام، مفتتح سنة تسع وستين وثلاثمائة وألف، ثم زدت فيه زيادات ساعة الطبع على حسب ما تجدد من الأحوال والأهوال، فتم تحريرا في التاسع والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة ثمانين وثلاثمائة وألف، بمدينة سلا - حرسها الله وسائر بلاد الإسلام من كل تنكر للشريعة المحمدية - على يد مؤلفه خادم العلم والحديث، والطريقة الكتانية: محمد الباقر ابن الشيخ محمد الكتاني كان الله له... آمين.





فهرس الآيات القرآنية

ب

ق

الآيات	السورة	الصفحة
﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾﴾	إبراهيم ١٥ إلى ١٧	١٦١
﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ...﴾	الأعراف ١٥٦	١٦٤
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾	البقرة ١٦٥	٩٦
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾	الطور: الآية ٢١	٢٣
﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾	الفرقان ٧٢	٨٤
﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾	المؤمنون ٨-٩	٨٤
﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾	النساء ٨٨	١٦٥
﴿وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾	البقرة ٢١٣	١٠٢
﴿وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾	يس ٥٩	١٦٩
﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾	النحل ١٦	٩٩
﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾	النساء ١٠٢	٤١٥
﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾	الذاريات ٥٥	٣٣٩
﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾	الأحزاب ٢٢-٢٣	٤٥٣
﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ...﴾	الحشر ٢	١٦٣
﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾	الفرقان ٦٣	٨٥
﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾	الدخان ١٠-١١	١٦٢
﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾	يوسف: الآية ٧٦	٦٣
﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾	التوبة ٣٦	٤١٥
﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾	المائدة ١٨	٩٩
﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾	آل عمران ١٤٦	٤٣٣
﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾	الكهف ٤٥	١٢٤
﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾	الأعراف ٢٠٥	١٣٠

ي



فهرس الأحاديث النبوية

الأحاديث	الصفحة

أ

ب

ت

ح

د

ذ

ر

س

ع

ك

ل

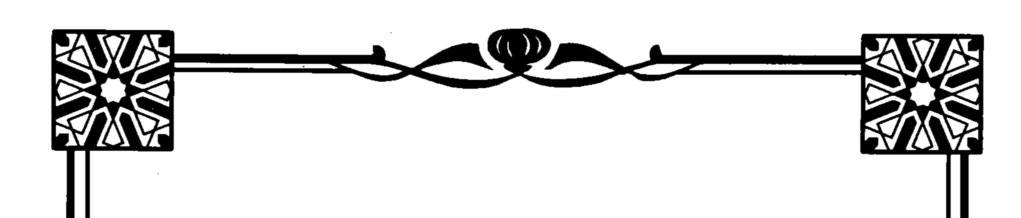
م

ن

و



فهرس الأعلام



فهرس الأماكن والقبائل





فهرس الأشعار





فهرس الوثائق





فهرس المخطوطات

المخطوطات	الصفحة

المخطوطات	الصفحة

المخطوطات	الصفحة

المخطوطات	الصفحة

المخطوطات	الصفحة





فهرس الكتب الواردة في المتن

اسم الكتاب	الصفحة

اسم الكتاب	الصفحة

اسم الكتاب	الصفحة



فهرس الصحف الواردة في الكتاب

- الدفاع عدد ٢٣ جمادى الثانية، ١٣٥٦ غشت ١٩٣٧.
- السعادة عدد ١٣/٤/١٩٠٥، ٢٧ محرم ١٣٢٣.
- السعادة غدد ١٤ محرم ١٣٢٦، ١٦ فبراير ١٩٠٧.
- السعادة عدد ١٥ ربيع الأول ١٣٢٧، ٦ أبريل ١٩٠٦.
- السعادة عدد ١٨ ربيع الثاني ١٣٣٠، ٦ أبريل ١٩١٢.
- السعادة عدد ٢١ جمادى الأولى ١٣٥٩، ٢٨ يونيو ١٩٤٠.
- السعادة عدد ٢٨ جمادى الأولى ١٣٢٧، ١٨ جوان ١٩٠٩.
- السعادة عدد ٥ جمادى الثانية ١٣٢٧، ٢٥ جوان ١٩٠٩.
- السعادة عدد فاتح ذو الحجة ١٣٧٤، ٢٢ يوليوز ١٩٥٥.
- الشعب عدد ربيع الأول ١٣٨٠هـ.
- الوحدة المغربية ٢١ جمادى الأولى ١٣٥٩، ٢٨ يونيو ١٩٤٠.





فهرس مصادر ومراجع المقدمة والتحقيق

١ ـ **القرآن الكريم**.

٢ ـ **إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس**، لابن زيدان، مطابع إديال، الدار البيضاء، ط ٢، ١٩٩٠.

٣ ـ **إتحاف المطالع**، تأليف عبدالسلام بن سودة، دار الغرب الإسلامي،بيروت ١٤١٧-١٩٧٩.

٤ ـ **الإتحاف الوجيز**، تحقيق المصطفى بوشعراء من منشورات الخزانة العلمية الصبيحية بسلا ١٩٨٦.

٥ ـ **الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية**، لزكي مجاهد، دار الغرب الإسلامي، ط ٢، ١٩٩٤.

٦ ـ **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، للعباس بن إبراهيم، تحقيق عبدالوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط ١٩٨٠.

٧ ـ **الأعلام للزركلي**، دار العلم الملايين، ط ٧، ١٩٨٦.

٨ ـ **الاستيعاب لابن عبدالبر**، تحقيق علي البجاوي، دار الجيل، بيروت١٩٩٢.

٩ ـ **الاعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام**، لعبدالحي بن فخر الدين الحسني، دار ابن حزم، بيروت ١٤٢٠-١٩٩٩.

١٠ ـ **التعريفات للجرجاني**، المطبعة الوهبية، مصر ١٢٨٣هـ.

١١ ـ **الحياة الأدبية في عهد الدولة العلوية**، لمحمد الاخضر، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء ١٩٧٧.

١٢ ـ **الدليل المشير**، لأحمد بن أبي بكر بن حسين الحبشي، المكتبة المكية،مكة المكرمة ١٤١٨-١٩٩٨.

١٣ ـ **الذيل والتكملة**، لابن عبدالملك المراكشي السفرالثامن، تحقيق د. محمد بنشريفة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ١٩٨٤.
١٤ ـ **الرسالة القشيرية للقشيري**، تحقيق معروف مصطفى زريق، المكتبة العصرية، بيروت ٢٠٠١.
١٥ ـ **الشافعي شعره وأدبه**، تحقيق محمد إبراهيم نصر، دار الرشيد ١٤٠٤.
١٦ ـ **الغارة على العالم الإسلامي** ـ للوشاتليه لخصها ونقلها إلى العربية محي الدين الخطيب ومساعد اليافي بمنشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية لبنان ١٤٢٤.
١٧ ـ **الفكر الإصلاحي في عهد الحماية**، لآسية بنعدادة المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ٢٠٠٣.
١٨ ـ **المجموعة النبهانية**، ليوسف النبهاني، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦.
١٩ ـ **المصادر العربية لتاريخ المغرب**، لمحمد المنوني في ثلاثة أجزاء، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر ١٩٨٣.
٢٠ ـ **المعجم الكبير للطبراني ط٢**، تحقيق صمدي عبدالمجيد سلفي، وزارة الأوقاف بغداد ١٩٨٢.
٢١ ـ **المعسول**، لمحمد المختار السوسي، مطبعة النجاح، البيضاء ١٩٨٢.
٢٢ ـ **المفاخر العلية**، لابن عياد الشاذلي، المطبعة العامرة، مصر ١٣٢٣.
٢٣ ـ **المقاصد الحسنة للسخاوي**، دراسة وتحقيق عثمان الخشت، دار الكتاب العربي ط ٣، ١٩٩٦.
٢٤ ـ **النبذة اليسيرة النافعة**، محمد بن جعفر الكتاني، تحقيق محمد الفاتح الكتاني وعصام عرار، طبع بلبنان سنة ١٩٨٩.
٢٥ ـ **الوافي بالوفيات**، للصفدي اعتناء محمد يوسف نجم دار صادر بيروت ١٤١٤-١٩٩٠.
٢٦ ـ **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، لعبدالسلام ابن سودة، دار الفكر ١٩٩٧.
٢٧ ـ **ديوان زهير**، تحقيق د. فخر الدين قباوة ط٣، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٠.
٢٨ ـ **زهر الآس في بيوتات فاس**، لعبدالكبير بن هاشم الكتاني، تحقيق الدكتور علي الكتاني، منشورات مطبعة النجاح الجديدة ٢٠٠٢.
٢٩ ـ **سل النصال**، لعبدالسلام بن سودة، تحقيق محمد حجي، دار العرب الإسلامي ١٩٩٧.

٣٠ ـ **سلوة الأنفاس**، لمحمد بن جعفر الكتاني، طبعة حجرية بفاس.
٣١ ـ **سنن ابن ماجة**، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة **١٣٧٣**.
٣٢ ـ **سنن الترمذي**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة **١٣٥٣**.
٣٣ ـ **سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر**، لعمر عبدالجبار ط٣، دار النشر تهامة، الرياض.
٣٤ ـ **شرح المعلقات السبع**، للزوزني دار صادر١٣٧٧-1958.
٣٥ ـ **صحيح البخاري**، مطبعة بولاق بمصر **١٣١٤**.
٣٦ ـ **صحيح مسلم**، ط. القاهرة **١٢٩٠**.
٣٧ ـ **على رأس الأربعين**، لمحمد داود، تحقيق ذ. حسناء داودج١ منشورات جمعية تطوان أسمير(١٤٢١- ٢٠٠١).
٣٨ ـ **غنية المستفيد** لمحمد الباقر الكتاني، المطبعة المهدية، تطوان **١٣٧٦**.
٣٩ ـ **فهرس الفهارس**، للشيخ عبدالحي الكتاني تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط **٢**، **١٩٨٢**.
٤٠ ـ **كشف الظنون** لحاجي خليفة، دار الفكر **١٩٩٤**.
٤١ ـ **مدارج السالكين** لابن قيم الجوزية، ط **٤**، تحقيق الداني بن منير آل زهوي، المكتبة العصرية، بيروت **٢٠٠٣**.
٤٢ ـ **مظاهر يقظة المغرب الحديث**، لمحمد المنوني ط **٢**، دار الغرب الإسلامي وشركة النشر والتوزيع سنة **١٩٨٥**.
٤٣ ـ **معجم الشيوخ**، لعبدالحفيظ الفاسي، المطبعة الوطنية الرباط، **١٩٣١**.
٤٤ ـ **معجم المؤلفين**، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت **١٩٩٣**.
٤٥ ـ **من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين: الرباط وسلا**، لعبدالله الجراري طبعة الرباط بدون تاريخ.
٤٦ ـ **من أعلام المغرب العربي في القرن ١٤**، لعبدالرحمن الكتاني، جمع نور الهدى الكتاني وتحقيق حمزة الكتاني، دار البيارق الأردن **٢٠٠١**.
٤٧ ـ **من رسائل الإمام محمد بن عبدالكبير الكتاني**، تحقيق حمزة الكتاني وغسان أبو صوفة، دار الرازي، الأردن- **٢٠٠٢**.
٤٨ ـ **نفح الطيب للمقري**، دار صادر، بيروت **١٩٦٨**.

❊ ❊ ❊

المصادر المخطوطة

٤٩ ـ مذكرات الشيخ عبدالحي الكتاني.

٥٠ ـ دواوين شعرية للشيخ محمد الباقر.

٥١ ـ التاج المرصع بالجواهر الفريد في ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد.

٥٢ ـ دائرة المعارف والعلوم الكتانية.

٥٣ ـ المظاهر السامية للشيخ عبدالحي الكتاني.

٥٤ ـ اللؤلؤة الفاشية في الرحلة الحجازية لعبدالسلام العمراني.

٥٥ ـ طبقات الكتانيين طريقة.

٥٦ ـ «أسهل المقاصد» ثبت للمؤلف.

٥٧ ـ رسائل العلامة عبدالرحمن بن جعفر الكتاني.

❋ ❋ ❋

المراجع بالفرنسية

Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain 1830-1912- Abdallah laroui maspero 1977.

Monarchie et Islam politique au Maroc - Mohammed Tozy - Presses de la Fondation Nationale Des Sciences politiques 1999.





فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الفهارس

